

مكتبة دار الكتب والوثائق القومية

حاشية الإمام البيهقري

على
جوهر
التوضيح

تأليف

أحمد بن محمد بن عبد الله

بدر

مكتبة

دار الكتب والوثائق القومية

حاشية الإمام البيهقي

عَلَى جَوْهَرَةِ التَّوْحِيدِ

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

للساشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع

لمصاحبها

عبدلغفور محمود الجبار

الطبعة الأولى

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر ١٢٠ شارع الأزهر ص ب ١٦٦ النورية - الرقم البريدي - ١١٦٣٩
هاتف ٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٧٤١٥٧٨ - ٢٧٠٤٢٨٠ (٢٠٢) فاكس ٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢)

سلسلة دراسات مركز الدراسات الفقهية

حاشية الإمام البيجوري

على جوهرة التوحيد

المسكن

تحفة المرید علی جوهرة التوحيد

حققة وعلق عليه وشرح غريب القابلة

المستاذ الدكتور علي جمعة شيخ الشافعي

بجامعة الأزهر

دار السيلاه

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن من أهم العلوم التي ينبغي على الإنسان أن يتعلمها علم التوحيد ؛ فهو علم عظيم شأنه جليل قدره ، يعالج أهم قضايا الإنسان على هذه الأرض : قضية الألوهية ، وقضية الرسالة ، وقضية الجزاء في اليوم الآخر : الثواب لمن عبد الله وعثر الأرض من خلال هذه العبادة ، والعقاب لمن انحرف عن هذه الغاية فأشرك به سبحانه وهو أغنى الأغنياء عن الشرك ، وأفسد في الأرض بغير الحق فسبب للإنسان والإنسانية الشقاء مرة بالاستعمار الظالم المجحف ، ومرة بإبادة الشعوب بدعوى المدنية والحضارة ، ومرة في محاكم التفتيش بتعذيب خلق الله ، ومرة بالتهاجر وشيوع الزنا والحنا ، ومرة بالفرقة العنصرية والتكبر على العالمين مع نفاق متأصل في النفس ، يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، فنقشوا حقوق الإنسان على الحجر وحرموها البشر .

وكل هذا لما أرادوا أن يعمرُوا الدنيا من غير مدخل ، التوحيد ، فحسبنا الله ونعم الوكيل سيغنيننا الله من فضله ورسوله .

وأمام هذه الحالة التي نعيش فيها في عصرنا الحاضر أصبحت علينا رسالة مؤكدة من جهتين :

الجهة الأولى : هي ذلك الميثاق الذي أخذه الله علينا لنبلغ رسالته حتى يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الدنيا وجورها وظلمها إلى عدل الشريعة وسعتها ورحمتها .

والجهة الثانية : هي استيلاء الكفار على محل قيادة العالم وكان ينبغي لهم أن يتأخروا وأن يتقدم من يملؤها رحمة ونورا ليسعد الإنسان في الدارين : الدنيا والآخرة ، وليجده الله سبحانه وتعالى حيثما أمره لا حيثما نهاه .

ولقد ألف علماء السلف الصالح جيلاً بعد جيل في علم التوحيد مؤلفات تُعَلِّمُ الناس تلك القضية على أحسن وجه وأبَرَّ طريق ، ونحن اليوم نختار كتاب حاشية الإمام الباجوري على جوهرة التوحيد للشيخ اللقاني لقراءته والتعليق عليه .

حيث سار الإمام الباجوري فيه على سنة شيخه الفضالي من تبسيط العلم للناس ، ومراعاة جانب الدعوة في الدرس ، فترى عبارته سهلة يسيرة ، وفوائده منتشرة مبثوثة خلال الكتاب ، يضبط الأمر بقواعد كلية وضوابط متعددة ، ويستشهد بالشعر والنظم الخفيف اللطيف ليحفظه المبتدئ .

ولقد روي عن الشيخ محمد الفضالي أنه كان يركب الحمار من بيته بالحيزة إلى الجامع الأزهر لإلقاء الدرس فيعلم الحمار السائق أثناء الطريق مسائل علم التوحيد ، حتى سار أولئك الناس وتلك الطبقة بعد مدة قليلة تتكلم في تلك المسائل عن فهم ووعي ، وهذا في النصف الأول من القرن الماضي ، مما يؤيد أن حضارة المسلمين باقية حتى اليوم على الرغم من كل ما هنالك من قصور وتقصير ، فإنها قد نامت ولم تمت ، وهذا يعني أيضاً أهمية التعليم والدعوة ، ومخاطبة الناس على قدر عقولهم ، ولينفي دعوى الإنعاز والتمحك اللفظي الذي كان له دوره ومكانه وجمهور خطابه المخصوص ، وبجملنا نراجع كثيراً من الصفات المقررة والتي أصبحت كالمسلّمات عن هذا العصر وما قبله أخذاً برأي بعض الناس الذين حكموا متسرعين ، بادئ الرأي ، على أئمة أفنوا حياتهم لحماية دين الله ونقله لمن بعدهم بما اقتضته موجبات عصرهم ، وعلى قدر إمكاناتهم وارتكاب أخف الضرر المحيط بهم ، فإن كان هناك ما يلامون عليه فإنما هو ناتج البشرية التي لا يخلو منها عصر ولا إنسان .

ولقد قرأت هذا الكتاب ودُرسته مرات ، واهتمت أن أيسر على القارئ القراءة فيه بوضع علامات الترقيم التي تساعد على فهم النص ، وضبط ما يمكن أن يُشكّل عليه نحواً وصرفاً ولغةً ، مع عزو الآيات إلى مواطنها ، وتخريج الأحاديث والحكم عليها غالباً ، والكلام على الأشعار والنظم بما يفيد ، وحل ما أشكل من غريب اللغة ، وعمل الفهارس اللازمة لذلك .

ولقد علّقت على مواطن من الكتاب تكشف عن مقصود المصنف ، ونفيد طالب العلم : أي علم .. في فهم كتب التراث ، ومبادئ منطلقاته .

وترجمت للإمام الباجوري ترجمة ضافية أرجو أن تكون وافية بالمقصود ، والله أسأل

أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لقائه ، وأن يستر خلله وعيبه . فإن أحسنت
فذلك فضل الله ، وإن كانت الأخرى فمني ومن تقصيري .

والحمد لله رب العالمين

علي جمعة محمد الشافعي
الأستاذ بالأزهر الشريف
القاهرة في : محرم ١٤١٩ هـ

سندي في قراءة كتاب

« جوهرة التوحيد »

أقول أنا الفقير إلى الله علي بن جمعة بن محمد بن عبد الوهاب الشافعي الأزهرى المصرى ذو التقصير :

حدثنا شيخنا عمدة الأنام القائم بغرض الاجتهاد في هذا الزمان الحسيب النسيب أبو الفضل عبد الله بن سيدي محمد بن الصديق الغماري الحسني نفعنا الله بعلومه وأفاض علينا من بركاته قال :

حدثنا شيخنا المعمر محمد دويدار التلاوي الكفراوي ببيته في ثلا وقد جاوز المائة من السنين حيثئذ : عن البرهان الباجوري بإجازته لأهل العصر ، بما يصح له روايته وبمؤلفاته ومنها جوهرة التوحيد .

فبيني وبين البرهان الباجوري اثنان وهذا أعلى سند على وجه الأرض الآن أعلننا به السيد أبو الفضل - أعلى الله مقامه في الجنة آمين .

وكذلك أرويه عن شيعي محمد زكي الدين إبراهيم عن محمد بن عبد الله بن إبراهيم العاقوري العربي الليبي عن البرهان الباجوري وعن الشيخ محمد الحافظ التيجاني عن العاقوري عنه وعن الشيخ محمد علوي المالكي المكي عن العاقوري عنه وكان العاقوري رحمه الله من تلامذة الباجوري رحمه الله .

وقد أجزت أهل العلم الشرعي الشريف برواية تلك الحاشية بهذه الأسانيد .

على أننا رويناه نازلاً : عن السيد أبي الفضل عبد الله بن الصديق ، وعن شيخنا مسند الدنيا رحمه الله محمد يس الفاداني الشافعي ، وهما عن محدث الحرمين عمر ابن حمدان المحرسي الشافعي ، عن العلامة محمد محفوظ الترنسني الشافعي ، عن السيد أبي بكر محمد شطا المكي الشافعي ، عن الشيخ أحمد زيني دخلان مفتي مكة الشافعي عن الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي الشافعي ، عن العلامة عبد الله بن حجازي الشرقاوي الشافعي ، عن البرهان الباجوري الشافعي .

فهذا سند مسلسل بالشافعية والحمد لله رب العالمين

ترجمة الإمام الباجوري ^(١)

هو : برهان الدين ^(٢) إبراهيم الباجوري بن الشيخ محمد الحيزاوي بن أحمد ولد سنة ١١٩٨ هـ بقرية باجور بمحافظة المنوفية (وهي سنة ١٧٨٣ م) ونشأ بحجر والده ، وقرأ عليه القرآن وجوَّده ، وقدم إلى الأزهر لتلقي العلم سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) وسنه إذ ذاك أربع عشرة سنة ، وفي سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) دخل الفرنسيون مصر ، فخرج هو إلى الجيزة وأقام بها مدة ثم عاد إلى الأزهر سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) بعد خروج الفرنسيين كما أفاد ذلك بنفسه .

شيوخه :

- ١ - العلامة محمد الأمير الكبير المالكي ، صاحب الثبت الشهير .
- ٢ - الشيخ عبد الله الشراقوي الشافعي ، شيخ الجامع الأزهر ، وصاحب كتاب فتح المبدي شرح مختصر الزبيدي لصحيح البخاري .
- ٣ - الشيخ داود القلعاوي .
- ٤ - الشيخ محمد الفضالي ، لازمه وأكثر من الأخذ عنه ، وبقي معه حتى مات سنة ١٢٤٠ هـ .

٥ - الشيخ حسن القويسني شيخ الجامع الأزهر .

طلبه للعلم ، ومؤلفاته :

درس العلم على أولئك الأكابر ، وفي مدة قريبة ظهرت عليه آية النجابة ، فدرَّس وألَّف التآليف العديدة المفيدة في شتى الفنون فألَّف :

(١) انظر : ترجمته في المصادر الآتية :

- ١ - الأعلام للزركلي ٧١/١ .
- ٢ - المعتمد التوفيقية لعلي مبارك ٢/٩ .
- ٣ - معجم المطبوعات ص ٥٠٧ .
- ٤ - هدية العارفين ٤١/١ .
- ٥ - مقدمة شرح الأم لأحمد الحسين مخطوط .

(٢) ويقال البرهان ، والألف واللام عوض عن مضاف إليه أي برهان الدين ، وذلك مثل ابن الصلاح أي صلاح الدين ، الكمال بن الهمام أي كمال الدين .. وهكذا . واشتهر عند المتأخرين لقب البرهان لمن اسمه إبراهيم ، كما اشتهر نور الدين لمن اسمه علي ، والشمس محمد ، والشرف ليحيى ، والشهاب لأحمد .. إلخ وهذا شبه بالكسبي فقد شاع أبو الحسن لعلي وأبو النناء محمود ، وأبو زكريا ليحيى ، وأبو داود لسليمان ، وأبو سليمان لداود ، وأبو عبد الله محمد ... وهكذا .

- ١ - حاشية على رسالة شيخه الفضالي (في قول لا إله إلا الله) وذلك سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) وهي أول رسالة يؤلفها ، وسنة حينئذ أربع وعشرون سنة .
- ٢ - وفي سنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨م) ألف حاشية تحقيق المقام على رسالة كفاية العوام في ما يجب عليهم في علم الكلام لشيخه الفضالي أيضًا .
- ٣ - وفي سنة ١٢٢٤هـ (١٨٠٩م) ألف كتاب فتح القريب المجيد شرح بداية المريد في التوحيد للشيخ السباعي .
- ٤ ، ٥ - وفي سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) ألف كتابين هما : حاشية على مولد المصطفي ، لابن حجر الهيتمي ، وحاشية على مختصر السنوسي في المنطق .
- ٦ ، ٧ - وفي سنة ١٢٢٦ (١٨١١م) ألف كتابين هما : حاشية على متن السلم للأخضري في المنطق أيضًا ، وحاشية على متن السمرقندية في فن البيان .
- ٨ ، ٩ ، ١٠ - وفي سنة ١٢٢٧هـ (١٨١٢م) ألف ثلاثة كتب ، وهي : فتح الخبير اللطيف شرح نظم التصريف في فن التصريف للشيخ عبد الرحمن بن عيسى ، وحاشية على متن السنوسية في التوحيد ، وحاشية على مولد المصطفي للشيخ الدردير .
- ١١ ، ١٢ - وفي سنة ١٢٢٩هـ (١٨١٣م) انتهى من كتابين : فتح رب البرية شرح الدرة البهية في نظم الأجرومية للعلامة المقرئ طي ، وحاشية على البردة الشريفة .
- ١٣ ، ١٤ ، ١٥ - وفي سنة ١٢٣٤هـ (١٨١٨م) انتهى من حاشية الإسماعيل على بانث سعاد ، وكتاب تحفة المريد شرح جوهر التوحيد للقاني وهو هذا الذي معنا الآن ، وفتح الفتاح على ضوء المصباح في أحكام النكاح .
- ١٦ - وفي سنة ١٢٣٦هـ (١٨٢٠م) انتهى من التحفة الخيرية على القوائد الشنشورية شرح المنظومة الرحبية في الموارث .
- ١٧ ، ١٨ - وفي سنة ١٢٣٨هـ (١٨٢٢م) انتهى من كتابين هما الدرر الحسن على فتح الرحمن فيما يحصل به الإسلام والإيمان للزبيدي ، ورسالة صغيرة في علم الكلام من تأليفه هو (١) .

(١) قام بشرح هذه الرسالة الشيخ محمد النشار الشربيني الحلواني الشافعي سماء: خلاصة التحفة الخيرية شرح الرسالة الباجورية ، طبع بمطبعة الكلية سنة ١٣٣٠هـ وهو اختصار شرحه الكبير عليها تسمى جملة الشارحة على الرسالة الباجورية وقد طبعت ثلاث مرات واختصره في الرابعة . وكذلك شرحها الشيخ محمد نوري الجاوي بشرح سماء تيجان الدراري طبع بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٩هـ .

١٩ - حاشية على شرح ابن القاسم الغزي على متن أبي شجاع في فقه الشافعية انتهى منها سنة ١٢٥٨هـ (١٨٤٢م) وهي آخر ما أتم تأليفه ، وهي من الكتب المقررة بالأزهر الشريف حتى الآن .

٢٠ - المسلسلات قال في أولها بعد الديباجة : إن عادة المحدثين أنهم يقدمون المسلسل بالأولية وهو حديث الرحمة « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم »^(١) من في السماء » .
ومن المصنفات التي لم تكمل :

١ - حاشية على جمع الجوامع في أصول الفقه للتاج السبكي وهو من الكتب العالية في هذا الفن وصل فيه إلى غاية المقدمة .

٢ - حاشية على شرح السعد لعقائد النسفي .

٣ - حاشية على متن المنهج في فقه الشافعية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري وهو من الكتب العالية أيضًا وصل فيه إلى كتاب الجنائز .

٤ - شرح منظومة الشيخ البخاري في التوحيد .

٥ - حاشية على تفسير الفخر الرازي^(٢) .

٦ - تعليق على تفسير الكشاف للزمخشري .

وفي دار الكتب المصرية كثير من آثار الشيخ ، ومنها أشياء بخطه منها :

١ - مخطوطة رقم ٥١٢ مصطلح : وهي إجازة بخط الشيخ الباجوري لأحمد ابن محمد الجرجاوي .

٢ - مخطوطة رقم ٤٦٨ مصطلح : وهي إجازة للشيخ حسين أحمد حلبى الشهير بالملط البوتيجي الحنفي .

٣ - مخطوطة ٤٩ تيمور : إجازة للشيخ عبد السلام بن عبد الرحمن الشطي الدمشقي الحنبلي بخط الشيخ أيضًا .

وبعد الشيخ الباجوري : من أواخر أصحاب الحواشي والتي ظهرت تدريجيًا في

(١) قلت : وربما عن مشايخنا بعد تلقيها ذلك الحديث عنهم (.....) يضم الميم وسكونها .

(٢) نسبه إليه الشيخ العدوي في ترجمته للباجوري في آخر المواهب اللدنية شرح الشرائع الخمدية والمطبوعة بمطبعة بولاق سنة ١٢٨٠هـ وهي أقدم و أثبت ترجمته للشيخ حيث إنها كتبت بعد وفاته بثلاث سنين .

صورة بحث في اللفظ عند الإمام النووي (ت ٦٧٦ هـ) في القرن السابع حيث ألف دقائق المنهاج وذكر فيه : « ومقصودي به التنبيه على الحكمة في العدول عن عبارة المحرر وفي إلحاق قيد أو حرف أو شرح للمسألة ونحو ذلك » .

ثم رأينا السعد التفتازاني (ت ٧٩٦ هـ) تظهر عنده كلمة الحاشية على العضد فيقال : حاشية التفتازاني على العضد أي : على شرح العضد لمختصر ابن الحاجب في أصول الفقه ، ثم يأتي كذلك الشريف الجرجاني (ت ٨١٦ هـ) فحشئ على العضد أيضًا ، ثم نرى الحاشية بمعناها المتأخر مع الشيخ سليمان الجمل (ت ١٢٠٤ هـ) حيث حشئ على جملة كتب منها كتب السيوطي (٩١١ هـ) فله حاشية على تفسير الجلالين في أربعة مجلدات ، انتهى منها سنة ١١٩٨ هـ ، وبعد الشيخ الجمل انتشرت طريقة الحواشي (أي : في القرن الثاني عشر الهجري) ظلت حتى الشيخ محمد بهيت المطيعي الذي حشئ على شرح الإسنوي على متن منهاج الأصول للبيضاوي فكان هذه المرحلة من التأليف ظلت من نحو سنة ١٢٠٠ هـ إلى ١٣٥٠ هـ قرن ونصف من الزمان . وأرى أن اهتمام السابقين بالشرح بعد ما اهتم الأولون بالتأليف ثم اهتمام اللاحقين بالتحشية كان جميعًا قيامًا بواجب الوقت الذي عاشوه وهدفهم هو حفظ الدين ونقله لمن بعدهم عن طريق ما يحفظ على الناس ملكة اللغة العربية التي هي بداية كل حضارة وصحوة ونهضة .

ف عصر الشافعي - رضي الله تعالى عنه - في القرن الثاني الهجري يختلف في تركيبه الاجتماعي وحالة أهله اللسانية وشيوع النقلة والعلماء عن عصر النووي في القرن السابع الذي اجتاحت فيه التتار بغداد (٦٥٦ هـ) ودمرت الكتب وقتلت العلماء ، وكذلك يختلف هذا وذلك عن القرن العاشر الهجري حيث ذهبت ملكة العربية أو كادت ، وأقنى علماء الترك - وهي فتوى تبين خطوها - للسلطان سليم الذي أراد أن يجعل لسان الدولة العربية بعدم لزوم ذلك ، ولو أطاعوه لمنع ذلك كثيرًا من البلاء الذي حل بالأمة بعد ذلك . فإذا عرفنا أن الحواشي كانت كتبًا دراسية وليست دعوية ، تخاطب جمهورًا معينًا في قاعة الدرس وأنها إنما أُلِّفت لضبط النقل على أعلى مستوى ، وأنها قامت بدور كبير في تدريب الطلاب على البحث والفهم الدقيق للعبارة مما جعلهم أكثر قدرة على فهم النص القرآني والحديث الشريف بعدما ذهبت الملكة العربية والفصاحة اللسانية السليبية . وإذا عرفنا أيضًا أن عدم الاهتمام بالألفاظ فيما بعد قد أوقع الناس اليوم في قطع التواصل

والفهم حتى بين أهل العلم الواحد فيما يسمى « حوار الطرشان » ، علمنا أن الحواشي في عصرها لم تكن سمة تخلف أو جمود ، وأنه يجب على علماء كل عصر أن يقوموا « بواجب الوقت » حتى يحققوا الهدف الذي لم يتغير عبر العصور وهو نقل هذا الدين والدعوة إليه عسى الله أن يُخرج الناس من الظلمات إلى النور .

وتولى الشيخ الباجوري التدريس حتى وصل إلى مشيخة الأزهر من سنة ١٢٦٣هـ إلى وفاته خلفاً للشيخ الصفتي ، وكان من حقه أن يتقدم عليه حتى قال من هنا بالمشيخة :

يا دهر! أعط القوس باريها فقد أقزمت في الضمائم والتأخير

وفاته :

انتقل رحمه الله تعالى إلى جوار ربه يوم الخميس ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٢٧٦هـ الموافق (١٩ يوليو ١٨٦٠ م) وصُلِّي عليه بالأزهر الشريف ، وكان يوماً مشهوداً لم يكن لغيره من المشايخ ، ودفن بالقرافة الكبرى المشهورة بالمجاورين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [٨ - ١]
- ١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ لِلَّهِ مَعَ صَلَاتِهِ [٢١ - ٩]
- ٢ - عَلَى نَبِيِّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وَقَدْ خَلَا الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ [٣٢ - ٢٢]
- ٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِدِينِ الْحَقِّ بِسَيْفِهِ وَهَدِيهِ لِلْحَقِّ [٤٠ - ٣٣]
- ٤ - مُحَمَّدُ الْعَاقِبِ لِرُسُلِ رَبِّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَحِزْبِهِ [٤٧ - ٤١]
- ٥ - وَبَعْدُ فَالْعِلْمُ بِأَصْلِ الدِّينِ مُحْتَمٌّ يَحْتَاجُ لِلتَّبَيِّنِ [٥٢ - ٤٨]
- ٦ - لَكِنْ مِنَ التَّطَوُّلِ كَلَّتِ الْهَمَمُ فَصَارَ فِيهِ الْاِخْتِصَارُ مُلْتَزَمٌ [٥٥ - ٥٣]
- ٧ - وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ لَقَبْتُهَا جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَّبْتُهَا [٦٠ - ٥٦]
- ٨ - وَاللَّهُ أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعًا بِهَا مُرِيدًا فِي الثَّوَابِ طَامِعًا [٦٦ - ٦١]
- ٩ - فَكُلُّ مَنْ كَلَّفَ شَرْعًا وَجَبًا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجَبَا [٧٧ - ٦٧]
- ١٠ - لِلَّهِ وَالْجَانِزِ وَ الْمُؤْتَمِنَا وَمِثْلَ ذَا لِرُسُلِهِ فَاسْتَمِعَا [٨١ - ٧٨]
- ١١ - إِذْ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْوِيدِ [٨٤ - ٨٢]
- ١٢ - فِيهِ بَعْضُ الْقَوْمِ يَحْكِي الْخُلَفَا وَبَعْضُهُمْ حَقَّقَ فِيهِ الْكُشْفَا [٩٠ - ٨٥]
- ١٣ - فَقَالَ إِنْ يَجْزِمُ يَقُولُ الْغَيْرِ كَفَى وَإِلَّا لَمْ يَزَلْ فِي الضَّيْرِ [٩٤ - ٩١]
- ١٤ - وَاجْزِمُ بِأَنْ أَوَّلًا مِمَّا يَجِبُ مَعْرِفَةُ وَفِيهِ خُلْفٌ مُنْتَصِبُ [٩٩ - ٩٥]
- ١٥ - فَانْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ لِلْعَالَمِ الْعُلُويِّ ثُمَّ الشُّفْلِيِّ [١٠٤ - ١٠٠]
- ١٦ - تَجِدْ بِهِ صُنْعًا بِدِيْعِ الْحِكَمِ لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ [١٠٨ - ١٠٥]
- ١٧ - وَكُلُّ مَا جَارَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ عَلَيْهِ قَطْعًا يَسْتَحِيلُ الْقِدَمُ [١١٠ - ١٠٩]
- ١٨ - وَفُسِّرَ الْإِيمَانُ بِالتَّصْدِيقِ وَالتَّنَطُّقِ فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ [١١٨ - ١١١]
- ١٩ - فَقِيلَ شَرْطُ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَطْرُ الْإِسْلَامِ اشْرَحْنَ بِالْعَمَلِ [١٢٥ - ١١٩]
- ٢٠ - مِثَالُ هَذَا الْحَيِّجِ وَالصَّلَاةُ كَذَا الصَّيَّامِ فَادِرِ وَالزَّكَاةُ [١٣١ - ١٢٦]
- ٢١ - وَزُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةُ الْإِنْسَانِ [١٣٣ - ١٣٢]
- ٢٢ - وَنَقْصُهُ بِنَقْصِهَا وَقِيلَ لَا خُلْفَ كَذَا قَدْ نُقِلَا [١٣٨ - ١٣٤]

- ٢٣ - فَوَاجِبُ لَهُ الوجودُ وَالْقِدَمُ
 ٢٤ - وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ
 ٢٥ - قِيَامُهُ بِالنَّفْسِ وَحَدَانِيَّةُ
 ٢٦ - عَنْ ضِدِّهِ أَوْ شِبْهِهِ أَوْ شَرِيكِهِ مطلقاً
 ٢٧ - وَقُدْرَةُ إِزَادَةٍ وَعَاطِرَتِ
 ٢٨ - وَعِلْمُهُ وَلَا يَقَالُ مَكْتَسَبُ
 ٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ السَّمْعُ
 ٣٠ - فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ أَوْ لَا خُلْفُ
 ٣١ - حَيٌّ عَلَيْهِمْ قَاضٍ مُرِيدُ
 ٣٢ - مُشْكَلٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ
 ٣٣ - فَقُدْرَةُ بِمُحْكِنٍ تَعَلَّقَتْ
 ٣٤ - وَوَحْدَةُ أَوْجِبَتْ لَهَا وَمِثْلُ ذِي
 ٣٥ - وَعَمَّ أَيْضاً وَاجِباً وَالْمُسْتَعِ
 ٣٦ - وَكُلُّ مُوجُودٍ أَطْرُقَ لِلسَّمْعِ
 ٣٧ - وَغَيْرُهُ عِلْمٌ هَذِهِ كَمَا ثَبِتَ
 ٣٨ - وَعِنْدَنَا أَشْمَاؤُهُ الْعَظِيمَةُ
 ٣٩ - وَاخْتِيرَ أَنَّ اسْمَهُ تَوْقِيفِيَّةُ
 ٤٠ - وَكُلُّ نَصٍّ أَوْ هَمٍّ التَّشْبِيهِ
 ٤١ - وَنَزَهَ الْقَوَانِ أَيْ كَلَامِهِ
 ٤٢ - فَكُلُّ نَصٍّ لِلْحُدُوثِ ذَلَالُ
 ٤٣ - وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ
 ٤٤ - وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا أَمْكَنَّا
 ٤٥ - فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلُ
 ٤٦ - وَخَائِذٌ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ
 ٤٧ - فَوَزُّ الشَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الْأَزَلِ
 ٤٨ - وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفَا
- كَذَا بَقَاءُ لَا يَشَابُ بِالْعَدَمِ [١٢٩-١٤٦]
 مُخَالِفٌ بُرْهَانُ هَذَا الْقِدَمِ [١٤٧-١٤٨]
 مُنَزَّهٌ أَوْصَافُهُ سَنِيَّةُ [١٤٩-١٥٦]
 وَوَالِدٌ كَذَا الْوَلَدِ وَالْأَصْدَقَا [١٥٧-١٦٧]
 أَمْزَا وَ عِلْمًا وَ الرِّضَا كَمَا ثَبِتَ [١٦٨-١٧٧]
 فَاتَّبَعَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَاطَّرَحَ الرَّيْبَ [١٧٨-١٨٥]
 ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَتَانَا السَّمْعُ [١٨٦-٢٠٢]
 وَ عِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الزُّوْفُ [٢٠٣-٢٠٨]
 سَمِعَ بِصِيرٍ مَا يَشَاءُ يُرِيدُ [٢٠٩-٢١٦]
 لَيْسَتْ بِغَيْرٍ أَوْ يَعْنِي الذَّاتِ [٢١٧-٢٢٢]
 بِلَا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ [٢٢٣-٢٢٨]
 إِزَادَةُ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي [٢٢٩-٢٣٢]
 وَمِثْلُ ذَا كَلَامُهُ فَلَنَسْتَبْغِ [٢٣٣-٢٣٥]
 كَذَا الْبَصَرُ إِدْرَاكُهُ إِنَّ قِيلَ بِهِ [٢٣٦-٢٤١]
 ثُمَّ الْحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ [٢٤٢-٢٤٤]
 كَذَا صِفَاتُ ذَاتِهِ قَدِيمَةُ [٢٤٥-٢٥١]
 كَذَا الصِّفَاتُ فَاحْفَظِ السَّمْعِيَّةُ [٢٥٢-٢٥٦]
 أَوَّلُهُ أَوْ قَوْضٍ وَرَمَ تَنْزِيهِهَا [٢٥٧-٢٦٦]
 عَنِ الْحُدُوثِ وَاحْذَرِ انْتِقَامَهُ [٢٦٧-٢٧٣]
 إِحْمِلْ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ ذَلَا [٢٧٤-٢٧٩]
 فِي حَقِّهِ كَالْكَوْنِ فِي الْجِهَاتِ [٢٨٠-٢٨٤]
 إِبْجَادًا إِغْدَامًا كَرَزَقُهُ الْغِنَى [٢٨٥-٢٨٧]
 مُوَفَّقٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ [٢٨٨-٢٩٨]
 وَمُنْجِزٌ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ [٢٩٩-٣٠٥]
 كَذَا الشَّقِي ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلِ [٣٠٦-٣١٢]
 وَلَمْ يَكُنْ مُؤَثِّرًا فَلَتَعْرِفَا [٣١٣-٣١٩]

- ٤٩ - فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا [٣٢٤-٣٢٠] وَلَيْسَ كَلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا
- ٥٠ - فَإِنْ يُثَبِّتْنَا فَيَمَحُضِ الْفَضْلُ [٣٢٢-٣٢٥] وَإِنْ يُعَذِّبْ فَيَمَحُضِ الْعَذْلُ
- ٥١ - وَقَوْلُهُمْ إِنْ الصَّلَاحُ وَاجِبٌ [٣٣٩-٣٣٣] عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ
- ٥٢ - أَلَمْ يَرَوْا إِيْلَامَهُ الْأَطْفَالَا [٣٤٤-٣٤٠] وَشَبَّهَهَا فَحَاذِرُ الْحَالَا
- ٥٣ - وَجَائِزٌ عَلَيْهِ خَلْقُ الشَّرِّ [٣٥٣-٣٤٥] وَالْخَيْرِ كَالْإِسْلَامِ وَجَهْلُ الْكُفْرِ
- ٥٤ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْقَدْرِ [٣٥٩-٣٥٤] وَبِالْقَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَيْرِ
- ٥٥ - وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْأَبْصَارِ [٣٧٢-٣٦٠] لَكِنْ بَلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارِ
- ٥٦ - لِلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بِجَائِزٍ عُقِلَتْ [٣٩٠-٣٧٣] هَذَا وَلِلْمُخْتَارِ دُنْيَا ثَبَّتَتْ
- ٥٧ - وَمِنْهُ إِرْسَالُ جَمِيعِ الرُّسُلِ [٣٩٨-٣٩١] فَلَا وَجُوبَ بَلٍّ بِمَحُضِ الْفَضْلِ
- ٥٨ - لَكِنْ بَذَا إِيمَانُنَا قَدْ وَجَبَا [٤٠٢-٣٩٩] فَذَغْ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَا
- ٥٩ - وَوَاجِبٌ فِي حَقِّهِمُ الْأَمَانَةُ [٤١١-٤٠٣] وَصِدْقُهُمْ وَضِفْ لَهُ الْقَطَانَةُ
- ٦٠ - وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لَمَّا أَتَوْا [٤١٦-٤١٢] وَيَسْتَجِيلُ ضِدْهَا كَمَا رَوَوْا
- ٦١ - وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِمْ كَالْأَكْلِ [٤٢٦-٤١٧] وَكَالْجِمَاعِ لِلنِّسَا فِي الْحِلِّ
- ٦٢ - وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَا [٤٣٦-٤٢٧] شَهَادَتَا الْإِسْلَامِ فَأُطْرَحَ الْمِرَا
- ٦٣ - وَلَمْ تَكُنْ ثُبُوتٌ مُكْتَسَبَةٌ [٤٤٠-٤٣٧] وَلَوْ رَقَى فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقَبِهِ
- ٦٤ - بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَنْ [٤٤٦-٤٤١] يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمِيزِ
- ٦٥ - وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى [٤٤٩-٤٤٧] الْإِطْلَاقِ نَبِينَا فَبِلْ عَنِ الشَّقَاقِ
- ٦٦ - وَالْأَنْبِيَا يُلُونَهُ فِي الْفَضْلِ [٤٥٧-٤٥٠] وَيَعْدُهُمْ مَلَائِكَةُ ذِي الْفَضْلِ
- ٦٧ - هَذَا وَقَوْمٌ فَضَّلُوا إِذْ فَضَّلُوا [٤٦١-٤٥٨] وَبَعْضُ كُلِّ بَعْضُهُ قَدْ يُفْضَلُ
- ٦٨ - بِالْمُعْجَزَاتِ أُيِّدُوا تَكْرُمًا [٤٦٥-٤٦٢] وَعِصْمَةُ الْبَارِي لِكُلِّ حَتْمًا
- ٦٩ - وَخُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّمَا [٤٦٩-٤٦٦] بِهِ الْجَمِيعُ زَيْنًا وَعِصْمًا
- ٧٠ - بَعَثْتَهُ فَشَرَعُهُ لَا يُنْسَخُ [٤٧٢-٤٧٠] بَعِيرُهُ حَتَّى الرُّمَانُ يُنْسَخُ
- ٧١ - وَتَنْسَخُهُ لَشَرْعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ [٤٧٤-٤٧٣] حَتْمًا أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعُ
- ٧٢ - وَتَنْسَخُ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ [٤٧٧-٤٧٥] أَجْزُ وَمَا فِي ذَا لَهُ مِنْ غَضُ
- ٧٣ - وَمُعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ غُرُزُ [٤٨١-٤٧٨] مِثْلَهَا كَلَامُ اللَّهِ مُعْجِزُ الْبَشَرِ
- ٧٤ - وَاجْزِمَ بِمَعْرَاجِ النَّبِيِّ كَمَا رَوَوْا [٤٨٤-٤٨٢] وَبَرَوْنِ لَعَائِشِهِ مِمَّا رَمَوْا

- ٧٥ - وَصَحْبِهِ خَيْرُ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ
فَتَابِعِي فَتَابِعْ لَنْ تَبِيعَ [٤٨٥-٤٩٠]
- ٧٦ - وَخَيْرُهُمْ مَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ
وَأَمَرُهُمْ فِي الْفَضْلِ كَالْخِلَافَةِ [٤٩١-٤٩٣]
- ٧٧ - يَلِيهِمْ قَوْمٌ كَرَامٌ بَرَزَةٌ
سَتْ تَمَامُ الْعَشْرَةِ [٤٩٤-٤٩٦]
- ٧٨ - فَأَهْلُ بَيْتِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
فَأَهْلُ أَحَدِ قَبَيْعَةِ الرُّضْوَانِ [٤٩٧-٥٠٣]
- ٧٩ - وَالسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصًّا عُرِفَ
هَذَا وَفِي تَغْيِينِهِمْ قَدْ اخْتَلَفَ [٥٠٤-٥٠٩]
- ٨٠ - وَأَوَّلُ الشَّاسِجَزِ الَّذِي وَرَدَ
إِنْ خُصَّتْ فِيهِ وَاجْتَبَ دَاءُ الْحَمْدِ [٥١٠-٥١٣]
- ٨١ - وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ
كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هَذِهِ الْأُمَّةِ [٥١٤-٥٢٣]
- ٨٢ - فَوَاجِبٌ تَقْلِيدُ خَيْرِ مِنْهُمْ
كَذَا حَكَى الْقَوْمُ بِلَفْظِ يُفْهِمُ [٥٢٤-٥٢٧]
- ٨٣ - وَ أَثْبَتَ لِلأُولَى الْكَرَامَةَ
وَمَنْ نَفَاهَا انْبِذَنَ كَلَامَهُ [٥٢٨-٥٣٩]
- ٨٤ - وَعِنْدَنَا أَنَّ الدُّعَاءَ يَنْفَعُ
كَذَا مِنَ الْقُرْآنِ وَعِنْدًا يُشْمَعُ [٥٤٠-٥٤٤]
- ٨٥ - بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوْا
وَكَاتِبُونَ خَيْرَةً لَنْ يُهْمِلُوا [٥٤٥-٥٥٤]
- ٨٦ - مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا فَعَلَّ وَلَوْ ذَهَلُ
حَتَّى الْآنِ فِي الْمَرْضِ كَمَا نُقِلَ [٥٥٥-٥٥٨]
- ٨٧ - فَحَاسِبِ النَّفْسِ وَقُلِّ الْأَمَلَا
قُرْبَ مَنْ جَدُّ لَأَمْرِ وَصَلَا [٥٥٩-٥٦٤]
- ٨٨ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ
وَيَقْبِضُ الرُّوحَ رَسُولُ الْمَوْتِ [٥٦٥-٥٧٢]
- ٨٩ - وَمَيِّتٌ بِعُمْرِهِ مَنْ يُقْتَلُ
وَعَيْزٌ هَذَا بِاطِلٌ لَا يُقْبَلُ [٥٧٣-٥٧٨]
- ٩٠ - وَفِي قَتَا النَّفْسِ لَدَى النِّفْخِ اخْتَلَفَ
وَأَسْتَظْهَرَ الشُّبْكِي تَقَاهَا اللَّذَّ عُرِفَ [٥٧٩-٥٨١]
- ٩١ - عَجَبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا
الْمَرْئِي لِلْيَلَى وَوَضَّحَا [٥٨٢-٥٨٦]
- ٩٢ - وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا
عُمُومَهُ فَاطْلُبْ لِمَا قَدْ لَخَّصُوا [٥٨٧-٥٨٨]
- ٩٣ - وَلَا تَخْضُ فِي الرُّوحِ إِذَا مَا وَرَدَا
نَصٌّ عَنِ الشَّارِعِ لَكِنْ وَجِدَا [٥٨٩-٥٩٢]
- ٩٤ - لِمَالِكٍ هِيَ صُبُورَةٌ كَالْجَسَدِ
فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهِذَا السَّنَدِ [٥٩٣-٥٩٧]
- ٩٥ - وَالْعَقْلُ كَالرُّوحِ وَلَكِنْ قَرَّرُوا
فِيهِ خِلَافًا فَانْظُرْ مَا فَسَّرُوا [٥٩٨-٦٠٥]
- ٩٦ - سَوَّالَتَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ
تَعِيْمُهُ وَاجِبٌ كَتَبَتْ الْحُشْبُ [٦٠٦-٦٢٣]
- ٩٧ - وَقُلْ يُعَادُ الْجِسْمُ بِالتَّحْقِيقِ
عَنْ عَدَمٍ وَقِيلَ عَنْ تَقْرِيقِ [٦٢٤-٦٢٨]
- ٩٨ - مَحْضَيْنِ لَكِنْ ذَا الْخِلَافِ خُصًّا
بِالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ عَلَيْهِمْ نَصًّا [٦٢٩-٦٣٢]
- ٩٩ - وَفِي إِعَادَةِ الْعَرَضِ قَوْلَانِ
وَرُجِّحَتْ إِعَادَةُ الْأَعْيَانِ [٦٣٣-٦٣٥]
- ١٠٠ - وَفِي الزَّمَنِ قَوْلَانِ وَالْحِسَابِ
حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ ارْتِيَابِ [٦٣٦-٦٣٩]

- ١٠١ - فَالْسَّيِّئَاتِ عِنْدَهُ بِالْمَثَلِ وَالْحَسَنَاتِ ضُوعِفَتْ بِالْفَضْلِ [٦٤٣-٦٤٠]
- ١٠٢ - وَبِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ تُغْفَرُ صَغَائِرُ وَجَا الْوُضُو يُكَفِّرُ [٦٥٧-٦٤٤]
- ١٠٣ - وَالْيَوْمَ الْآخِرُ ثُمَّ هَؤُلَ الْمَوْقِفِ حَقَّ فَخَفَّفَ يَا رَجِيمٍ وَاسْعِفَ [٦٦٤-٦٥٨]
- ١٠٤ - وَوَاجِبٌ أَخَذَ الْعِبَادَ الصُّحُفَا كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًّا عُرِفَا [٦٦٩-٦٦٥]
- ١٠٥ - وَيَمَثُلُ هَذَا الْوَزْنُ وَالْمِيزَانُ فَتُوزَنُ الْكُتُبُ أَوْ الْأَعْيَانُ [٦٧٣-٦٧٠]
- ١٠٦ - كَذَا الصُّرَاطُ فَالْعِبَادُ مُخْتَلِفٌ مُرُورُهُمْ فَسَالِمٌ وَ مُنْتَلِفٌ [٦٧٨-٦٧٤]
- ١٠٧ - وَالْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ جِكْمٍ [٦٨٤-٦٧٩]
- ١٠٨ - لَا لاحتِياجَ وَبِهَا الْإِيمَانُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ [٦٨٦-٦٨٥]
- ١٠٩ - وَالتَّائِرُ حَقٌّ أَوْجَدَتْ كَالْحِنَّةِ فَلَا تَمِلْ لِلْجَاحِدِ ذِي جِنَّةٍ [٦٩٢-٦٨٧]
- ١١٠ - دَارًا خُلُودٍ لِلشَّعِيدِ وَالشَّقِي مُعَذِّبٌ مُنْعَمٌ مَهْمَا بَقِيَ [٦٩٨-٦٩٣]
- ١١١ - إِيْمَانُنَا بِخَوْضِ خَيْرِ الرِّسْلِ حَتَمَ كَمَا قَدْ جَاءَنَا فِي الثَّقَلِ [٧٠٥-٦٩٩]
- ١١٢ - يَتَالُ شُرَبًا مِنْهُ أَقْوَامٌ وَقَوَا يَعْتَدِهِمْ وَقُلْ يُدَادُ مَنْ طَعَوَا [٧٠٨-٧٠٦]
- ١١٣ - وَوَاجِبٌ شَفَاعَةُ الْمَشْفَعِ مُحَمَّدٌ مُقَدِّمًا لَا تَمْنَعِ [٧١٤-٧٠٩]
- ١١٤ - وَغَيْرِهِ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ [٧٢٣-٧١٥]
- ١١٥ - إِذْ جَائِرٌ غُفْرَانٌ غَيْرِ الْكُفْرِ فَلَا تُكْفِرُ مُؤْمِنًا بِالْوَزْرِ [٧٢٦-٧٢٤]
- ١١٦ - وَمَنْ يَمِتْ وَلَمْ يَثْبُتْ مِنْ ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُفَوَّضٌ لِرَبِّهِ [٧٣٢-٧٢٧]
- ١١٧ - وَوَاجِبٌ تَغْذِيبُ بَعْضِ ارْتَكَبَ كَبِيرَةٌ ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَبٌ [٧٤١-٧٣٣]
- ١١٨ - وَصِفَ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ وَرَزَقَهُ مِنْ مُشْتَهَى الْجَنَاتِ [٧٤٨-٧٤٢]
- ١١٩ - وَالرَّزْقُ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا بِهِ انْتَفَعِ وَقِيلَ لَا بَلْ مَا مِلْكٌ وَمَا اتَّبِعَ [٧٥٠-٧٤٩]
- ١٢٠ - فَتَيَزُّقُ اللَّهُ الْحَلَالَ فَاعْلَمَا وَالرَّاجِحُ التَّفْصِيلُ حَسْبَمَا عُرِفَ [٧٥٥-٧٥١]
- ١٢١ - وَعِنْدَنَا الشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ وَثَابِتٌ فِي الْخَارِجِ الْمَوْجُودُ [٧٦١-٧٥٦]
- ١٢٢ - وَجُودُ شَيْءٍ عَيْتُهُ وَالْجَوْهَرُ الْقَوْدُ حَدَثٌ عِنْدَنَا لَا يُنْكَرُ [٧٦٥-٧٦٢]
- ١٢٣ - ثُمَّ الدُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالْثَّانِي [٧٦٥-٧٦٢]
- ١٢٤ - مِنْهُ الْمَتَابُ وَاجِبٌ فِي الْحَالِ وَلَا انْتِفَاضُ إِنْ يَمُذُّ لِلْحَالِ [٧٦٥-٧٦٢]
- ١٢٥ - لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لِمَا اقْتَرَفَ وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدْ اخْتَلَفَ [٧٦٥-٧٦٢]

- ١٢٧ - وَحِفْظُ دِينٍ ثُمَّ نَفْسٍ مَالٍ نَسَبٍ - وَمِثْلُهَا عَقْلٌ وَعَرُوضٌ قَدْ وَجِبَتْ [٧٦٦-٧٧٥]
 ١٢٨ - وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُورَةٌ جَحْدٌ - مَنْ دِينَنَا يُقْتَلُ كُفْرًا لَيْسَ خَذٌ
 ١٢٩ - وَمِثْلُ هَذَا مَنْ نَفَى لِمَجْمَعٍ - أَوْ اسْتَبَاحَ كَالزُّنَا فَلْتَسْمَعِ [٧٧٦-٧٧٩]
 ١٣٠ - وَوَاجِبٌ نَضَبُ إِمَامٍ عَذَلٍ - بِالشَّرْعِ فَأَعْلَمَ لَا بِحُكْمِ الْعَقْلِ [٧٨٠-٧٨٤]
 ١٣١ - فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ - وَلَا تَزُغُ عَنْ أَمْرِ الْمُبِينِ
 ١٣٢ - إِلَّا بِكُفْرٍ فَأَثْبَذَ عَهْدَهُ - فَالِلَّهِ يَكْشِفُنَا أَذَاهُ وَخَدَهُ
 ١٣٣ - بَعِيرٌ هَذَا لَا يُبَاحُ صَوْفُهُ - وَلَيْسَ يُغَزَلُ إِنْ أُزِيلَ وَصْفُهُ [٧٨٥-٧٩٠]
 ١٣٤ - وَأَمْرٌ بِغُوفٍ وَاجْتِنِبْ نَيْمَةً - وَغَيْبَةً وَخَصْلَةً ذَمِيمَةً [٧٩١-٨١٣]
 ١٣٥ - كَالْعَجَبِ وَالْكِبَرِ وَذَاءِ الْحَسَدِ - وَكَالْمَرَاءِ وَالْجَدَلِ فَاعْتَمِدِ [٨١٤-٨٣٣]
 ١٣٦ - وَرَكْنٌ كَمَا كَانَ خَبِيرُ الْخَلْقِ - حَلِيفٌ جَلِمَ تَابَعًا لِلْحَقِّ [٨٣٤-٨٤٦]
 ١٣٧ - فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِنْ سَلَفٍ - وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابْتِدَاعٍ مِنْ خَلَفٍ [٨٤٧-٨٤٩]
 ١٣٨ - وَكُلُّ هَدْيٍ لِلنَّبِيِّ قَدْ رَجَحَ - فَمَا أُبَيِّحُ أَفْعَلَ وَدَخَ مَالَمَ يَبَحِ
 ١٣٩ - فَتَابِعِ الصَّالِحِ مِنْ سَلَفًا - وَجَانِبِ الْبِدْعَةِ مَنْ خَلَفَا
 ١٤٠ - هَذَا وَأَزْجُو اللَّهَ فِي الْإِخْلَاصِ - مِنْ الرِّيَاءِ ثُمَّ فِي الْخُلَاصِ [٨٥٠-٨٧٣]
 ١٤١ - مِنْ الرُّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي وَالْهَوَى - فَمَنْ يَمِيلُ لِهَوْلَاءِ قَدْ غَوَى [٨٧٤-٨٧٩]
 ١٤٢ - هَذَا وَأَزْجُو اللَّهَ أَنْ يَمْنَحَنَا - عِنْدَ السُّؤَالِ مَطْلَقًا حِجَّتَنَا [٨٨٠-٨٨٥]
 ١٤٣ - ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّائِمُ - عَلَى نَبِيِّ دَأْبُهُ الْمَرَايِمُ [٨٨٦-٨٩٢]
 ١٤٤ - مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ وَعِشْرَتِهِ - وَتَابِعِ لِنَهْجِهِ مِنْ أَهْلِهِ [٨٩٣-٨٩٨]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ [١ - ٨]

[١] الحمد لله المنفرد بالإعدام والإيجاد ، المنزه عن شوائب النقص والأضداد ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القديم المخالف لما عداه من الكائنات ، الباقي وهالك كل من عداه من المخلوقات ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصادق الأمين ، المبلغ كل ما أمر بتبليغه من رب العالمين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه جواهر المعارف ، وأزهار رياض الفصاحة والعارف .

[٢] أما بعد فيقول أفقر الورى إلى ربه القدير إبراهيم بن محمد البيجوري ذو التقصير :

إنه لما كان نظم العالم العلامة ، والحبر البحر الفهامة ، ذي الفيض الداني ، الشيخ إبراهيم اللقاني ^(١) الموسوم بجوهرة التوحيد ، قد نظم فرائد هذا الفن في عقد نضيد ، وحوى من نفائس الدرر ومحاسن الغرر ما يدهش الأبواب ، ويقضي بالعجب العجائب ، وقد ولع الناس بالدخول في رياض فوائده ، والأخذ من ثمار موائده ، سألتني وفد من الإخوان .. أصلح الله لي ولهم الحال والشأن أن أكتب عليه حاشية تسفر عن مطويات ما فيه من الرموز والأسرار ، وتكشف عنه سدول النقاب والأستار ، فلما انشرح صدري لذلك - والله أعلم بما هنالك - صرفت زمام العزم نحو رياضه ، وأوردت الفكر في عبقرى حياضه ، وقد تيسر لي إذ ذاك بعض شراح الناظم الهمام ، مع حواشي النظم وشرحه للشيخ عبد السلام ^(٢) ، ومع ما كتبه عليه السادة الأعلام ، وغير ذلك مما فتح به السلام ، فالتقطت منها درراً نفيسة ، ومحاسن شريفة ، ونظمتها في سلك التعبير والتصنيف ، وجعلتها حاشية على هذا المتن الشريف ، وقد سميتها : « تحفة المريد على جوهرة التوحيد » .

جعلها الله خالصة لوجهه الكريم ، ونفع بها كل من تلقاها بقلب سليم ، والمرجو ممن اطلع عليها أن ينظر إليها نظر اعتذار ويحجّر على ما فيها من الهفوات أذيال الأستار ،

(١) اللقاني هو: إبراهيم بن إبراهيم بن حسن أبو الإمداد ، فاضل ، متصرف ، مصري ، مالكي ، من كبار علماء وقته ، توفي وهو عائد من الحج سنة ١٠٤١هـ ، من تصانيفه : جوهرة التوحيد ، وقضاء الوطر في مصطلح الحديث . (انظر الأعلام ٢٨/١ ، هدية العارفين ٣٠/١) .

(٢) هو : عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المصري ، شيخ المالكية في وقته بالقاهرة ، له شرح المنظومة الجزائرية ط في العقائد ، و « تحاف المريد شرح جوهرة التوحيد » ط « والسراج الوهاج في الكلام على الإسرائء والمعراج » خ « انظر الأعلام ٣٥٥/٣ ، خلاصة الأثر ٤١٦/٢) .

فالستر من شيم الكرام ، وإذاعة العورات من دأب اللثام ، والله أسأل ، وبنبيه أتوسل أن تحل محل القبول ، إنه خير مأمول وأكرم مسئول .

وها أنا أشرع في المقصود بعون الملك المعبود ، فأقول وبالله التوفيق :

[٣] قوله : « بسم الله الرحمن الرحيم » افتتح الناظم كتابه بالبسملة ثم بالحمدلة اقتداء بالكتاب العزيز في ابتدائه بهما في الترتيب التوقيفي ، لا أنهما أول ما أنزل فإنه خلاف ما في صحيح البخاري وغيره في بدء

الوحي : « من أن أول ما أنزل ﴿ أَقْرَأ ﴾ [العلق : ١] ^(١) وقد نقل أبو بكر التونسي ^(٢) إجماع علماء كل ملة على أن الله سبحانه وتعالى افتتح جميع كتبه بيسم الله الرحمن الرحيم ، وعملا بخبر « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتأر أو أجذم ^(٣) أو أقطع » ^(٤) روايات : أي ناقص وقليل البركة ، فهو وإن تم حسًا لا يتم معنى مع خبر « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله... الخ » والمراد الأمر : ما يعم القول كالقراءة ، والفعل كالتأليف ، ومعنى « ذي بال » أي : صاحب حال بحيث يهتم به شرعًا ، أي : بأن لا يكون من سفاسف الأمور وليس محرّمًا ولا مكروهًا ، ويشترط أيضًا أن لا يكون ذكرًا محضًا ولا جعل الشارع له مبدأ غير البسملة والحمدلة ، فخرجت سفاسف الأمور : كلبس النعل ، والبصاق ، والمخاط فلا تسن البسملة ولا الحمدلة عليها ، وخرج المحرم لذاته كالزنا ، والمكروه لذاته كالنظر لفرج زوجته بلا حاجة ^(٥) ، فتحرّم على

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٦/٣) ، ومسلم (١٦٠) ، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا .

(٢) هو : العلامة ذو الفنون مجد الدين أبو بكر بن محمد بن قاسم المرسى ، ثم التونسي المقرئ النحوي الشافعي الأصولي ، نزل دمشق ، ولد سنة ست وخمسين ، وقدم القاهرة مع أبيه فأخذ القراءات والنحو عن الشيخ حسن الراشدي ، وحضر حلقة بهاء الدين بن النحاس . وسمع من الفخر علي وغيرهما ، ولي مشيخة الإقراء بأمر الصالح ، وتوفي في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وسبعمائة .

انظر : سير أعلام النبلاء (٤٣٧/١٧) ، الذهبي في العبر (٥٠/٤) ، شذرات الذهب لابن العماد (٤٧/٦) .

(٣) قوله : الأجذم يقال : جذم الرجل يجذم ، بمعنى قُطعت يده ، والمصدر الجذم . أفاده صاحب المصباح . وعلى هذا فالأجذم بمعنى الأقطع ، وأما من أصابه داء الجذام فيقال له مجذوم لا أجذم ، كما تدل عليه عبارة المصباح أيضًا .

(٤) أخرجه : أبو داود (٤٨٤٠) وابن ماجه (١٨٩٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة (٤٩٧ ، ٥٠١) وابن حبان (الإحسان ١٠٢/١) والدراقطني (٢٢٩/١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٥) ما حكاه البيجوري - هنا - من أن النظر إلى فرج الزوجة مكروه هو مذهب الشافعية حيث جاء في مغني المحتاج : « يكره لكل منهما - أي من الزوجين - . نظر الفرج من الآخر ... قالت عائشة - رضي الله تعالى عنها - : « ما رأيت منه ، ولا رأى مني » انظر : مغني المحتاج (١٣٤/٣) بتصريف يسير .

الأول وتكره على الثاني . بخلاف المحرم لعارض كالوضوء بماء مغصوب ، والمكروه لعارض كأكل البصل ، فلا تحرم على الأول ولا تكره على الثاني . وخرج الذكر المحض كـ « لا إله إلا الله » فلا تسن التسمية عليه ، بخلاف غير المحض كالقرآن لاشتماله على غير الذكر كالأخبار والمواظ ، وخرج ما جعل الشارع له مبدأ غير البسملة والحمدلة : كالصلاة فلا يبدأ بالبسملة ولا بالحمدلة بل بالتكبير مثلاً .

[٤] فإن قلت : بين الخبرين المذكورين تعارض ^(١) فكيف يمكن العمل بهما ، قلت : أجيب عن ذلك بأجوبة أشهرها : أن الابتداء نوعان : حقيقي وهو الابتداء بما تقدم أمام المقصود ولم يسبقه شيء ، وإضافي وهو الابتداء بما

تقدم أمام المقصود وإن سبقه شيء ، فبينهما العموم والخصوص المطلق ، فحمل خبر البسملة على النوع الأول ، وخبر الحمدلة على الثاني ، وإنما لم يعكس للكتاب والإجماع .

لا يقال : إن هذا المؤلف شعر على الراجح خلافاً لمن قال : إن الرجز ليس شعراً ، وقد قال العلماء : لا يبدأ الشعر بالبسملة ، لأننا نقول : الشعر الذي لا يبدأ بالبسملة هو المحرم كهجو من لا يحل هجوه ، أو المكروه كالغزل في غير معين .

وأما ما يتعلق بالعلوم كهذه المنظومة فيبدأ بالبسملة اتفاقاً . وإنما لم يأت بها نظماً كما فعل الشاطبي ^(٢) حيث قال :

بدأت بيسم الله في النظم أولاً إلخ ، لأنه خلاف الأولى ^(٣) .

[٥] ثم اعلم أن الباء في البسملة إما للمصاحبة على وجه التبرك ، أو للاستعانة بـاء . كذلك ، ولا مانع من الاستعانة باسمه تعالى كما يستعان بذاته ، والأولى جعلها للمصاحبة ؛ لأن جعلها للاستعانة فيه إساءة أدب ، لأن باء الاستعانة تدخل على الآلة فيلزم عليها جعل اسم الله مقصوداً لغيره لا

= وقد أباح المالكية النظر ، حيث جاء في الشرح الكبير « وحل لكل من الزوجين في نكاح صحيح مبيح للوطء نظر كل جزء من صاحبه حتى نظر الفرج » انظر : الشرح الكبير وحاشية الدسوقي عليه (٢١٥/٢) .
(١) أي حديث البسملة والحمدلة .

(٢) هو : القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي ، أبو محمد إمام القراء ، احدث ، المفسر ، ولد بشاطبة آخر سنة ٥٣٨ هـ وتوفي بالقاهرة في ٥٩٠ هـ ودفن بالقرافة ، من آثاره حرز الأمانى ووجهة التهاني في القراءات السبع (انظر معجم المؤلفين ١١٠/٨ ، الأعلام ١٨٠/٥) .

(٣) الفرق بين خلاف الأولى والمكروه : أن النهي في خلاف الأولى على غير مقصود مثل تناول الطعام باليد اليسرى مع أن الأولى تناول باليمين ، والمكروه النهي فيه على مقصود مثل النظر إلى فرج زوجته بلا حاجة .

لذاته ، إلا أن يقال : إن من جعلها للاستعانة نظر إلى جهة أخرى وهي أن الفعل المشروع فيه لا يتم على الوجه الأكمل إلا باسمه تعالى ^(١) ، لكن قد يقال : مظنة الإساءة مازالت موجودة ومعناها الإشاري : بي كان ما كان ، وبي يكون ما يكون . وحيث أن يكون في الباء إشارة إلى جميع العقائد ، لأن المراد : بي وجد ما وجد ، وبي يوجد ما يوجد . ولا يكون كذلك إلا من اتصف بصفات الكمال وتنزه عن صفات النقصان ، كما ذكره بعض أئمة التفسير .

[٦] والاسم : مشتق عند البصريين ^(٢) من السمو وهو العلو ؛ لأنه يعلو مسماه ، وعند الكوفيين من « وسم » بصيغة الماضي : أي علم بصيغة الماضي أيضًا ، لأن الاشتقاق عندهم من الأفعال ، فقول بعض العلماء « وعند الكوفيين من الرسم بمعنى العلامة » فيه تسميح ^(٣) ، ومعناه : ما دل على مسمى . وأما قولهم « كلمة دلت على معنى في نفسها ... إلخ » . فهو اصطلاح نحوي ، وعلم من التعريف المذكور أن الاسم غير المسمى وهو التحقيق ^(٤) . نعم إن أريد به المدلول كان عين المسمى ، وبهذا يجمع بين القولين .

[٧] و « الله » علم على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد . وقولنا « الواجب الوجود ... إلخ » تعيين للمسمى ، لا أنه من جملة المسمى على ما هو التحقيق ، وإلا لكان كليًا ، وهو علم شخصي بمعنى أن مدلوله معين في الخارج لا بمعنى أنه قامت به مشخصات كالبياض والطول وهكذا لاستحالة ذلك ، ولا يجوز أن يقال ذلك إلا في مقام التعليم لما فيه من إيهام مالا يليق ، وبذلك تعلم أنه ليس غَلَمًا بالغلبة خلأً لمن زعم ذلك ^(٥) .

(١) باء الاستعانة هي الداخلة على آلة الفعل نحو كتبت بالقلم ، ونجرت بالقدم قيل ومنه باء البسلة ، لأن الفعل لا يأتي على الوجه الأكمل إلا بها ، وقيل إنها بمعنى مع . انظر : حاشية الدسوقي على مغني اللبيب لابن هشام (١/١٤٩) .
(٢) البصريون : شيخهم الخليل بن أحمد ، وأما الكوفيون فشيخهم أبو جعفر الرُّاسِي .
(٣) انظر : الخلاف بين البصريين والكوفيين في اشتقاق الاسم هل هو من السمو ، أو من وسم في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين والبصريين والكوفيين للأبازي المتوفى سنة (٥٧٧) .
(٤) ثمة الخلاف في كون الاسم عين المسمى أو غير المسمى ، تظهر في مسألة خلق القرآن فهو من جهة الدال مخلوق ، ومن جهة المدلول غير مخلوق أي : أن المصحف الذي بين أيدينا مخلوق أما كلام الله فغير مخلوق .
(٥) يكون اللفظ علمًا بالغلبة بأن يكون له عموم بحسب الوضع فيعرض له خصوص بحسب الاستعمال مثل كلمة مدينة أو دابة ، فالمدينة اسم يطلق على جميع المدن ، ولكنها في الاستعمال علم لمدينة الرسول ﷺ . والدابة تطلق على ما يدب على الأرض ثم استعملت في الحصان والحمار خاصة .

الاسم
الأعظم :
تعيينه
وهو اسم الله الأعظم عند الجمهور ، واختار النووي ^(١) أنه « الحى القيوم »
وإنما تخلفت الإجابة عند الدعاء به من بعض الناس لتخلف شروط الإجابة
التي أعظمها أكل الحلال .

[٨]
الرحمن
الرحيم :
تعريفهما
و (الرحمن الرحيم) صفتان مأخوذتان من الرحمة بمعنى الإحسان أو
إرادة الإحسان ، لا بمعناها الأصلي الذي هو رقة في القلب تقتضي
التفضل والإحسان ، لاستحالة ذلك في حقه تعالى ، فالرحمن الرحيم في
حقه بمعنى المحسن أو مريد الإحسان ، لكن الأول بمعنى المحسن بجلائل
النعم أي : بالنعم الجليلة ، والثاني بمعنى المحسن بدقائق النعم أي : بالنعم الدقيقة ؛ لأن
زيادة المبني تدل على زيادة المعنى غالباً ^(٢) ، وإنما جمع بينهما إشارة إلى أنه ينبغي أن
يطلب منه تعالى النعم الحقة كما ينبغي أن يطلب منه النعم العظيمة ، لأن الكل منه
وحدّه سبحانه وتعالى ، ويتعلق بالبسملة أبحاث كثيرة فلا نطيل بذكرها .

(١) هو : يحيى بن شرف بن مري أبو زكريا محيي الدين النووي الشافعي ، شيخ الإسلام العلامة ، علامة
بالفقه والحديث ، ولد سنة ٦٣١هـ ، وتوفي سنة ٦٧٦هـ ، له تصانيف كثيرة أشهرها : رياض الصالحين ،
شرح صحيح مسلم ، والمنهاج ، وروضة الطالبين ، والمجموع شرح المذهب . (انظر : طبقات الشافعية لابن
السبكي ١٦٥/٥ ، النجوم الزاهرة ٢٧٨/٧ ، الأعلام ١٤٩/٨) .

(٢) ذلك بثلاثة شروط :

أ - أن يكون من غير الصفات الجبلية أي : الخلقية نحو: كثره ، ونهم .

ب - أن يتحد اللفظ في النوع ليخرج نحو: حذر ، وحاذر .

ج - أن يتحد في الاشتقاق مثل: زمن ، زمان فكلاهما مصدر .

وإنما قال المصنف (غالباً) لأن هذا الحكم وهو أن زيادة المبني تدل على زيادة المعنى ليس مطرداً كما في
(حاذر) اسم فاعل و (حذر) صيغة مبالغة فإنها تدل على الكثرة دونه مع أن اسم الفاعل أكثر حروفاً . انظر
حاشية الدموقى على مغنى اللبيب (٢٠٥/١) .

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى صَلَاتِهِ ثُمَّ سَلَامٌ لِلَّهِ مَعَ صَلَاتِهِ [٩ - ٢١]

[٩] قوله (الحمد لله ...) إلخ قال النووي - رحمه الله تعالى - : يستحب الحمد في ابتداء الكتب المصنفة ، وكذا في ابتداء دروس المدرسين وقراءة الطالبين بين يدي المعلمين ، سواء قرأ حديثاً أو فقهاً أو غيرهما . وأحسن العبارات في ذلك : « الحمد لله رب العالمين » اهـ . وإنما لم يأت بحرف العطف إشارة إلى أن كلاً من البسملة والحمدلة محضّل للمقصود في الابتداء ، أو لاحتمال أن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية ، والصحيح أنه لا يجوز عطف الإنشاء على الإخبار وعكسه .

[١٠] والحمد لغة : الثناء بالكلام على الجميل الاختياري على جهة التبجيل والحمد : التعظيم ، سواء كان في مقابلة نعمة أم لا ، فمثال الأول : ما إذا أكرمك زيد فقلت : « زيد كريم » فإنه في مقابلة نعمة ، ومثال الثاني : ما إذا وجدت زيداً يصلي صلاة تامة فقلت : « زيد رجل صالح » فإنه ليس في مقابلة نعمة .

[١١] والثناء بتقديم المثلثة على النون : هو الإتيان بما يدل على التعظيم . وقيل : هو الذكر بخير ، وضده الثناء بتقديم النون على المثلثة ، وإنما عبرنا بالكلام كما عبر به بعض المحققين ليشمل التعريف حيثئذ الحمد القديم وهو حمد الله نفسه بنفسه وحمده لأنبيائه وأوليائه وأصفياه ، والحمد الحادث وهو حمدنا لله تعالى وحمد بعضنا لبعض ، فدخلت أقسام الحمد الأربعة وهي :

الحمد : حمد قديم لقديم ، وحمد قديم لحادث ، وحمد حادث لقديم ، وحمد أقسامه : حادث لحادث ، وأما تعبير بعضهم باللسان فيلزم عليه أن لا يكون

التعريف شاملاً للقديم ، إلا أن يراد باللسان الكلام على سبيل المجاز المرسل من إطلاق السبب وهو اللسان وإرادة المسبب وهو الكلام ، ولا يرد أن التعاريف تصان عن المجاز ، لأن محل ذلك ما لم يكن المجاز مشهوراً كما هنا . وقولنا « على الجميل الاختياري » أي : لأجل الجميل الاختياري ، ولو كان جميلاً في اعتقاد المحمود بزعم الحامد وإن لم يكن جميلاً شرعاً كتهب الأموال ، وخرج بقيد الاختياري الاضطراري ، فإن الثناء عليه يسمى مدحاً لا حمداً ، تقول : مدحت اللؤلؤة على حسننها ، دون حمدتها . وقال الزمخشري (١) : الحمد والمدح أخوان بمعنى أنهما مترادفان ، والاختياري إنما هو قيد في

(١) هو : محمود بن عمر بن محمد أبو القاسم جار الله من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والأدب وكان معتزلي المذهب ، ولد سنة ٤٦٧ هـ يوم السابع والعشرين من رجب ، وتوفي ليلة عرفة سنة ٥٣٨ هـ . من =

المحمود عليه لا في المحمود به ، فقد يكون المحمود عليه اختياريًا ، والمحمود به اضطراريًا ، كما إذا أكرمك زيد فقلت : « زيد حسن » .

[١٢] | وأركان الحمد خمسة : حامد ، ومحمود ، ومحمود به ، ومحمود عليه ،
الحمد : وصيغة . ثم اعلم أن المحمود به والمحمود عليه قد يتحدان ذاتًا ويختلفان
أركانه اعتبارًا ، كما إذا أكرمك زيد فقلت : « زيد كريم » فإن الكرم من حيث

كونه باعثًا على الحمد يقال له محمود عليه ، ومن حيث كونه مدلول الصيغة يقال له : محمود به ، وقد يختلفان ذاتًا واعتبارًا ، كما إذا أكرمك زيد فقلت : « زيد عالم » فإن المحمود عليه هو الكرم والمحمود به هو العلم ، فإن قلت : التقييد بالاختياري يخرج الحمد على ذاته تعالى وصفاته فظاهاه أنه لا يسمى حمدًا ، والتزمه بعضهم فقال : يسمى مدحًا . قلت : أجيب عن ذلك بأن المراد ما يشمل الاختياري حقيقة وهو ظاهر ، أو حكمًا والمراد به ما كان متشبهًا للأفعال الاختيارية كالذات وصفات التأثير^(١) أو ملازمًا للمنشأ كصفات غير التأثير^(٢) .

وقولنا : « على جهة التبجيل والتعظيم » أي : على جهة هي التبجيل والتعظيم ، فالإضافة للبيان^(٣) ، وعطف التعظيم على التبجيل للتفسير ، وخرج بذلك ما إذا كان على جهة الاستهزاء والسخرية . كما في قول الملائكة لأبي جهل^(٤) ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ [الدخان : ٤٩] أي : بزعمك عند قومك . وعبرة الخازن ما نصه : ذق : أي هذا العذاب ، إنك أنت العزيز الكريم : أي عند قومك بزعمك ، وذلك أن أبا جهل - لعنه الله - كان يقول : أنا أعز البوادي وأكرمهم ، فتقول خزنة النار له ذلك على طريق الاستخفاف والتوبيخ اه .

وفي الحقيقة هذا خارج من أول الأمر ، لأنه ليس ثناء إلا بحسب الصورة ، فهذا القيد عند التحقيق للإيضاح .

= تصانيفه : الكشف في تفسير القرآن ، أساس البلاغة ، الفائق في غريب الحديث . (انظر : معجم الأدباء ٧٠/٢ ،

الفوائد البهية ٢٠٩ ، الأعلام ١٧٨/٧) . (١) صفات التأثير : هي القدرة والإرادة .

(٢) صفات غير التأثير : هي مثل العلم والكلام لأنهما غير مؤثرين .

(٣) فالإضافة للبيان : لأن المضاف إليه يبيِّن المضاف .

(٤) أبو جهل - لعنه الله - هو : عمرو بن هشام أبو الحكم ، أشد الناس عداوة للمصطفى ، ودعاه المسلمون أبا جهل ، قتل في وقعة بدر الكبرى سنة ٢ هـ ، وهو في صفوف المشركين (انظر الأعلام ٨٧/٥) .

[١٣] وأما الحمد اصطلاحاً فهو : فعل ينبئ عن تعظيم المنعم من حيث كونه
الحمد : منعماً على الحامد أو غيره ، سواء كان ذلك قولاً باللسان أو اعتقاداً
تعريفه بالجنان أو عملاً بالأركان التي هي الأعضاء كما قال القائل :

أفادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا ^(١)
وإنما كان الاعتقاد فعلاً ؛ لأنه التصميم بالقلب ، وأما قولهم : « التحقيق أنه كيف
أي الصورة الحاصلة في النفس » فهو تدقيق كلامي لا ينظر إليه هنا فإن قيل : الاعتقاد لا
ينبئ عن تعظيم المنعم . أجيب بأنه ينبئ لو اطلع عليه ، أو أنه يستدل عليه بالقول ،
ويتحقق حينئذ حمدان : أحدهما بالقول ، والآخر بالاعتقاد المأخوذ منه .

[١٤] والشكر لغة : هو الحمد اصطلاحاً ، لكن يابдал الحامد بالشاكر .
تعريف اصطلاحاً : صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق
الشكر لأجله .

[١٥] ثم اعلم أن « أل » في الحمد إما للاستغراق ^(٢) أو للجنس ^(٣) أو للعهد ^(٤) ،
واللام في « لله » إما للاستحقاق أو للاختصاص أو للملك ^(٥) ، فنحصل
تعريفها ، من هذا احتمالات تسعة قائمة من ضرب ثلاثة في ثلاثة يمتنع منها جعل
أنواعها اللام للملك مع جعل « ال » للعهد إذا جعل المعهود هو الحمد القديم فقط ،

لأن القديم لا يملك ، بخلاف ما إذا جعل المعهود حمد من يعتد بحمده كحمده تعالى
وحمد أنبيائه وأوليائه وأصفياه ، لأن المعهود حينئذ هو الجملة المركبة من القديم
والحادث . والقاعدة أن المركب من القديم والحادث حادث ^(٦) فيصح أن يملك .

(١) قال هذا البيت أعرابي أتى علياً عليه السلام فأعطاه درهما ، فاستقله ، ولم يكن عنده غير درع له فناولته إياه
فمدحه بهذا البيت ، وقبله قوله :

وما كان شكري وأفيا بجمالكم ولكنني حاولت في الشكر مذهبا

(٢) الاستغراق : أي أن ترفعها وتضع مكانها « كل » نحو : كل حمد هو لله .

(٣) الجنس : أي أن ترفعها وتضع مكانها « جنس » نحو جنس الحمد لله .

(٤) العهد : أي التي للعهد نحو الحمد المعروف لله أو الحمد المعهود لله .

(٥) اختار ابن هشام في مغنيته أن اللام للاستحقاق وعرفها بأنها الواقعة بين معنى وذات نحو الحمد لله ..

وقال الدسوقي : ما يقرره العلماء من أن لام لله إما للاستحقاق أو لام الملك ، أو لام الاختصاص خطأ ، لأنه لا يصح أن
تكون للملك ، نعم يصح كونها للاختصاص . انظر : مغني اللبيب لابن هشام ومعه حاشية الدسوقي (٣٠١ / ١) .

(٦) مثال المركب من القديم والحادث أفعال الله تعالى فمثلاً تسمية المطر رحمة من الله ، والعلاقة بين الرب والمخلوق =

[١٦] قوله (على صلاته) أي : لأجل صلاته ، فعلى للتعليل على حد قوله تعالى ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَانَا لَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٨٥] والجار والمجرور متعلق بالحمد ^(١) ، واغتفر الفصل بين المصدر ومعموله بالخبر ، لأن ذلك يغتفر في الجار والمجرور ، وبعضهم جعله خبراً بعد خبر فيكون المصنف قد حمد أولاً في مقابلة الذات ثم حمد ثانياً في مقابلة الصلوات .

[١٧] ثم إن الصلوات بكسر الصاد جمع صلة وهي : العطية بمعنى الشيء المعطى كما هو المتبادر ، أو بمعنى الإعطاء وهو أولى ، لأنه حمد على صفة المولى بلا واسطة ، والحمد على الشيء المعطى حمد على الصفة بواسطة ، وإنما اختار الحمد المقيد على المطلق ؛ لأن المقيد أفضل من المطلق ، فإنه يثاب على المقيد ثواب الواجب لكونه في مقابلة نعمة ، فهو كأداء الديون . وبعضهم ذهب إلى أن المطلق أفضل ^(٢) .

[١٨] قوله (ثم سلام الله ...) إلخ يحتمل أن تكون ثم للاستئناف ، ويحتمل أن تكون للعطف ، وعلى الثاني فيحتمل أن تكون للترتيب الذكري وأن تكون للترتيب الرتبي ، لأن رتبة ما يتعلق بالخلق من الصلاة والسلام متأخرة ومتراخية عن رتبة ما يتعلق بالخالق من البسملة والحمدلة .

[١٩] ومعنى سلام الله تحيته اللائقة به ﷺ بحسب ما عنده تعالى كما تشعر به سلام الله : إضافته له تعالى ، فالمطلوب تحية عظمى بلغت الدرجة القصوى فتكون أعظم التحيات ؛ لأنه ﷺ أعظم المخلوقات ، والمراد بالتحية في حقه ﷺ كما أفاده السنوسي ^(٣) في شرح الجزائرية أن يسمعه كلامه القديم الدال على رفعة مقامه العظيم ، ولم يرتض بعضهم تفسير السلام بالأمان وإن ذكره السنوسي وغيره ، لأنه ربما

= من جهة كونه تعالى قديماً قديماً ، ومن جهة إنزال رحمته على عباده حادث ، لأنه كان بعد أن لم يكن .
(١) التعلق : كل جار ومجرور أو ظرف منصوب يحتاج إلى ما يتعلق به ولا يصح التعليق إلا بالفعل وما يشبهه وهو « المصدر والمشتقات » والمتعلق إما مذكور أو محذوف وجوباً كالكون العام أو جوازاً كالكون الخاص .
(٢) الحمد المطلق أفضل من جهة ، باعتبار أن المحمود عليه أكثر ، أما الحمد المقيد فأفضليته من جهة أنه يثاب على المقيد ثواب الواجب لكونه في مقابلة نعمة .

(٣) هو : محمد بن يوسف بن الحسين التلمساني ، السنوسي أبو عبد الله ، متكلم ، مشارك في بعض العلوم . من آثاره : متن الرسالة السنوسية في العقائد تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية من غامض أسرار الصناعة الطبية . (انظر : الأعلام ١٥٤/٧) .

أشعر بمظنة الخوف مع أن النبي ﷺ بل وأتباعه لاخوف عليهم ، نعم يخاف ﷺ خوف مهابة وإجلال ، ولذلك قال ﷺ : « إني لأخوفكم من الله » (١) .

فإن قيل : إن السلام يؤخر عن الصلاة كما جرى به عرف الاستعمال لآية ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٦] فما بال المصنف قدمه عليها ، أجب بأن ذلك لضرورة النظم ، على أنه أشار بلطف إلى أن رتبته التأخير حيث أدخل « مع » على الصلاة وهي تدخل على المتبوع ، يقال : « جاء الوزير مع السلطان » دون العكس .

[٢٠] قوله (مع صلاته) بإسكان العين هنا على اللغة القليلة لأجل الوزن صلاة الله والملائكة : وإن كان الأوضح فتحها (٢) . ومعنى صلاته : رحمته المقرونة بالتعظيم كما تشعر به الإضافة إلى ضميره تعالى ، وهذا هو اللائق بتفسيرها بالمقام .

وقيل : هي مطلق الرحمة سواء قرنت بالتعظيم أم لا ، لكن هذا بيان للصلاة في حد ذاتها بقطع النظر عن المقام ، وينبغي على هذا الخلاف العطف في قوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ [البقرة : ١٥٧] فعلى الأول يكون من عطف العام على الخاص ، وعلى الثاني من عطف التفسير ، وقد فسر الجمهور الصلاة بأنها من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن غيرهم ولو حجراً وشجراً ومدراً التضرع والدعاء ، فقد ورد أنها صلت عليه (٣) كما رواه الحلبي (٤) في السيرة وإن اشتهر أنها سلمت عليه فقط ، وإن شئت قلت وهو الأخصر : هي من الله الرحمة ومن غيره الدعاء ، وحينئذ يكون شاملاً للاستغفار وغيره .

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه ، ولفظ البخاري « إني لأخشاكم لله » .

(٢) تسكين عين (مع) لغة غنم ، وهو أبو حي من تغلب بن وائل ولغة ربيعة لا ضرورة خلافاً لسيبويه . انظر : حاشية الدسوقي على مغني اللبيب (٤٤٥/١) .

(٣) قوله : « فقد ورد أنها صلت عليه » : أخرجه الترمذي (٣٦٢٦) من حديث علي رضي الله عنه ، وقال : حديث غريب ، وصححه الحاكم (٦٢٠١٢) ووافقه الذهبي .

(٤) هو : علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي الشافعي أبو الفرج نور الدين ، أصله منها ، ولد سنة ٩٧٥ هـ ، توفي سنة ١٠٤٤ هـ بمصر ، مؤرخ وأديب ، له تصانيف منها : إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون المشهور بالسيرة العلية ، وحاشية على شرح المنهج للشيخ الإمام زكريا في فروع الشافعية . (٩٧٥ - ١٠٤٤ هـ) (الأعلام ٢٥١/٤) .

[٢١] واختار ابن هشام ^(١) في مغني ^(٢) أنها العطف بفتح العين وهو بالنسبة لله الرحمة ... إلخ .

ويترتب على هذا الخلاف أنها من قبيل المشترك اللفظي على الأول ، وضابطه أن يتحد اللفظ ويتعدد المعنى والوضع ، ومن قبيل المشترك المعنوي على الثاني وضابطه أن يتحد كل من اللفظ والمعنى والوضع ، والتحقيق الثاني وإن رجح بعضهم الأول .

انتفاع الأنبياء بالصلاة عليهم ، والصحيح أنه ، ينتفع بصلاتنا عليه كباقي الأنبياء ^(٣) ، لكن لا ينبغي التصريح بذلك إلا في مقام التعليم ، كما أشار إلى ذلك بعضهم بقوله :

وصححو بأنه ينتفع بذى الصلاة شأنه مرتفع

لكنه لا ينبغي التصريح لنا بذا القول وذا صحيح

وقيل : المنفعة عائدة على المصلي ليس إلا ؛ لأنه ، قد أفرغت عليه الكمالات .

ورُدُّ بأنه ما من كمال إلا وعند الله أكمل منه ، والكمال يقبل الكمال ، لكن لا ينبغي

للمصلي أن يلاحظ ذلك ؛ بل يلاحظ أنه يتوسل به ﷺ عند ربه في نيل مقصوده .

(١) هو : عبد الله بن يوسف بن أحمد ، أبو الحمد جمال الدين من أئمة العربية ، ولد سنة ٧٠٨ هـ ، توفي بمصر سنة ٧٦١ هـ ، من تصانيفه : مغني اللبيب ، وعمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب ، وشذور الذهب (انظر الأعلام ١٤٧/٤) .

(٢) هو مغني اللبيب عن كتب الأعراب للشيخ جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام الأنصاري وهو كتاب منحصر في ثمانية أبواب عني به نفر من العلماء ، وكتبوا عليه حواشي شتى منها حاشية الأمير ، وحاشية الدسوقي ، وحاشية الشمني ، وشرح الدماميني .

(٣) الراجح : إنه ينتفع لأن الصلاة دعاء ، والدعاء يستجيب الله له خاصة إذا كان متعلقاً بالجنان الأعظم ﷺ ، واستجابة الصلاة إنما يتصور بعلو مقامه وزيادة شرفه في الدنيا والآخرة كما أوصى النبي ﷺ بأن نسأل له الوسيلة والفضيلة ، قال تعالى : ﴿ رَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وكل كمال يتصور ما هو أكمل منه في حق البشر ولكن ينبغي أن لا يلاحظ المصلي ذلك ؛ لأن ملاحظة ذلك من سوء الأدب ولأن الله سيرده له عشراً (أي صلى الله عليه عشراً) .

فائدة : حكم الصلاة على النبي ﷺ اختلف فيه على أربعة أقوال :

- ١ - أنها تجب كل وقت ذكر ، واختاره الحلبي .
 - ٢ - أنها تجب في العمر مرة .
 - ٣ - أنها تجب في كل مجلس مرة وإن دُكر فيه مراراً .
 - ٤ - أنها تجب في أول كل دعاء وآخره .
- وهذا مبني على أن تعليق الأمر على الشرط يقتضي التكرار ، وفيه ثلاثة مذاهب :
- ١ - أنه يدل عليه من جهة القياس دون اللفظ .
 - ٢ - يدل بلفظه .
 - ٣ - لا يدل بلفظه ولا قياساً . راجع تهديد الإسنوي ص ٢٨٥ .

وفي كلام المصنف نوع من المحسنات البديعية يسمى بالجناس المحرف : وهو ما تماثل ركناه في الحروف لا في الحركات ، فإنه عبر أولاً بصلاته بكسر الصاد ، ثم عبر بصلاته بفتحها وفي هذا البيت مع ما بعده التضمين .
وهو كما في شرح شيخ الإسلام ^(١) على الخرجية تعلق قافية البيت بما بعدها ، وهو مغتفر للمولدين عند بعضهم .

وإثبات الصلاة والسلام في صدر الكتب والرسائل حدث في زمن ولاية هشام ^(٢) ، ثم مضى العمل على استحبابه ، ومن العلماء من يختم بهما كتابه أيضاً كما في شرح المصنف الصغير .	كتابة الصلاة والسلام في صدور الكتب
--	------------------------------------

(١) هو : زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري المصري الشافعي أبو يحيى شيخ الإسلام ، القاضي المفسر من حفاظ الحديث ، ولد سنة ٨٢٣ هـ ، توفي سنة ٩٢٦ هـ ، من مصنفاته تحفة الباري على صحيح البخاري ، فتح الجليل ، وغاية الوصول في علم الأصول ، ومنهج الطلاب في الفقه ، وشرح ألفية العراقي في المصطلح (انظر : الكواكب السائرة والأعلام ٤٦/٣) .

(٢) هو : هشام بن عبد الملك بن مروان ، من ملوك الدولة الأموية في الشام ، ولد سنة ٧١ هـ ، بدمشق وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥ هـ ، توفي سنة ١٢٥ هـ . (انظر : تاريخ الطبري ٢٨٣/٨ ، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٧٠/٥ ، والأعلام ٨٦/٨) .

٢ - عَلَى نَبِيٍّ جَاءَ بِالتَّوْحِيدِ وَقَدْ خَلَا الدِّينُ عَنِ التَّوْحِيدِ [٢٢ - ٣٢]

[٢٢] قوله : (على نبي) أي : كائنان على نبي ، فالجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ ، وليس من باب التنازع ؛ لأن بعضهم منعه في الجوامد ، وإنما عدى الدعاء بعلى مع أن الدعاء إن كان بخير تعدى باللام ، وإن كان بشر تعدى بعلى ، لأن محل ذلك ما لم يكن بعنوان الصلاة والسلام للفرق الظاهر بين « صلى عليه » و « دعا عليه » إذ الأول لا يفهم منه إلا المسرة ، والثاني لا يفهم منه إلا المضرة ، وأيضاً في التعبير بعلى إشارة إلى شدة التمكن .

النبي لغة : والنبىء : بالهمز وتركه ، مأخوذ من النبأ وهو الخبر ، لأنه « مخبر » بكسر الياء ، فإنه يخبرنا بالأحكام عن الله تعالى إن كان رسولاً ونبيّاً أيضاً ، فإن كان نبي فقط أخبرنا بأنه نبي ليعتبر ، أو « مخبر » بفتحها ؛ لأن جبريل يخبره عن الله تعالى ، أو مأخوذ من النبوة وهي الرفعة ، لأنه مرفوع الرتبة فإنه ما من نبي إلا وهو أفضل من أمته أو رافع رتبة من اتبعه ، فعلى كل « فعيل » صالح لاسم الفاعل واسم المفعول ، وعبر بالنبي ولم يعبر بالرسول إشارة إلى أنه يستحق الصلاة والسلام بوصف النبوة كما يستحقها بوصف الرسالة وموافقة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب : ٥٦] .

[٢٣] وعرفوا النبي بأنه إنسان ذكر حر من بني آدم سليم عن مُتَقَرِّ طبعاً ، أُوحي إليه بشرع يعمل به وإن لم يؤمر بتبليغه . وأما الرسول فيعرف بما ذكر لكن مع التقيد بقولنا « وأمر بتبليغه » فبينهما العموم والخصوص المطلق ؛ لأن كل رسول نبي ولا عكس . وجعل بعضهم الرسول أعم ، قال : لأن الرسل تكون من الملائكة .

وقال العلامة السعد التفتازاني ^(١) : هما متساويان ، وقيل : بينهما العموم والخصوص الوجهي لأن « النبي » فقط : من أُوحي إليه بشرع يعمل به واختص به ، و « الرسول » فقط : من أُوحي إليه بشرع يعمل به ويبلغه لغيره ولم يختص بشيء منه ، فإن اختص بالبعض وبلغ البعض فهو نبي ورسول ، وخرج بالإنسان بقية الحيوانات ، وكفر من

(١) هو : مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين ، من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد سنة ٧١٢ هـ ، وتوفي سنة ٧٩٢ هـ ، وقيل : سنة ٧٩١ هـ ، من مصنفاته : المطول في البلاغة ، مقاصد الطالبين ، وشرح المقاصد ، وحاشية على شرح العضد في الأصول (انظر الأعلام ٢١٩/٧) .

قال : « في كل أمة نذير » ^(١) بمعنى أنه في كل جماعة من الحيوانات رسول .
وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر : ٢٤] ، فهو في أم البشر
الماضية ، وخرج بالذكر : الأنثى بناء على أنه يقال لها إنسان .
وقال بعضهم : يقال لها : إنسانة ، كما قال القائل :

إنسانة فتانة بدر الدجى منها خجل
وعليه فتكون الأنثى خرجت بالإنسان ؛ والقول بنبوة مريم وآسية امرأة فرعون وحواء
وأم موسى - واسمها « يوحانذ » ^(٢) بالذال المعجمة - وهاجر وسارة فهو مرجوح ^(٣) .
قال صاحب بدء الأمالي ^(٤) :

(١) قوله : كفر من قال « في كل أمة نذير » وذلك إن كان القائل : ١ - قاصداً ، ٢ - عالماً ، ٣ - مختاراً .
(٢) ويقال : يوكابد ، ويوغاند ، ويوخاند .

(٣) قال ابن حزم رحمه الله : احتج من قال : لا نبوة في النساء بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا مُّؤْتَمِرِينَ ﴾ [الأنبياء : ٧] وهذا أمر لا ينافون فيه إنما نتكلم في النبوة لا في الرسالة ، وليس كل نبي مرسلًا
فوجب أن يتوصل إلى معرفة الحق في هذا الباب .

نقول : أرسلنا هنا بمعنى يشمل الرسول والنبي كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّجَالَ لَوْحٍ ﴾ [الحجر : ٢٢]
أي بعثنا وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج : ٥٢] .

قال ابن حزم رحمه الله : قد أخبر الله تعالى عن أم موسى الطاهرة بإلقائها ابنها في اليم ، وقد علمنا ببداية العقول أنه
لو لم يتيقن صحة ذلك الوحي وأنه من قبل الله تعالى لكان رميها في اليم جنونًا وسفهاً .

ونقول : الوحي نوعان : وحي كوني وحي شرعي ، فالوحي لأم موسى كان كونيًا كالوحي للنحل أن تتخذ من الجبال بيوتا .
وأيضًا قال : وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْتُمْ سَيِّدِيَّةٌ ﴾ [المائدة : ٧٥] ليس بمانع أن تكون نبية إذ قد سمي الله
تعالى بعض الأنبياء ﷺ باسم الصديقين .

نقول : نعم ولكن لما سمي الله تعالى إسماعيل باسم الصديق سماه قائلًا ﴿ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٤١]
ذكره مقترنا بكلمة نبيًا وصرح بالنبوة وقال : ﴿ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ [مريم : ٥٤] قال ابن حزم :
ذكر ﷺ أم عيسى في سورة كهيعص في جملة الأنبياء ثم قال تعالى ويعقب على ذكره لهم وهي في جملتهم :
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ آمَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ ﴾ وهذا ظاهر جلي فصيح أنها نبية نقول : لم يصرح بكونها نبية .
وفي الأصول في كون الخطاب للذكر هل يشمل الأنثى أم لا ، خلاف ، والراجح عدم الشمول .

ذكر مريم عرضا أثناء ذكر عيسى ﷺ . لا يدل ذكر اسمها في سياق الكلام على أنها نبية ؛ لأن جبريل ﷺ
مذكور أيضًا والجميع أجمع على أنه ليس برسول ولا نبي .

(٤) صاحب بدء الأمالي هو : علي بن عثمان بن محمد أبو محمد سراج الدين الحنفي ، ناظم قصيدة بدء
الأمالي ، فرغ منها سنة ٥٦٩ هـ ، من مصنفاته : نصاب الأخبار للذكرة الأخيار ، وغرر الأخبار ودرر
الأشعار . (انظر : الأعلام ٣١٠/٤) .

وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبداً وشخص ذر فعال
أي فعل قبيح .

وخرج بالحر الرقيق ، ولا يرد لقمان ؛ لأنه لم يكن نبياً ، بل كان تلميذاً للأنبياء ؛
لأنه ورد أنه كان تلميذاً لألف نبي .

وخرج بقولنا : « من بني آدم » الجن والملائكة بناء على أن الإنسان مأخوذ من النوس
وهو التحرك ، يقال : ناس إذا تحرك ، فيشمل الجن والملك فيحتاج لإخراجهما بما ذكر ،
وأما على أنه مأخوذ من الإنس فيختص ببني آدم ، فلا يحتاج لإخراجهما بما ذكر .

ولا يرد قوله تعالى : ﴿ يَمَعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ إِلَهُ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٣٠]
لأن معناه والله أعلم : ألم يأتكم رسل من بعضكم ^(١) وهم الإنس ، أو المراد يرسل الجن
السفراء منهم أي النواب منهم عن الرسل لا رسل من عند الله تعالى .

ولا يرد أيضاً قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا ﴾ [الحج : ٧٥] لأن
معناه والله أعلم : أنهم سفراء بين الله وبين أنبيائه ليلغوهم عن الله تعالى الشرائع .

وخرج بالسليم عن المنفر : غير السليم عنه ، فمن كان فيه منفر كعمى وبرص وجذام لم
يكن نبياً ولا رسولا ، ولا يرد بلاء أيوب وعمى يعقوب ، لأنه أمر ظاهري وليس حقيقياً ، ولا
يُرد أيضاً بناء على أنه حقيقي لطُرُوه بعد تقرر النبوة ، والكلام فيما قارنها .

[٢٤] وقد اختلف في عدد الأنبياء ^(٢) فقيل : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً .
وقيل : مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، واختلف أيضاً في عدد الرسل
عددهم منهم فقيل : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وقيل : وأربعة عشر ، وقيل : وخمسة

عشر . والأسلم الإمساك عن ذلك لقوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُمْ مَن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ [غافر : ٧٨] واعلم أن التنوين في « نبي » للتعظيم ،
والإبهام فيه يرفعه ما يأتي في كلامه بعد إن شاء الله تعالى .

[٢٥] قوله (جاء ...) إلخ هذه الجملة صفة لنبي كما هو القاعدة من أن الجمل

(١) وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهَا الذُّلُومُ وَالنَّجَاسَاتُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] والمقصود من بعضهما .

(٢) وقد اختلف في عدد الأنبياء . فقد جاء عن أبي ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله كم عدد الأنبياء ؟ قال :
« مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألفاً » قلت يا رسول الله كم الرسل منهم ؟ قال : « ثلاثمائة وثلاثة عشر جم
غفير » أخرجه ابن حبان (٢٨٧/١ . الإحسان) والحاكم في المستدرک (٥٩٧/٢) .

بعد النكرات صفات (١) ، وقد قيد الناظم هذه الجملة بقوله : « وقد خلا الدين عن التوحيد » لأنه حال من فاعل « جاء » والحال قيد (٢) في عاملها فصارت الصفة بهذا الاعتبار مخصصة للموصوف وقاصرة له على نبينا ﷺ ؛ لأنه لم يأت نبي بالتوحيد في حال خلوه الدين عن التوحيد إلا نبينا ﷺ والمراد بالجمي الإرسال ، فتفسيره به تفسير مراد ؛ لأنه تفسير بالسبب ، فإن الإرسال سبب للمعجي .

وقد أرسله الله تعالى على رأس الأربعين سنة إلى جميع المكلفين من الثقلين (٣) : أي الإنس والجن ، سميا بذلك لأنهما أثقلا الأرض ، وقيل : لثقلهما بالذنوب ، وقيل : لثقل ميزانهما بالحسنات ، وخرج بالثقلين الملائكة فإنه لم يرسل إليهم إرسال تكليف بل أرسل إليهم إرسال تشریف ، لأن طاعتهم جبلة لا يكلفون بها ، وهذا هو الذي اعتمده الرملي (٤) في شرح المنهاج وقد خالفه الشيخ ابن حجر (٥) وعبارته بعد قول المصنف : « عبده ورسوله » : « لكافة الثقلين الإنس والجن إجماعاً معلوماً من الدين بالضرورة فيكفر منكره وكذا الملائكة كما رجحة جمع محققون كالسبكي ومن تبعه وردوا على من خالف ذلك » ... إلى آخر عبارته .

[٢٦]
الثقلين :
تعريفهما
وإرساله ﷺ
إليهما

(١) نقول : الجمل بعد النكرات صفات ، وأيضاً : بعد المعارف أحوال وهي ليست على إطلاق ، فالجملة الواقعة بعد المحلى بأل الجنسية أو النكرة المخصصة تعرب حالاً أو صفة مثل : هذا زهر يشمه الناس ، حالاً يجوز إعراب جملة - يشمه الناس - صفة لزهر .

(٢) الحال قيد في عاملها ووصف لصاحبها . ومثل : جاء الرجل راكباً ، الحال راكباً قيد للمعجي ووصف للرجل .

(٣) قد ثبت عن ابن عباس ؓ بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة فمكث في مكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر بالهجرة عشر سنين ومات هو ابن ثلاث وستين . أخرجه البخاري (٣٨٥ ، ٣٩٠٢) .

(٤) هو : محمد بن أحمد بن حمزة شمس الدين الرملي ، فقيه الديار المصرية في عصره ، من تصانيفه : نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ، وغاية البيان في شرح زيد بن رسلان وكلاهما في الفقه . ولد سنة ٩١٩ هـ ، وتوفي سنة ١٠٠٤ هـ . (انظر : الأعلام ٧/٦) .

(٥) هو : أحمد بن علي بن حجر الهيتمي المصري السعدي الأنصاري شهاب الدين ، شيخ الإسلام أبو العباس كان بحراً في الفقه وإماماً يهتدى به ، ولد سنة ٩٠٩ هـ ، وتوفي سنة ٩٧٤ هـ ، من مصنفاته : تحفة المحتاج لشرح المنهاج في الفقه ، مبلغ الأرب في فضائل العرب ، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة . (انظر : الأعلام ٢٣٤/١) .

قاعدة ذهبية : إذا تعارض قولان لعالم واحد بُحِث هل هما من قبيل المحمول أو التناقض ، أما إذا كان القولان من عالين بُحِث أيهما المعتمد .

والتعبير برأس الأربعين : يفيد أنه بعث عند استكمالها من غير زيادة ولا نقص وهو الصحيح الذي عليه الجمهور ، ولكن هذا لا يتم إلا لو كانت البعثة في شهر الولادة ، مع أن المشهور أنه ولد في ربيع الأول ^(١) وبعث في رمضان ، فله حين البعث أربعون سنة ونصف سنة إن كان البعث في رمضان الواقع بعد السنة المتممة للأربعين أو تسعة وثلاثون ونصف إن كان البعث في رمضان الواقع في أثناء السنة المتممة للأربعين ، فمن قال : أربعون سنة ألغى الكسر على الأول وجبره على الثاني .

وقال بعضهم : كان ابتداء الوحي بالمنام في ربيع ومكث ستة أشهر كذلك . ومن قال كان ابتداءه في رمضان أراد مجيء جبريل بقطعة ، فرجع الخلاف لفظياً ^(٢) ولا كسر . [٢٧] والصحيح أن نبوته ﷺ ورسالته مقترنتان ، وقال ابن عبد البر ^(٣) وغيره : أرسله الله لما بلغ ثلاثاً وأربعين سنة فكانت النبوة سابقة بنزول ﴿ أَقْرَأْ ﴾ [العلق : ١] وكانت الرسالة بأمره بالإندار لما نزلت آية المدثر ، فهو في زمن فترة الوحي نبي لا رسول . وأجاب القائلون بالأول بأن آية المدثر بيان للمراد من سورة ﴿ أَقْرَأْ ﴾ لأن المعنى : اقرأ على قومك ما سنيناه لك .

وإنما كان الإرسال على رأس الأربعين ، لأن العادة المستمرة ، في معظم الأنبياء أو جميعهم كما جزم به - أي بالثاني - كثيرون منهم شيخ الإسلام في حواشي البيضاوي ^(٤) وإنما استدلوا بالعادة المستمرة ولم يستدلوا بحديث « ما نبئ نبي إلا على رأس الأربعين سنة » ^(٥)

(١) فقد جاء عن جابر وابن عباس أنهما قالوا : ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين الثامن عشر من ربيع الأول . وعزه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٢٦٠) إلى ابن أبي شبة وقال : كنا رأيته وصوباه الثاني عشر .
(٢) الخلاف اللفظي هو : ما لو اطلع كل فريق على ما قاله الآخر لقال به ، وهذا التعريف أولى من تعريفهم بأنه ما لا يترتب عليه أثر .

(٣) هو : يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي المالكي ، أبو عمر جمال الدين من كبار حفاظ الحديث مؤرخ ، أديب باحث يقال له : حافظ المغرب ، ولد سنة ٣٦٨ هـ ، وتوفي سنة ٤٦٣ هـ ، من مصنفاته التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (انظر : وفيات الأعيان ٢/٣٤٨ ، والأعلام ٨/٢٤٠) .
(٤) هو : عبد الله بن عمر بن محمد البيضاوي الشيرازي ، أبو سعيد عالم بالفقه والتفسير والعربية والمنطق والحديث ، من مصنفاته : منهاج الوصول إلى علم الأصول ، شرح المطالع في المنطق ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير .
توفي سنة ٦٨٥ هـ (انظر : طبقات السبكي ٥/٥٩ ، ومعجم المؤلفين ٦/٩٧ ، ٩٨ ، والأعلام ٤/١١٠) .

(٥) وحديث « ما نبئ نبي إلا على رأس الأربعين سنة » عده ابن الجوزي في الموضوعات ، ووافقه على عده موضوعاً غير واحد كالسخاوي في المقاصد الحسنة (ص ٣٧٣) والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٩٤) والقاري في الأسرار المرفوعة (ص ٣٠٩) ونقل عن السيوطي أنه سكت عليه .

لعد ابن الجوزي ^(١) له في الموضوعات ، وذكر العلامة الشيخ الأمير ^(٢) والعلامة الشيخ الشنواني ^(٣) أن الحق أن هذا السن غالب فقط في النبوة ، وإلا فقد نبئ عيسى ورُفِعَ إلى السماء قبله وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة ، ونبئ يحيى صبياً بناء على أن الحكم الذي أوتيهِ صبياً : النبوة . اهـ ، ولكن ذكروا في حواشي التفسير نقلاً عن المواهب أن هذا خلاف التحقيق .

وقالوا : الصحيح أن عيسى ما رُفِعَ إلا بعد مضي ثمانين سنة من النبوة وبعد نزوله من السماء يعيش أربعين سنة ، ولا يرد قوله تعالى في حق يحيى ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْخُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مرم : ١٢] لأن المراد بالحكم العلم والمعرفة لا النبوة ، ولا يرد أيضاً قوله تعالى حكاية عن عيسى : ﴿عَاشَ الْكُتُبَ وَجَعَلْنِي نَبِيًّا﴾ [مريم : ٣٠] لأنه من التعبير بالماضي عن المستقبل على حد قوله تعالى : ﴿أَفَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ [النحل : ١] أو المعنى وجعلني نبياً في علمه ، هذا ووقع في كلام سيدي على الخواص ^(٤) : أن النبي نبئ من صغره ، ولعله أراد الكمال والتهيؤ كما ذكره العلامة الأمير ، والله أعلم بالحقيقة .

[٢٨] قوله : (بالتوحيد) أي بطلبه وفيه براءة استهلال ، وهي أن يأتي المتكلم في طالعة كلامه بما يشعر بمقصوده . والتوحيد لغة : العلم بأن الشيء واحد ، وشرعاً : بمعنى الفن المدون فيما سيأتي وهو : علم يقتدر به على تعريفه

إثبات العقائد الدينية مكتسب من أدلتها اليقينية ، والمراد به هنا الشرعي لا بمعنى الفن المدون فيما سيأتي ، وهو أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ، فليس هناك ذات تشبه ذاته تعالى ، ولا تقبل ذاته الانقسام لا فعلاً ولا

(١) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج علامة عصره في الحديث ، ولد سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٥٩٧ هـ ، من مصنفاته : الأذكياء وأخبارهم ، تليس إبليس ، الناسخ والمنسوخ ، والموضوعات الكبرى في الحديث (انظر : الأعلام ٣/٣١٦) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأزهرى عالم بالعربية من فقهاء المالكية له أصول مغربية ، ولد سنة ١١٤٥ هـ ، وتوفي في القاهرة سنة ١٢٣٢ هـ ، من مصنفاته : حاشية على شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد ، حاشية على مغني اللبيب . (انظر : الأعلام ٧/٧١) .

(٣) هو : محمد بن علي بن منصور الشافعي الأزهرى ، فاضل مصري فقيه نحوي ، تولى مشيخة الأزهر ، توفي سنة ١٢٣٣ هـ ، من كتبه : حاشية على شرح اللقاني على جوهرة التوحيد ، مختصر البخاري لابن أبي حمزة . (انظر : الأعلام ٦/٢٩٧) .

(٤) على الخواص هو : شيخ الإمام عبد الوهاب الشعراني صاحب الميزان الكبرى ، ولواقح الأنوار القدسية ، توفي سنة ٩٧٥ هـ ، فشيخه من رجال القرن العاشر كان أمياً يحفظ القرآن وله اطلاع دقيق على السنة النبوية المشرفة ، جمعت له فتاوى وطبعت مرات بعنوان درة الغواص في فتاوى سيدي على الخواص .

وهما ولا فرضاً مطابقاً للواقع ، ولا تشبه صفاته الصفات ، ولا تعدد فيها من جنس واحد بأن يكون له تعالى قدرتان مثلاً ، ولا يدخل أفعاله الاشتراك ؛ إذ لا فعل لغيره سبحانه خلقاً ، وإن نسب إلى غيره كسباً .

وقيل : هو إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات ، خلافاً للمعتزلة المعطلين للذات عن الصفات الوجودية ، فإن قيل : جاء ﷺ بغير التوحيد ، فلم اقتصر الناظم على التوحيد ؟ أجيب بأنه خصه لأنه أشرف العبادات ويليها الصلاة كما في حديث أبي سعيد (١) « إن الله تعالى لم يفرض شيئاً أفضل من التوحيد والصلاة » ، ولو كان شيء أفضل منه لافترضه على ملائكته منهم راعع ومنهم ساجد (٢) .

علم التوحيد : | والحد السابق هو أحد المبادئ العشرة المنظومة في قول بعضهم :
مبادئه

إِنَّ مَبَادِي كُلِّ قَرْنٍ عَشْرَةٌ الحَدُّ والموضوع ثم الثمرة
وفضلة ونسبة والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارح
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا
فحد هذا الفن لغةً واصطلاحاً تقدم .

وموضوعه : ذات الله تعالى من حيث ما يجب له وما يستحيل وما يجوز ، وذات الرسل كذلك ، والممكن من حيث إنه يتوصل به إلى وجود صانعه ، والسمعيات من حيث اعتقادها .

وثمرته : معرفة الله بالبراهين القطعية والفوز بالسعادة الأبدية .
وفضله : أنه أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذاته تعالى وذات رسله وما يتبع ذلك ، والمتعلق بكسر اللام يشرف بشرف المتعلق بفتحها .

ونسبته : أنه أصل العلوم الدينية وما سواه فرع ، وما أحسن قول القائل :
أيها المغتدي لتطلب علماً كل علم عبد لعلم الكلام

(١) هو : الإمام المجاهد ، فقيه المدينة ، وأحد حفاظ الصحابة ، سعد بن مالك بن سنان ، من أهل بدر ، واستشهد أبوه مالك يوم أحد ، وشهد أبو سعيد الخدق وبيعة الرضوان ، له ١١٧٠ حديثاً وتوفي سنة ٦٤ هـ .

(انظر : سير أعلام النبلاء ٣٢٠/٤ ، والإصابة ٣٥/٢) .

(٢) أخرجه الديلمي في الفردوس (٦١٠) ، أخرجه السيوطي في الجامع الكبير (١٧٥/١) .

تطلب الفقه كي تصحح حكماً ثم أغفلت منزل الأحكام وواضعه: أبو الحسن الأشعري^(١) ومن تبعه ، وأبو منصور الماتريدي^(٢) ومن تبعه ، بمعنى أنهم دونوا كتبه وردوا الشبه التي أوردتها المعتزلة ، وإلا فالتوحيد جاء به كل نبي من لدن آدم إلى يوم القيامة واسمه علم التوحيد ؛ لأن مبحث الوحدانية أشهر مباحثه . ويسمى أيضاً : علم الكلام لأن المتقدمين كانوا يقولون في الترجمة عن مباحثه الكلام في كذا ، أو لأنه قد كثر الاختلاف في مسألة الكلام ، وذكر بعضهم أن له ثمانية أسماء . واستمداده : من الأدلة العقلية والنقلية .

وحكم الشارع فيه : الوجوب العيني على كل مكلف من ذكر وأنثى . ومسائله : قضاياها الباحثة عن الواجبات والجائزات والمستحيلات . وهذه المبادئ هي التي تسمى مقدمة العلم ؛ لأنها اسم لمعان يتوقف عليها الشروع في المقصود .

[٢٩] قوله (وقد خلا ...) إلخ أي والحال أنه قد خلا ... إلخ ، فالواو للحال ، وعبارته تقتضي أن ما عليه عبدة الأصنام يسمى ديناً وهو كذلك ؛ لأن الدين ما يُتَدَيَّن به ولو باطلاً فهو يطلق على الدين الحق وعلى الدين الباطل ، كما يدل له قوله تعالى : ﴿ وَنَبِّئْ عِبَادَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] وقد وقع في بعض النسخ « عرا » بدل « خلا » وفيه نظر ؛ لأنه يقال : عرا يعرفون كعلا يعلمون ، بمعنى أصاب . ومنه قول الشاعر :

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بِلِلِّه القطر

ويقال : عرى يعلم يعلم بمعنى خلا ، والمناسب هنا الثاني لا الأول ، إلا أن يوجه بأن « عرا » في كلامه بفتح الراء المقلوب عن كسرهما ، والأصل : عَرِي كعلم ، قلبت الكسرة فتحة لمناسبة الوزن فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فُلبت أُلُفاً ؛ فصار : عرا كراى ، ولذلك قال المصنف في شرحه الصغير بعد أن شرح على نسخة « خلا » ما نصه : هذه النسخة الواقعة هنا أخبرني بعض أصحابنا الموثوق بهم أنه أخذها عني كذلك ،

(١) هو : علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري . مؤسس مذهب الأشاعرة ومن أئمة المتكلمين ، ولد سنة ٢٦٠ هـ ، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤ هـ ، من مصنفاته : إمامة الصديق ، الرد على المجسمة (انظر : طبقات الشافعية ٢/٢٤٥ ، الأعلام ٤/٢٦٣) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمود أبو منصور الماتريدي إمام المتكلمين عرف بإمام الهدى ، توفي سنة ٣٣٣ هـ في بسمر . ومن مصنفاته : التوحيد ، أوهام المعتزلة . (انظر : الجواهر المضية ٢/١٣٠ ، الأعلام ٧/١٩) .

وضمن « خلا » معنى « تجرد » فعدها بعن ، ووجهنا نسخة عرا في الشرحين أي الكبير والمتوسط ، ومراده ببعض الأصحاب : الشيخ اليوسي ^(١) كما وجد في بعض الهوامش الصحيحة .

[٣٠] قوله (الدين) يطلق لغة على عدة معان منها : الطاعة والعبادة والجزاء
والحساب ، ولهم فيه اصطلاحاً تعريفاً ؛ أحدهما مختصر : وهو ما
شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام ، وسمي ديناً لأننا ندين له

وننقاد ، ويسمى أيضاً ملة من حيث إن الملك يملكه على الرسول وهو يملكه علينا ،
ويسمى شرعاً وشرعية من حيث إن الله شرعه لنا : أي بينه لنا على لسان النبي ، فالله
هو الشارع حقيقة ، والنبي شارع مجازاً .

وثانيهما مطول : وهو وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى
ما هو خير لهم بالذات فقولهم : « وضع » أي موضوع ، فهو مصدر بمعنى اسم
المفعول : أي شيء موضوع بقطع النظر عن أن يكون حكماً أو غيره لأجل الإخراجات
الآتية ، ودخل المجاز التعريف لشهرته .

وقولهم : « إلهي » أي منسوب للإله وهو الله تعالى ، وخرج به عن الوضع البشري
ظاهراً وإلا فالواضع لجميع الأشياء هو الله في الحقيقة ، وذلك نحو الرسوم السياسية أي
القوانين التي ترجع إليها سياسة العالم : كعلم إصلاح المنزل وحسن العشرة مع الأهل
والإخوان ، والأوضاع الصناعية كالنجارة والقزارة وغير ذلك ، وقد كانت الحكماء
القدماء يؤلفون كتباً في سياسة الرعية وإصلاح المدن فيحكم بها ملوك من لا شرع لهم ،
فإنه وإن كان الخالق لكل الأشياء هو الله تعالى إلا أن البشر لهم في هذه كسب .

لا يقال : يلزم على ذلك أن أحكام الفقه الاجتهادية ليست من الدين لأن البشر -
أعني المجتهدين - لهم فيها كسب وإنما منه ما ورد نصّاً لا خلاف فيه ، لأننا نقول : هي
من الدين قطعاً وهي موضوع إلهي ، غاية الأمر أنه يخفى علينا ، والمجتهدون يعانون
إظهارها والاستدلال عليها بقواعد الشرع ولا مدخل لهم في وضعها .

وقولهم : « سائق » أي باعث وحامل ؛ لأن المكلف إذا سمع ما يترتب على فعل
الواجب من الثواب أو على فعل الحرام من العقاب انساق إلى فعل الأول وترك الثاني ،

(١) هو : الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي نور الدين اليوسي ، فقيه مالكي وأديب ، لقب بصاعقة
المغرب ، ولد سنة ١٠٤٠ هـ ، وتوفي سنة ١١٠٢ هـ ، من مصنفاته : المحاضرات ، حاشية على شرح
السنوسي . (انظر : تاريخ الجبرتي ٦٨/١ ، الأعلام ٢٢٣/٢) .

هكذا قالوا .

وخرج به الوضع الإلهي غير السائق كإنبات الأرض وإمطار السماء ، وبحث في ذلك بأنه سائق لإصلاح المعاش ، فالأحسن التمثيل لغير السائق بالوضع الإلهي الذي لا اطلاع لنا عليه ، كالذي تحت الأرضين فإن ما لا نعرفه لا يسوقنا لشيء .

وقولهم : « لذوي العقول السليمة » أي لأصحاب العقول السليمة من الكفر ، والمراد سائق لهم فقط ، وخرج به ما يسوقهم وغيرهم من الحيوانات كالأوضاع الطبيعية التي يهتدي بها الحيوانات وهي الإلهامات التي تسوق الحيوانات ، لفعل منافعها كنسج العنكبوت واتخاذ النحل بيوتاً ، واجتناب مضارها كنفر الشاة من الذئب وغير ذلك .

وقولهم : « باختيارهم المحمود » خرج به الأوضاع السائقة لهم لا باختيارهم ، أو باختيارهم المذموم ، فالأولى كالألام السائقة للأنين رغماً ، وكالوجدانيات كالجوع والعطش فإنهما يسوقان إلى الأكل والشرب قهراً ، والثانية كحب الدنيا فإنه وضع إلهي يبعث ذوي العقول إلى ترك الزكاة باختيارهم المذموم ، ومتى كان الاختيار محموداً لا يسوق إلا إلى خير .

فقولهم : « إلى ما هو خير لهم » إنما ذكره توصلاً لقولهم « بالذات » فهو متعلق بخير ، وذلك الخير الذاتي عبارة عن السعادة الأبدية والقرب من رب البرية ، وخرج بذلك صنعتا الطب والفلاحة فإنهما وإن تعلقتا بوضع إلهي سائق لذوي العقول باختيارهم المحمود ، لكن لا إلى الخير الذاتي بل إلى صنف من الخير وهو حفظ صحة أبدانهم بالحكمة والعقاقير أي أجزاء الأدوية وبنحو الأغذية . وحاصل هذا التعريف مع طوله أن الدين هو الأحكام التي وضعها الله الباعثة للعباد إلى الخير الذاتي .

[٣١] علامات (فائدة) أمور الدين أربعة كما قاله النووي : أي علامات وجوده . وقد وجود الدين نظمها بعضهم فقال :

أُمُورُ الدِّينِ صِدْقُ قَصْدٍ وَفَا الْعَهْدِ وَتَرْكُ الْمُنْهْيِ كَذَا صِحَّةِ الْعَقْدِ

فصدق القصد : أداء العبادة بالنية والإخلاص ؛ ووفاء العهد الإتيان بالفرائض .

وترك المنهي : اجتناب المحرمات . وصحة العقد : جزمه بعقائد أهل السنة .

[٣٢] قوله (عن التوحيد) متعلق بـ « خلا » ، والمراد بالتوحيد هنا : التوحيد

اللغوي وهو العلم بأن الشيء واحد ، وبحمل التوحيد هنا على اللغوي وفيما مر على الشرعي اندفع الإبطاء وهو اتحاد القافيتين لفظاً ومعنى فيما دون سبعة آيات ، ورُدُّ ذلك

بأن الدين إنما عرا عن التوحيد الشرعي ، فالحق أن التوحيد في الموضعين شرعي ، ولا يرد أن في كلامه إبطاء إلا إذا كانت هذه المقدمة من مشطور الرجز .
أما إذا كانت من تامه فلا إبطاء ، لما علمت من أنه اتحاد القافيتين ، وقافية البيت لا تكون إلا آخره ، أما آخر الشطر الأول فليس بقافية .

قال شيخ الإسلام : خرج بتكرير القافية تكرير غيرها كتكرير آخر النصف الأول مع آخر البيت فليس بإبطاء ، ولو سلم أن في كلام المصنف إبطاء فهو جائز للمولدين كما هو جائز لغيرهم ، وعلى اختلاف التوحيد في الموضعين يكون في الكلام الجناس التام وهو اتفاق الكلمتين لفظاً لا معنى .

٣ - فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ لِدِينِ الْحَقِّ بِسَيِّفِهِ وَهَدْيِهِ لِلْحَقِّ [٣٣ - ٤٠]

[٣٣] قوله : (فَأَرْشَدَ الْخَلْقَ ..) إلخ معطوف على « جاء بالتوحيد » فيقتضي أن النبي ﷺ أُرشد الخلق بالسيف عقب الإرسال ؛ لأن الفاء تقتضي التعقيب مع أن الجهاد لم يشرع بغير الإرسال بل بعد الهجرة بسنة ، لأنه شُرِعَ في صفر من السنة الثانية من الهجرة كما نبه عليه الحلبي في السيرة ^(١) ، وقد يقال : التعقيب في كل شيء بحسبه . ونوقش في ذلك بأنه لا يقال ذلك إلا إذا كان المذكور لا يمكن وجوده قبل مضي المدة التي بينه وبين المعطوف عليه ، كما في « تزوج زيد فولد له » وهنا الجهاد يمكن حصوله قبل هذه المدة . وأجاب بعضهم بأن الجهاد غير ممكن قبل هذه المدة من حيث عدم الإذن فيه . قال الشهاب الملوي ^(٢) : ويمكن التعقيب الحقيقي بالنظر لقوله : « وهديه للحق » لأن الإرشاد بالهدى كان عقب الإرسال ، فلم يتأخر ﷺ عن الإرشاد لحظة ما . ومعنى الإرشاد الحقيقي : تصييرهم راشدين أي مهديين وفسروه مجازاً ^(٣) ، بالدلالة ، فإن حمل على الأول كان خاصاً بمن آمن ، وإن حمل على الثاني كان عاماً لمن آمن ولمن كفر .

[٣٤] وقوله : (الخلق) أي جميع الثقلين الإنس والجن إجمالاً ، وكذا الملائكة بناءً على أنه مرسل إليهم إرسال تكليف ، والراجح أنه مرسل إليهم إرسال تشریف كما تقدم لك تحريره ، وإن رجح بعضهم هنا خلافه . وأما إرساله إلى سائر الحيوانات فإرسال تشریف قطعاً . فإن قلت : كيف يستقيم العموم في الخلق مع أنه ﷺ لم يرشد من لم يجتمع به ، قلت : الإرشاد أعم من أن يكون بنفسه كمن اجتمع به أو بواسطة كمن جاء بعده أو كان في زمنه ولم يجتمع به . وقد قال ﷺ : « ليلغ الشاهد منكم الغائب ، فرب مبلغ

(١) انظر : السيرة الحلبية ٣٤٣/٢ ، وسيرة ابن هشام ٥٩٠/١ .

(٢) هو : أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف الملوي أحد كبار علماء الأزهر ومحققهم ، سادت تصانيفه واعتمد شروحه العلماء ودرسوها واعتنوا بها . ولد سنة ١٠٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١١٨١ هـ . من مصنفاته : شرح على متن السلم للأخضري في المنطق مشهور (ط) ، شرح على السمرقندية في الاستعارات مشهور (ط) .

(انظر : الأعلام ١٥٢/١ ، معجم المطبوعات ١٧٧٩) .

(٣) المراد بالحقيقة والجاز هنا العقليان ، لأن إسناده الشرع بمعنى التبيين لله تعالى من باب إسناد الشيء لما هو له فهو حقيقة عقلية ، وإسناده إلى النبي ﷺ من باب إسناد الشيء لغير ما هو له ، فهو مجاز عقلي لأن بيان الأحكام بالقرآن والآتي به هو الله تعالى فهو المبين حقيقة ، ولما كان القرآن منزلاً على النبي ﷺ كان طريقاً في البيان بمعنى تبيين الأحكام لكونه طريقاً فيه . أ . هـ الأجهوري .

أوعى من سامع» (١).

[٣٥] وقوله : (لدين الحق) متعلق بأرشد ، ومادة الإرشاد تتعدى باللام كما تتعدى بعلى والدلالة تتعدى بعلى ، فمن فسر الإرشاد بالدلالة فسر اللام بعلى ، ومن أبقى الإرشاد على معناه الحقيقي أبقى اللام على حقيقتها ، فإنه يقال : أرشدني لكذا . [٣٦] والمراد من الحق هنا : الله تعالى ، لأنه اسم من أسمائه تعالى ، ومعناه المتحقق وجوده دائماً وأبداً ، بحيث لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم ، ويصح أن يراد بالحق هنا ما طابقه الواقع ، وإضافة الدين للحق على الأول على معنى اللام وعلى الثاني للبيان : أي لدين هو الأحكام الحقة .

[٣٧] قوله : (بسيفه) يحتمل أن يكون متعلقاً بحال محذوفة من فاعل أرشد : أي أرشد الخلق لدين الحق في حال كونه متلبساً بسيفه أو حال كونه ملجئاً لهم بسيفه ، لأن الإرشاد والدلالة ليسا بالسيف حتى تكون الباء للتعدي بل باللسان قطعاً ، وهذا إذا جعل أرشد بمعنى دل ، أما إذا جعل بمعنى صيّرهم راشدين على أن المراد بالخلق أمة الإجابة فالباء للسببية وإضافة سيف للضمير لأدنى ملازمة ، لأن المراد بالسيف السيف الذي جاء بمشروعية مقاتلة أعداء الله به ، سواء كان بيده أو بيد من تبعه ولو إلى يوم القيامة ، والمراد بالسيف : آلة الجهاد التي يباح قتال الحريين بها ، حتى الحجارة فقد رمى ﷺ بالحجر في يوم أحد ، ففي كلام المصنف مجاز مرسل من إطلاق الخاص وإرادة العام ، فهو من باب عموم المجاز : أي المجاز العام الشامل للحقيقة والمجاز .

[٣٨] وقد كان له ﷺ سيوف متعددة : منها « المأثور » وهو أول سيف ملكه سيوف النبي ، لأنه ورثه عن أبيه ، ومنها « القضيبي » بالقاف والضاد ، ومنها « ذو اسماءوها » بفتح الفاء وكسرهما ، ومنها غير ذلك ، وقد دفع ﷺ لعكاشة (٢) جذل حطب حين انكسر سيفه يوم بدر (٣) وقال : اضرب به ، فعاد في يده سيفاً صارماً طويلاً أبيض شديد المتن فقاتل به .

[٣٩] قوله : (وهديه للحق) عطف على « سيفه » فيصير التقدير : وأرشدهم بهديه للحق ، لكن يلزم عليه تهافت ، إذ التقدير : ودلهم بدلالته ، إلا أن تجعل الباء

(١) أخرجه البخاري بهذا اللفظ كتاب الحج باب الخطبة أيام منى ١٧٦/٢ ، (١٧٤١) من حديث أبي بكر .

(٢) هو : عكاشة بن محصن بن حراث الأسدي ، صحابي من أمراء السرايا ، شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ ، قتل في حروب الردة بيزاخة سنة ١٢ هـ (انظر : حلية الأولياء ١٢/٢ ، والأعلام ٢٤٤/٤) .

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة (٦٣٧/١) عن ابن إسحاق معلقاً ، وأسند الواقدي في المغازي (٩٣/١) .

للتصوير ، فتحصل أن الباء من حيث دخولها على السيف للملابسة ^(١) أو للسببية كما تقدم بيانه ، ومن حيث دخولها على هديه للتصوير ، وبعضهم حمل الهدى على القرآن والسنة ، فقد كان ﷺ يرأسل الناس أولاً بالقرآن والدعوة للإسلام ، فإن أجابوا للإسلام فظاهر ، وإلا أعلمهم بالتهيؤ للجهاد ، وهكذا خلفاؤه وأصحابه من بعده .

[٤٠]
الحق والباطل : تعريفهما
والمراد بالحق هنا : ما طابقه الواقع إن أريد بالحق الأول الله تعالى ، أو المراد به هنا الله تعالى إن أريد به في الأول ما طابقه الواقع ، فليس في كلام المصنف إبطاء ، بل فيه الجناس التام ، وفيه ما تقدم من أنها ليست من المشطور .

واعلم أنهم فسروا الحق بأنه : الحكم الذي طابقه الواقع ، وضده الباطل ، وفسروا الصدق بأنه : الحكم الذي طابق الواقع ، وضده الكذب ، فأسندوا المطابقة في تفسير الحق إلى الواقع ، وفي تفسير الصدق إلى الحكم ^(٢) ؛ وذلك أن المطابقة وإن كانت مفاعلة من الجانبين إلا أنه لما كان الحق مأخوذاً من حق الشيء ثبت ، والثابت إنما هو الواقع ، ناسب أن تنسب المطابقة في جانب الحق إلى الواقع ، بخلافه في الصدق . واختار بعض المحققين أن الحق والصدق شيء واحد وهو مطابقة الخبر للواقع ، لأن الواقع شيء ثابت في نفسه يقاس عليه غيره ، والمراد بالواقع : علم الله تعالى ، وقيل اللوح المحفوظ ، وقيل غير ذلك .

فإن قيل : لم قدم الناظم السيف على الهدى مع أن الهدى سابق على الجهاد لأنه لم يشرع إلا بعد الهجرة كما علمته مما سبق ، ولا شك أنه ﷺ هدى قبلها .

أجيب : بأنه قدم السيف اهتماماً بالجهاد وإشارة إلى أن ما جاء به لا يظهر إلا بالجهاد خصوصاً في مبدأ دعوته ، وعلى أن الواو لا تفيد ترتيباً ^(٣) على الصحيح .

(١) المعنى على الملابسة : أرشد الخلق أي دلهم متلبساً عند ذلك بسيفه إرشاداً مصوراً يهديه ، ويرد عليه أن الواو حينئذ لا تكون لتشريك ما بعدها مع ما قبلها في الحكم ، لأن حكم ما قبلها كونه متلبساً عند الإرشاد وما بعدها ليس بهذا الحكم بل هو تصوير للإرشاد ، والمعنى على جعلها للسببية : أرشد الخلق أي صبرهم راشدين بسبب سيفه إرشاداً مصوراً يهديه ، ويرد عليه ما تقدم بعينه ، ويرد عليه أيضاً أن الإرشاد حينئذ بمعنى التصدير راشدين ، وهو بهذا المعنى لا يصور بالهدى ، فتعين حمل الهدى على القرآن والسنة ، وحينئذ تكون الباء للسببية بالنظر إلى السيف والهدى جميعاً .

(٢) قوله : « وفسروا » المذكور في علم المعاني أن صدق الخبر مطابقة حكمه للواقع ، فالصدق هو مطابقة الحكم للواقع لا الحكم المطابق للواقع . وفرق بين مطابقة الحكم والحكم المطابق ، والمناسب لهذا حمل الحق الذي أريد الفرق بينه وبين الصدق على معناه المصدري وهو المطابقة ، لأن الحق يستعمل مصدرًا ، والمحشى حمله على أنه اسم فاعل وفسره بما طابقه الواقع وهما معنيان صحيحان ، إلا أن المناسب منهما هنا الأول ليتحد مع الصدق في أن كلاً منهما مطابقة وإن كانت المطابقة في جانب الصدق تستند إلى الحكم فيقال : مطابقة حكم الخير الواقع ، والحق مطابقة الواقع للحكم . اهـ أجهوري . (٣) حيث إن الواو تفيد مطلق الجمع .

٤ - مُحَمَّدُ الْعَاقِبُ يُرْسِلُ رَبِّهٖ وَآلِهٖ وَصَحْبِهٖ وَجِزِيَهٗ [٤١ - ٤٧]

[٤١] الفرق بين
أحمد
ومحمد
قوله : (محمد) بحذف تنوينه للوزن كتسكين باء العاقب ويجوز في اللفظ الشريف أوجه الإعراب الثلاثة : الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف : أي هو محمد ، وهذا هو الأولى من جهة التعظيم ، ليكون الاسم الشريف مرفوعاً وعمدة كما أن مدلوله مرفوع الرتبة وعمدة الخلق ،

والنصب على أنه مفعول لفعل محذوف ، والتقدير : أعني محمداً أو نحو ذلك ، لكن النصب لا يساعده الرسم إلا على طريقة من يرسم المنصوب بصورة المرفوع والمجرور ، والجر على أنه بدل أو عطف بيان ^(١) ، لكن يرد على أنه بدل : أن القاعدة أن المبدل منه في نية الطرح والرمي ، فيقتضي جعله بدلاً : أن وصف النبوة في نية الطرح والرمي مع أنه مقصود ، ويجب عنه بأن القاعدة أغلبية أو أن ذلك بالنظر لعمل العامل ، ويرد على أنه عطف بيان أنه يشترط أن يكون عطف البيان موافقاً للمتبع تعريفاً وتنكيراً ، ويجب عنه بأنه جرى على رأي الزمخشري القائل بعدم اشتراط ذلك ^(٢) ، و« محمد » علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف العين : أي المكرر العين ، ولذلك كان أبلغ من محمود ، فهذا الاسم يفيد المبالغة في الحمودية كما أن « أحمد » يفيد المبالغة في الحامدية بحسب أصله لأنه كان أفعل تفضيل ، فهو ﷺ أجل من حمد وأعظم من حمد ، بالبناء للمفعول في الأول وللفاعل في الثاني ، وهذا الاسم أشرف أسمائه ﷺ . قال ابن العربي ^(٣) نقلاً عن بعضهم : إن لله تعالى ألف اسم ، وللنبي عليه أفضل

(١) الفرق بين البذل وعطف البيان : البذل مقصود ، والعطف غير مقصود ، وكل عطف بيان يصح إعرابه بدل كل من كل ولا عكس لأن البذل قد يكون ضميراً فقد لا يطابق المبدل منه ، وعطف البيان تابع جامد غالباً ليس من لفظ متبوعه ، ولكنه من معناه يوضح المتبوع المعرفة ويخصص النكرة .

(٢) ذهب الزمخشري إلى أنه لا يشترط في عطف البيان أن يكون موافقاً للمتبع تعريفاً ، وتنكيراً ، وعلى ذلك أعرب قوله تعالى : ﴿ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ عطف بيان من قوله تعالى : ﴿ إِيَّكَ يَبْتَغِي ﴾ .

قال ابن هشام : وأما قول الزمخشري إن مقام إبراهيم عطف على ﴿ إِيَّكَ يَبْتَغِي ﴾ « فهو » . ويجب عنه بأنه أطلق العطف ، وأراد البذل بجامع أن كلاً مبين فهو مجاز . انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام وعليه حاشية الدسوقي (١٣٨/٢) .

(٣) هو : محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي ، أبو بكر المالكي ، القاضي الفقيه ، ومن حفاظ الحديث ، ولد سنة ٤٦٨ هـ ، بلغ رتبة الاجتهاد ، صنف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتاريخ ، من مؤلفاته : أحكام القرآن ، عارضة الأحوذى شرح سنن الترمذي ، والعواصم من القواصم ، توفي سنة ٥٤٣ هـ .

(انظر : وفيات الأعيان ٤٨٩/١ ، والأعلام ٢٣٠/٦) .

الصلاة والسلام كذلك ، وهي توقيفية باتفاق ، وأما أسماؤه تعالى ففيها خلاف ،
 والراجح أنها توقيفية ، والفرق بينهما أنه ﷺ بشر ، وربما تسوّهل في شأنه
 فأطلق عليه مالا يليق ، فسدت الذريعة باتفاق . وأما مقام الألوهية فلا
 يتجاسر عليه ، فلذلك قيل بعدم التوقيف . والمسمى له ﷺ بهذا الاسم
 جده على الصحيح ، وقيل أمه ، وجمع بأنها أشارت عليه بتسميته محمداً بسبب ما
 رأيته من أن شخصاً يقول لها : فإذا ولدته فسميه محمداً ، فلما أخبرته بذلك سماه
 محمداً رجاء أن يُحمد في السماء والأرض ، وقد حقق الله تعالى رجاءه كما سبق في
 علمه ، والمسمى له به في الحقيقة هو الله تعالى ، لأنه أظهر اسمه قبل ولادته ﷺ في
 الكتب ، وأهلهم جده بذلك فهو بتوقيف شرعي .

[٤٢] قوله : (العاقب) نعت لمحمد وهو الذي يأتي في العقب ، وفسروه بأنه الذي
 يحشر الناس على قدمه : أي طريقه وشرعه ، ففي الحديث « أنا العاقب فلا نبي بعدي » ^(١)
 أي تبتدأ نبوته ، فلا ينافي نزول عيسى في آخر الزمان ووجود الخضر والياس الآن ^(٢) ، وإنما
 كان ﷺ هو العاقب ليكون شرعه ناسخاً لغيره من الشرائع لا العكس ، ولأنه الثمرة
 العظمى ، إذ هو المقصود من هذا العالم والثمره في الأشياء تأتي آخرها ، وأنشدوا :
 نعم ما قال سادتنا الأول أول الفكر آخر العمل
 فإن قلت : حاصل معنى العاقب أنه الخاتم للرسول وحينئذ يلزم التكرار مع قول

= فائدة : من الكتب المصنفة في أسماء الرسول ﷺ :

- ١ - الرياض الأتية في أسماء خير الخليفة للسيوطي .
- ٢ - ابن دحية له كتاب في أسماء النبي ﷺ .
- ٣ - أسماء النبي ليوسف النبهاني .
- (١) أخرجه البخاري « كتاب المناقب » باب وما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ١٢٩٢٦/٣ رقم ٣٣٣٩ ،
 ومسلم « كتاب الفضائل » باب في أسمائه ﷺ ١٨٢٨/٤ حديث رقم ٢٣٥٤/١٢٤ ، وأحمد في المسند
 ٨٠/٤ من حديث جبير بن مطعم .
- (٢) أما الخضر فقد اختلف في نسبه ، وكونه نبياً ، وفي طول عمره ، وفي بقاء حياته ، وعلى تقدير بقاءه إلى
 زمن النبي ﷺ وحياته بعده ، فهو داخل في تعريف الصحابي على أحد الأقوال .
 وأما إلياس فلا خلاف في كونه نبياً لقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْأَنْبِيَاءِ ﴾ ، وأما عن حياته فقد روى ابن
 شاهين بسند ضعيف إلى خصيف قال : قال أربعة من الأنبياء أحياء اثنان في السماء : عيسى وإدريس ، واثنان
 في الأرض : الخضر وإلياس ، فأما الخضر فإنه في البحر ، وأما صاحبه فإنه في البر . انظر : الخلاف في الخضر
 وإلياس في الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (١١٤/٢ - ١٣٧ طبعة السعادة ١٣٢٣ هـ) .

المصنف (لرسل ربه) لأن التقدير الخاتم للرسل لرسل ربه . قلت : يدفع ذلك بارتكاب التجريد (١) بأن يراد بالعاقب الخاتم فقط .

[٤٣] قوله : (لرسل) بسكون السين للوزن ، وإن جاز في غير ما هنا الضم أيضا ، فإن قيل : كما أنه ﷺ خاتم للرسل هو خاتم للأنبياء ، فلم يقتصر المصنف على الأول مع أنه لا يلزم من ختمه للرسل ختمه للأنبياء إذ لا يلزم من ختم الأخص ختم الأعم ؟ أجيب بثلاثة أجوبة :

الأول : أن المراد بالرسل الأنبياء ، فقد أطلق الخاص وأراد العام مجازًا مرسلًا .

الثاني : أن في الكلام اكتفاء (٢) ، والتقدير : لرسل ربه وأنبيائه ، على حد قوله تعالى ﴿ سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ أَحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] أي والبرد .

الثالث : ما قاله الشيخ الملووي من حمله على ما تقدم عن السعد من تساوي الرسول والنبي ؛ وإنما اختار التعبير بالرسل لأنه أمدح ، فإن الرسالة أشرف من النبوة لجمعها بين الحق والخلق ، خلافاً للعز بن عبد السلام (٣) في قوله بأن النبوة أفضل ، معللاً بأن فيها الانصراف من حضرة الخلق إلى الحق ، والرسالة فيها الانصراف من حضرة الحق إلى الخلق ، ورد بأن الرسالة فيها الجمع بينهما كما علمت .

[٤٤] قوله : (ربه) أي : خالقه أو مالكه أو نحو ذلك من معاني الرب المنظومة لفظ الرب : في قول الشيخ السجاعي (٤) : معناها

(١) قوله : « يدفع ذلك ... إلخ » أولى منه حمل العاقب على معناه اللغوي وهو الآتي في العقب ، وقوله التجريد :

هو التجريد (في علم البديع) أن تنتزع من شيء موصوف شيئاً آخر موصوفاً بقصد المبالغة في وصفه .

(٢) قوله « اكتفاء » أي أن يكتفي ببعض الجملة في قافيته تاركاً بعضها الآخر لفهوميته مثل قوله تعالى :

﴿ سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ أَحَرَّ ﴾ أي والبرد .

(٣) هو : عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم الدمشقي الشافعي ، الملقب بسلطان العلماء . أحد أئمة الفقه المجتهدين ، ولد سنة ٥٧٧هـ ، وتوفي سنة ٦٦٠هـ ، بالقاهرة من مصنفاته : قواعد الشريعة ، الإمام في

أدلة الأحكام . (انظر : طبقات الشافعية ٨٠/٥ - ١٠٧ ، والأعلام ٢١/٤) .

(٤) هو : أحمد بن أحمد بن محمد الشافعي السجاعي البدرائي الأزهري ، شهاب الدين ، فقيه مصر

شافعي ، توفي في القاهرة سنة ١١٩٧هـ . من مصنفاته : الدرر في إعراب أوائل السور ، حاشية على شرح ابن

عقيل ، شرح معلقة امرئ القيس (انظر : الأعلام ٩٣/١) .

قَرِيبٌ مُحِيطٌ وَمُدَبَّرٌ مُرَبٌّ كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْمَوْلِ لِلنَّعَمِ
وخالقنا المعبود جابر كسرنا ومصلحنا والصاحب الثابت القدم
وجامعنا والسيد احفظ فهذه معان أتت للرب فادع لمن نظم

ووقع في عبارة كثير من العلماء أنه مصدر بمعنى التربية ، وهو تبليغ الشيء شيئاً فشيئاً إلى الحد الذي أراده المربي ، أطلق عليه تعالى مبالغة : أي بدعوى أنه تعالى هو عين التربية ، ولا يخفى مافيه من البشاعة ، فالأولى أنه اسم فاعل ، فأصله « رابب » ثم خفف بحذف الألف ، وإدغام أحد المثليين في الآخر .

[٤٥] قوله : (وآله ... إلخ) أي وسلام الله مع صلاته على آله ... إلخ ، فهو معطوف على « نبي » كما هو المتعين . وأما عطفه على « محمد » فلا يخفى فساده وإن ذكره المصنف في شرحه ، لأن « محمد » بدل من « نبي » والمعطوف على البديل بدل ، ولا يصح أن يكون الآل ومن ذكر معهم بدلاً من « نبي » وفي كلامه الصلاة على غير الأنبياء والملائكة تبعاً ،

الصلاة
على غير
الأنبياء :
حكمها

وهي جائزة اتفاقاً ^(١) ، بل هي مطلوبة لقوله ﷺ : « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد » ^(٢) وللنهي عن الصلاة البتراء : وهي التي لم يذكر فيها الآل . وأما استقلالاً فقليل بأنها ممنوعة ، وقيل مكروهة ، وقيل خلاف الأولى ، والأصح الكراهة ، وألحق أبو محمد الجويني ^(٣) السلام بالصلاة بالنظر للغائب . وأما المخاطب فيخاطب بالسلام عليك أو عليكم أو نحوه . وأصل آل : أول كجمل ، بدليل تصغيره على أويل . وقيل : أصله أهل ، بدليل تصغيره على أهيل ، وإضافته للضمير في كلام المصنف جائزة خلافاً

(١) اتفقوا على جواز الصلاة على غير الأنبياء إن كانت على سبيل التبعية ، واختلفوا فيما إذا أفرد غير الأنبياء بالصلاة عليهم فقال قائلون : يجوز ذلك ، واحتجوا بقول الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ وقوله : ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وقوله : ﴿ وَصَلَّى عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ ﴾ وبخبر عبد الله بن أبي أوفى قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتاه قوم بصدقتهم قال : اللهم صل عليهم ، فأتاه أبي بصدقته ، وقال الجمهور من العلماء ، وقال : لا يجوز إفراد غير الأنبياء بالصلاة ، لأن هذا استعمار للأنبياء إذا ذكروا ، فلا يلحق بهم غيرهم ، فلا يقال : قال أبو بكر ﷺ أو قال علي ﷺ وإن كان المعنى صحيحاً كما لا يقال : محمد ﷺ ، وإن كان عزيزاً جليلاً ، لأن هذا من شعار ذكر الله ﷻ .

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦) من حديث كعب بن عُجْرة .

(٣) هو : عبد الله بن يوسف بن محمد والد إمام الحرمين ، من علماء التفسير واللغة والفقه توفي سنة ٤٣٨ هـ . من مصنفاته : التبصرة والتذكرة ، الوسائل من فروق المسائل . (انظر : الأعلام ١٤٦/٤) .

لمن منعها . قال عبد المطلب (١) :

وانصر على آل الصليـب وعابديه اليوم آلك
والآل : واعلم أن الآل له معان باعتبار المقامات ، وربما جعلت أقوالاً وليس
تعريفهم بحسن ، ففي مقام الدعاء كما هنا : كل مؤمن ولو عاصياً ، لأن العاصي
أشد احتياجاً للدعاء من غيره ، وفي مقام المدح : كل مؤمن تقي ، أخذاً مما ورد « آل
محمد كل تقي » (٢) وإن كان ضعيفاً ، وأما « أنا جد كل تقي » فلم يرد ، وفي مقام
الزكاة : بنو هاشم وبنو المطلب عندنا معاشر الشافعية ، وبنو هاشم فقط عند السادة
المالكية كالحنابلة ، وخصت الحنفية فرقا خمسة : آل علي ، وآل جعفر ، وآل عقيل ،
وآل العباس ، وآل الحارث .

[٤٦] قوله : (وصحبه) خصهم مع دخولهم في الآل بالمعنى الأعم لمزيد
الصحابي : الاهتمام ، والتحقيق أن « صحبا » ليس جمعاً لصاحب بل اسم جمع وإن
تعريفه كان له واحد من لفظه وهو صاحب ، وهو لغة : من طالت عشرتك به ،
والمراد به هنا الصحابي : وهو من اجتمع بنينا ﷺ مؤمناً به بعد البعثة في محل التعارف
بأن يكون على وجه الأرض وإن لم يره أو لم يرو عنه شيئاً أو لم يميز على الصحيح .
دخول وأما قولهم : « ومات علي الإسلام » فهو شرط لدوام الصحة لا
الأنبياء لأصلها ، فإن ارتد والعياذ بالله ومات مرتدّاً فليس بصحابي كعبد الله ابن
والملائكة خطل (٣) ، وأما من عاد إلى الإيمان كعبد الله بن أبي السرح (٤) فتعود له
فيهم الصحة لكن مجردة عن الثواب عندنا معاشر الشافعية ، واشتهر أنها لا

تعود عند المالكية ، لكن المصرح به في كتبهم التردد ، وحيث فلا مانع من الرجوع في
ذلك لمذهب الشافعية على ما كان يرتضيه بعض أشياخهم ، وفائدة عودها التسمية
والكفاءة فيسمى صحابياً ويكون كفواً لبنت الصحابي ، ويدخل في الصحابي ابن أم

(١) هو : عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الحارث زعيم قريش في الجاهلية ، وأحد سادات العرب ،
جد الرسول ﷺ وهو أول من خضب من العرب ، مات بمكة سنة ٤٥ ق . هـ (انظر الأعلام ١٥٤/٤) .
(٢) أخرجه الديلمي (١٦٩٢) عن أنس مرفوعاً ، وروي عن غيره . قال في المقاصد (ص ٥) وأسانيده ضعيفة .
(٣) عبد الله بن خطل : كان صحابياً ثم ارتد ، ثم أهدر النبي ﷺ دمه ، فقتلوه وهو معلق بأستار الكعبة قتله
أبو برزة الأسلمي ، وسعيد بن حريث الخزومي .

(٤) عبد الله بن أبي السرح : أسلم وكتب الوحي ثم ارتد وأهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح واستأذن له عثمان
ابن عفان فسكت النبي ثم عفا عنه وحسن إسلامه ومات في خلافة عثمان .

مكتوم^(١) ونحوه من العميان ، وكُنيت أمه به لكتم بصره ، واسمه عبد الله : أحد المؤذنين له ﷺ ويدخل عيسى والخضر وإلياس عليهم الصلاة والسلام ، وتدخل الملائكة الذين اجتمعوا به ﷺ في الأرض ، فعيسى عليه الصلاة والسلام آخر الصحابة من البشر الظاهرين . وأما الملائكة فباقون إلى النفخة والخضر يموت عند رفع القرآن ، وقيل بل مات . والحاصل أن الخضر وإلياس حيان على المعتمد ، ولكن إلياس رسول بنص القرآن قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الصفافات : ١٢٣] وأما الخضر فقيل : ولي ، وقيل : نبي ، وقيل : رسول وخير الأمور أوسطها .

قوله : (وحزبه) أي جماعته ﷺ والحزب : الجماعة الذين أمرهم واحد
[٤٧] تعريف الحزب في خير أو شر ، ومنه ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم : ٣٢] والظاهر أن المراد به هنا من غلبت ملازمته له ﷺ فهو خاص الخاص ، لأنهم أخص من الصحب الذين هم أخص من الآل ، ويحتمل أن يُراد به أتباعه مطلقاً سواء كانوا في عصره أم لا ، وهو أولى لما فيه من التعميم ، ولا يغني عنه الآل لتخصيص بعضهم له بالأتقياء .

(١) ابن أم مكتوم : مختلف في اسمه ، فأهل المدينة يقولون عبد الله بن قيس بن زائدة بن الأصم بن رواحة القرشي العامري . وأما أهل العراق فسموه : عمراً ، وكان ضريحاً مؤذن رسول الله ﷺ مع بلال ، وقد كان النبي ﷺ يحترمه ويستخلفه على المدينة ، فيصلبي يبقايا الناس وتوفي سنة ١٥هـ (انظر : طبقات ابن سعد ٢٠٥/٤ ، أبو نعيم في حلية الأولياء ٤/٢ ، الأعلام ٢٢٤/٣) .

٥ - وبعدُ فالعلمُ بأصل الدين مُخْتَمٌ يحتاجُ للتبيين [٤٨ - ٥٢]

[٤٨] **وبعد :** قوله : (وبعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه ونية معناه ، والتقدير : وبعد البسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي (١) ﷺ **معناها ،** وآله وصحبه وحزبه . ويحتمل أن يكون بالنصب من غير تنوين لحذف المضاف إليه ونية لفظه ، لكن المشهور على الألسنة الأول ، وهي كلمة **احكامها**

يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر أي من نوع من الكلام إلى نوع آخر ، والنوع المنتقل منه هو البسملة وما بعدها ، والمنتقل إليه هو بيان السبب الحامل على التأليف ، وأصلها الثاني «أما بعد» بدليل لزوم الفاء في حيزها غالبا ، وهذا الأصل هو السنة ، فقد كان ﷺ يأتي بها في خطبه ومراسلاته ، وصح أنه ﷺ خطب فقال : «أما بعد» (٢) والأصل الأصيل : مهما يكن من شيء بعد . ف «مهما» اسم شرط مبتدأ ، «ويكن» فعل الشرط ، وهو مضارع «كان» التامة ، وفاعله ضمير مستتر تقديره «هو» يعود على «مهما» ، و «من شيء» بيان لمهما وإن كان شأن البيان التخصيص فقد يكون مساويا إشارة إلى أن المراد الجنس بتمامه ، فحذفت «مهما» و«يكن» و«من شيء» وأقيمت «أما» مقام ذلك ، ثم إن بعضهم ينطق بذلك ويقول : «أما بعد» كما هو السنة ، وبعضهم يحذف «أما» ويأتي بدلها بالواو ، فيقول «وبعد» كما هنا ؛ فالواو نائبة النائب ، وهل الظرف من معمولات الشرط أو من معمولات الجزاء ؟ خلاف ، والراجح كونه من معمولات الجزاء ليكون المعلق عليه مطلقا ، وهو أبلغ في التحقيق ، لأن المعنى عليه : إن وجد شيء في الدنيا مطلقا (٣) .

أول من فأقول بعد .. إلخ ، ولا يرد أن الفاء لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لتوسعهم **قال أما** في الظروف .. و «بعد» ظرف زمان كثيرا ومكان قليلا ، وهي هنا **بعد** صالحة للزمان باعتبار النطق ، وللمكان باعتبار الرقم . واختلف في أول

(١) قوله : «وبعد البسملة» أي بعد مدلول جملتها وهو الإخبار بتأليف مستعانا فيه باسم الله ، وقوله : «والحمد لله» أي بعد مدلولها وهو الثناء على الله باستحقاقه الحمد ، وقوله : «والصلاة والسلام» أي الواقعين من المصنف وهما طلبه من الله صلاته وسلامه على نبيه ، وهذا الطلب معنى جملة الصلاة والسلام ، وإنما قدرنا هذا المضاف وهو قولنا «مدلول» ليطلق ما قاله أولا من أن المنوي هو معنى المضاف إليه لا لفظه .

(٢) أحاديث أنه ﷺ كان يقول في خطبته «أما بعد» متواترة وانظر المتناثر ص ٩٤ .

(٣) مطلقا : أي عن التقييد بكونه بعد البسملة وما بعدها ، وهذا الإطلاق باعتبار ظاهر اللفظ وأما باعتبار الواقع فالمعلق عليه هو وجود شيء في الدنيا مقيد بكونه بعد البسملة وما بعدها لأن الفرض أنه أتى من أول =

من نطق بها على أقوال : أقربها أنه داود ^(١) وكانت له فصل الخطاب : أي يفصل بها بين الحق والباطل ، وقيل : يفصل بها بين نوع من الكلام ونوع آخر منه .

[٤٩] قوله : (فالعلم ..) إلخ أي فأقول لك العلم ... إلخ ، لأن كون العلم بأصل الدين محتمًا أمر متحقق في نفسه وجد شيء في الدنيا أم لا ، فلا يصح جعله جواب الشرط فلا بد من تقدير القول ، فإن قلت إذا حذف

تعريفه

القول وجب حذف الفاء معه كما نص عليه الأشموني ^(٢) .

قلت : المسألة خلافية ، لأن هناك قولًا بجواز ذكر الفاء مع حذف القول كما ذكره السيوطي ^(٣) في همع الهوامع ، والفاء واقعة في جواب « أما » المقدر ، أو في جواب « الواو » النائية عنها ، والعلم إدراك الشيء بحقيقته

الجهل :

تعريفه

واقسامه

كما قاله الراغب ^(٤) ، وهو كقول شيخ الإسلام : إدراك الشيء على ما هو به ، ويطلق حقيقة عرفية على القواعد المدونة وعلى الملكة ^(٥) التي يقتدر بها على إدراكات جزئية ، والمراد هنا الأول ، بدليل الحكم عليه بالتحتم ، ومقابله الجهل ، وهو إما بسيط وإما مركب ، فالأول : عدم العلم بالشيء عما من شأنه العلم ، والثاني : إدراك الشيء على خلاف ما هو عليه في الواقع ، وإنما سمي مركبًا لاستلزامه جهلين : جهله بالشيء ،

= الأمر بالبسملة وما بعدها ، والمضارع الواقع بعد (مهما) التي هي أصل للاستقبال كما هو شأن الأفعال الواقعة بعد أدوات التعليق ، وحيث قد قوله : « وبعد » معناه مهما يكن من شيء في المستقبل فتعين أن يكون وجود الشيء مقيدًا بكونه بعد البسملة وما بعدها باعتبار الواقع .

(١) ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري : أول من قال : « أما بعد » داود النبي عليه السلام قال : وهو فصل الخطاب . أخرجه ابن عاصم في الأوائل (١٩١) والطبراني في أوائله (٤٠) وفي إسناده متروك .

(٢) هو : علي بن محمد بن نور الدين الشافعي ، من أئمة العربية ، ولد سنة ٨٣٨ هـ ، وتوفي نحو سنة ٩٠٠ هـ ، من مصنفاته : شرح ألفية ابن مالك ، ونظم المنهاج في الفقه ، ونظم جمع الجوامع ، وغيرها . (انظر : الضوء اللامع ٥/٦ ، والأعلام ١٠/٥) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد جلال الدين السيوطي الشافعي ، إمام حافظ مؤرخ أديب ، أعجوبة زمانه في التصنيف ، ولد سنة ٨٤٩ هـ ، وتوفي سنة ٩١١ هـ ، من مصنفاته : همع الهوامع - تفسير الجلالين - الإتيان في علوم القرآن - وجمع الجوامع وغيرها . انظر الأعلام ٣٠١/٣ .

(٤) هو : الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب الأصفهاني أديب ، لغوي حكيم ، مفسر من تصانيفه : مفردات في ألفاظ القرآن ، وتحقيق البيان في تأويل القرآن ، توفي سنة ٥٠٢ هـ . (انظر : معجم المؤلفين ٥٩/٤) .

(٥) الملكة : كيفية راسخة في النفس يقتدر بها على إدراك العلوم . اهـ الأجهوري .

وجعله بأنه جاهل ، وفي ذلك قيل :

جهلت وما تدري بأنك جاهل ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري

[٥٠] قوله : (بأصل الدين) أي بأصوله وقواعده ، فهو مفرد مضاف يعُمُّ ، وأفرد الأصل مع أن هذا الفن ملقب بأصول الدين لضرورة النظم ، فهو من التصرف في العلم لما ذكر . وقيل : إنه ليس إشارة للمعنى العلمي والإضافة في أصول الدين من إضافة الجزء للكل ؛ لأن الدين هو الأحكام أصلية كانت أو فرعية ، وهذا اللقب يشعر بمدح هذا الفن لا ابتناء الدين عليه ، ولما لاحظ المصنف في العلم معنى الجزم عداه بالباء .

[٥١] قوله : (محتّم) أي حتمه الشارع وأوجبه ولم يرخص في تركه ، لقوله تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] فيجب على كل حكمها مكلف من ذكر وأثنى وجوباً عينياً معرفة كل عقيدة بدليل ولو إجمالياً ،

وأما معرفتها بالدليل التفصيلي ففرض كفاية ، فيجب على أهل كل قُطر أو ناحية يشق الوصول منها إلى غيرها أن يكون فيهم من يعرفها بالدليل التفصيلي ، لأنه ربما طرأت شبهة فيدفعها ، وبعضهم أوجب الدليل التفصيلي وجوباً عينياً ، وردوه بأنهم ضيقوا رحمة الله الواسعة وجعلوا اللجنة المختصة بطائفة يسيرة ، فالحق أن الواجب وجوباً عينياً إنما هو الدليل الإجمالي وهو المعجوز عن تقريره وحل شبهه ، وأما الدليل التفصيلي فهو المقدور على تقريره ^(١) وحل شبهه ، فإذا قيل لك : ما الدليل على وجود الله تعالى ؟ فقلت : العالم ، ولم تعرف ^(٢) جهة الدلالة ، فهو دليل جُملي ، ويقال له : دليل إجمالي وكذلك إذا عرفت ^(٣) جهة الدلالة ولم تقدر على حل الشبهة الواردة عليه .

وأما إذا عرفت جهة الدلالة وقدرت على حل الشبهة فهو دليل تفصيلي ، فإذا قيل لك : ما الدليل على وجوده تعالى ؟ فقلت : هذا العالم ، وعرفت جهة الدلالة : وهي الحدوث أو الإمكان أو هما ، والثاني شرط أو شطر وقدرت على حل الشبهة فهو دليل

(١) أي ذكره على الوجه المعتبر عند المناطقة من تكرير الحد الوسط وتقديم الصغرى على الكبرى وغير ذلك مما هو مقرر في المنطق . اهـ الأجهوري .

(٢) قوله : ولم تعرف « أي معرفة مصحوبة بذكره على الوجه المعتبر عند المناطقة ، والمنفي هو قيد المعرفة وهو مصاحبته للوجه المعتبر عند المناطقة ، وأما نفس معرفة الجهة فهو أمر ثابت لا يصح نفيه ، إذ من لم يعرف الجهة لا دليل عنده أصلاً : إجمالياً ولا تفصيلياً ؛ لأن الدليل ما حصل به علم أو ظن ، ومن لم يعرف الجهة لم يحصل له بما استدل به علم ولا ظن . اهـ الأجهوري .

(٣) قوله : « إذا عرفت » أي معرفة مصحوبة بتقريره على الوجه المعتبر عند المناطقة . اهـ الأجهوري .

تفصيلي ، فتقول في تقريره على الأول : العالم حادث وكل حادث لابد له من محدث ، وعلى الثاني : العالم ممكن وكل ممكن لابد له من صانع ، وعلى الثالث والرابع : العالم حادث ممكن وكل حادث ممكن لابد له من محدث ، ويقوم مقام ذلك ما لو عرف العقائد بالكشف . وأما من حفظ العقائد بالتقليد فقد اختلف فيه ، والأصح أنه مؤمن عاص إن قدر على النظر ، وغير عاص إن لم يقدر على النظر ، وقيل : مؤمن غير عاص مطلقاً ، وقيل : إنه عاص مطلقاً ، وقيل : إنه كافر ، وجرى على القول الأخير السنوسي في شرح الكبرى وشنع على القول بكفاية التقليد ، لكن حكي عنه أنه رجع عنه إلى القول بكفاية التقليد .

قوله : (يحتاج للتبيين) غرضه بذلك بيان السبب الحامل له على وضع هذه المنظومة في أصول الدين دون غيره من العلوم ، والضمير في « يحتاج للعلم لا بمعنى الإدراك بل بمعنى الفن المدون ، ويصح أن يكون الضمير عائداً لأصل الدين : أي للفن الملقب بأصول الدين ، والتبيين : التوضيح ، وإنما احتاج هذا الفن للتبيين لأنه ^(١) لما حدثت المبتدعة ^(٢) بعد الخمسمائة

[٥٢]
علم أصول
الدين :
أسباب
وضعه

وكثر جدالهم مع علماء الإسلام وأوردوا شبهاً على ما قرره الأوائل وخلطوا تلك الشبه بكثير من القواعد الفلسفية ، قصد المتأخرون دفع تلك الشبه فاحتاجوا إلى إدراجها في كلامهم ليتمكنوا من ردها ، فما أدرجوها إلا لغرض مهم ، بحيث لا يبعد معه الوجوب ، خلافاً لمن شنع عليهم في ذلك ، وقد افرقت الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة : منهم فرقة ناجية وهي التي على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، واثنان وسبعون في النار كما في الحديث : « افرقت الأمم السابقة على اثنتين وسبعين فرقة وستفرقون ثلاثاً وسبعين فرقة منهم فرقة واحدة ناجية واثنان وسبعون في النار » ^(٣) .

(١) قوله « لأنه » علة لاحتياجه إلى التبيين باعتبار اشتغال التبيين على رد الشبه الواردة على الأدلة ، لأن المراد من التبيين هنا ذكر العقائد مع أدلتها ورد الشبه الواردة على تلك الأدلة ، وهذا التعليل منظور فيه إلى رد الشبه فقط . اهـ الأجهوري .

(٢) المراد من المبتدعة : المعتزلة ، كما أن المراد بأهل الإسلام : أهل السنة ، يؤخذ ذلك من عبارة الشيخ الأمير في حاشيته على عبد السلام . اهـ الأجهوري .

(٣) أخرجه أبو داود ٤٥٩٦ ، والترمذي ٢٦٤٠ ، وقال : حسن صحيح .

٦ - لكن من التطويل كَلَّتِ الهَمَمُ فَصَارَ فِيهِ الْاِخْتِصَارُ مُلْتَزِمٌ [٥٣-٥٥]

[٥٣] قوله : (لكن ..) إلخ ، استدراك ^(١) على قوله : « يحتاج للتبيين » لأنه يقتضي مزيد التطويل فدفع ذلك بقوله « لكن .. إلخ » فكأنه قال : هذا الفن وإن احتاج للتبيين إلا أنه لا ينبغي المبالغة معه في تطويل العبارة لأنها تؤدي إلى الملل والسآمة .

تعريف | وقوله : (من التطويل) أي من أجله وسببه ، ف « من » للتعليل ، والمراد التطويل الكامل ، فأل فيه للكمال ، فالحدود إنما هو المبالغة في التطويل . والمساواة | وأما أصل التطويل فلا يضر ، والتطويل : أداء المقصود بلفظ زائد على المتعارف لأوساط الناس الذين ليس لهم فصاحة ولا بلاغة ، وأما الاختصار : فهو أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة . والمساواة : أداء المقصود بلفظ مساوٍ للمتعرف .

[٥٤] قوله : (كَلَّتِ الهَمَمُ) أي تعبت أصحابها ^(٢) ، ففيه مجاز عقلي ^(٣) والهَمَم : جمع همة وهي لغة : القوة والعزم ، وعرفاً : حالة للنفس يتبعها غلبة انبعاث إلى نيل مقصود ^(٤) ما ، ثم إن تعلقت بمعالي الأمور فعَلِيَّةٌ وإلا فذَنِيَّةٌ ، وإذا لم تتعلق بواحد منها فليست عليّة ولا دنيّة .

[٥٥] قوله : (فصار فيه الاختصار ملتزم) هذه الفاء تفرعية على ما قبلها ، والمعنى : فصار في هذا الفن - تأليفاً وتدريساً - الاختصار ملتزماً تقريباً على المتعلمين القاصرين ، ولا يخفى أن الاختصار اسم « صار » و « ملتزم » خبرها ، لكن وقف عليه بالسكون على لغة ربيعة ، والملتزم إنما هو الاختصار غير المحل ، وإلا فهو مذموم . وقد كان الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ^(٥) يقول : جميع ما قاله المتكلمون في التوحيد قد

(١) الاستدراك هو أن تنسب لما بعد لكن حكماً مخالفاً لحكم ما قبلها ، ولذلك لابد أن يتقدمها كلام مناقض لما بعدها . انظر : مغني اللبيب لابن هشام (٣٩٦/١) .

(٢) قوله (أي تعب أصحابها) ليس غرضه أن العبارة على تقدير مضاف ، وإلا لم يكن من المجاز العقلي ، لأن المقدر كالملفوظ ، بل غرضه بيان الإسناد الحقيقي لتعلم أن الإسناد في كلام المصنف مجازي . اهـ أجهوري .

(٣) المجاز العقلي هو : إسناد الفعل لغير ما هو له لعلاقة وقرينة

(٤) مراتب القصد نظمت في بيتين هما :

مراتب القصد نخش حاجس ذكروا فخاطر فحديث النفس فاستمعنا
يليه هم فعزم كلها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعنا

(٥) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق الإسفراييني ركن الدين من أئمة الفقه والأصول ، وتوفي سنة ٤١٨هـ في نيسابور من تصانيفه : الجامع في أصول الدين ، رسالة في أصول الفقه . (انظر : وفیات الأعيان : ٤/١ ، وشذرات الذهب ٢٠٩/٣ ، والأعلام ٦١/١) .

جمعه أهل الحقيقة في كلمتين :

الأولى : اعتقاد أن كل ما تصور في الأوهام فالله بخلافه .

والثانية : اعتقاد أن ذاته تعالى ليست مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات .. اهـ
ملخصاً من حاشية الشيخ الشنواني .

٧ - وَهَذِهِ أَرْجُوزَةٌ لَقَبْتُهَا جَوْهَرَةُ التَّوْحِيدِ قَدْ هَدَيْتُهَا [٥٦ - ٦٠]

[٥٦] قوله : (وهذه) الواو للاستئناف ، والمشار إليه بهذه الألفاظ المستحضرة في الذهن باعتبار دلالتها على المعاني المخصوصة ، سواء كانت الخطبة متقدمة على التأليف أو متأخرة عنه ، وما قيل من أنه إن كانت الخطبة سابقة على التأليف فالمشار إليه الألفاظ المستحضرة في الذهن وإن كانت متأخرة عنه فالمشار إليه الألفاظ الموجودة في الخارج غير مستقيم ؛ لأن الألفاظ أعراض ^(١) تنقضي بمجرد النطق بها فلا تبقى موجودة في الخارج بل تنعدم حرفاً بعد حرف وهكذا .

وقد أبدى السيد الجرجاني ^(٢) في مسمى الكتب والتراجم بالكسر احتمالات سبعة : هل هو الألفاظ فقط ، أو المعاني فقط ، أو النقوش فقط ، أو الألفاظ والمعاني ، أو الألفاظ والنقوش ، أو المعاني والنقوش ، أو الثلاثة ؟ واختار أنه الألفاظ باعتبار دلالتها على المعاني . وهل هذا الاحتمال من السبعة أو احتمال ثامن ؟ قولان ، والأظهر أنه منهما ، غاية الأمر أنه مقيد باعتبار المعاني .

وأما ما وقع في عبارة بعضهم من أن المختار أنه المعاني المستحضرة ذهنًا : فهو خلاف المشهور ، ووجه عدم اختيار باقي الاحتمالات أن المعاني غير مستقلة لتوقفها على الألفاظ ، فلا تصح ^(٣) أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول ، فبطلت أربعة ^(٤) احتمالات ^(٥) : وهي أن المشار إليه هو المعاني وحدها ، أو مع الألفاظ ، أو مع النقوش ، أو معهما ، وأن النقوش لا تيسر من كل أحد ولا في كل وقت كتيسر الألفاظ ، فلا تصح أن تكون مدلولاً ولا جزء مدلول ، فبطلت احتمالان : وهما كون المشار إليه هـ النقوش وحدها ، أو مع الألفاظ ، فبطلت احتمالات ستة ، وتعين الاحتمال السابع (وهما سؤالان) أحدهما : أن الألفاظ المستحضرة في الذهن مجتمعة مع أن الأرجوزة

(١) النقوش والمعاني أعراض أيضًا ، فالنقوش لأنها من الألوان التي هي من الكيفيات الحسية البصرية ، والمعاني لأنها صورة ذهنية . راجع حاشية عصام على الفريدة ١٩٤/١ .

(٢) هو : علي بن محمد بن علي المعروف بالشرif الجرجاني ، فيلسوف من كبار العلماء بالعربية ، ولد سنة ٧٤٠ هـ ، وتوفي سنة ٨١٦ هـ في شيراز . من مصنفاته : - الكبرى والصغرى في المنطق ، مقاليد العلوم ، الحواشي على المطول للفتاواني (انظر : الفوائد البنية ص ٢٥ ، الأعلام ٧/٥) .

(٣) أي لا يليق بها ذلك ، المدعى أولاً هو عدم اختيارها لا بطلانها .

(٤) في الأصل : ٦ فبطل أربع [والصواب ما أثبتناه .

(٥) المراد ببطان الاحتمالات عدم لياقتها لا عدم صحتها ، لأن المدعى عدم اعتبارها كما تقدم .

اسم للمفصل بابًا بابًا ، فلم يحصل التطابق بين المبتدأ والخبر ^(١) .
 وثانيهما ^(٢) : أن المشار إليه ما في ذهن المصنف فقط فهو جزئي ، مع أن الأرجوزة
 اسم للألفاظ سواء كانت في ذهن المؤلف أو في ذهن غيره ، فهي اسم للكل لا
 للجزئي ، وقد أجاب الشيخ عبد السلام عن هذين السؤالين بتقدير مضافين حيث قال :
 ومفصل نوع هذه ، وهذا بناء على أن ما في الذهن لا يكون إلا مجملًا ، وعلى أن
 أسماء الكتب ^(٣) من قبيل علم الجنس ^(٤) ، فإن جربنا على أن الذهن كما يقوم به
 المجمل يقوم به المفصل وهو التحقيق ، وعلى أنها علم شخص فلا يحتاج لتقدير شيء ،
 وكون الأرجوزة اسمًا للمفصل وإن اشتهر ليس لازمًا ، إذ يصح أنها اسم للهيئة الجملة
 بل هو الأقرب ؛ إذ يبعد ^(٥) ملاحظتها عند الوضع مفصلة بيتًا بيتًا مثلاً ، على أنه ^(٦) لا
 يضر الاختلاف بالإجمال والتفصيل ، فلا حاجة لتقدير مفصل ، وبعد تسليم أنه يضر

(١) هذا بحسب الظاهر . وأما في الحقيقة : فالتطابق ظاهر ؛ لأن الإجمال بحسب الذهن والتفصيل بحسب
 الخارج ، والمعنى أن الألفاظ الجملة ذهناً مفصلة خارجاً وهذا لا عيب فيه .

(٢) حاصل هذا السؤال : أن المشار إليه الألفاظ التي في ذهن المصنف وهي أمر جزئي ، والأرجوزة موضوعة
 للألفاظ التي في الذهن مطلقاً لا فرق بين التي في ذهن المصنف والتي في ذهن غيره ، وبتقرير السؤال الثاني على
 هذا الوجه ظهر أنه لا يجمع السؤال الأول ، لأن السؤال الأول مشتمل على أن الأرجوزة اسم للمفصل
 خارجاً ، وقد اشتمل السؤال الثاني على أن الأرجوزة اسم للألفاظ الحاضرة ذهناً مطلقاً .. اهـ ، ثم ظهر أن معنى
 السؤال الثاني أن هذه إشارة إلى ما في ذهن المصنف وهو أمر جزئي . والأرجوزة موضوع للألفاظ الخارجية الدالة
 على المعاني الخصوصية سواء استحضرها المصنف أو غيره ، فهي كلية بالنسبة لما استحضره المصنف ، وبهذا
 التقرير لاعم السؤال الثاني السؤال الأول ، وتوافقاً في أن الأرجوزة اسم للألفاظ الخارجية . اهـ الأجهوري .
 (٣) ظاهره أن لفظ « أرجوزة » مما وقع فيه الخلاف هل هو علم جنس أو علم شخص ، والظاهر أنه اسم نكرة
 لا علمية فيه أصلاً لا جنسية ولا شخصية . الأجهوري .

(٤) الاسم ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - علم الشخص : مشخص في الخارج كزيد .

٢ - علم الجنس : يعين المسمى في الذهن وليس في الخارج كأسامة (للأسد) .

٣ - اسم الجنس : يعين الماهية .

(٥) يفهم من هذا أن قول السائل « الأرجوزة » اسم للمفصل أريد فيه المفصل ذهناً مع أن الفرض أن السؤال
 مبني على أن الذهن لا يقوم به إلا المجمل ، فالأولى عدم التعويل على هذا الكلام لئتم حمل المفصل فيما تقدم
 على المفصل خارجاً حتى يرد السؤال .

(٦) قوله : (على أنه ...) إلخ لأن الإجمال ذهني ، والتفصيل خارجي ، فكأنه قيل : هذه الألفاظ الجملة
 ذهناً مفصلة خارجاً ، وهذا لا عيب فيه كما تقدم .

الاختلاف المذكور فالأولى التقدير في الثاني بأن يقال : وهذه مجمل أرجوزة ؛ لأن التقدير في الأول كنز الخف قبل الوصول لشط النهر كما قاله الخيالي (١) .

واعلم أن استعمال اسم الإشارة في الألفاظ المستحضرة في الذهن مجاز بالاستعارة التصريحية الأصلية على الأصح لا بالكناية (٢) ، خلافاً لمن زعم ذلك وتقرير الاستعارة التصريحية أن تقول : شبهت الألفاظ المستحضرة في الذهن بمشار إليه محسوس بحاسة البصر ، بجامع أن كلاً معين ، واستعير اسم الإشارة من المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية .

قوله : (أرجوزة) أي : منظومة من بحر الرجز صغيرة الحجم أبياتها مائة وأربعة وأربعون ، بناء على أنها من كامل الرجز ، ومائتان وثمانية وثمانون تعريفها : بناء على أنها من مشطوره ، ففيه ترغيب في تعاطيها من جهة كونها نظماً ؛ لأن النظم أعذب وأحلى من النثر ، ومن جهة كونها من بحر الرجز ؛ لأنه أسهل من غيره من البحور ، ومن جهة كونها صغيرة الحجم ؛ فإن لفظ « أرجوزة » دال على القلة عرفاً .

[٥٨] قوله : (لقبته جوهرة التوحيد) أي : جعلت لها « جوهرة التوحيد » لقباً : أي اسماً مشعراً بمدحها ، وهذا الفعل أعني « لَقَّبَ » يتعدى لمفعولين ، أما المفعول الأول فبنفسه دائماً ، وأما المفعول الثاني فبنفسه تارة وبحرف الجر أخرى ، تقول : « لَقبْتُ ابني سعد الدين ، وبسعد الدين » وقد تعدى هنا إلى المفعولين بنفسه ، وفي تسميتها بهذا الاسم تأكيد للترغيب في تعاطيها من جهة كونه سماها باسم مؤذن بمدحها ، والجوهرة في الأصل : اللؤلؤة النفيسة ، فيكون المصنف قد شبه الألفاظ الدالة على المسائل النفيسة باللؤلؤة النفيسة بجامع النفاسة في كُلِّ ، واستعار الجوهرة من المشبه به للمشبه ، لكن هذا بقطع النظر عن العلمية ، وإلا فالجوهرة الآن عُلِّمَ على هذه المقدمة حقيقة . والتحقيق أن أسماء الكتب من قبيل علم الشخص ؛ لأن الموضوع له الألفاظ المشخصة وإن كانت في ذهن المصنف وفي ذهن زيد وعمرو وهكذا ، فإن تعدد الشيء بتعدد المحال تدقيق فلسفي لا تعتبره أرباب العربية ، وكذلك أسماء العلوم فهي من قبيل

(١) هو : أحمد بن موسى الخيالي ، أحد كبار أئمة الترك في المعقولات . ولد سنة ٨٢٩ هـ ، وتوفي سنة ٨٦٢ هـ ، له مصنفات منها : حاشيته المشهورة على شرح السعد على العقائد النسفية ، حواش على أوائل شرح التجريد للطوسي . (انظر : الأعلام ٢٦٢/١) .

(٢) قوله : « لا بالكناية » لإجراؤها على هذا القول أن يقال : شبهت الألفاظ الذهنية بشيء محسوس يشار له بالإشارة الحسية ، وطوى ذكر المشبه به وأثبت جزمه وهو الإشارة الحسية المدلول عليها بلفظ « هذه » للمشبه .

علم الشخص على ما اختاره بعض المحققين وإن كان المشهور خلافه ؛ لأن الموضوع له القواعد المعينة ذهناً . والفرق بين أسماء الكتب وأسماء العلوم تحكم .

<p>(فائدة) : ينبغي اجتناب تسمية الكتب المصنفة بما يضاهي القرآن والوحي ^(١) ، كقول بعضهم « كتاب الإسراء والمعارج ، أو مفاتيح الغيب ، أو الآيات البينات » لأنها مزاحمة للنبي ﷺ في الإسراء والمعراج ، ومشاركة الحق سبحانه وتعالى في علم الغيب ، نقله بعضهم عن المنزلي لسيد عبد الوهاب الشعراني ^(٢) ، لكن الراجح الجواز .</p>	<p>[٥٩] الكتب المصنفة : حكم تسميتها بما يضاهي القرآن والوحي</p>
--	---

[٦٠] قوله : (قد هذبتها) أي : صفيتها ونقحتها من الشبه والعقائد الفاسدة والحشو والتطويل ، وهذه الجملة كالتعديل لتسميتها جوهرة ؛ لأنه لا يبقى بعد التهذيب إلا الجوهر الخالص ، ومدح الإنسان كتابه مُخَرَّجٌ مَخْرَجٌ التحدث بالنعمة والنصح لمن يتعاطاه ، مع أن مدح الإنسان نفسه جائز في عدة مواضع .

(١) الوحي : ما نسب إلى الله كعلم الغيب والقرآن ، وما نسب إلى النبي ﷺ كالإسراء والمعراج ، فعطفه على القرآن من عطف العام على الخاص .

(٢) هو : عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحنفي أبو المواهب الشعراني ويقال : الشعراوي المصري الشافعي العلامة الفقيه الصوفي . ولد سنة ٨٩٨ هـ ، وتوفي سنة ٩٧٣ هـ بالقاهرة من مؤلفاته : أدب القضاة ، مشارق الأنوار . (انظر : الأعلام ١٨٠/٤) .

٨ . وَاللَّهُ أَرْجُو فِي الْقَبُولِ نَافِعًا بِهَا مُرِيدًا فِي الثَّوَابِ طَامِعًا [٦٦-٦١]

[٦١] قوله : (واللّه أرجو) أي : لا أرجو إلا الله ؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر ؛
الرجاء ؛ ولفظ الجلالة منصوب على التعظيم ، والرجاء بالمدلغة : الأمل ، وأما بالقصر
تعريفه فهو الناحية ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَالْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ﴾ [الحاقة : ١٧]

جمع «رجا» بالقصر ، وعرفاً : تعلق القلب بمرغوب فيه مع الأخذ في أسبابه ، وإلا فهو
طمع وهو مذموم ، فالأول كرجاء الجنة مع ترك المعاصي وفعل الطاعات ، وقد ذكر
الشيخ الخطيب ^(١) في التفسير حديثاً قدسياً وهو أن الله تعالى قال : « ما أقل ^(٢) حياء
من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي على من يخل علي بطاعتي ^(٣) » .

[٦٢] قوله : (في القبول) أي حصول القبول ، فهو على تقدير مضاف . ومعنى
القبول : الإثابة على العمل الصحيح ، وقيل : الرضا بالشيء مع ترك
معناه الاعتراض عليه . وإنما قلنا « مع ترك الاعتراض عليه » لأن الرضا قد يكون

مع اعتراض كما يقتضيه قول ابن مالك ^(٤) « وتقتضي الرضا بغير سخط » ^(٥) نبه على
ذلك الشيخ الملوي .

[٦٣] قوله : (نافعاً) حال من الاسم الكريم .

(١) هو : محمد بن أحمد الخطيب الشربيني ، من كبار فقهاء الشافعية في عصره ، مفسر ، له تصانيف منها :
السراج المنير في التفسير ، ومعني المحتاج شرح المنهاج في الفقه توفي سنة ٩٧٧ (انظر : شذرات الذهب ٨/٣٨٤ ،
والأعلام ٦/٦) .

(٢) قوله : (ما أقل ...) إلخ ما : نافية ، وأقل : اسمها ، وحياء : منصوب على التمييز ، ومن أن يطمع :
متعلق بأقل ، والكلام على التقدير مضاف : أي من ذي أن يطمع ، وخبر « ما » محذوف تقديره : موجوداً ،
والمعنى : ليس أقل حياء من الطامع في جنتي بغير عمل موجوداً ، وفي نسخة أخرى : حذف « أن » والإعراب
عليها : أن « ما » تعجبية ، « وأقل » فعل ماضي فيه ضمير يعود على « ما » و « حياء » مفعول به لأقل ، و « من »
مضاف إليه ، والمعنى حينئذ : يتعجب من قلة حياء من يطمع في جنتي بغير عمل . أجهوري .

(٣) الحديث لم نره مخرجاً في كتب السنة المشرفة والله أعلم .

(٤) هو : محمد بن عبد الله بن مالك الطائي أبو عبد الله جمال الدين ، أحد الأئمة في علوم العربية . توفي
بدمشق سنة ٦٧٢ هـ . من مصنفاته : الألفية في النحو والصرف ، تسهيل الفوائد . (انظر : الأعلام ٦/٢٣٣) .
والقول الذي ذكره البيجوري هو شطر بيت من ألفية ابن مالك حيث قال ابن مالك :

وتقتضي الرضا بغير سخط فائقة ألفية ابن معطي

(٥) يكون الرضا بالشيء مع سخط وبدون سخط ومثال الأول : قبولك اقتراح غيرك بسرور القلب ومثال الثاني
قبولك أو رضاك بالشيء بدون سرور القلب (إذا الرضا قسمان : الرضا مع السخط والرضا بغير سخط) .

[٦٤] وقوله : (بها) أي بالأرجوزة أو بالجوهرة ، وفي كلامه استخدام ^(١) حيث أطلق الأرجوزة أو الجوهرة أولاً وأراد اللفظ ، وأعاد الضمير عليها وأراد المعنى ، فاندفع النظر بأن النفع بمعناها لا بلفظها الذي هو الاسم المراد فيما تقدم . واستشكل جعل « نافعاً » حالاً من الاسم الكريم بأنه يقتضي أنه لو لم يحصل نفع بهذه المقدمة لا يرجو الله . وأجيب بأنه لما تقوى رجاؤه في النفع صار محققاً فكأنه موجود في سائر الأحوال ، وحيث فلا ضرر في تقييد الرجاء بالنفع . ويصح جعله حالاً من فاعل « أرجو » لكنه بعيد ، إذ فيه إساءة أدب حيث جعل نفسه نافعاً .

وعلى كل فهي حال مقدرة ، لأن النفع بها متأخر عن زمن نطق المصنف بذلك ، لاسيما إن كانت الخطبة متقدمة على التأليف .

[٦٥] وقوله : (مريداً) أي شخصاً مريداً ، فهو صفة لموصوف محذوف وذلك المحذوف مفعول لقوله « نافعاً » لأنه اسم فاعل يعمل عمل الفعل ^(٢) ، ولفظ « مريداً » وإن كان نكرة في سياق الإثبات المراد به بكل مريد ، لأن النكرة في سياق الإثبات قد تعم ، كما يدل لذلك المقام والسياق والمتعلق بـ « مريداً » محذوف : أي مريداً لها القراءة أو الحفظ أو غير ذلك .

[٦٦] وقوله : (في الثواب طامعاً) الجار والمجرور متعلق بما بعده ، قدمه عليه لضرورة النظم ، و « طامعاً » صفة لـ « مريداً » ، ويصح أن يكون حالاً من فاعل « أرجو » أي أرجو الله في القبول حال كوني طامعاً في الثواب ، والمراد بالطمع هنا : الرجاء على سبيل التجوز ، لأن من أراد هذه الأرجوة وقصد بها وجه الله تعالى كان راجياً للثواب لا طامعاً ، والثواب : مقدار من الجزاء يعلمه الله تعالى أعده لمن شاء من عباده في نظير أعمالهم الحسنة بمحض اختياره لا بالإيجاب ولا بالوجوب كما سيأتي التصريح به في قوله : « فإن يثبنا فبمحض الفضل » وفي قولنا : « لا بالإيجاب » رد على الفلاسفة القائلين بالإيجاب أي التعليل ، بمعنى أن الثواب ينشأ عن ذات الله قهراً

(١) الاستخدام : أن يكون للكلمة معنيان يطلق ويراد به المعنى أحياناً ، ويطلق ويراد به اللفظ أحياناً كما في قول القائل :

إذا نزل السماء بأرض قوم رويناه ولو كانوا غصائباً

للسماء معنيان : المطر ، والنبات ، فذكرها أولاً بمعنى المطر ثم أعاد عليها الضمير بمعنى النبات .

(٢) يعمل عمل الفعل عشرة أشياء هي : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، اسم الفعل ، المصدر ، اسم المصدر ، حرف الجر ، اسم الزمان ، واسم المكان ، وأفعل التفضيل ، والصفة المشبهة .

كحركة الخاتم ، فإنهم يقولون إنها تنشأ عن حركة الأصبع بطريق التعليل ، فإن قيل : إن الفلاسفة ^(١) ينكرون الحشر من أصله فلا يشبتون ثوابًا لا بالإيجاب ولا بغيره . أوجب بأنهم - وإن أنكروا حشر الأجسام - يقولون بحشر الأرواح ، وتثاب بالذات المعنوية . وفي قولنا : « ولا بالوجوب » ردًا على المعتزلة القائلين بوجوب الصلاح والأصلح ، وسيأتي الرد عليهم بقوله : وقولهم : « إن الصلاح واجب عليه » زور ، ما عليه واجب . وفي كلامه إشارة إلى أن العمل لله مع إدارة الثواب جائز وإن كان غيره أكمل ، فإن درجات الإخلاص ثلاث : عليا ، ووسطى ، ودنيا ، فالعليا : أن يعمل العبد لله وحده امتثالًا لأمره وقيامًا بحق عبوديته ، والوسطى : أن يعمل طلبًا للثواب وهربًا من العقاب ، والدنيا : أن يعمل لإكرام الله له في الدنيا والسلامة من آفاتهما ، وماعدا هذه الثلاثة فهو رياء وإن تفاوتت أفرادها ، ذكره شيخ الإسلام ^(٢) في الرسالة القشيرية ، وقاله غيره من العلماء أيضًا ، ويفهم من قوله : « نافعًا بها مريدًا في الثواب طامعًا » . أنه تعالى يكون نافعًا بها مريدًا طامعًا في ذات الله تعالى ، لأنه إذا نفع بها المريد الطامع في الثواب فبالأولى أن ينفع بها المريد الطامع في ذات الله .

(١) أي الفلاسفة الإسلاميين مثل ابن سينا وغيره .

(٢) هو : الإمام زين الدين أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري ، شيخ خراسان في وقته علمًا وأدبًا وزهدًا ، ولد سنة ٣٧٦ هـ ، وتوفي سنة ٤٦٥ هـ ، له مصنفات كثيرة منها : لطائف الإشارات ، والرسالة القشيرية في التصوف (انظر : طبقات الشافعية لابن السبكي ٢٤٣/٣ ، والأعلام ٥٧/٤) .

٩ - فَكُلُّ مَنْ كُتِفَ شَرْعًا وَجِبًا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا قَدْ وَجِبًا [٦٧-٧٧]

[٦٧] قوله : (فكل من كلف ...) إلخ الفاء فاء الفصيحة لأنها أفصحت عن
التكليف : شرط مقدر ، والتقدير : إذا أردت بيان علم أصول الدين فأقول لك : كل
تعريفه : من كلف .. إلخ : أي كل فرد من المكلفين من الإنس والجن ذكراً كان
أنواع : أو أنثى ولو من العوام والعبيد والنساء والخدم حتى يأجوج ومأجوج ، دون
الملائكة ولو قلنا بأنهم مكلفون ، لأن الخلاف في تكليفهم إنما هو بالنسبة
المكلفين

إلى غير معرفة الله تعالى فإنها جبلية لهم ، فليس فيهم من يجهل صفاته تعالى كما في
الإنس والجن ، ولذلك قال الله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ ﴾ ثم
قال ﴿ وَأَوَّلُوا أَلْبِيز ﴾ [آل عمران : ١٨] فلم يطلق الأمر كما أطلقه في الملائكة ، ثم إن
التكليف إلزام ما فيه كلفة وقيل : طلب ما فيه كلفة ، فعلى الأول وهو الراجح يكون
قاصراً على الوجوب والحرمة دون الندب والكراهة والإباحة إذ لا إلزام فيها ، وعلى
الثاني يشمل ماعدا الإباحة إذ لا طلب فيها ، فالإباحة ليست تكليفاً عليهما ^(١) فإن
قيل : كيف هذا مع قولهم :

الحكم الشرعي أقسامه « الأحكام الشرعية عشرة ^(٢) : خمسة وضعية وهي : خطاب الله تعالى
المتعلق بجعل الشيء سبباً ، أو شرطاً ، أو مانعاً ، أو صحيحاً ، أو فاسداً .
وخمسة تكليفية هي : الإيجاب ، والتحریم ، والندب ، والكراهة ،

والإباحة » ؟ أجيب بأن ذلك تغليب ، أو أن معنى كونها تكليفية أنها لا تتعلق إلا
بالمكلف ، كما صرحوا به في أصول الفقه من أن أفعال الصبي ونحوه كالبهائم مهملة ،
ولا يقال : إنها مباحة ، لأن المباح هو الذي لا إثم في فعله ولا في تركه ، ولا ينفي
الشيء إلا حيث صح ثبوته .

(١) صحيح أن الإباحة على كلا التعريفين ليست من الأحكام التكليفية ولكن متعلقة بالمكلف وأحكامه
التكليفية وتعلقه ذكر في ضمن الأحكام التكليفية .

(٢) فائدة : ينقسم الحكم إلى ثلاثة أقسام :

١ - شرعي وهو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين على سبيل الاقتضاء ، أو التخيير أو الوضع وهو عشرة
أقسام خمسة تكليفية وخمسة وضعية .

٢ - عادي وهو إثبات أمر لأمر ، وجوداً أو عدماً بواسطة التكرار .

٣ - عقلي وهو إثبات أمر لأمر أو نفيه وعنه من غير توقف على تكرار أو وضع واضح .

[٦٨] وشروط التكليف : البلوغ ، والعقل ، وبلوغ الدعوة ، وسلامة
التكليف شروطه ،
الحواس .

[٦٩] فالمكلف هو : البالغ العاقل ^(١) الذي بلغته الدعوة سليم الحواس ، وهذا في
تعريف المكلف
الإنس .

[٧٠] وأما الجن فهم مكلفون من أصل الخلقة فلا يتوقف تكليفهم على البلوغ ،
الكلفين :
أنواعهم :
وخرج بالبالغ : الصبي فليس مكلفاً ، فمن مات قبل البلوغ فهو ناج ولو
من أولاد الكفار ولا يعاقب على كفر ولا غيره خلافاً للحنفية حيث قالوا
بتكليف الصبي العاقل بالإيمان لوجود العقل وهو كاف عندهم ، فإن اعتقد الإيمان أو
الكفر فأمره ظاهر ، وإن لم يعتقد واحداً منهما كان من أهل النار لوجوب الإيمان عليه
بمجرد العقل .

وخرج بالعاقل المجنون فليس بمكلف ، وكذا السكران غير المتعدي ، بخلاف
المتعدي ، لكن محل ذلك إن بلغ مجنوناً أو سكران واستمر على ذلك حتى
مات ، بخلاف ما لو بلغ عاقلاً ثم جن أو سكر وكان غير مؤمن ومات كذلك
فهو غير ناج .

وخرج بالذي بلغته الدعوة من لم تبلغه ، بأن نشأ في شاطئ جبل ، فليس بمكلف
على الأصح ، خلافاً لمن قال بأنه مكلف لوجود العقل الكافي في وجوب المعرفة عندهم
وإن لم تبلغه الدعوة ، وعلى اشتراط بلوغ الدعوة فهل يكفي بلوغ دعوة أي نبي ولو
سيدنا آدم ، لأن التوحيد ليس أمراً خاصاً بهذه الأمة ، أو لا بد من بلوغ دعوة الرسول
الذي أرسل إليه ؟

(١) علاقة العقل بالبلوغ : يمكن أن نتبين عناصر العقل من التأمل للعملية الفكرية فهو يتكون من : المخ ،
والحواس ، والواقع المحسوس والمعلومات السابقة فإن اختل شيء من ذلك لم يستطع الإنسان التفكير سواء
أكان مطلقاً أو سليماً (أي التفكير) .

فإذا توافرت هذه الأربعة كان الإنسان عاقلاً . والطفل الذي تصل معلوماته السابقة القائمة في ذهنه إلى
مستوى معين يستطيع عن طريقة ربط المعلومات وأن يصل إلى مجاهيل شحي طفلاً مميزاً فهو معه قدر من
العقل يزداد بمرور الوقت .

وكمال العقل إنما يكون عند البلوغ ، لأن دخول الإنسان في التجربة الجنسية يضيف إليه معلومات جديدة
تتعلق بها الأحكام التكليفية ، وبها تتم المعلومات السابقة فيتم العقل فيكلف الإنسان .

[٧١]
 اهل الفترة
 تعريفهم
 حكمهم

والتحقيق كما نقله العلامة الملوي عن الأبي (١) في شرح مسلم خلافاً للنووي : إنه لابد من بلوغ دعوة الرسول الذي أرسل إليه ، فالمذهب الحق أن أهل الفترة - بفتح الفاء - وهم من كانوا بين أزمدة الرسل أو في زمن الرسول الذي لم يرسل إليهم ناجون وإن بدلوا وغيروا وعبدوا الأصنام .

فإن قيل : كيف هذا مع أن النبي ﷺ أخبر بأن جماعة من أهل الفترة في النار كامرئ القيس (٢) وحاتم الطائي (٣) وبعض آباء الصحابة (٤) فإن بعض الصحابة سألوه ، وهو يخطب فقال : أين أبي ؟ فقال « في النار » (٥) أجيب بأن أحاديثهم أحاديث آحاد ، وهي لا تعارض القطعي وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الأنعام : ١٥] وبأنه يجوز أن يكون تعذيب من صح تعذيبه منهم لأمر يختص به يعلمه الله تعالى ورسوله .

وخرج بسليم الحواس غيره ، ولهذا قال بعض أئمة الشافعية : لو خلق الله إنساناً أعمى أصم سقط عنه وجوب النظر والتكاليف ، وهو صحيح كما في شرح المصنف .

[٧٢]
 آباء النبي
 وأمهاته
 وحكم
 نجاتهم

(تنبيه) : إذا علمت أن أهل الفترة ناجون على الراجح علمت أن أبويه ﷺ ناجيان لكونهما من أهل الفترة ، بل جميع آباءه ﷺ وأمهاته ناجون ومحكوم بإيمانهم لم يدخلهم كفر ولا رجس ولا عيب ولا شيء مما كان عليه الجاهلية بأدلة نقلية كقوله تعالى : ﴿ وَتَقَبَّلَكَ فِي السَّجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] وقوله ﷺ : « لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام الزاكيات » (٦) وغير ذلك من الأحاديث البالغة مبلغ التواتر .

- (١) هو : محمد بن خلفه بن عمر الأبي الوشتاني المالكي عالم بالحديث . توفي سنة ٨٢٧ هـ في تونس من مؤلفاته : إكمال المعلم وشرح المدونة (انظر : الأعلام ١١٥/٦) .
- (٢) عن أبي هريرة ؓ قال : قال رسول الله ﷺ : « امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار » . أخرجه أحمد في المسند (٢٢٨/٢) والبراز (كشف الأستار رقم ٢٠٩١) .
- (٣) جاء عن عدي بن حاتم ؓ قال : قلت يا رسول الله إن أبي كان يصل الرحم ويفعل كذا وكذا . قال : إن أباك أراد أمراً فأدركه (يعني الذكر) . أخرجه أحمد (٢٥٨/٤ ، ٣٧٧) .
- (٤) عن عائشة ؓ قالت : قلت يا رسول الله : ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافع ؟ قال : لا ينفعه ، إنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين . أخرجه مسلم ٢١٤ .
- (٥) أخرجه مسلم (٢٠٣) وأبو داود (٤٧١٨) .
- (٦) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عبد الله بن عباس ، انظر : مسالك الحنفيا للسيوطي ، ضمن كتابه الحاوي في الفتاوى ٢/٢١١ .

وأما أزر : فكان عم إبراهيم ، وإنما دعاه بالأب لأن عادة العرب تدعو العم بالأب .
وأما ما نقل عن أبي حنيفة ^(١) في « الفقه الأكبر » من أن والدَيَّ المصطفى ماتا على الكفر فمدسوس عليه ، وحاشاه أن يقول في والدَيَّ المصطفى ذلك ، وغلط ملا علي قاري يغفر الله له في كلمة شنيعة قالها ، ومن العجائب ما نسب له مع ذلك من إيمان فرعون ، فالحق الذي تلقى الله عليه أن أبويه ﷺ ناجيان ، على أنه قيل إنه تعالى أحيأها حتى آمنأ به ثم أماتهما ، لحديث ورد في ذلك : وهو ما روي عن عروة ^(٢) عن عائشة ^(٣) أن رسول الله ﷺ : سأل ربه أن يحيي له أبويه فأحيأهما فأمنأ به ثم أماتهما ^(٤) .
قال السهيلي ^(٥) : والله قادر على كل شيء ، له أن يخص نبيه ، بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته اهـ .

وقد أنشد بعضهم فقال :

حبا الله النبي مزيدَ فضلٍ على فضلٍ وكان به رعوفا
فأحيى أمه وكذا أباه لإيمانٍ به فضلاً مَنيفا
فسلم فالقديم بذا قدير وإن كان الحديث به ضعيفا
ولعل هذا الحديث صح عند أهل الحقيقة بطريق الكشف ، كما أشار إليه بعضهم بقوله :

أيقنت أن أبا النبي وأمه أحيأهما الربُّ الكريم الباري
حتى له شهدا بصدق رسالة صدق فتلك كرامة المختار

(١) هو : النعمان بن ثابت أبو حنيفة الإمام المجتهد مؤسس مذهب الحنفية ، توفي سنة ١٥٠ هـ . من مصنفاته : المسند ، والفقه الواضح . (انظر : الأعلام ٣٦/٨) .

(٢) هو : عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب : الإمام ، عالم المدينة ، أبو عبد الله القرشي الأسدي ، المدني ، الفقيه أحد الفقهاء السبعة . (انظر : تهذيب الكمال ٧/١٣ ، وحلية الأولياء ١٧٦/٢) .

(٣) هي : أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق أبي بكر ﷺ ، أم المؤمنين ، زوجة النبي ﷺ وتكنى أم عبد الله الفقيهة ، وكانت تعرف أنساب العرب كأبيها وكانت أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً (انظر : الإصابة ١٣٩/٨ ، ابن سعد في طبقاته ٥٨/٨ ، أسد الغابة ٧١٨٨ ، الذهبي في الأعلام ٤٣٤/٣) .

(٤) أخرجه ابن شاهين في الناسخ والنسخ برقم ٦٥٦ ص ٤٨٩ طبعة مكتبة المنار بالأردن .

(٥) هو : عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي حافظ وعالم باللغة ، ولد في مالقة سنة ٥٠٨ هـ ، وتوفي سنة ٥٨١ هـ ، عمي بصره وهو صغير . من كتبه : الروض الأنف تفسير سورة يوسف . (انظر : الأعلام ٣١٣/٣) .

هذا الحديث ومن يقول بضعفه فهو الضعيف عن الحقيقة عاري وقد ألف الجلال السيوطي فيما يتعلق بنجاتهما مؤلفات كثيرة (١).

[٧٣] قوله : (شرعاً) الأولى أنه منصوب على التمييز ، وإن ذكر الشيخ عبد السلام أنه منصوب على نزع الخافض لأنه سماعي ، لكن أجيب عنه بأنه كثر في كلام المؤلفين حتى صار كالقياسي (٢) ، وعلى كل فهو متعلق بقوله « وجبا » وقيل : متعلق « بكلف » لكن الأظهر الأول ، لأن المقصود أن المعرفة وجبت بالشرع لا بالعقل ، وليس المقصود تقييد التكليف بالشرع ، وهذا مذهب الأشاعرة وجمع من غيرهم ، فمعرفة الله وجبت عندهم بالشرع ، وكذلك سائر الأحكام إذ لا حكم قبل الشرع لا أصلياً ولا فرعياً .

العقل عند المعتزلة ذهبت المعتزلة إلى أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل ، ولذلك قال في جمع الجوامع : وحكمت المعتزلة العقل : أي جعلته حاكماً أي مدرّكاً للأحكام وإن لم يرد بها الشرع ، ويقولون : إن الشرع جاء مقوياً ومؤكداً للعقل فلا ينفون الشرع أصلاً وإلا كفروا قطعاً ، وينون كلامهم على التحسين والتقبيح (٣) العقلين ، فالحسن عندهم ما حسنه العقل والقبيح ما قبحه العقل ، فإذا أدرك أن هذا الفعل حسن بحيث يذم على تركه ويمدح على فعله حكم بوجوبه وهكذا .

- (١) من هذه المؤلفات : مسالك الحنفا في والدي المصطفى ، بدأه بقوله : الحكم في أبي النبي ﷺ أنهما ناجيان وليس في النار صرح بذلك جمع من العلماء ، والرسالة برمتها في كتاب الحارثي للفتاوى (٢٥٣/٢ - ٤٠٤) . تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثالثة (١٣٧٨ هـ - ١٩٥٩ م) .
- (٢) ذكر البيجوري هنا إعرابين لكلمة « شرعاً » ، والواقع أن في إعراب « شرعاً » ، ولغةً ، واصطلاحاً ، ونحوهما خمسة أوجه هي :
- أ - أن يكون على نزع الخافض .
- ب - أن يكون تمييزاً .
- ج - أن يكون مفعولاً مطلقاً .
- د - أن يكون مفعولاً لأجله .
- هـ - أن يكون حالاً .

- انظر : المسألة الثانية من كتاب توجيه بعض التراكمات المشكلة لابن هشام الأنصاري تحقيق د . عبد الله الحسيني هلال ، الطبعة الأولى ، مطبعة السعادة . (١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م) .
- (٣) للحسن والتقبيح ثلاثة تعريفات :
- ١ - الحسن : ما يلائم الطبع (كالحسن والجمال) .
- ٢ - الحسن : ما يمدح فاعله ، والتقبيح ما يذم فاعله (الكرم - حسن والعدل - حسن) .
- ٣ - إن الحسن : ما يترتب عليه الثواب في الآخرة والمدح في الدنيا ، والتقبيح ما يترتب عليه العقاب في الآخرة والذم في الدنيا .

[٧٤]
الحسن
والقبيح
عند أهل
السنة

وأما عند أهل السنة فالحسن ما حسنه الشرع والقبيح ما قبحه الشرع ومذهب الماتريدية كما نقله المصنف في شرحه عنهم أن وجوب المعرفة بالعقل بمعنى أنه لو لم يرد به الشرع لأدركه العقل استقلالاً لوضوحه لا بناء على التحسين العقلي كما قالت المعتزلة . والحق أن العقل لا يستقل بشيء أصلاً فتلخص أن المذاهب ثلاثة :

الأحكام
الشرعية :
مذاهب
العلماء في
سبيل ثبوتها

مذهب الأشاعرة : وهو أن الأحكام كلها ثبتت بالشرع لكن بشرط العقل .
والثاني : مذهب الماتريدية : وهو أن وجوب المعرفة ثبت بالعقل دون سائر الأحكام . والثالث : مذهب المعتزلة : وهو أن الأحكام كلها ثبتت بالعقل .
وقد علمت الفرق بين قول الماتريدية بوجوب المعرفة بالعقل وقول المعتزلة بثبوت الأحكام بالعقل فاحرص عليه .

[٧٥] قوله : (وجبا عليه ..) إلخ هذه الجملة خبر المبتدأ الذي هو « كل من كلف » و « عليه » متعلق بـ « وجبا » والألف فيه للإطلاق .

[٧٦] وقوله : « أن يعرف » أي معرفة « أن » والفعل في تأويل مصدر هو فاعل « وجب » ، والمعرفة والعلم مترادفان ^(١) على معنى واحد على التحقيق ، وهذا المعنى الواحد هو الجزم المطابق للواقع عن دليل ، فخرج بالجزم : الظن والشك والوهم ، وبالمطابق غير المطابق كجزم النصارى بالتثليث ، وبما بعده التقليد فليس كل منها معرفة ، والمتنصف بشيء من الأربعة الأول في شيء من العقائد الآتية كافر اتفاقاً ، وأما المتنصف بالتقليد فسيأتي ذكر الخلاف فيه .

[٧٧] قوله : (ما قد وجبا لله) أي جميع ما وجب لله ^(٢) ، لأن « ما » من صيغ العموم ، لكن ما قامت الأدلة العقلية عليه أو النقلية تفصيلاً وهو العشرون الآتية يجب على المكلف أن يعرفه كذلك : أعني تفصيلاً ، وما قامت الأدلة العقلية أو النقلية عليه إجمالاً وهو سائر الكمالات يجب على المكلف أن يعرفه كذلك أعني إجمالاً ، وكذا يقال في المستحيل .

(١) الفرق بين العلم والمعرفة ، أن المعرفة تستدعي سبق الجهل ، ولهذا يقال : إن الله عالم ولا يقال عارف ، والصحيح أنه يمكن أن يقال : عارف لأن المعرفة والعلم مترادفان على معنى واحد طُلِيَ التحقيق ، وإنما لا يقال « عارف » لأن أسماء الله توقيفية .

(٢) عرفوا الواجب : ما لا يتصور في العقل عدمه ، أي لا يحكم العقل بعدمه . (انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد ١٠٢ ، تحقيق د . عبد الفتاح البزم طبعة دار ابن كثير بدمشق الطبعة الأولى ١٤١٨ - ١٩٩٧) .

وفي البيت التضمنين المتقدم والألف في « وجبا » للإطلاق فلا إبطاء في كلامه وإن قلنا : إن هذه المقدمة من مشطور الرجز كما تقدم في نظيره بأن الوجوب الأول بالشرع والثاني بالعقل غالباً . وإنما قلنا « غالباً » لأن الصفات على ثلاثة أقسام :

<p>القسم الأول : مالا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل العقلي ^(١) وهو ما توقفت عليه المعجزة من الصفات كوجوده تعالى ، وقدمه ، وبقائه ، وقيامه ، بنفسه ، ومخالفته للحوادث ، وقدرته ، وإرادته ، وعلمه ، وحياته ^(٢) .</p>	<p>صفات الله تعالى : أقسامها</p>
---	----------------------------------

القسم الثاني : مالا يصح الاستدلال عليه إلا بالدليل السمعي : وهو كل مالا تتوقف المعجزة عليه من الصفات : كالسمع ، والبصر ، والكلام .

القسم الثالث : ما اختلف فيه : وهو الوجدانية ، والأصح أن دليلها عقلي . وإنما قدم الواجب لشرفه ، وآخر المستحيل لانحطاطه لأنه يرجع للسلب ، والثبوت أشرف منه ، ووسط الجائز ، لأن فيه شائبة الثبوت وشائبة السلب ، وقد عرّفوا الواجب في هذا الفن بأنه مالا يتصور في العقل عدمه بيناء الفعل للفاعل : أي مالا يمكن بسبب العقل عدمه ^(٣) أو للمفعول : أي مالا تدرك النفس بسبب العقل عدمه ، لكن يرد على هذا أن النفس قد تدرك عدم الواجب ، لأن المحال قد يتصور أي يدرك . ويجاب بأن المراد بالتصور هنا التصديق ، والمعنى حينئذ : مالا تصدق النفس بسبب العقل بعدمه ، وعلم من هذا أن العقل آلة في الإدراك ، والمدرّك إنما هو النفس . والأولى عدم ربط الواجب بالعقل ، فيقال :

(١) قوله : « بالدليل العقلي » لأننا لو قلنا بالدليل النقلي لوجب من قولنا ثبوت الرسالة بالرسالة ، والرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة ، والذي لا يؤمن بالرسالة لا يقبل الاستدلال بالنقل (الكتاب والسنة) . إذن علينا أن نثبت أولاً وجوب وجود واجب الوجود وصفاته الواجبة بالعقل وإن أصبح العقل أهلاً لقبول هذا يكون صالحاً لقبول ما جاء به الرسل من أحكام وأوامر .

(٢) وجه ذلك أننا لو استدللنا على القسم الأول بالدليل النقلي لصارت تلك الصفات المستدل عليها متوقفة على الدليل النقلي ، والدليل النقلي متوقف على ثبوت الرسالة ، وثبوت الرسالة متوقف على المعجزة والفرض أن المعجزة متوقفة على هذه الصفات فلزم من الاستدلال بالدليل النقلي توقف الصفات على المعجزة المتوقفة على تلك الصفات ، وهذا دور ، ويرد عليه أن الجهة منفكة ، لأن توقف الصفات على المعجزة توقف علم ، بمعنى أن الصفات لا تعلم إلا من الأدلة النقلية الموقوفة على ثبوت الرسالة الموقوف على المعجزة ، وتوقف المعجزة على الصفات توقف وجود ، بمعنى أن المعجزة لا توجد إلا من اتصف بتلك الصفات ، ومتى انفكت الجهة فلا دور ، يؤخذ ذلك كله من حاشية الشيخ الأمير علي عبد السلام .

(٣) أي جواز عدمه ، فالمنفي إدراكه بالعقل هو جواز عدم لا نفس العدم ، وإلا لاقضى التعريف أن كل ما قطع بوجوده كان واجباً ولو من الجائزات .

الواجب هو مالا يقبل الانتفاء ، لأن الواجب واجب في نفسه وجد عقل أو لم يوجد .
الواجب : | والواجب قسمان : ضروري كتحيز الجرم : أي أخذه قدرًا من الحيز وهو
اقسامه | المكان ، فإنه مادام الجرم موجودًا يجب أن يتحيز فهو واجب مقيد بدوام
الجرم ونظري كصفاته تعالى .

١٠ - لله وَالْجَائِزُ وَ الْمُتَمَتِّعَا وَمِثْلُ ذَا لِرِشْلِهِ فَاسْتَمِعَا [٧٨ - ٨١]

قوله : (والجائز) ^(١) أي في حقه سبحانه وتعالى عقلاً وهو معطوف على قوله : « ما قد وجبا » وقد عرفوه بأنه : ما يصح في العقل وجوده تارة وعدمه أخرى : إما ضرورة كحركة الجرم أو سكونه ، أو نظراً كتعذيب المطيع ولو معصوماً ، لكن لا ينبغي التمشدق في حق الأنبياء بل بقدر ضرورة التعليم ، وإثابة العاصي ولو كافراً ، لأن الكلام في الإمكان العقلي فلا ينافي أن ذلك ممتنع شرعاً ، وعلم من ذلك أن الجائز قسمان : ضروري ونظري .

[٧٨] الجائز :
تعريفه :
أقسامه :

قوله : (والمتمتع) أي المستحيل في حقه تعالى ، وعرفوه بأنه : ما لا يتصور في العقل وجوده بيناء الفعل للفعل أو للمفعول كما تقدم في تعريف الواجب ، وهو قسمان : ضروري كخلو الجرم عن الحركة والسكون معاً ، ونظري كالشريك له تعالى ، فتلخص أن كل واحد من هذه الأقسام الثلاثة ينقسم قسمين : ضروري ونظري ؛ فالجميع ستة ، وقد مر تمثيلها .

[٧٩] المستحيل :
تعريفه :
أقسامه :

قال بعضهم : ويمكن تمثيل الأقسام الثلاثة بحركة الجرم وسكونه ، فالواجب أحدهما ، لا بعينه والمستحيل خلوه عنهما جميعاً ، والجائز ثبوت أحدهما معينا بدلا عن الآخر ، وينبغي الاعتناء بهذه الأحكام ، لأن إمام الحرمين ^(٢) يقول بأن معرفتها هي العقل ^(٣) ،

(١) إيضاح هذا أن الجائز المقابل للواجب والمستحيل له جوازان : جواز في نفسه وهو صلاحية في نفسه أي بقطع النظر عنه تعالى للوجود والعدم ، وجواز في حقه تعالى وهو كونه في قبضته سبحانه وتعالى ، بمعنى أنه في حال عدمه إن شاء الله أبقاه على عدمه وإن شاء أوجده ، وفي حال وجوده إن شاء أعدمه وإن شاء أبقاه على وجوده ، والواجب على المكلف اعتقاد الجواز الثاني بأن يعتقد أن كل ما هو جائز في نفسه فهو جائز في حقه تعالى ، وقد علمت المغايرة بين جوازه في نفسه وجوازه في حقه فلا ركابة في قولنا « الجائز في حقه تعالى كل ممكن » لأن المراد منه أن كل ما أمكن في نفسه : أي صلح نفسه للوجود والعدم كان جائزاً في حقه تعالى ، بمعنى أنه في قبضته .

(٢) هو : عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني أبو المعالي ركن الدين . كان أعلم أهل زمانه بالكلام والأصول والفقه توفي سنة ٤٧٨ هـ ، ومن مصنفاته : البرهان في أصول الفقه ، نهاية المطلب في دراية المذهب ، مغيث الخلق . (انظر : وفيات الأعيان ٢٨٧/١ ، والأعلام ١٦٠/٤) .

(٣) المراد بالمعرفة التي جعلها إمام الحرمين نفس العقل : تصور المفاهيم الثلاثة ، بأن يتصور أن الواجب ما لا يقبل العدم ، وأن الجائز ما يصح وجوده وعدمه . وقيل : المراد بتلك المعرفة : التصديق ببعض الضروريات من الأقسام الثلاثة كأن يصدق بأن الواحد نصف الاثنين ، وبأن النار حارة ، وأم النقيضين لا يجتمعان ، فكون الواحد نصف الاثنين واجب ضرورة ، وثبوت الحرارة للنار جائز ضرورة ، واجتماع النقيضين مستحيل ضرورة ، فالتصديق بذلك وما شابهه هو العقل بناء على هذا القول يؤخذ ذلك من حاشية الشرقاوي على الهددي .

بناء على أنه العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات .

[٨٠] قوله : (ومثل ذا لرسله) يجوز قراءة « مثل » بالرفع ، فتكون الجملة مستأنفة ، أي مبتدأ وخبر ، والتقدير : مثل ذا كائن لرسله ، ويجوز قراءته بالنصب عطفاً على « ما قد وجبا » وما بعده ، والتقدير : ووجب عليه أن يعرف مثل ذلك لرسله ، وإفراد اسم الإشارة مع عوده لمتعدد نظراً لتأويله بالمذكور الذي هو الواجب والمستحيل والجائز ، وأشار المصنف بلفظ « مثل » إلى أن الواجب في حقهم الصلوة والسلام والمستحيل والجائز ، ليست هي عين الواجب في حقه تعالى والمستحيل والجائز ، فالمراد المثلية في مطلق واجب وجائز ومستحيل وإن اختلفت الأفراد والأدلة ، وإنما خص الرسل لأن بعض ما يأتي كالتبليغ خاص بهم دون الأنبياء .

[٨١] وقوله : (فاستمعاً) بقلب نون التوكيد الخفية ألفاً في الوقف كما قال ابن

مالك :

وأبدلناها بعد فتح ألفا وقفاً كما تقول في قفاً قفاً
أي : فاستمعن ما ألقى إليك من الأمور التي معرفتها ترفعك عن الجهل والتقليد
استماع تدبر وتفهم فهو وإن كان تكملة مفيد لما تقدم .

١١ - إذ كُلُّ مَنْ قَلَّدَ فِي التَّوْحِيدِ إِيْمَانُهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ تَرْدِيدٍ [٨٢ - ٨٤]

[٨٢] قوله : (إذ كل من قلد ..) إلخ هذا تعليل ^(١) لوجوب المعرفة السابقة **التقليد** فكأنه قال : وإنما وجب على المكلف معرفة ما ذكر لأن كل من قلد .. إلخ ، فإذا للتعليل ، والتقليد هو : الأخذ بقول الغير من غير أن يعرف دليله ، والمراد بالأخذ : الاعتقاد : أي اعتقاد مضمون قول الغير ، والمراد بالقول : ما يشمل الفعل والتقرير أيضًا ، وخرج بقولنا « من غير أن يعرف دليله » التلامذة بعد أن يرشدهم الأشياخ للأدلة ، فهم عارفون لا مقلدون ، وضرب لهم الشيخ السنوسي مثلاً للفرق بينهم وبين المقلدين بجماعة نظروا للهلل فسبق بعضهم لرؤيته فأخبرهم به ، فإن صدقوه من غير معانية كانوا مقلدين ، وإن أرشدهم بالعلامة حتى عاينوه لم يكونوا مقلدين .

[٨٣] وقوله : (في التوحيد) أي في علم العقائد ولو تعلقت بالرسل ، فليس المراد بالتوحيد إثبات الوحدة بخصوصه .

[٨٤] قوله : (إيمانه لم يخل من ترديد) هذه الجملة خبر عن المبتدأ الذي هو « كل من قلد .. إلخ » والمراد بإيمانه : جزمه بأحكام التوحيد من غير دليل ، وليس المراد به المعرفة ، إذ لا معرفة عند المقلد ، كذا يفيد كلام الشارح ، ولعله مبني على أن الإيمان هو المعرفة وهو ضعيف ، والراجح أنه التصديق وهو غير الجزم ، لأن مرجعه الكلام النفساني وهو قول النفس : آمنت وصدقت ، فالأولى أن المراد بإيمان المقلد : تصديقه التابع للجزم لا نفس الجزم ، والمراد من الترديد : التردد والتحير ، من قولك : « تردد زيد » أي تحير . واستشكل بأن العبارة تقتضي أن الجزم يجامع التردد ، مع أنه متى كان جازماً لا يكون متردداً أصلاً ، فكيف يقول : (إيمانه لم يخل من ترديد) ، وأجيب عن ذلك بأن كلامه على حذف مضاف ، والتقدير : لم يخل عن قبول ترديد ، أو المعنى : أنه مصحوب بالترديد بالقوة لا بالفعل ، ولا يرد أن العارف لا يخلو أيضاً عن قبول الترديد ، أو لم يخل عن الترديد بالقوة لجواز أن تطمس عين معرفته والعياذ بالله تعالى ، لأن المراد بالقبول والقوة : القرينان من الفعل عادة ولا يضر غيرهما ، ويمكن أن يحمل الترديد على اختلاف العلماء فيه ، مما يأتي كالتفسير لهذا الجمل فهو من ذكر المفصل بعد الجمل .

(١) أي باعتبار ما تضمنه من وجوب الدليل ، لأن وجوب المعرفة يتضمن وجوب أمور ثلاثة : الجزم ، وكونه مطابقاً للواقع ، وكونه ناشئاً عن الدليل ، وهذه علة للثالث وهو كونه ناشئاً عن الدليل .

١٢ - فَفِيهِ بَعْضُ الْقَوْمِ يَخْكِي الْخُلْفَا وَبَعْضُهُمْ حَقَّقَ فِيهِ الْكُشْفَا [٨٥ - ٩٠]

[٨٥] قوله : (ففيه بعض القوم يحكي الخلفا) أي فبسبب تحيره وتردده اختلف العلماء في إيمانه صحة وعدما ، فالقاء سببية والضمير لإيمان المقلد من حيث الصحة وعدمها ، والخلف بضم الخاء وسكون اللام : بمعنى الخلاف ، لا بمعنى خلف الوعد وإن تعورف فيه . وحاصل الخلاف فيه أقوال ستة :

الأول : عدم الاكتفاء بالتقليد بمعنى عدم صحة التقليد ، فيكون المقلد كافرا ، وعليه السنوسي في الكبرى .

الثاني : الاكتفاء بالتقليد مع العصيان مطلقا ، أى سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا .

الثالث : الاكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهلية للنظر وإلا فلا عصيان .

الرابع : أن من قلد ^(١) القرآن والسنة القطعية صح إيمانه لاتباعه القطعي ، ومن قلد غير ذلك لم يصح إيمانه لعدم أمن الخطأ على غير المعصوم .

الخامس : الاكتفاء به من غير عصيان مطلقا ، لأن النظر شرط كمال ، فمن كان فيه أهلية النظر ، ولم ينظر فقد ترك الأولى .

السادس : أن إيمان المقلد صحيح ويحرم عليه النظر ، وهو محمول على المخلوط بالفلسفة .

وما أحسن قول بعضهم ^(٢) :

عاب الكلام أناس لا خلاق لهم وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضر شمس الضحى في الأفق طالعة أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

والقول الحق الذي عليه المعول من هذه الأقوال : القول الثالث ، والصواب أن هذا الخلاف مطلق : أي جار في النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ، دون غيره كالنظر الموصل لمعرفة الرسل ، خلافا لمن خص الخلاف بالنظر غير الموصل لمعرفة الله تعالى ، وقال : أما النظر الموصل لمعرفة الله تعالى فهو واجب بالإجماع ، وقد جرى على ذلك الشيخ عبد

(١) « إن من قلد .. إلخ » أي فيما توقف على الدليل العقلي : وهو ما تتوقف عليه المعجزة ، وذلك ماعدا السمع والبصر والكلام ولوازمهما ؛ لأنه حينئذ في حكم المقلد لأخذه بالنقلي وتركه الدليل العقلي .

(٢) « وما أحسن قول .. إلخ » مرتبط بقوله : « المخلوط بالفلسفة » فإن خلط الدليل بالفلسفة يوهم أنه صار معينا بذلك ، فدفع ذلك الإيهام بقوله : « وما أحسن ... إلخ » .

السلام ، والراجع أنه لا فرق في هذا الخلاف بين أهل الأمصار والقرى وبين من نشأ في شاطئ جبل ، خلافاً لمن خصه بمن نشأ في شاطئ جبل دون أهل الأمصار والقرى . وقد جرى على ذلك الشيخ عبد السلام أيضاً .

[٨٦] قال اليوسي : وقد تحدثت امرأتان بمحضري في زمن صغري وذكرنا الذنوب ، فقالت إحدهما : الله يغفر لنا ، فقالت الأخرى : يغفر لنا إن وفقه الله الذي خلقه هو أيضاً اهـ ، ومثل ذلك كثير في الناس ، فمنهم من يعتقد أن الصحابة أنبياء وهذا كفر ، ومنهم ينكر البعث ويقول : من مات ثم جاء وأخبر بذلك ، إلى غير ذلك من الكفر الصريح . [٨٧] وحكى الآمدي ^(١) اتفاق الأصحاب على انتفاء كفر المقلد ، وأنه لا يعرف القول بعدم صحة إيمانه إلا لأبي هاشم الجبائي ^(٢) من المعتزلة .

[٨٨] وذكر ابن حجر عن بعضهم أنه أنكر وجوب المعرفة أصلاً وقال : إنها حاصلة بأصل الفطرة ^(٣) ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم : ٣٠] ويقول عليه السلام : « كل مولد يولد على الفطرة » ^(٤) .

[٨٩] ولذلك قال أبو منصور الماتريدي : أجمع أصحابنا على أن العوام مؤمنون عارفون بربهم وأنهم حشو الجنة ، كما جاءت به الأخبار وانعقد به الإجماع ، فإن فطرتهم مجبلة على توحيد الصانع وقدمه وحدث ما سواه وإن عجزوا عن التعبير عنه باصطلاح المتكلمين ، والله أعلم .

[٩٠] قوله : (وبعضهم حقق فيه الكشف) أي وبعض القوم كالتاج السبكي ^(٥)

(١) هو : علي بن محمد بن سالم أبو الحسن سيف الدين أصولي باحث ، ولد سنة ٥٥١ هـ ، وتوفي في دمشق سنة ٦٣١ هـ ، من مؤلفاته الإحكام في أصول الأحكام ، ولباب الألباب . (انظر : وفيات الأعيان ١/٣٢٩ ، الأعلام ٤/٣٣٢) .

(٢) هو : عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب شيخ المعتزلة وإليه تنسب الطائفة الهاشمية من المعتزلة . توفي سنة ٣٢١ هـ من مصنفاته : تذكرة العالم ، والعدة ، والشامل (انظر : الأعلام ٧/٤) .

(٣) الفطرة أصل الحلقة وهي مبنية على الاختيار بين النجدين الخير والشر من غير ميل لأحدهما ولكن إذا صار في الخير أو الشر تعس قالوا : ١ - صفحة بيضاء ٢ - الميل للخير ٣ - الميل للشر والواقع بخلافه .

(٤) أخرجه البخاري (١٣٨٥) واللفظ له وأخرجه أيضاً مسلم (٢٦٥٨) ، من حديث أبي هريرة .

(٥) هو : عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري الشافعي السبكي ، أبو نصر ، تاج الدين ، فقيه ، أصولي ، مؤرخ ، أديب ، ناظم ، ولد بالقاهرة ٧٢٧ ، وقدم دمشق مع والده ، لزم الذهبي ، وتخرج به وولي بها القضاء ، ودرس في أغلب مدارسها وتوفي بها في سنة ٧٧١ ، من تصانيفه : طبقات الشافعية الكبرى ، وجمع الجوامع في أصول الفقه ، والأشياء والنظائر . (انظر : الدرر الكامنة لابن حجر ٢/٤٢٥ ، شذرات الذهب ٦/٢٢١ ، والأعلام ٤/١٨٤) .

حقق في إيمان المقلد البيان عن حاله بما يصير به الخلاف في الاكتفاء بالتقليد وعدم الاكتفاء به لفظيًا^(١) ، والتحقيق يطلق على ذكر الشيء^(٢) على الوجه الحق ، وعلى إثبات الشيء بدليل ، والأول هو المراد هنا .

(١) قوله : (بما يصير به الخلاف لفظيا .. إلخ) علم منه أن الخلاف الذي صار بهذا التحقيق لفظيا هو الخلاف الواقع بين من قال بإيمانه من كون المقلد مؤمنا عاصيا مطلقا أو غير عاص مطلقا أو فيه التفصيل ، فهو معنوي عند البعض الثاني كما هو معنوي عند الأول .

(٢) التحقيق : أن يذكر الشيء ومعه دليل ذكر الشيء بدليل .

التدقيق : أن يذكر الشيء بدليل من جهة أخرى بدليل آخر ، مثل قوله في الاستدلال (ولقوله الكتاب) .

الترقيق : أن تُصيغ المسألة بأسلوب بلاغي .

التمنيق : أن تدخل فيها المحسنات البديعية .

١٣ - فقال إن يجزم بقول الغير كفى وإلا لم يزل في الضير [٩١ - ٩٤]

١٤ - واجزم بأن أولاً مما يجب معرفة وفيه خلف مُتَّصِب [٩٥ - ٩٩]

[٩١] وقوله : (فقال ...) إلخ معطوف على قوله : « حقق فيه الكشف » من عطف المفصل على الجمل .

[٩٢] وقوله : (إن يجزم بقول الغير) أي إن يجزم المقلد بصحة قول الغير جزماً قوياً بحيث لو رجع المقلد بالفتح ولم يرجع المقلد بالكسر .

[٩٣] وقوله : (كفى) أي كفاه في الإيمان ، وعلى هذا يحمل القول بكفاية ، التقليد ، فيكفيه ذلك في الأحكام الدنيوية ، فيناكح ، ويؤم ، وتؤكل ذبيحته ، ويرثه المسلمون ويرثهم ، ويسهم له ، ويدفن في مقابر المسلمين ، وفي الأحكام الأخروية أيضاً ، فلا يخلد في النار إن دخلها ومآله إلى النجاة والجنة ، فهو مؤمن لكنه عاص بترك النظر إن كان فيه أهلية النظر .

[٩٤] وقوله : (وإلا لم يزل في الضير) أي وإن لم يجزم المقلد بصدق قول الغير جزماً قوياً بأن كان جازماً لكن لو رجع المقلد بالفتح لرجع المقلد بالكسر لم يزل واقفاً في الضير ، لأنه قابل للشك والتردد ، وعلى هذا يحمل القول بعدم كفاية التقليد والخلاف إنما هو في المقلد الجازم ، وأما الشاك والظان فمتفق على عدم صحة إيمانها ، وإن كان كلام المصنف يوهم خلاف المراد ، والخلاف في إيمان المقلد إنما هو بالنظر لأحكام الآخرة وفيما عند الله وأما بالنظر لأحكام الدنيا فيكفي فيها الإقرار فقط ، فمن أقر جرت عليه الأحكام الإسلامية ولم يحكم عليه بالكفر ، إلا إن اقترن بشيء يقتضي الكفر كالسجود لصنم ^(١) .

[٩٥] وقوله : (واجزم) أي اعتقد اعتقاداً جازماً ، والمخاطب بذلك كل مكلف من ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، جني أو إنسي .

قال المصنف في شرحه : والكلام السابق من قوله (فكل من كلف ... إلخ) إنما أفاد أن المعرفة واجبة على المكلف ، وهذا أفاد أنها أول واجب ، ثم هذه المسألة ليست من أركان الدين المعتمدة ، كيف والأصح كفاية التقليد ^(٢) .

(١) قال الغزالي : أسرفت طائفة بتكفير عموم المسلمين ، وزعموا أنه من لم يعرف العقائد الشرعية بالأدلة التي حرروها كافر فضيقوا رحمة الله الواسعة ، وجعلوا اللجنة مختصة بجماعة يسيرة من المتكلمين . انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ص (١١١) .

(٢) غرضه بذلك أنه إذا كان الأصح كفاية التقليد كان وجوب المعرفة غير متفق عليه ، فلا يكفر جاحده ، =

[٩٦] وقوله : (بأن أولاً) متعلق بـ (اجزم) وأصل (أول) (أولاً على وزن (أفعل)) قلبت الهمزة الثانية واواً ثم أدغمت الواو في الواو لاجتماع المثلين ، وله استعمالان ، أحدهما : أن يكون بمعنى سابق فيكون منصرفاً مُنَوَّنًا ، ومنه قولهم : (الحمد لله أولاً وآخرًا) ، والثاني : أن يكون صفة فيكون أفعل تفضيل بمعنى (أسبق) فيكون غير منصرف للوصفية ووزن الفعل ، فإن حمل ما في النظم على الأول فلا إشكال وإن حمل على الثاني فصرفه وحذف المضاف إليه لضرورة النظم ^(١) .

[٩٧] وقوله : (مما يجب) أي من الذي يجب فـ (ما) اسم موصول ، و (من) تبعيضية ، وهو صفة لـ (أولاً) على الاستعمال الأول ، وللمضاف إليه المحذوف على الاستعمال الثاني ، والأصل أن أول شيء مما يجب .

[٩٨] وقوله : (معرفة) خبر أن ، والتنوين فيه للتعظيم ، وهو عوض عن المضاف إليه ، والأصل معرفة الله ، والمراد معرفة صفاته وسائر أحكام الألوهية لا معرفة ذاته وكنه حقيقته إذ لا يعرف ذاته وكنه حقيقته إلا هو . وفي الحديث « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق ، فإنه لا تحيط به الفكرة » ^(٢) وفي الحديث أيضًا « إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار » ^(٣) وبالجملة لا يعرف الله إلا الله ، فترك الإدراك إدراك ، والبحث عن ذات الله إشراك .

[٩٩] وقوله : (وفيه خلف منتصب) أي وفي أول ما يجب اختلاف قائم بين الأئمة سنيين وغيرهم ، ودفع الناظم بذلك توهم الاتفاق على الحكم السابق في قوله : (واجزم بأن أولاً ..) إلخ وجعل الخلاف في الأولوية لا في الوجوب ، لأنه لم يقع

= وإذا لم يكفر جاحد وجوب المعرفة فبالأولى أن لا يكفر من جحد كونها أول الواجبات . هذا ولو قال : كيف وفي أول الواجبات الخلاف الآتي لكان أظهر ، لأن كل ما وقع فيه خلاف بين العلماء لا يكفر جاحده . (١) في هذا المعنى يقول الأجهوري :

إذا أول قد جاء معناه أسبق	فمنع انصراف فيه أمر محتم
لو وصف ووزن الفعل يا أيها الفتى	عليك بضبط العلم هلك تفهم
وإن كان ظرفاً فاحكم في بالذي	حكمت به في قبل والله أعلم

انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد ص ١١٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في كتاب العرش (١٦) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٣٠) وإسناده جيد كما قال الحافظ في الفتح .

(٣) حديث إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار لم نجده والله أعلم .

خلاف بين المسلمين في وجوب المعرفة ووجوب النظر الموصول إليها ، كذا قال الشارح ، لكن قد سبق قول بحرمة النظر وقول بأنه شرط كمال ، وكأنه ناظر لما جرى عليه فيما تقدم من تخصيص الخلاف بغير معرفة الله تعالى وغير النظر الموصول إليها ، وقد تقدم ما فيه ، ويحتمل أنه لم يعتد بالخلاف بناء على ما أنشده السيوطي في الإتيان :

وليس كل خلاف جاء معتبراً إلا خلافاً له حظ من النظر
وجملة الأقوال في أول الواجبات اثنا عشر قولاً :

أولها : ما قاله الأشعري إمام هذا الفن أنه المعرفة .

وثانيها : ما قاله الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني أنه النظر الموصول للمعرفة ويعزى للأشعري أيضاً .

وثالثها : ما قاله القاضي الباقلاني (١) أنه أول النظر : أي المقدمة الأولى ، منه نحو قولك : العالم حادث ، وكل حادث لابد له من محدث ؛ فمجموع المقدمتين هو النظر ، والمقدمة الأولى هي أول النظر .

ورابعها : ما قاله إمام الحرمين أنه القصد إلى النظر : أي تفريغ القلب عن الشواغل وعزي للقاضي أيضاً .

وخامسها : ما قاله بعضهم إنه التقليد .

وسادسها : أنه النطق بالشهادتين .

وسابعها : ما قاله أبو هاشم في طائفة من المعتزلة وغيرهم أنه الشك ، ورد بأنه مطلوب زواله ، لأن الشك في شيء من العقائد كفر فلا يكون مطلوباً حصوله ، ولعلهم أرادوا ترديد الفكر فيؤول إلى النظر .

وثامنها : أنه الإيمان .

وتاسعها : أنه الإسلام ، وهذان القولان متقاربان مردودان باحتياج كل من الإيمان والإسلام للمعرفة .

وعاشرها : اعتقاد وجوب النظر .

(١) هو : محمد بن الطيب بن محمد أبو جعفر ، من كبار علماء الكلام ، تولى رئاسة مذهب الأشاعرة ، ولد سنة ٣٣٨ هـ ، وتوفي في بغداد سنة ٤٠٣ هـ ، من كتبه : إعجاز القرآن ، ومناقب الأئمة ، والإنصاف . (انظر : وفيات الأعيان ٤٨١/١ ، والأعلام ١٧٦/٦) .

وحادي عشرها : أنه وظيفة الوقت كصلاة ضاق وقتها فتقدم .
وثاني عشرها : أنه المعرفة أو التقليد : أي أحدهما لا بعينه فيكون مخيرًا بينهما ،
والأصح أن أول واجب مقصدًا : المعرفة ، وأول واجب وسيلة قربية : النظر ، ووسيلة
بعيدة : القصد إلى النظر ، وبهذا يجمع بين الأقوال الثلاثة .

١٥ - فَأَنْظُرْ إِلَى نَفْسِكَ ثُمَّ انْتَقِلْ لِلْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ ثُمَّ السُّفْلِيِّ [١٠٠ - ١٠٤]

[١٠٠] قوله : (فانظر ..) إلخ أي إذا أردت المعرفة فانظر .. إلخ لأن النظر وسيلة لها . والمأمور بالنظر كل مكلف ، وأمره المصنف بالنظر إلى نفسه ابتداءً لأنها أقرب الأشياء ، ثم بالنظر إلى العالم العلوي لكونه أعظم وأبدع ، ثم إلى العالم السفلي ، وفي تقديم العالم العلوي على السفلي اقتداء بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ولا تتوقف صحة النظر على هذا الترتيب ، بل يصح أن ينظر إلى النفس ، ثم إلى العالم السفلي ، ثم العلوي ، أو ينظر إلى العالم العلوي ، ثم إلى السفلي ، ثم إلى النفس ، إلى غير ذلك من الصور الممكنة .

[١٠١] والنظر : لغة الإبصار أي : إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر ، أي حركة النظر | النفس في المعقولات ، أما في المحسوسات فتخيل ، وعلم من ذلك أن تعريفه : النظر مشترك بين الإبصار والفكر ، والمراد منه هنا الثاني وهو الفكر ،

فكأن المصنف قال : فتفكر ... إلخ ، وأما عرفاً فهو : ترتيب أمرين معلومين ليتوصل بترتيبهما إلى علم مجهول ، كترتيب الصغرى مع الكبرى في قولنا : « العالم متغير ، وكل متغير حادث » فإنه موصل للعلم بحدوث العالم المجهول قبل ذلك الترتيب ، وكترتيب الجنس مع الفصل في قولنا : « الإنسان حيوان ناطق » فالأول مثال للنظر في التصديقات ، والثاني مثال للنظر في التصورات ، ولا يرد على ذلك التعريف بالفصل وحده أو بالخاصة وحدها ، كأن يقال : « الإنسان ناطق أو ضاحك » لأن فيه ترتيباً حكماً لأن (ناطق) في قوة شيء ذو نطق ، و (ضاحك) في قوة شيء ذو ضحك .

[١٠٢] قوله : (إلى نفسك) أي في أحوال ذاتك ، ف « إلى » بمعنى « في » لأن (انظر) بمعنى « تفكر » وهو يتعدى بفي ، والمراد من النفس الذات لا الروح لأنه لا اطلاع لنا عليها ، والكلام على تقدير مضاف كما قدرناه ، لأن النظر في أحوالها أبدع من النظر في الذات من حيث هي ذات ، والمراد بأحوالها : ما اشتملت عليه من سمع وبصر وكلام ، وطول وعرض وعمق ، ورضا وغضب ، وبياض وحمرة وسواد وعلم وجهل وإيمان وكفر ولذة وألم ، وغير ذلك مما لا يحصى ، وكلها متغيرة من عدم إلى وجود وبالعكس ، فتكون حادثة وهي قائمة بالذات لازمة لها ، وملازمة الحادث حادث ، وذلك دليل الافتقار إلى صانع حكيم واجب الوجود عام العلم تام القدرة والإرادة ، فتستدل بها على وجوب وجود صانعك وصفاته . وحاصله أن تقول : نفسي ملزومة لصفات حادثة ، وكل ملزوم لصفات حادثة فهو حادث ، وكل حادث لابد له

من صانع حكيم واجب الوجود موصوف بالصفات . قال تعالى : ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] أي وفي أنفسكم آيات ودلائل أتركون التفكير فيها فلا تبصرون : أي لا ينبغي ترك النظر فيها ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ [المؤمنون : ١٢] .

من عرف | والإنسان : آدم ، والسلالة : الطينة ، فهي قطعة من عموم الطين ،
نفسه | والضمير في قوله : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً ﴾ عائد على الإنسان ، لا بمعنى
عرف ربه | آدم ، بل بمعنى بنيه ، ففيه استخدام ، وقد ورد : « من عرف نفسه عرف ربه » ^(١) أي : من عرف نفسه بالحدوث والفقر ، عرف ربه بالقدم والغنى ، وهذا هو الأظهر في معنى الحديث ، وقيل : هو إشارة إلى التعجيز : أي أنت لا تعرف نفسك فلا تطمع في معرفة كنه ربك ، ذكره الشريف المقدسي ^(٢) في مفاتيح الكنوز وحل الرموز .
[١٠٣] قوله : (ثم انتقل للعالم العلوي) أي ثم بعد نظرك في أحوال نفسك انتقل للنظر في أحوال العالم المنسوب إلى جهة العلو ، والمراد به : ما ارتفع من الفلكيات من سموات ، وكواكب ، وعرش ، وملائكة ، وغيرها .

[١٠٤] | وقوله : (ثم السفلي) أي ثم انتقل للنظر في العالم المنسوب لجهة السفلى ،
العالم : | والمراد به : كل ما نزل عن الفلكيات إلى منقطع العالم كالهواء ، والسحاب
تعريفه | والأرض وما فيها كالمعادن والبحار والنبات وغير ذلك ، فتستدل بها على
وجوب وجود الصانع وصفاته ، فإنك تجد كلاً منهما مشمولاً بجهات مخصوصة
وأمكنة معينة وتجد بعضه متحركاً ، وبعضه ساكناً ، وبعضه نورانياً ، وبعضه ظلمانياً ،

(١) أفرد السيوطي لهذا الحديث كراسة جعل عنوانها : القول الأشبه في حديث « من عرف نفسه فقد عرف ربه » ذكر فيها أن هذا الحديث ليس بصحيح ، وقد سئل عنه النووي في فتاويه فقال : إنه ليس بثابت ، وقال ابن تيمية : موضوع ، وقال الزركشي في الأحاديث المشتهرة : ذكر ابن السمعاني في القواطع أنه من كلام يحيى بن معاذ الرازي .

واختلف في معنى هذا القول على عدة أوجه : فقال بعضهم معناه : من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله ، والعبودية له عرف ربه بالقوة والربوبية والكمال المطلق والصفات العلا وقال بعضهم : من عرف نفسه بذلها وعجزها وفقرها عرف الله بعزه وقدرته وغناه . (انظر : الحارثي للفتاوى للمحافظ السيوطي ٤١٢/٢ - ٤١٧ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى الطبعة الثالثة ١٣٧٨هـ ، ١٩٥٩) .

(٢) هو : عبد السلام بن أحمد بن غانم عز الدين المقدسي الواعظ الزاهد ، الشاعر الفصيح الذي نسج على منوال ابن الجوزي في كتابه مفاتيح الكنوز وبه فوائد ونوادر لا تجدها في غيره ، وله مصنفات غيره منها : تفليس إبليس ط ، كشف الأسرار عن حكم الطيور والأزهار . (انظر : الأعلام ٣/٣٥٥) .

وذلك دليل على الحدوث ، وهو دليل على الافتقار إلى صانع حكيم متصف بالصفات .
وحاصله أن تقول : « العالم حادث وكل حادث لابد له من صانع حكيم متصف
بالصفات » . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِلَافِ أَلْبِلِ وَالنَّهَارِ
وَاللَّيْلِ الَّذِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَنَّا فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
لَا يَكْتُمُ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] واعلم أن « العالم » بفتح اللام : اسم لما سوى الله
وصفاته من الموجودات والأحوال على القول بها ، وأما المعدومات فليست من العالم ،
سواء كانت ممكنة كولد لزيد قبل وجوده ، أو مستحيلة كالشريك ، وبعضهم خص
« العالم » بذي الروح ، وبعضهم خصه بالإنس والجن ، وبعضهم خصه بالملائكة ،
وبعضهم خصه بالثلاثة مع الشياطين ، وبعضهم ، خصه بأهل الجنة والنار ، لكن لا دليل
على ذلك كله ، ذكره المصنف في شرحه الصغير .

١٦ - تَجَدُّ بِهِ صُنْعًا بَدِيعَ الْحِكْمِ لَكِنْ بِهِ قَامَ دَلِيلُ الْعَدَمِ [١٠٥-١٠٨]

[١٠٥] قوله : (تجد به صنعًا) أي إن تنظر في أحوال ما ذكر تعلم فيه : صنعًا « بضم الصاد : أي صنعة باهرة ، وهي كناية عن الأعراض المخلوقة ، فـ (تجد) مجزوم في جواب شرط مقدر ، ويصح أن يكون مجزومًا في جواب الأمر ، والباء بمعنى « في » والصنع بمعنى الصنعة الباهرة من نقوش متقنة وألوان مستحسنة إلى مالا يحصى من الصفات ولا يحيط به إلا خالق الأرض والسموات ، وكل هذا دال على علم صانعه ، وقدرته ، وإرادته ، وحياته ، لأن ذلك لا يصدر إلا عن من اتصف بما ذكر .

[١٠٦] قوله : (بديع الحكم) البديع هو المخترع لا على مثال سبق ، والحكم - بكسر الحاء وفتح الكاف - جمع حكمة بمعنى الأحكام أي الإتيان ، وجمعه لتعدد بتعدد الصنع الذي هو الصنعة الباهرة وقد وقع في كلام الغزالي (١) ليس في الإمكان أبدع مما كان ؛ فشنع عليه جماعة بأن فيه (٢) نسبة العجز إليه تعالى . وأجيب عنه بأجوبة أحسنها أن المعنى : ليس في الإمكان أبدع مما

كان ، لعدم تعلق علم الله وإرادته بغير ما كان ، الذي هو هذا العالم ، فهو مستحيل لعدم تعلق علم الله وإرادته به ، فصدق عليه أنه ليس في الإمكان بهذا الاعتبار وإن كان ممكنًا في نفسه .

[١٠٧] قوله : (لكن ..) إلخ استدراك على ما يشعر به قوله : (بديع الحكم) من أنه حيث كان كذلك فهو قديم ، فكأنه قال : لكن العالم وإن كان على غاية من الإتيان هو حادث ، وبحث فيه بأن البديع هو المخترع من غير مثال سبق ، والمخترع لا يكون إلا حادثًا ، فلا يتوهم القدم حتى يحتاج للاستدراك ، إلا أن يقال : ربما يتوهم من عجز التعريف أعني قولهم « من غير مثال سبق » لا من صدره وهو المخترع ، والأقرب أن « لكن » هنا مجرد التأكيد ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

[١٠٨] وقوله : (به قام دليل العدم) أي : بالعالم ... بمعنى الأجرام قام دليل جواز العدم ، فهو على تقدير مضاف ، إذ الفرض أنه موجود ، والمراد بدليل جواز العدم : الأعراض الحادثة الملازمة للعالم بمعنى الأجرام .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد الغزالي أبو حامد الإمام المجتهد ، حجة الإسلام الفيلسوف الصوفي ، ولد سنة ٤٥٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ ، له أكثر من مائتي مصنف منها : المستصفى ، إحياء علوم الدين ، تهافت الفلاسفة . (انظر : الأعلام ٢٢/٧) .

(٢) لم يظهر من كلام الغزالي نسبة عجز أصلاً ، لأنه إنما نفى الإمكان ، فهو قائل بأن قدرة الله لا تتعلق بالإبداع لعدم إمكانه ، وليس في هذا نسبة عجز كما لا يخفى ، فالأولى في الاعتراض عليه أن يقال : نفي إمكان الأبدع والواقع أنه ممكن في نفسه بمعنى أنه في نفسه صالح للوجود والعدم .

١٧ - وَكُلُّ مَا جَازَ عَلَيْهِ الْعَدَمُ عَلَيْهِ قَطْعًا يَسْتَحِيلُ الْقَدَمُ [١٠٩-١١٠]
[١٠٩] قوله : (وكل ما جاز عليه العدم) أي وكل الذي ، أو كل شيء جاز عليه العدم : يعني الفناء .

[١١٠] وقوله : (عليه قطعًا يستحيل القدم) أي على ما جاز عليه العدم يمنع حدوث العالم من عرشه لفرشه جائز عليه العدم ، وكل ما جاز عليه العدم استحالة عليه القدم ، فينتج هذا القياس : أن العالم من عرشه لفرشه استحالة عليه القدم فثبت حدوثه ، وإذا ثبت حدوثه فلا بد له من محدث ، وهو المطلوب ؛ لأن أصل الكلام في النظر الموصل لمعرفة الله تعالى ، فطوى المصنف الصغرى لفهمها من الاستدراك ، وذكر الكبرى بقوله : « وكل ما جاز عليه العدم .. إلخ » . والحاصل أنك تثبت أولاً حدوث الأعراض بمشاهدة تغيرها من عدم إلى وجود وعكسه ، فتقول : الأعراض شوهت تغيرها من عدم إلى وجود وعكسه ، وكل ما هو كذلك فهو حادث ينتج أن الأعراض حادثة ، ثم تثبت حدوث الأجرام واستحالة القدم عليها بملازمتها للأعراض الحادثة فتقول : الأجرام ملازمة للأعراض الحادثة ، وكل ما كان كذلك فهو حادث ويستحيل عليها القدم ، فينتج أن الأجرام حادثة ويستحيل عليها القدم . واعلم أن لهم هنا مطالب سبعة (١) تعريفها نظمها بعضهم بقوله :

زيد ما قام ما انتقل ما كمنّا ما انفك لا عدم قديمًا لا حنا
فقوله : « زيد » رد لقول الفلاسفة : لا نسلم ثبوت زائد على الأجرام حتى يصح الاستدلال به على حدوث الأجرام ، ودليل ثبوت الزائد الذي هو العرض : المشاهدة وقوله : « م قام » بحذف ألف « ما » للوزن ، رد لقولهم : لا نسلم عدم العرض لجواز أنه يقوم بنفسه إذا لم يتصف به الجرم ، ودليل أنه لا يقوم بنفسه : أنه لا يعقل صفة من غير موصوف ، فلا يعقل حركة من غير متحرك مثلاً . وقوله : « ما انتقل » بسكون اللام للوزن : رد لقولهم : لا نسلم عدم العرض لجواز أنه ينتقل من جرم إلى جرم آخر ، ودليل أنه لا ينتقل : أنه لو انتقل لكان بعد مفارقة الأول وقبل وصول الثاني قائماً بنفسه ، وقد بطل قبل ذلك . وقوله : « ما كمنّا » رد لقولهم : لا نسلم عدم العرض لجواز أنه كمن

(١) هناك ما يسمى بالمقاصد السبعة للفلاسفة جمعها الأمير بقوله :

سبق الإله كذا العدم تدريجه إمكانيه مع موجب أثر طرا

في الجرم ، فتكمن الحركة في الجرم إذا سكن مثلاً ، ودليل أنه لا يكمن : أنه يلزم عليه جمع الضدين وهو باطل . وقوله : « ما انفك » رد لقولهم : لا نسلم ملازمة الجرم للعرض لجواز أن ينفك عنه ، ودليل أنه لا ينفك عنه أنه لا يُعقل جرم خال عن حركة ولا حركة مثلاً لاستحالة ارتفاع النقيضين . وقوله : « لا عدم قديم » رد لقولهم : لا نسلم حدوث العرض لجواز أن يكون قديماً وينعدم ، ودليل أن القديم لا يتعدم أن القديم لا يكون وجوده إلا واجباً ، فلا يقبل العدم . وقوله : « لاحنا » منتحت من قولنا : حوادث لا أول لها ، وهو رد لقولهم : لا نسلم أن ملازم الحادث حادث لجواز أن تكون الأعراض حوادث لا أول لها فيكون ملازمها قديماً ، ودليل أنه لا حوادث لا أول لها أنه حيث كانت حوادث لزم أن يكون لها أول ، فيلزم على قولهم : « حوادث لا أول لها » التناقض ، ومما يطله برهان القطع والتطبيق وهو مبسوط في غير هذا المحل ، وهذه المطالب السبعة لا يعرفها إلا الراسخون في العلم . قال السنوسي : وبها ينجو المكلف من أبواب جهنم السبعة .

١٨ - وفُتِرَ الإيمانُ بالتَّصديقِ وَالتَّنْقِي فِيهِ الْخُلْفُ بِالتَّحْقِيقِ [١١١-١١٨]
[١١١] قوله : (وفسر الإيمان ..) إلخ لما كان الإيمان والإسلام باعتبار متعلق مفهوميهما وهو ما علم من الدين بالضرورة من مباحث علم الكلام كما يعلم من قوله فيما يأتي « ومن لمعلوم ضرورة جحد » .

ذكرهما المتكلمون في علم الكلام ، لكن اختلفوا في وضعهما ، فأخرهما قوم عن الإلهيات والنبويات والسمعيات ، وقدمهما آخرون لاحتياج الخائض في تلك المباحث إليهما ، وقد سلك المصنف هذا الطريق ، فلذلك قال : (وفسر الإيمان .. إلخ) ببناء الفعل للمفعول للعلم بفاعله ، والأصل : وفسر جمهور الأشاعرة والماتريدية وكذا غيرهم من المعتزلة كالصالحى (١) وابن الراوندى (٢) .

[١١٢] واعلم أن الإيمان على خمسة أقسام : إيمان عن تقليد ، وهو الإيمان الناشئ
الإيمان :
أقسامه :
عن الأخذ بقول الشيخ من غير دليل .
وإيمان عن علم ، وهو الإيمان الناشئ عن معرفة العقائد بأدلتها .

وإيمان عن عيان ، وهو الإيمان الناشئ عن مراقبة القلب لله بحيث لا يغيب عنه طرفه عين .
وإيمان عن حق ، وهو الإيمان الناشئ عن مشاهدة الله بالقلب .
وإيمان عن حقيقة ، وهو الإيمان الناشئ عن كونه لا يشهد إلا الله ، فالتقليد للعوام ، والعلم لأصحاب الأدلة ، والعيان لأهل المراقبة ويسمى مقام المراقبة ، والحق للعارفين ويسمى مقام المشاهدة ، والحقيقة للواقفين ويسمى مقام الفناء لأنهم يفنون عن غير الله ولا يشهدون إلا إياه . وأما حقيقة الحقيقة فهي للمرسلين ، وقد منعنا الله من كشفها فلا سبيل إلى بيانها .

[١١٣] (تنبيه) المؤمن إذا نام أو غفل أو جُنَّ أو أغمي عليه أو مات متصفا جزماً بالإيمان حكماً فتجري عليه أحكام الإيمان في هذه الأحوال ، ذكره المصنف في كبريه كما أفاده العلامة الشنوائى .

[١١٤] قوله : (بالتصديق) أي التصديق المعهود شرعاً ، وهو تصديق النبي ﷺ

(١) هو : أبو الحسين الصالحى ، ذكره القاضي عبد الجبار في طبقاته في الطبقة السابعة من طبقات المعتزلة ص ٧٨ ، وقال : كان عظيم القدر في علم الكلام ، وكان يميل إلى الإرجاء .

(٢) هو : أحمد بن يحيى بن إسحاق المشهور بابن الراوندى كان أولاً من متكلمي المعتزلة ثم تزندق وجاهر بالإلحاد وإليه تنسب فرقة الراوندية ، توفي سنة ٢٩٨ هـ . (انظر : وفيات الأعيان ٢٧/١ ، والأعلام ٢٦٧/١) .

في كل ما جاء به وعُلم من الدين بالضرورة : أي علم من أدلة الدين بشبه الضرورة ، فهو نظري في الأصل ، إلا أنه لما اشتهر صار ملحقاً بالضروري بجامع الجزم في كل من العام والخاص من غير قبول للتشكيك ، والمراد بتصديق النبي في ذلك : الإذعان لما جاء به والقبول له ، وليس المراد وقوع نسبة الصدق إليه في القلب من غير إذعان وقبول له حتى يلزم الحكم بإيمان كثير من الكفار الذين كانوا يعرفون حقيقة نبوته ورسالته ﷺ ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٦] قال عبد الله بن سلام (١) : لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني ومعرفتي لمحمد أشد (٢) اهـ .

[١١٥]
حكم
معرفة عدد
الأنبياء :
ويكفي الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالاً كالإيمان بغالب الأنبياء والملائكة ، ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلاً كالإيمان بجمع من الأنبياء والملائكة ، فالجمع الذي يجب معرفتهم تفصيلاً من الأنبياء خمسة وعشرون (٣) ، وقد نظموا في قول بعضهم :

حتم على كل ذي التكليف معرفة بأنبياء على التفصيل قد علموا
في ﴿وَتِلْكَ حُجَّتَنَا﴾ منهم ثمانية من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس هود شعيب صالح وكذا ذو الكفل آدم باختيار قد ختموا

الملائكة :
فهؤلاء المذكورون في القرآن المتفق على نبوتهم . وأما المختلف في نبوتهم :
١٥ يجب
معرفة
منهم
ثلاثة : ذو القرنين ، والعزير ، ولقمان ، وأما الخضر فلم يصرح باسمه في القرآن وإن كان هو المراد في آية ﴿عَبْدًا يَنْ عِبَادِنَا﴾ [الكهف : ٦٥] وكذلك يوشع بن نون فتى موسى لم يصرح باسمه في القرآن ، ومعنى كون الإيمان واجباً بهم تفصيلاً : إنه لو عرض عليه واحد منهم لم ينكر نبوته ولا رسالته ، فمن أنكر نبوة واحد منهم أو رسالته كفر ، لكن العامي لا يحكم عليه بالكفر إلا إن أنكر

(١) هو : عبد الله بن سلام بن الحارث ، الإسرائيلي أبو يوسف ، صحابي جليل ، أسلم عند قدوم النبي ﷺ المدينة ، شهد مع عمر بن الخطاب فتح بيت المقدس ، وتوفي سنة ٤٣ هـ . (انظر : الاستيعاب ٢/ ٣٨٢ ، والأعلام ٤/ ٩٠) .
(٢) أخرجه التعلي من طريق السدي الصغير عن الكلبي . كذا عزاه السيوطي في الدر المنثور (١٤٧/١) .
(٣) فقد ذكر من الأنبياء في سورة الأنعام ثمانية عشر . قوله تعالى : ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتِهِ مِمَّنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَرَكَّبْنَا نَارًا وَنُوحًا وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا بِالْبَاقِيَةِ فَنَنْصُرُ الْبَاقِيَةَ﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا بِالْبَاقِيَةِ فَنَنْصُرُ الْبَاقِيَةَ﴾ ﴿وَلَقَدْ هَمَمْنَا بِالْبَاقِيَةِ فَنَنْصُرُ الْبَاقِيَةَ﴾ .
وبقي سبعة وهم : آدم ، صالح ، هود ، شعيب ، ذو الكفل ، وإدريس ، محمد بن عبد الله ﷺ .

بعد تعليمه ، وليس المراد أنه يجب حفظ أسمائهم خلافاً لمن زعم ذلك ، والجمع الذي يجب معرفته تفصيلاً من الملائكة : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ^(١) ، ورضوان خازن الجنة ، ومالك خازن النار ، ورقيب ، وعتيد ، فيكفر منكر شيء من ذلك . وأما منكر ونكير فلا يكفر منكرهما ، لأنه اختلف في أصل السؤال ، ويجب الإيمان بحملة العرش والخافين به إجمالاً ، كسائر الملائكة ، والتفصيلي أكمل من الإجمالي من حيث التفصيل ، وإلا فهو مثله من حيث الخروج من عهدة التكليف بكل منهما .

[١١٦] وبالجملة فالإيمان شرعاً هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ، مما علم من الدين بالضرورة إجمالاً في الإجمالي ، وتفصيلاً في التفصيلي . وأما لغة تعريفه فهو : مطلق التصديق ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف ١٧] أي مصدق .

[١١٧] قوله : (والنطق فيه الخلف) أي وفي النطق بالشهادتين للمتمكن منه وهو القادر عليه في جهة اعتبار مدخليته في الإيمان الاختلاف بين العلماء ، وسيأتي تفصيله عقبه ، فحذف المصنف المنطوق به وهو قوله : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، كما سيصرح به في قوله : « وجامع معنى الذي تقررا شهادتا الإسلام » وخرج بالمتمكن الذي هو القادر الأخرس ، فلا يطالب بالنطق كمن اخترمته المنية قبل النطق به من غير تراخ ، فهو مؤمن عند الله حتى على القول بأن النطق شرط صحة أو شطر ، بخلاف من تمكن وفرط ، وموضوع هذا الخلاف كافر أصلي يريد الدخول في الإسلام . وأما أولاد المسلمين فمؤمنون قطعاً وتجري عليهم الأحكام الدنيوية ولو لم ينطقوا بالشهادتين طول عمرهم ، ولا بد من لفظ « أشهد » وتكريره ، ولا يشترط أن يأتي بحرف العطف على ما قاله الزيادي ^(٢) ، ورجع إليه الرملي آخرًا ، فلا يكفي إبدال لفظ « أشهد » بغيره ، وإن كان مراداً لما فيه من معنى التعبد ، ولا بد من ترتيب الشهادتين وموالاتهما ، ولا بد من الاعتراف برسالته ﷺ إلى غير العرب أيضاً إذا كان يعتقد اختصاص رسالته بالعرب كالعيسوية ، وإذا كان كافراً باعتقاد قدم العالم مثلاً فلا بد من رجوعه عنه ، ولو أتى

(١) عزرائيل هو ملك الموت ولم يصح في حديث التصريح باسمه .

(٢) هو : علي بن يحيى الزيادي المصري ، نور الدين ، فقيه ، انتهت إليه رئاسة الشافعية بمصر ، نسبته إلى محلة زياد بالبحيرة ، وكان مقامه ووفاته بالقاهرة . من كتبه : حاشية على شرح المنهج لشيخ الإسلام زكريا .

توفي سنة ١٠٢٤ هـ . (انظر : الأعلام ٣٢/٥) .

بالشهادتين بالعجمية صح إسلامه وإن أحسن العربية ، وما تقدم من الشروط مبني على المعتمد في مذهبنا معاصر الشافعية ، وبه قال ابن عرفة ^(١) من المالكية حيث قال : لا بد أن يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وخالف الأبي شيخه ابن عرفة فقال : لا يتعين ذلك بل يكفي كل ما يدل على الإيمان ، فلو قال : الله واحد ومحمد رسول ، كفى ، ونحو ما قاله الأبي لبعض من الشافعية وهو العلامة ابن حجر ^(٢) ، وللنووي ما يوافقه أيضاً ، فيكون في المسألة قولان لأهل كل من المذهبين . قال المصنف في شرحه : وأولهما أولى بالتعويل عليه اهـ .

[١١٨] قوله : (بالتحقيق) أي متلبساً بالتحقيق الذي هو إثبات الشيء بالدليل ، فالمعنى متلبساً بالإثبات بالأدلة القائمة على دعوى كل من الفريقين ، أو الذي هو ذكر الشيء على الوجه الحق ، فالمعنى متلبساً بذكر كل فريق مدعاه على الوجه الحق عنده .

(١) هو : محمد بن محمد بن عرفة أبو عبد الله الورعني التونسي المالكي ، إمام تونس وعالمها وخطيبها في عصره ، ولد سنة ٧١٦ هـ ، وتوفي سنة ٨٠٣ هـ ، من مؤلفاته : المختصر الشامل ، المبسوط . (انظر : الأعلام ٤٣/٧) .
 (٢) هو : أحمد بن علي بن محمد أبو الفضل شهاب الدين ابن حجر العسقلاني ، الإمام الحافظ العلامة المؤرخ ، شيخ الإسلام ، ولد سنة ٧٧٣ هـ ، وتوفي سنة ٨٥٢ هـ ، من أهم مصنفاته : فتح الباري ، والدرر الكامنة ، ولسان الميزان ، وتقريب التهذيب . (انظر : الضوء اللامع ٣٦/٢ ، والأعلام ١٧٨/١) .

١٩ - فَقِيلَ شَرْطٌ كَالْعَمَلِ وَقِيلَ بَلْ شَرْطُوْا الْإِسْلَامَ أَشْرَحْنَ بِالْعَمَلِ [١١٩-١٢٥]

[١١٩] قوله : (فقيل ..) إلخ أي إذا أردت تفصيل هذا الخلاف فقيل إلخ ، فالفاء فاء الفصيحة ، ويحتمل أن تكون لمجرد العطف ، فيكون معطوفاً على الجملة الاسمية وهي قوله : (والنطق ..) إلخ من عطف المفصل على المجمع .

[١٢٠] وقوله : (شرط ..) إلخ أي خارج عن ماهيته ، وهذا القول لمحقيقي الإيمان : الأشاعرة والماتريدية ولغيرهم ، وقد فهم الجمهور أن مرادهم أنه شرط شرائطه لإجراء أحكام المؤمنين عليهم من التوارث ، والتناكح ، والصلاة خلفه ، وعليه ، والدفن في مقابر المسلمين ، ومطالبته بالصلوات والزكوات ، وغير ذلك ؛ لأن التصديق القلبي وإن كان إيماناً إلا أنه باطن خفي فلا بد له من علامة ظاهرة تدل عليه لتناط أي : تعلق به تلك الأحكام . فمن صدق بقلبه ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإبائه بل اتفق له ذلك . فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية . أما المعذور إذا قامت قرينة على إسلامه بغير النطق كالإشارة ، فهو مؤمن فيهما ، وأما الآبي بأن طُلب منه النطق بالشهادتين ، فأبى فهو كافر فيهما ، ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة ، ومن أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى ، ومحل كونه مؤمناً في الأحكام الدنيوية ما لم يطلع على كفره بعلامة كسجود لصنم ، وإلا جرت عليه أحكام الكفر ، « وَفَهُمُ الْأَقْل » أن مرادهم أنه شرط في صحة الإيمان ، وهذا القول كالقول بالشرطية في الحكم وإنما الخلاف بينهما في العبارة ، والقول الأول هو الراجح ، والنصوص بحسب المتبادر منها مقوية للقول بالشرطية دون الشرطية ، كقوله تعالى : ﴿ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] أي أثبت في قلوبهم : وقوله ، في دعائه : « اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ » (١) .

[١٢١] قوله : (كالعمل) أي في مطلق الشرطية وإن اختلفت جهة الشرطية في العمل : المشبه والمشبه به ، لأن السابق إما شرط لإجراء الأحكام الدنيوية أو لصحة الإيمان على ما مر ، وهذا شرط كمال على المختار عند أهل السنة ، فمن أتى بالعمل فقد حصل الكمال ، ومن تركه فهو مؤمن ، لكنه فوت على نفسه الكمال إذا لم يكن مع ذلك استحلال أو عناد للشارع أو شك في مشروعيته ، وإلا فهو كافر فيما علم من الدين بالضرورة .

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه (٢١٤٠) وقال هذا حديث حسن وله شاهد عند مسلم (٢٦٥٤) .

وذهبت المعتزلة إلى أن العمل شطر من الإيمان ، لأنهم يقولون بأنه العمل والنطق والاعتقاد ، فمن ترك العمل فليس بمؤمن لفقد جزء من الإيمان وهو العمل ، ولا كافر لوجود التصديق ، فهو عندهم منزلة بين المنزلتين أي بين المؤمن والكافر ويخلد في النار ويعذب بأقل من عذاب الكافر ، والخوارج يكفرون مرتكب الكبائر ، وإنما كان المختار هو الأول لأن الإيمان في اللغة التصديق ، فيستعمل شرعاً في تصديق خاص ، ولا دليل على نقله للثلاثة كما زعمه المعتزلة ، وقد دلت النصوص على ثبوت الإيمان قبل الأوامر والنواهي ، وعلى أن الإيمان والعمل الصالح متغايران ، وعلى أن الإيمان والمعاصي يجتمعان ، كقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾ [البقرة : ١٨٣] . فإنه يفيد ثبوت الإيمان قبل الأمر بالصوم ، وكقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [البقرة : ٢٥] .

فإن أصل العطف للمغايرة ، وكقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام : ٨٢] بناء على أن المراد من الظلم المعصية فقد اقتضى بمفهومه اجتماع الإيمان مع الظلم بمعنى المعاصي على ما علمت ، وقيل : إن المراد به الشرك ، لما روي أن الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة وقالوا : أينما لم يظلم نفسه ، فقال ﷺ : « ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم »^(١) وعليه فمفهوم الآية من باب ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] فيكون المراد بالإيمان مطلق التصديق .

[١٢٢] قوله : (وقيل بل شطر) أي : وقال قوم محققون كالإمام أبي حنيفة وجماعة من الأشاعرة : « ليس الإقرار بالشهادتين شرطاً بل هو شطر » ، فيكون الإيمان عند هؤلاء اسماً لعمل القلب واللسان جميعاً وهما التصديق والإقرار ، واعتراض على هذا القول بأن الإيمان يوجد في المعذور كالأخرس ، والشيء لا يوجد بدون شطره . وأجيب عن ذلك بأنه ركن يحتمل السقوط كما فيمن ذكر . وأما التصديق فإنه ركن لا يحتمل السقوط وعلى هذا القول كالقول بأنه شرط صحة ، فمن صدق بقلبه ولم يتفق له الإقرار في عمره لا مرة ولا أكثر من مرة مع القدرة على ذلك لا يكون مؤمناً لا عندنا ولا عند الله تعالى ، وكل من القولين المذكورين ضعيف ، والمعتمد أنه شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط ، وإلا فهو مؤمن عند الله تعالى كما مر .

(١) أخرجه البخاري (٦٩٣٧) ومسلم (١٢٤) ، من حديث عبد الله بن مسعود .

[١٢٣] (فائدة) : الصواب أن الإيمان مخلوق ، لأنه إما مع التصديق بالجنان ، أو مع الإقرار باللسان ، وكل منهما مخلوق ، وما يقال من أنه قديم باعتبار الهداية خروج عن حقيقة الإيمان على أن الهداية حادثة ، نعم إن التفت للقضاء الأزلي صح ذلك .

[١٢٤] قوله : (والإسلام اشرحن بالعمل) بنقل حركة همزته إلى اللام ثم طرحها للوزن ، وهو بالنصب وما بعده عامله ، أو بالرفع وما بعده خبره حذف منه الضمير الرابط ، والتقدير : والإسلام اشرحنه بالعمل الصالح ، أي بالامتثال لذلك والإذعان الظاهري له ، سواء عمل أولم يعمل .

[١٢٥] فمعنى الإسلام شرعاً الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة ، وأما معناه لغة فهو مطلق الامتثال والانقياد ، وعلى هذا فالإيمان والإسلام متغايران مفهوماً أي معنى ، وما صدقاً : أي أفراداً وإن معناه

تلازماً شرعاً باعتبار الحبل بعد اتحاد الجهة المعبرة ، فلا يوجد مؤمن ليس بمسلم ولا مسلم ليس بمؤمن ، ولا يرد من صدق واحترمه المنية مثلاً ؛ لأنه عند الله مؤمن ومسلم ، وعندنا ليس بمسلم ولا مؤمن ، فالتلازم بعد اتحاد الجهة المعبرة كما علمت ، والكلام في الإيمان المنجي والإسلام كذلك ، وإلا فلا تلازم ، بل بينهما العموم والخصوص الوجهي يجتمعان فيمن صدق بقلبه وانقاد بظاهره ، وينفرد الإيمان فيمن صدق بقلبه فقط ، والإسلام فيمن انقاد بظاهره فقط ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الأشاعرة . وذهب جمهور الماتريدية والمحققون من الأشاعرة إلى اتحاد مفهوميهما ، وظاهره أن الخلاف

الإسلام حقيقي ، والتزمه بعضهم قائلًا بأن معنى الإسلام عندهم الإذعان الباطني والإيمان وجه دليل ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ﴾ [الزمر : ٢٢] والأولون يجيبون بأن المعنى : أفمن شرح الله صدره لقبول الإسلام ، وإن كان ادعاء

الحذف خلاف الأصل ، وعلى هذا فالنطق دليل عليهما ، والعمل كمال لهما .

وبعضهم جعل الخلاف لفظياً باعتبار المآل ، فحمل القول باتحاد مفهوميهما على معنى أن كل من اتصف بأحدهما فهو متصف بالآخر شرعاً وإن تغايرا معنى وحمل القول بتغاير مفهوميهما على أنهما متغايران معنى وإن اتحدا محلاً ، فالأمر إلى أنهما متغايران معنى وأفراداً باتفاق ، فمعنى الإيمان التصديق الباطني وأفراده تصديقات كتصديق زيد ، وتصديق عمرو ، وتصديق بكر وهكذا ، ومعنى الإسلام الانقياد ، وأفراده انقيادات ، كانقياد زيد ، وانقياد عمرو ، وانقياد بكر ، وهكذا ، وأما محلها فهو واحد فكل محل لأحدهما محل للآخر وبالعكس .

٢٠ - مِثَالُ هَذَا الْحَجِّ وَالصَّلَاةِ كَذَا الصَّيَامِ فَأَذِرِ الرَّكْعَةَ [١٢٦-١٣١]

[١٢٦] قوله : (مثال هذا ...) إلخ هذا من باب تنزيل الجزئيات على الكلّيات ، ولذا عبر بالمثل الذي هو جزئي يذكر لإيضاح القاعدة ، واسم الإشارة عائد على العمل وقد ترك المصنف أحد الأركان الخمسة وهو النطق بالشهادتين ، وإنما تركه لتقدم بيانه كما يفيد كلام الشارح ، لكن قد يقال : إنه سبق من حيث مدخليته في الإيمان وهذا غير المراد هنا . واعلم أن المدار في الإسلام على الإذعان للمذكورات ، وهذا ظاهر في غير النطق ، وأما هو فلا بد من حصوله ، ثم هو يفيد الإذعان ^(١) له ولغيره ضرورة أن ذلك ^(٢) لا يخرج عن الإذعان برسالة سيدنا محمد ﷺ فبالجملة كلمة الشهادتين تكفي عن نفسها وغيرها ، فهي كالشاة من الأربعين تزكي نفسها وغيرها .

[١٢٧] قوله : (الحج) قدمه لضرورة النظم وإن كانت الصلاة أفضل منه ، فإن بعضهم يكفر بتركها كسلاً بعد أمر الإمام ^(٣) ، بل الصيام أفضل من الحج على المعتمد .

وهو لغة : مطلق القصد ، وشرعاً قصد الكعبة للنسك المشتمل على الوقوف بعرفة .

وقد اختلف في أي سنة فرض ، فقليل : فرض قبل الهجرة ونزول قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ .. الْآيَةِ ﴾ [آل عمران : ٩٧] بعدها إنما هو للتأكيد ، وقيل : فرض بعد الهجرة وعليه قليل : في الخامسة ،

(١) أي الظاهري وهو الإقرار اللساني بوجوب المذكورات .

ثم هو يفيد الإذعان له : أي الإقرار اللساني بمدلول الشهادتين : وهو ثبوت الوجدانية لله وثبوت الرسالة لمحمد ﷺ .

(٢) أي الإذعان بغير النطق بالشهادتين ، والمراد من ذلك أن النطق بالشهادتين يفيد الإقرار بمدلولهما صراحة ويفيد الإقرار بغير ذلك لزوماً ، إذ من لازم الإقرار بالرسالة الإقرار بما جاء به الرسول ﷺ .

(٣) في المسألة خلاف ، فقد ذهب المالكية ، والشافعية إلى تارك الصلاة تهاونا وكسلاً يقتل حداً أي أن حكمه بعد الموت حكم المسلم فينسل ويصلى عليه ويدفن مع المسلمين ، وذهب الحنفية إلى أن تارك الصلاة تكاسلاً عمداً فاسق لا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يموت أو يتوب ، أما الحنابلة فذهبوا إلى أن تارك الصلاة تكاسلاً يدعى إلى فعلها ، ويقال له : إن صليت وإلا قتلناك فإن صلى وإلا وجب قتله ، ولا يقتل حتى يحبس ثلاثاً ، ويدعى في وقت كل صلاة ، فإن صلى وإلا قتل حداً ، وقيل كفرًا أي : لا ينسل ، ولا يصلى عليه ، ولا يدفن في مقابر المسلمين (انظر : الموسوعة الفقهية ٥٣/٢٧ ، ٥٤ ، ومن ذلك يتضح أن الرأي الذي ذكره البيجوري هو أحد رأيين عند الحنابلة . والله أعلم) .

وقيل : في السادسة وصححه الشافعية ، وقيل : في السابعة ، وقيل : في الثامنة ، وقيل : في التاسعة وصححه ابن الكمال ^(١) .

حكم قولهم : وسئل الشيرازي ^(٢) عن قول الشخص لمن لم يحج : يا حاج فلان تعظيماً له هل يحرم أو يجوز ؟ فأجاب بالتحريم لأنه كذب ، نعم إن قصد المعنى اللغوي كأن أراد : يا قاصد التوجه إلى كذا جاز .

قوله : (والصلاة) هي لغة : الدعاء مطلقاً ، وقيل : بخير ، وشرعاً : أقوال وأفعال مفتحة بالتكبير مختمة بالتسليم بشرائط مخصوصة ، وهي تعريضها إما مأخوذة من الوصل لأنها وصلة بين العبد وربّه ، وإما مأخوذة من

« صليت العود بالنار » إذا قومه بها لأنها تقيم العبد على طاعة الله تعالى وتنهيه عن خلافه ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّكَ الصَّكُورَةُ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٢٥] .

وقد روي أن فتى من الأنصار كان يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله ﷺ ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ارتكبه ، فوصف لرسول الله ﷺ فقال : « إن صلاته ستنهاه يوماً ما » فلم يلبث أن تاب وحسنت توبته ، فقال ﷺ : « ألم أقل لكم إن صلاته ستنهاه يوماً ما ؟ » ^(٣) وقال بعض المفسرين : الصلاة عرس الموحدين فإنه يجتمع فيها ألوان العبادة ، كما أن العرس يجتمع فيه ألوان الطعام ، فإذا صلى العبد ركعتين يقول الله تعالى : « عبادي مع ضعفك أتيت بألوان العبادة قياماً وركوعاً وسجوداً وقراءة وتهليلاً وتحميداً وتكبيراً وسلاماً فأنا مع جلالتي وعظمتي لا يجمل مني أن أمنعك جنة فيها ألوان النعيم أوجبت لك الجنة بنعيمها كما عبدتني بألوان العبادة ، وأكرمك برؤيتي كما عرفتني بالوحدانية فإني لطيف أقبل عذرَكَ ، وأقبل الخير منك برحمتي فإني أجدر من أعذبه من الكفار بالنار وأنت لا تجد إلهاً غيري يغفر سيئاتك ، عندي لك بكل ركعة قصر في الجنة وحوراء ، وبكل سجدة نظرة إلى وجهي » .

واعلم أن الصلاة فرضت قبل الهجرة بسنة ، والأرجح أنه لم يفرض عليه ﷺ قبلها

(١) هو : أحمد بن سليمان بن كمال باشا ، شمس الدين قاضي من العلماء بالحديث ورجاله ، توفي سنة ٩٤٠ هـ وقيل ٩٣٢ هـ ، من مصنفاته : طبقات الفقهاء ، وطبقات المجتهدين . (انظر : الأعلام ١/ ١٣٣) .

(٢) هو : علي بن علي أبو الضياء نور الدين فقيه شافعي مصري ، ولد سنة ٩٩٧ هـ ، وتوفي سنة ١٠٨٧ هـ ، من مصنفاته : حاشية على الشمائل ، وحاشية على نهاية المجتهد . (انظر : الأعلام ٤/ ٣١٤) .

(٣) ذكره الزيلعي « في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة والكشاف » [٦٤/٣ رقم ٩٥٤] وذكره البغوي في تفسيره [٤٦٩/٣] وكذلك القرطبي في تفسيره [٢٣٠/٣] عن أنس بن مالك بدون سند .

صلاة . وقيل : كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي ، ثم فرضت الصلوات الخمس ليلة الإسراء .

[١٢٩] قوله : (كذا الصيام) أي مثل ما ذكر من الحج والصلاة في كونه الصيام : مثلاً للعمل : الصيام وهو لغة : الإمساك ولو عن نحو الكلام ، ومنه تعريفه قوله تعالى حكاية عن مريم عليها السلام : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ متى فرض [مريم : ٢٦] .

وشرعاً : الإمساك عن المفطر جميع النهار على وجه مخصوص ، وفُرض في شعبان في السنة الثانية من الهجرة وهل كان قبله صوم واجب ونسخ أو لا قولان ، وعلى الأول فقبل عاشوراء ، وقيل : ثلاثة أيام من كل شهر ، وقيل : ثلاثة أيام من كل شهر وعاشوراء ، واعلم أنه عليه الصلاة والسلام صام تسع رمضان ولم يكمل له إلا سنة واحدة على المعتمد . وقال الدميري ^(١) : إلا اثنتان ، وقال غيره : إلا خمس .

[١٣٠] قوله : (فادر) أي اعلم من الدراية ، وهي العلم ، والمحاطب بذلك كل من يتأتى منه الدراية والعلم .

[١٣١] قوله : (والزكاة) هي اسم مصدر بمعنى التزكية ، وهي لغة : التطهير تعريف والمدح والنماء ، وشرعاً : إخراج جزء من المال على وجه مخصوص ، هذا الزكاة : إذا كانت بمعنى الفعل كما هنا وإن كانت بمعنى القدر المخرج .

قلت : هي اسم مال مخصوص يؤخذ من مال مخصوص على وجه مخصوص يصرف لطائفة مخصوصة ، وفرضت في السنة الثانية من الهجرة بعد زكاة الفطر ، وقيل : في غيرها ، فقيل في الرابعة وقيل قبل الهجرة .

(١) هو : محمد بن موسى بن عيسى أبو البقاء ، كمال الدين ، مفكر ، وعالم بالحيوان ، باحث ، أديب من فقهاء الشافعية ، ولد سنة ٧٤٢هـ ، وتوفي سنة ٨٠٨هـ ، من مصنفاته : حياة الحيوان ، وحادي الحسان من حياة الحيوان . (انظر : الأعلام ١١٨/٧) .

٢١ - وَرُجِّحَتْ زِيَادَةُ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ [١٣٢-١٣٣]

[١٣٢] قوله : (ورجحت زيادة الإيمان ..) إلخ تقدم أن العمل من كمال الإيمان عند أهل السنة ، وقد ذكر المصنف هنا أنه يزيد بزيادته وينقص بنقصه زيادته فقال : ورجحت زيادة الإيمان .. إلخ : أي ورجح جماعة من العلماء ، ونقصه وهم جمهور الأشاعرة القول بزيادة الإيمان ؛ لأنه لا معنى لترجيح زيادة الإيمان إلا ترجيح القول بها ^(١) .

[١٣٣] وقوله : (بما تزيد طاعة الإنسان) أي بسبب زيادة طاعة الإنسان ، فالباء سببية ، و « ما » مصدرية ، والطاعة فعل المأمور به واجتناب المنهي عنه .

(١) قال الأشعري : وأجمعوا على أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وليس نقصانه عندنا شكاً فيما أمرنا بالتصديق به ، ولا جهلاً به ؛ لأن ذلك كفر ، وإنما هو نقصان في مرتبة العلم ، وزيادة البيان كما يختلف وزن طاعتنا ، وطاعة النبي ﷺ وإن كان جميعاً مؤديين للواجب علينا . (انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري تحقيق عبد الله شاكر الجنيني طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٣هـ) .

٢٢ - وَنَقْصُهُ بِنَقْصِهَا وَقِيلَ لَا وَقِيلَ لَاخْلُفَ كَذَا قَدْ نُقِلَ [١٣٤-١٣٨]

[١٣٤] وقوله : (ونقصه بنقصها) أي ورجح الجماعة المتقدمون القول بنقص الإيمان بسبب نقص الطاعة ، وهذا بالنظر للشأن ، وإلا فقد يزيده المولى وينقصه بمحض اختياره من غير سبب يقتضيه ، وإذا قلنا بأن الإيمان يزيد وينقص ، فمحله في غير إيمان الأنبياء والملائكة ، وأما إيمان الأنبياء فيزيد ؛ لأن الكامل يقبل الكمال ولا ينقص ، لكن يرد أن الأنبياء يحصل لهم تجلٍ عظيم في بعض الأحيان كما كان ليلة المعراج ، فالإيمان بعده ليس بمنزلته قبله ، ويجاب بأن هذا لا يستلزم تفاوتاً في إيمانهم ، وما يشير إلى أن إيمان الأنبياء يزيد قول سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي ﴾ [البقرة : ٢٦٠] وفي مفاتيح الخزان العلمية لسيد علي وفا ^(١) معنى قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ تَوَدَّ ﴾ أولم يكفك إيمانك ﴿ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنْ لِيُطَمِّنَ قَلْبِي ﴾ من قلقه لرؤية الكيفية ، ومعنى ما ورد في الصحيح « نحن أحق بالشك من إبراهيم » ^(٢) أنه لو لحقه شك لتطرق لنا بالأولى نظراً لحال الأمة لا لحاله ^(٣) ، أو نظراً لحاله ويكون تواضعاً ، وأما إيمان الملائكة فلا يزيد ولا ينقص ، كما ذكره المصنف في كبره عن ابن القيم ^(٤) ، وهو المشهور ، لأن إيمانهم جبلي بأصل الطبيعة وما كان بأصل الطبيعة لا يتفاوت ، وذكر الشيخ عبد البر الأجهوري ^(٥) أن إيمان الملائكة يزيد ولا ينقص ، فجعله كإيمان الأنبياء .

[١٣٥] فتلخص أن الأقسام ثلاثة : يزيد وينقص : وهو إيمان الأمة إنساً وجنّاً ، ولا يزيد ولا ينقص : وهو إيمان الملائكة على المشهور ، ويزيد ولا ينقص وهو إيمان الأنبياء . وزاد بعضهم قسماً رابعاً : وهو الذي ينقص ولا يزيد وهو : إيمان الفساق .

(١) هو : علي بن محمد بن محمد بن وفا ، أبو الحسن القرشي الأنصاري الشاذلي المالكي ، من كبار العارفين ، ولد سنة ٧٥٩ هـ ، وتوفي سنة ٨٠٧ هـ بالقاهرة ، من مصنفاته : مفاتيح الخزان العلمية ، والوصايا ، والباعث على الخلاص في أحوال الخواص . (انظر : الضوء اللامع ٢١/٦ ، والأعلام ٧/٥) .
(٢) أخرجه البخاري (٣٣٧٢) ، ومسلم (١٥١) من حديث أبي هريرة .

(٣) هو : محمد بن أبي بكر بن أيوب أبو عبد الله ابن قيم الجوزية الإمام شمس الدين المفسر ، المحدث الفقهي الحنبلي ، ولد سنة ٦٩١ هـ ، وتوفي بدمشق سنة ٧٥١ هـ ، له تصانيف عديدة منها : أعلام الموقعين ، وزاد المعاد . (انظر : الأعلام ٥٦/٦) .

(٤) هو : عبد البر بن عبد الله بن محمد الأجهوري ، فقيه ، شافعي ، مصري له شروح وحواشي في الفقه وغيره ، توفي سنة ١٠٧٠ هـ ، من مصنفاته : فتح القريب المجيد بشرح جوهره التوحيد ، حاشية على شرح الغاية لابن القاسم . (انظر : الأعلام ٢٧٣/٣) .

وقد احتجوا على أن الإيمان يزيد وينقص بحجة عقلية ونقلية ، أما العقلية فهي : أنه لو لم تتفاوت حقيقة الإيمان بالزيادة والنقص لكان إيمان آحاد الأمة بل المنهمكين على الفسق والمعاصي مساوياً لإيمان الأنبياء والملائكة ، واللازم وهو المساواة باطل ، فكذا الملزوم الذي هو عدم التفاوت بالزيادة والنقص. وأما النقلية فهي النصوص الكثيرة الواردة في هذا المعنى ، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [الأنفال : ٢] ، وكقوله ﴿ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] ، وقوله ﴿ وَيَزَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر : ٣١] وقوله ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا ﴾ [التوبة : ١٢٤] وكقوله عليه الصلاة والسلام لابن عمر لما سأله الإيمان يزيد وينقص ؟ قال : « نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة ، وينقص حتى يدخل صاحبه النار » ^(١) وقوله عليه الصلاة والسلام « لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به » ^(٢) وهذا الحديث كآليات السابقة لا يدل على أنه ينقص فيضم إلى ذلك ، وكل ما يقبل الزيادة يقبل النقص فيتم الدليل ، وأورد على هذه الضميمة إيمان الأنبياء ، وأجيب بأنه خرج لوجوب العصمة الدائمة المانعة من نقصه .

[١٣٦] قوله : (وقيل لا) أي : وقال جماعة أعظمهم الإمام أبو حنيفة وهو النعمان بن ثابت : لا يزيد ولا ينقص ، لأنه اسم للتصديق البالغ نهاية الجزم والإذعان ، وهذا لا يتصور فيه ما ذكر ، لأن تلك النهاية لا مراتب لها ، وبحث فيه بأن التصديق مراتب ، فإن تصديق المقلد ليس كتصديق العارف بالدليل ، وهو ليس كتصديق المراقب وهو ليس كتصديق المشاهد ، وهو ليس كتصديق المستغرق الذي لا يشاهد إلا الله ، وتأول هؤلاء الجماعة الآيات السابقة بأن الزيادة إنما هي في المؤمن به ، لأن الصحابة كانوا آمنوا بما أنزل عليه ﷺ وكانت الشريعة لم تتم ، وكانت الأحكام تنزل شيئاً فشيئاً ، فكانوا يؤمنون بكل ما يتجدد ، وتأولوا الأحاديث السابقة بأن الزيادة والنقص يرجع كل منهما إلى الأعمال لا التصديق ، ويحتمل في أن يكون النفي في كلام المصنف راجعاً إلى أقرب مذكور وهو قوله : « ونقصه بنقصها » فكأنه قال : وقيل لا ينقص ، فيكون مراده بهذا القيل أن الإيمان يزيد ولا ينقص ، كما ذهب إليه الخطابي ^(٣)

(١) أخرجه ابن ماجه المقدمة باب الإيمان ٢٨/١ رقم ٧٤ ، ٧٥ ، موقوفاً على أبي هريرة ، وابن عباس ، وأبي الدرداء ، وإسناد هذا الحديث ضعيف . (انظر : مغني الأسفار للعراقي بهامش الإحياء ١٢٠/١) .

(٢) أخرجه البخاري في المقاصد الحسنة ص ٣٤٩ ، عن إسحاق بن راهويه والبيهقي في الشعب .

(٣) هو : حمد بن محمد بن إبراهيم البستي ، أبو سليمان الإمام الفقيه المحدث ، ولد سنة ٣١٩ هـ ، وتوفي سنة ٣٨٨ هـ ، من مصنفاته : بيان إعجاز القرآن ، غريب الحديث ، ومعالم السنن . (انظر : الأعلام ٢٧٣/١) .

حيث قال : « الإيمان الكامل ثلاثة أمور : قول وهو لا يزيد ولا ينقص ، وعمل وهو يزيد وينقص ، واعتقاد وهو يزيد ولا ينقص ، فإن نقص ذهب » .

[١٣٧] قوله : (وقيل لا خلف) استئناف لا عطف كما قاله المصنف ، ويحتمل أن يكون معطوفاً على مقدر مفهوم من السياق ، والتقدير : قد اشتهر أن بين القوم خلافاً حقيقياً ، وقيل لا خلف : أي وقال جماعة منهم الفخر الرازي ^(١) وإمام الحرمين : ليس الخلاف بين الفريقين حقيقياً بل لفظياً ، ونفي الخلاف على الإطلاق لا يصح ، ووجه كون الخلاف لفظياً : إن القول بأنه يزيد وينقص محمول على ما به كماله وهو الأعمال ، والقول بأنه لا يزيد ولا ينقص محمول على أصله وهو التصديق الباطني .

[١٣٨] وكقوله : (كذا قد نقلا) راجع للقليل الأخير لا لجميع ما سبق وأشار بذلك إلى التبري من عهدة صحة هذا القيل ، لأن الأصح أن التصديق القلبي يزيد وينقص بكثرة النظر ووضوح الأدلة وعدمهما ، وقد يزيد أيضاً بمحض التجلي كما سبق ، ولهذا كان إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا تعثره الشبه ، على أن هذا القيل خلاف المعروف بين القوم من أن الخلاف حقيقي ، فتحصل أن المعتمد أن الإيمان هو التصديق فقط ، وأن النطق شرط في إجراء الأحكام الدنيوية ، وأن الإيمان يزيد وينقص كما هو التحقيق ، فاستفده ، والله ولي التوفيق .

(١) هو : محمد بن عمر بن الحسن ، فخر الدين الرازي ، أبو المعالي الإمام المفسر ، الفقيه الشافعي إمام وقته في العلوم العقلية ، توفي سنة ٦٠٦ هـ ، من مصنفاته : مفاتيح الغيب ، والقضاء والقدر . (انظر : الأعلام ٦/٣١٣) .

٢٣ - فَوَاجِبٌ لَهُ الوجودُ وَالْقَدَمُ كَذَا بَقَاءُ لَا يَشَابُ بِالْعَدَمِ [١٣٩ - ١٤٦]

[١٣٩] وقوله : (فواجب له ..) إلخ أي : إذا أردت معرفة ما يجب له تعالى فأقول لك : واجب له .. إلخ ، فالفاء فاء الفصيحة ، والضمير المجرور مباحثه عائده عليه تعالى . وقد انقسمت مباحث هذا الفن ثلاثة أقسام :

إلهيات : وهي المسائل المبحوث فيها عما يتعلق بالإله .

ونبويات : وهي المسائل التي يبحث فيها عما يتعلق بالأنبياء .

وسمعيات : وهي المسائل التي لا تتلقى أحكامها إلا من السمع ، وقد شرع في تفصيل ذلك مقدّمًا للإلهيات على غيرها لتعلقها بالحق تعالى ، وما يتعلق به مقدّم على غيره ، وبدأ بالواجب لشرفه ، وإنما قدم منه الوجود لأنه كالأصل وماعداه كالفرع ؛ لأن الحكم بوجوب الواجبات له تعالى واستحالة المستحيلات عليه تعالى وجواز ما يجوز في حقه تعالى لا يتعلّق إلا بعد الحكم بوجوب الوجود له تعالى ، ثم إن المصنف قدم الخبر للاهتمام ، لأن المقصود الحكم بالوجوب ، وقد يقال : الظاهر إعراب « واجب » مبتدأ ، وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة عمله في الجار والمجرور ، والوجود وما بعده خبر ، فكأنه قال : الواجب المتقدم ذكره هو الوجود وما عطف عليه ، ومعنى كونه تعالى واجب الوجود :

واجب | أنه لا يجوز عليه العدم ، فلا يقبل العدم لا أزلاً ولا أبداً . والدليل على الوجود : وجوب الوجود له تعالى أن تقول : الله يجب افتقار العالم إليه ، وكل من معناه | وجب افتقار العالم إليه واجب الوجود ، ينتج : الله واجب الوجود .

دليل الصغرى : ما تقدم من أن العالم حادث ، وكل حادث يجب افتقاره إلى مُحدث . ودليل الكبرى : أنه لو لم يكن واجب الوجود لكان جائزه . فيفتقر إلى محدث ويفتقر محدثه إلى محدث ، فإن رجع الأمر إلى الأول مباشرة أو بواسطة فالدور ، لأنه دار الأمر ورجع إلى مبدئه ، وإن تابعت المحدثون واحداً بعد واحد إلى ما لا نهاية له فالتسلسل ، لأنه تسلسل الأمر وتتابع ، وكل من الدور والتسلسل محال ، فما أدّى إليه وهو افتقاره إلى محدث محال ، فما أدّى إليه وهو كونه ليس واجب الوجود محال ، وإذا استحال كونه ليس واجب الوجود ثبت كونه واجب الوجود وهو المطلوب ، وحقيقة الدور توقف الشيء على ما توقف عليه إما بمرتبة أو أكثر ، وحقيقة التسلسل ترتب أمور غير متناهية (١) ، وإنما

(١) فالتسلسل في قبيل الماضي لا يتصوره العقل . لأنه ما من أمرٍ محقق إلا وقبلة أمرٍ محقق وفي قبيل المستقبل يتصوره العقل لأنه ما من أمرٍ محقق إلا وبعده أمرٍ مقدر .

كان الدور مستحيلًا لأنه يلزم عليه كون الشيء الواحد سابقًا على نفسه مسبوقًا بها ، فإذا فرضنا أن زيدًا أوجد عمرًا وأن عمرًا أوجد زيدًا ، لزم أن زيدًا متقدم على نفسه متأخر عنها وأن عمرًا كذلك ، وإنما كان التسلسل مستحيلًا لأدلة أقامها المتكلمون أجّلها برهان التطبيق ، وتقديره : أنك لو فرضت سلسلتين ، وجعلت إحدهما من الآن إلى ما لا نهاية له ، والأخرى من الطوفان إلى ما لانهاية له ، وطبقت بينهما بأن قابلت بين أفرادهما من أولهما ، فكلما طرحت من الآتية واحدًا طرحت في مقابلته من الطوفانية واحدًا وهكذا ، فلا يخلو إما أن يفرغا معا فيكون كل منهما ماله نهاية وهو خلاف الفرض ، وإن لم يفرغا لزم مساواة الناقص للكمال وهو باطل ، وإن فرغت الطوفانية دون الآتية كانت الطوفانية متناهية والآتية أيضًا كذلك ، لأنها إنما زادت على الطوفانية بقدر متناهٍ وهو ما من الطوفان إلى الآن ، ومن المعلوم أن الزائد على شيء متناهٍ بقدر يكون متناهيًا بالضرورة ، ويتعلق به مباحث تطلب من المطولات .

[١٤٠] وقوله : (الوجود) ^(١) أي الذاتي ، بمعنى أن وجوده لذاته لا لعلّة ، أي أن الغير ليس مؤثرًا في وجوده تعالى ، وليس المراد أن الذات أثرت في نفسها ، إذ لا يقوله عاقل ، وإنما ضاق عليهم التعبير ، فثمرة القيد تظهر في المختز . وأما الوجود غير الذاتي كوجودنا فهو بفعله تعالى ، وبعضهم لا

صفة الوجود : تعريفها

يشاهد لغيره وجودا وهذا يسمى عندهم وحدة الوجود ، وقد غرق فيه من غرق حتى وقع من بعض الأولياء ما يوهم الاتحاد والحلول كقول الحلاج ^(٢) : أنا الله ، وكقول بعضهم : « ما في الجبة إلا الله » ، وهذا اللفظ لا يجوز شرعًا لإيهامه ، لكن القوم تارة تغلبهم الأحوال فيؤوّل ما يقع منهم بما يناسبه ، ومن أفتى بقتل الحلاج حين قال المقالة السابقة : الجنيد ^(٣) ، كما في شرح الكبرى .

= فائدة : الموجود له أربعة ثبوتات : ثبوت في الأعيان ، وثبوت في الأذهان ، وثبوت في الألفاظ ، وثبوت في النفوس . والأحوال لها ثبوتات ثلاثة : وهي ما عدا الأول ، والصفات السلبية لها ثبوتان فقط ، وهما الأخيران . (١) الوجود صفة نفسية وهي واحدة ، وليس لله صفات نفسية أخرى ، لأن معنى كونها نفسية : أن الذات لا توجد إلا بها ، فإذا تعددت للزم أن تكون الذات مركبة من أجزاء بحيث يقوم بكل جزء صفة نفسية من تلك الصفات ولا يخفى مساره .

(٢) هو : الحسين بن منصور الحلاج أبو مغيث فيلسوف ، مات سنة ٣٠٩ هـ ، وقيل قتل ، من مصنفاته : الظل الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية ، ومدح النبي والمثل الأعلى . (انظر : الأعلام ٢/٢٦٠) .

(٣) هو : الجنيد بن محمد ، النهاوندي ثم البغدادي ، أبو القاسم ، سيد الطائفة ، سمع من السري السقطي وصحبه ، ومن الحسن بن عرفة ، وصحب أيضا : الحارث المحاسبي وأبا حمزة البغدادي . قال ابن الأثير في =

ومن اللفظ الموهوم ما شاع على ألسنة العوام من قولهم : موجود في كل الوجود ففيه إشارة إلى وحدة الوجود لكنه ممتنع لإيهامه الحلول وقد اختلف في الوجود ، هل هو عين الموجود أو غيره كما سيأتي ، فقال الأشعري : الوجود عين الموجود ، وقد اختلف العلماء في فهم المراد من عبارة الأشعري ، فبعضهم أبقاها على ظاهرها ، وعليه يكون في عدّ الوجود صفة تسامح ، لأنه يقع صفة في مجرد اللفظ ، كأن يقول : الله موجود ، والمحققون كالسعد وأضرابه أولوا عبارة الأشعري فقالوا : ليس المراد العينية حقيقة ، بل المراد أنه ليس زائداً على الذات في الخارج بحيث تصح رؤيته ، فلا ينافي أنه أمر اعتباري ، وهو الحق الذي لا محيص عنه ، وعليه فلا يكون في عدّ الوجود صفة تسامح ، لأن الصفة يكفي فيها مغايرة الموصوف وإن لم تكن زائدة في الخارج ، كيف وقد عدوا السلوب صفات كالقدم والبقاء .

[١٤١] وقال الرازي وجماعة : الوجود غير الموجود ضرورة مغايرة الصفة للموصوف ، وعليه فقد عرّفوا الوجود بأنه الحال الواجبة للذات مادامت الذات ، حال كون تلك الحال غير معللة بعلّة ، والمراد بكونها حالاً أنها واسطة بين الموجود والمعدوم على القول بثبوت الواسطة التي هي الحال ، ومعنى كونها واجبة للذات مادامت الذات : أنها ثابتة للذات مدة دوام الذات ، وخرج بقولنا : « غير معللة بعلّة » الحال المعللة بعلّة ، كالكون قادراً ، فإنه حال معلل بعلّة أي لازم للزوم وهو القدرة ، ورجح بعضهم أن الخلاف لفظي فحمل كلام الأشعري على أن الوجود ليس زائداً في الخارج ، فلا ينافي أنه حال وهو مراد الثاني ، وجرى على ذلك المصنف في الشرح ، وقيل : الخلاف حقيقي ، فقول الأشعري محمول على أنه أمر اعتباري على التحقيق ، وقول غيره محمول على أنه حال ، ويكفي المكلف أن يعرف أن الله موجود ، ولا يجب عليه معرفة أن وجوده تعالى عين ذاته أو غير ذاته كما قال سيدي محمد الصغير ^(١) ، لأن ذلك من

= وصفه : إمام الدنيا في زمانه ، وعدّه العلماء شيخ مذهب الصوفية ، ومن أقواله : علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ الكتاب ، ويكتب الحديث ، ولم يتفقه ، لا يقتدى به ، توفي سنة ٢٩٨ هـ فرضي الله عنه ورحمه . (انظر : المنتظم ٤٢٢/٧ ، سير أعلام النبلاء ٦٦/١٤ ، العبر ١١٠/٢) .

(١) هو : أبو عبد الله محمد الصغير بن محمد بن عبد الله اليفرنى الفقيه المحدث العلامة الأديب المؤرخ الفهامة . أخذ عن : أبي العباس الحلبي ومحمد بن عبد القادر الفاسي ومحمد السنائوي وغيرهم ، توفي سنة ١١٥٥ هـ ، له تصانيف منها : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ، يعني الحادي عشر ، والمسلسل السهل في شرح توشيح ابن سهل . (انظر : شجرة النور الزكية ٣٣٥ ، الأعلام ٦٧/٧) .

غوامض علم الكلام. واعلم أن الوجود صفة نفسية ، وإنما نسبت للنفس أي الذات ، لأنها لا تتعقل إلا بها فلا تتعقل ^(١) نفس إلا بوجودها ، والمراد بالصفة النفسية صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها ، كأن يقال : الوجود صفة لله تعالى ، فقولنا : « صفة » كالجنس وقولنا : « ثبوتية » يخرج السلبية كالقدم والبقاء ، وقولنا : « يدل الوصف بها على نفس الذات » معناه أنها لا تدل على شيء زائد على الذات ، فقولنا : « دون معنى زائد عليها » تفسير مراد لقولنا « على نفس الذات » ويخرج بذلك المعاني لأنها تدل على معنى زائد على الذات ، وكذلك المعنوية فإنها تستلزم المعاني فهي تدل على معنى زائد على الذات لاستلزامها المعاني .

[١٤٢] قوله : (والقدم) أي وواجب له القدم ، فهو معطوف على الوجود ، وهذا شروع في الصفات السلبية : أي التي دلت على سلب ما لا يليق به **صفة** **القدم** : سبحانه تعالى ، وليست منحصرة على الصحيح ، وعدّ المصنف منها ^(٢) **تعريفها** خمسة ، لأن ماعداها من نفي الوالد والصاحبة والمعين وغير ذلك مما لا نهاية له راجع إليها ولو بالالتزام ، فهي أمهاتها : أي أصولها المهمات منها ^(٣) ، والمراد بالقدم في حقه تعالى : القدم الذاتي ، وهو عدم افتتاح الوجود ، وإن شئت قلت هو عدم الأولية للوجود ، وأما القدم في حقنا فالمراد به الزماني وهو طول المدة وضبط بسنة ، حتى إذا قال : كل من كان من عبيدي قديماً فهو حرّ ، عتق من له عنده سنة ، وهذا مستحيل في حقه تعالى ، وكذا القدم الإضافي كقدم الأب بالنسبة للابن ، فتحصل من هذا أن القدم ثلاثة أقسام : ذاتي ، وزماني ، وإضافي ، فإن قلت : إن وجوب الوجود يستلزم القدم بل والبقاء فذكرهما بعده محض تكرار . قلت : علماء هذا الفن لا يكتفون بدلالة الالتزام ، بل يصرحون بالعقائد لشدة خطر الجهل في هذا الفن ، فلا يستغنون بملزوم عن لازم ولا بعام عن خاص ، ودليل القدم : أنه لو لم يكن قديماً لكان حادثاً ، إذ لا واسطة ، ولو كان حادثاً لافتقر لمحدث ، ولو افتقر لمحدث لافتقر محدثه إلى محدث

(١) قوله : (فلا تتعقل ...) إلخ اعتراض بأن الماهية تتعقل بدون وجودها ، بدليل أنّا تتعقل شريك الباري بأنه من يشارك الله في الألوهية ، والفرس أنه لا وجود له ، ويجاب بأن المراد من التعقل التحقق خارجاً والذات لا تتحقق لها خارجاً بدون وجودها .

(٢) « وعد المصنف منها » مبني على أنها لا تنحصر ، لأن ما عدها إلخ مبني على القول .

(٣) سميت هذه الصفات بمهمات الأمهات ، لأنه يلزم من نفي ضدها تنزيهه تعالى عن جميع النقائص .

(انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد ١٤٥) .

لانعقاد الماثلة بينهما ، فيلزم الدور أو التسلسل وكل منهما محال ، فما أدى إليه وهو افتقاره لمحدث محال ، فما أدى إليه وهو كونه حادثاً محال ، فما أدى إليه وهو عدم كونه قديماً محال ، وإذا استحال عدم كونه قديماً ثبت كونه قديماً وهو المطلوب . واعلم أن لهم في القديم والأزلي ثلاثة أقوال :

الأول : أن القديم هو الموجود الذي لا ابتداء لوجوده ، والأزلي ما لا أول له عديمًا أو وجوديًا فكل قديم أزلي ولا عكس .

الثاني : أن القديم هو القائم بنفسه الذي لا أول لوجوده ، والأزلي : ما لا أول له عديمًا أو وجوديًا قائمًا بنفسه أو بغيره ، وهذا هو الذي يفهم من كلام السعد .

الثالث : أن كلا منهما ما لا أول له عديمًا أو وجوديًا قائمًا بنفسه أو لا . وعلى هذا فهما مترادفان ، فعلى الأول الصفات السلبية لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية ، بخلاف الذات العلية والصفات الثبوتية فإنها توصف بالقدم والأزلية ، وعلى الثاني الصفات مطلقًا لا توصف بالقدم وتوصف بالأزلية ، بخلاف الذات العلية فإنها توصف بكل منهما ، وعلى الثالث كل من الذات والصفات مطلقًا توصف بالقدم والأزلية فتدبر .

[١٤٣] قوله : (كذا بقاء) التنوين للتنوين والتعظيم : أي نوع من أنواع البقاء عظيم مثل المذكور من الوجود والقدم في الوجوب له تعالى ، فاسم الإشارة عائد على المذكور من الوجود والقدم ، والجامع هو الوجوب له تعالى ، والمراد به في حقه تعالى : عدم الآخريّة للوجود ، وإن شئت قلت : عدم اختتام الوجود ، ودليل البقاء له تعالى : أنه لو جاز عليه العدم لاستحال عليه القدم ، لما تقدم في كلام المصنف من قوله :

وكل ما جاز عليه العدم عليه قطعاً يستحيل القدم

كيف وقد سبق قريباً وجوب القدم له تعالى ، وكل ما ثبت قدمه استحال عدمه ، وقد اتفق العقلاء على هذه القضية كما في العكاري^(١) على الكبرى . وأورد عليها عدمنا في الأزل فإنه قديم ، بناء على القول بترادف القديم والأزلي فهو كعدم المستحيل فلم جاز انقطاعه بوجودنا فيما لا يزال ، أجب بأن هذه القاعدة إنما هي في القديم الوجودي ، إذ الدليل إنما قام فيه كما ذكره الإمام ابن ذكري^(٢) .

(١) هو : رمضان عبد الحق العكاري . فقيه حنفي ، ولد سنة ٩٨٤ هـ ، وتوفي سنة ١٠٥٦ هـ ، من مصنفاته :

حاشية على شرح السنوسي على كبراه في التوحيد . (انظر : الأعلام ٣/٣٣) .

(٢) هو : محمد بن عبد الرحمن بن ذكري المالك المتوفى سنة ١١٤٤ هـ وله مصنفات منها حاشية على

البخاري ، والمهمات المفيدة في شرح النظم المسمى بالفريدة . (انظر : الأعلام ٦/١٩٧) .

[١٤٤] وقال الفهري : إن الإراد من أصله مدفوع بأن وجودنا قطع عدمنا فيما لا يزال لا في الأزل وإلا لوجدنا في الأزل وهو محال. قال العلامة اليوسي : وهو ظاهر ، لكن قال العلامة الأمير : ولك أن تقول : لم يظهر لقولهم : « كل قديم فهو باق » ^(١) فانقطاع الاستمرار فيما لا يزال مضر فالظاهر الجواب الأول اه .

لا يقال : أي فريق بين عدمنا وعدم المستحيل كالشريك ، فإن كلا منهما واجب في الأزل ، لأننا نقول : وجوب عدمنا مقيد بالأزل فهو ممكن فيما لا يزال ، وأما عدم المستحيل فواجب على الإطلاق .

[١٤٥] (تنبيه) علم مما تقدم أن الله تعالى لا أول له ولا آخر ، وأن عدمنا في الأزل لا أول له وله آخر ، وأما المخلوقات فلها أول وآخر ، ونعيم الجنة وعذاب النار له أول ولا آخر له فكل منهما باق لكن شرعا لا عقلا ، لأن العقل يجوز عدمهما ، فالأقسام أربعة . [١٤٦] قوله : (لا يشاب بالعدم) أي لا يخلط بالعدم ، والمراد من ذلك أنه لا يلحقه عدم ، لأن حقيقة المخالطة تقتضي الاجتماع ، والبقاء لا يجتمع مع عدم إلا أن يقدر مضاف : أي لا يشاب بجواز عدم ، وهو معنى البطلان في قول لييد ^(٢) :

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

أي من نعيم الدنيا ، كما يدل عليه بقية القصيدة فلا يرد عليه نعيم الجنان ، واحترز المصنف بذلك من بقاءنا فإنه يشاب بالعدم ويخلط به لأنه مقارنة استمرار الوجود زمانين فصاعداً ، وهذا مستحيل في حقه تعالى ، لأن الزمان حركة الفلك ، أو مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم إزالة للإبهام ، كما في قولك : « آتيك طلوع الشمس » فالزمان ^(٣) هو مقارنة الإتيان المتجدد الموهوم لطلوع الشمس المتجدد المعلوم ، وكل من حركة الفلك والمقارنة المذكورة حادث ، ولا يقترن بالحادث إلا من كان مثله ، ومحل كونه مستحيلاً إذا كان على وجه الحصر بأن يقال : وجوده ليس إلا في زمان ، وإلا فهو تعالى موجود قبل كل شيء وبعده ومعه .

(١) معناه أن القدم لا ينقطع في الأزل ولا فيما لا يزال ، وعلى هذا المعنى يحمل قولهم : كل ما ثبت قدمه استحالة عدمه ، فمعناه أن القدم لا ينعدم أصلاً لا في الأزل ولا فيما لا يزال .

(٢) هو : أبو عقيل لييد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب العامري. من شعراء الجاهلية الأشراف المجيدين ومن أصحاب المعلقات بإجماع الرواة ، أسلم وهاجر وسكن في المدينة ، أجمعت المصادر على أن لييد لم يقل شعراً كثيراً في الإسلام . (انظر : الأعلام ٥/٢٤٠ ، تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ١/٢٣١ وما بعدها) .

(٣) الزمان هو : فترة بين (أي واقعة) متغيرين (أي حدث فيه نقصان وزيادة) . هل يمكن السير في الزمن ؟ في الإسراء والمعراج دليل على الخروج من الزمان والمكان .

٢٤ - وَأَنَّهُ لِمَا يَنَالُ الْعَدَمُ مُخَالَفٌ، بُرْهَانُ هَذَا الْقِدَمِ [١٤٧-١٤٨]

[١٤٧] قوله : (وأنه لما ينال العدم مخالف) أي : وواجب له أنه تعالى مخالف
المخالفة للحوادث التي يلحقها العدم فهو يفتح الهمزة من « أن » واسمها الضمير
العائد عليه تعالى ، وخبرها مخالف ، ويتعلق به الجار والمجرور قبله ، وإنما

قدمه لضرورة النظم ، و « ما » واقعة على الحوادث ، وعائدها محذوف ، وأن وما
دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الوجود ، والتقدير : وواجب له تعالى
مخالفته للحوادث التي يلحقها العدم ، وبذلك يندفع ما في حاشية الشيخ العدوي (١)
من أن في كلام المصنف تسميحا ، لأن الصفة مخالفته لا أنه مخالف ، ووجه اندفاع
ذلك أن القاعدة سبك « أن » المفتوحة بمصدر من خبرها وهو شائع في العربية فلا يقال
فيه تسمح ، وجعلنا بذلك معطوفاً على الوجود أولى من جعله خبراً لمبتدأ محذوف ،
والتقدير : والصفة الثالثة من الصفات السلبية أنه ... إلخ ، وكلام الشيخ عبد السلام في
هذا المقام حلّ معنى لا حلّ إعراب (٢) ، وإن أوهمت عبارته خلاف ذلك ، وإنما أسند
المخالفة له تعالى لأنها تنزيه ، والموصوف به الله لا الحوادث ، وكما أنه تعالى مخالف
للحوادث مخالف للأعدام الأزلية كما علم من وصفه بالوجود ، إذ هي ليست
موجودة ، وقد ذكر الشيخ عبد السلام في هذا المقام أن الأعدام الأزلية من الحوادث ،
وهو سهو ، لأن الأعدام الأزلية واجبة كما تقدم ، وقد ذكرها والده مثالا للعدم السابق
ولم يجعلها من الحوادث ، والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية
والجزئية ولولازمها عنه تعالى ، فلازم الجرمية التحيز ، ولازم العرضية القيام بالغير ، ولازم
الكلية الكبير ، ولازم الجزئية الصغر إلى غير ذلك ، فإذا ألقى الشيطان في ذهنك أنه إذا
لم يكن المولى جرمًا ولا عرضًا ولا كلاً ولا جزءًا فما حقيقته ، فقل في رد ذلك : لا
يعلم الله إلا الله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .
[١٤٨] قوله : (برهان هذا القدم) أي دليل ما ذكر من أنه مخالف للحوادث :

(١) العدوي هو : علي بن أحمد بن مكرم الصعيدي أبو الحسن ، الفقيه المالكي المصري ، شيخ شيوخ عصره ،
ولد سنة ١١١٢ هـ ، وتوفي سنة ١١٨٩ هـ من تصانيفه : حاشية على شرح الجوهرة لعبد السلام ، حاشية على
شرح القاضي زكريا على ألفية العراقي ، في المصطلح (انظر : سلك الدرر ٢٠٦/٣ ، والأعلام ٢٦٠/٤) .
(٢) في هذا المقام حل معنى لا حل إعراب فقد يتفق حل المعنى مع حل الإعراب وذلك غاية المنى . وقد
يختلفان مثل أهلك والليل ، وحل المعنى : الحق أهلك قبل الليل ، وحل إعرابها يجب أن يخالف ذلك لأن الليل
منصوبة ، وحل معناها يجعلها مكسورة وإذا أردنا الإعراب : وسابق الليل ونص على ذلك المثال ابن جني .

دليل القدم فكلام المصنف على تقدير مضاف ، وتقرير البرهان أن تقول : لو لم يكن مخالفاً للحوادث لكان مماثلاً لها ولو كان مماثلاً لها لكان حادثاً ، كيف وقد ثبت قدمه بالدليل السابق ، ويصح إبقاء كلام المصنف على ظاهره ، فيكون نفس القدم هو الدليل على المخالفة ، لأن كل من وجب له القدم استحال عليه العدم ، ولا شيء من الحوادث يستحيل عليه العدم ، فلا شيء منها بتقديم . فثبتت المخالفة (١) .

(١) قال أبو الحسن الأشعري : أجمعوا على أنه ﷻ غير مشبه لشيء من العالم ، وقد نبه الله ﷻ على ذلك بقوله : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ، ويقول ﷻ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَمْ كُفُوا أَحَدٌ ﴾ وإنما كان ذلك كذلك ، لأنه تعالى لو كان شبيهاً لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى الحدث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه ، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه ، وقد قامت الأدلة على حدث جميع الخلق ، واستحالة قدمه ... وليس كونه ﷻ غير مشبه للخلق ينفي وجوده ، لأن طريق إثباته كونه تعالى على ما اقتضته العقول من دلالة أفعاله عليه دون مشاهدته. انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري (١١٩ ، ١٢٠) .

٢٥ - قيامه بالنفس وحدانيته مُنَزَّهَا أَوْصَافُهُ سَنِيَّةٌ [١٤٩ - ١٥٦]

[١٤٩] قِيَامُهُ
بِنَفْسِهِ
تَعَالَى

قوله : (قيامه بالنفس) معطوف على الوجود بحذف حرف العطف والتقدير : وواجب قيامه بنفسه ف (أَل) في النفس عوض عن المضاف إليه ^(١) ، وقول الشارح « والصفة الرابعة من الصفات السلبية الواجبة له تعالى قيامه بالنفس » حلّ معنى لا حلّ لإعراب « كما تقدم ، وقد جعل بعضهم الباء في قوله « بالنفس » باء الآلة ، وأصله للسكتاني ^(٢) ، وفيه إساءة أدب ، وقد تخلص الشيخ يحيى الشاوي ^(٣) من إساءة الأدب بأن فائدة ذلك تظهر في المقابل : أي لا بغيره ، فالمعنى : أن الغير ليس آلة في قيامه تعالى ، فهو نظير ما سبق في وجوده لذاته لا لعلّة ، ولكن الأولى أن الباء للسببية ، لأن الآلة واسطة الفعل ولا تناسب هنا ، كما لا يناسب جعلها للتعديّة ، لأن مجرور الباء التي للتعديّة يكون مفعولاً به معنى ، ك ﴿ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُفُسِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٧] ولا كذلك ما هنا ، وجعلها الشيخ الملوي بمعنى « في » فهي للظرفية المجازية ، فالمعنى قيامه في نفسه ليس باعتبار شيء آخر ، كما يقال : هذا العبد في نفسه يساوي كذا : أي لا باعتبار شيء آخر معه ، والمراد من النفس هنا الذات ، فإنها تطلق على الذات كما هنا ، وتطلق على الدم كما في قولهم : « ما لا نفس له سائلة لا ينجس الماء » وعلى الأنفة كما في قولهم « فلان ذو نفس » وعلى العقوبة ، قيل : منه قوله تعالى : ﴿ وَيَعَذِّبُكُمُ اللَّهُ تَنَكُّسًا ﴾ [آل عمران : ٢٨] أي عقوبته ، والحق أنه يجوز إطلاق النفس على ذات الله تعالى من غير مشاكلة ^(٤) كما يدل له قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] خلافاً لمن

(١) يشير البيجوري إلى أن المراد من قول اللقاني « قيامه بالنفس » هو قيامه بنفسه ، قال عوض عن المضاف إليه ومجيء « أَل » عوضاً عن المضاف إليه خلاف بين النحويين.

جاء في المغني وحاشية الدسوقي عليه : أجاز الكوفيون ، وبعض المتقدمين من البصريين وكثير من المتأخرين نيابة « أَل » عن الضمير المضاف إليه ، وخرجوا على ذلك ﴿ فَإِنَّ لَئِنَّهُ هِيَ الْآوَى ﴾ والماتعون يقدرّون هي المأوى له ، وقيد ابن مالك الجواز بغير الصلة ، وقال الزمخشري في ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ إن الأصل أسماء المسميات . (انظر : مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام وبحاشية حاشية الدسوقي ٧٧/١) .

(٢) هو : عيسى بن عبد الرحمن المالكي أبو مهدي السكتاني ، القاضي ، فقيه متكلم توفي في مراكش سنة ١٠٦٢هـ ، من مصنفاته : حاشية على شرح أم البراهين للسنوسي ، والنوازل . (انظر : الأعلام ١٠٤/٥) .

(٣) هو : يحيى بن محمد بن محمد أبو زكريا ، الملياني الجزائري ، مفسر من فقهاء المالكية ، ولد سنة ١٠٣٠هـ ، وتوفي سنة ١٠٩٦هـ ، من مصنفاته : حاشية على شرح أم البراهين للسنوي ، وأصول النحو . (انظر : الأعلام ١٦٩/٨) .

(٤) المشاكلة : المقابلة كما في قوله (نسوا الله فنسيهم) .

زعم أنها لا تطلق عليه تعالى إلا مشاكلة كما في قوله تعالى : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ومعنى قيامه بنفسه : عدم افتقاره تعالى إلى المحل : أي الذات التي يقوم بها ، لا بمعنى المكان ، لأن ذلك عُلم من المخالفة للحوادث .

[١٥٠] وقال الغنيمي ^(١) : ولا مانع من حمل المحل على معنييه هنا ، وعدم افتقاره تعالى إلى المخصص : أي الموجد ، وهذا الثاني وإن كان يستغنى عنه بالقدم ، لكن تقدم أن العلماء لا يكتفون في هذا الفن بدلالة الالتزام لشدة خطر الجهل بالعقائد ، فمعنى القيام بالنفس شيان : عدم افتقاره إلى المحل ، وعدم افتقاره إلى المخصص ، والدليل على عدم افتقاره إلى المحل أنه لو افتقر إلى محل لكان صفة ، ولو كان صفة لم يتصف بصفات المعاني والمعنوية ، وهي واجبة القيام به تعالى للأدلة الدالة على ذلك هذا خلف بفتح الحاء : أي يستحق أن يرمى به خلف الظهر ، أو بضمها أي كذب وباطل ، وإذا بطل ذلك بطل ما أدى إليه وهو كونه صفة ، فبطل ما أدى إليه أيضًا وهو افتقاره إلى محل ، وإذا بطل افتقاره إلى محل ثبت عدم افتقاره إلى محل وهو المطلوب ، والدليل على عدم افتقاره إلى المخصص أنه لو افتقر إلى مخصص لكان حادثًا كيف وقد سبق وجوب وجوده وقدمه وبقائه ذاتًا وصفات .

[١٥١] (تنبيه) علم من ذلك أنه مستغن عن المحل والمخصص معًا ، وأما صفاته فهي مستغنية عن المخصص وقائمة بذاته تعالى ولا يعبر فيها بالافتقار إلى الذات لما فيه من الإيهام ، وقد أساء الفخر الأدب حيث أطلق لفظ الافتقار والاحتياج فيها ، وذوات الحوادث مفتقرة إلى مخصص ومستغنية عن الذات التي تقوم بها ، وصفات الحوادث مفتقرة إليهما معًا ، فالأقسام أربعة فتدبر .

[١٥٢] قوله : (وحدانية) معطوف على « الوجود » بحذف حرف العطف أي وواجب له وحدانية ، وما ذكره الشارح حلّ معنى لا حلّ إعراب كما سبق. وهي بفتح الواو نسبة إلى الوحدة ، فياؤها للنسب ، والألف والنون للمبالغة كما في « رقباني » نسبة للرقبة ، و « شعرائي » نسبة للشعر. وقال يحيى الشاوي : لا يصح كون الياء للنسب ، إذ المراد ثبوت الوحدة نفسها لا ثبوت شيء منسوب إليها ، واختار جعلها

(١) هو : أحمد بن محمد بن علي شهاب الدين الحنفي المصري ، باحث له شروح وحواش في الأصول والعربية ، فقيه توفي سنة ١٠٤٤ هـ ، من مصنفاته : تحقيق النسب في المنطق ، نهجة الناظرين في محاسن أم البراهين. (انظر : الأعلام ١/ ٢٣٧) .

للمصدر كما في الضاربية . وأجاب الأولون بأن الشيء ينسب لنفسه مبالغة . ومبحث الوجدانية أشرف مباحث هذا الفن ، ولذلك سمي باسم مشتق منها فقيل « علم التوحيد » ولعظم العناية به كثر التنبيه والثناء عليه في الآي القرآنية ، فقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ كُؤُودُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] إلى غير ذلك من الآيات ، والمراد منها هنا : وحدة الذات والصفات ، بمعنى عدم النظير فيهما ، وأما وحدة الذات بمعنى عدم التركيب من أجزاء ، فسبقت في المخالفة للحوادث ، ووحدة الصفات بمعنى عدم تعددها من جنس واحد كقدرتين فأكثر وعلمين فأكثر وهكذا ، فستأتي في قوله : « وحدة أوجب لها » ووحدة الأفعال بمعنى أنه لا تأثير لغيره في فعل من الأفعال ، فستأتي أيضًا في قوله : « فخالق لعبده وما عمل » .

[١٥٣] والحاصل أن الوجدانية الشاملة لوحداية الذات ووجدانية الصفات ووجدانية الأفعال تنفي كمومًا خمسة : الكم المتصل في الذات وهو تركيبها من أجزاء ، والكم المنفصل فيها وهو تعددها بحيث يكون هناك إله ثانٍ فأكثر ، وهذان الكمان منفيان بوحدة الذات ، والكم المتصل في الصفات وهو التعدد في صفاته تعالى من جنس واحد كقدرتين فأكثر ، وببحث في هذا بأن الكم المتصل مداره على شيء ذي أجزاء ولا كذلك الصفات ، ويجب بأنهم نزلوا كونها قائمة بذات واحدة منزلة التركيب ، والكم المنفصل في الصفات وهو أن يكون لغير الله صفة تشبه صفته تعالى ، كأن يكون لزيد قدرة يوجد بها ويعدم بها كقدرته تعالى ، أو إرادة تخصص الشيء ببعض الممكنات ، أو علم محيط بجميع الأشياء ، وهذان الكمان منفيان بوجدانية الصفات ، والكم المنفصل في الأفعال وهو أن يكون لغير الله فعل من الأفعال على وجه الإيجاد ، وإنما ينسب الفعل له على وجه الكسب والاختيار . وهذا الكم منفي بوجدانية الأفعال ، وفي ذلك رد على المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وإنما لم يكفروا بذلك لاعترافهم بأن إقداره عليها من الله تعالى ، وبعضهم كفرهم وجعل المجوس أسعد حالاً منهم ، إذ المجوس قالوا بمؤثرين وهؤلاء أثبتوا مالا حصر له ، لكن الراجح عدم كفرهم .

وأما الكم المتصل في الأفعال فإن صورناه بتعدد الأفعال فهو ثابت لا يصح نفيه ، لأن أفعاله كثيرة من خلق ورزق وإحياء وإماتة إلى غير ذلك ، وإن صورناه بمشاركة غير الله له في فعل من الأفعال فهو منفي أيضًا بوجدانية الأفعال ، ودليل الوجدانية بالمعنى المراد هنا وهو وحدة الذات والصفات بمعنى عدم النظير فيهما : أنه لو تعدد الإله كأن يكون هناك إلهان لما وجد شيء من العالم ، لكن عدم وجود شيء من العالم باطل لأنه موجود

بالمشاهدة ، فما أدى إليه وهو التعدّد باطل ، وإذا بطل التعدد ثبتت الوجدانية وهو المطلوب ، وإنما لزم من التعدد كأن يكون هناك إلهان عدم وجود شيء من العالم لأنهما إما أن يتفقا وإما أن يختلفا ، فإن اتفقا فلا جائز أن يوجداه معاً ، لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، ولا جائز أن يوجداه مرتباً بأن يجده أحدهما ثم يوجد الآخر ، لئلا يلزم تحصيل الحاصل ، ولا جائز أن يوجد أحدهما البعض والآخر البعض ، للزوم عجزهما حينئذ ، لأنه لما تعلقت قدرة أحدهما بالبعض سد على الآخر طريق تعلق قدرته به فلا يقدر على مخالفته ، وهذا عجز ، وهذا يسمى برهان التوارد لما فيه من تواردهما على شيء ، وإن اختلفا بأن أراد أحدهما إيجاد العالم والآخر إعدامه فلا جائز أن ينفذ مرادهما ، لئلا يلزم عليه اجتماع الضدين ، ولا جائز أن ينفذ مراد أحدهما دون الآخر ، للزوم عجز من لم ينفذ مراده ، والآخر مثله لانعقاد المماثلة بينهما .

[١٥٤] ويحكى عن ابن رشد ^(١) : أنه إذا نفذ مراد أحدهما دون الآخر كان الذي نفذ مراده هو الإله دون الآخر ، وتم دليل الوجدانية ، وهذا يسمى برهان التمانع لتمانعهما وتخالفهما ، وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى هذا الدليل في قوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] أي لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله لم توجدا ، لكن عدم وجودهما باطل لمشاهدة وجودهما ، فبطل ما أدى إليه وهو وجود جنس الآلهة غير الله ، فثبت أن الله واحد وهو المطلوب ، فليس المحال الجمع فقط ، بل المحال جنس الآلهة غير الله ، و « إلا » في الآية اسم بمعنى غير ، وليست أداة استثناء لفساد المعنى حينئذ ، لأن المعنى عليه : لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا ، فيقتضي بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا ، وهو باطل ، والمراد بالفساد : عدم الوجود كما قررته ، وينبغي على ذلك أن الآية حجة قطعية وهو التحقيق بخلاف لما جرى عليه السعد من أنها حجة إقناعية : أي يقنع بها الخصم مع كون التلازم فيها ليس عقلياً بناء على تفسير الفساد فيها بالخروج عن النظام ، وإنما لم يكن التلازم فيها عقلياً على هذا ، لأنه لا يلزم حصول الفساد بالفعل ، وقد شنعوا على السعد في ذلك حتى قال عبد اللطيف الكرمانى ^(٢) : إنه

(١) هو : محمد بن أحمد بن محمد بن رشد الأندلسي ، أبو الوليد الفيلسوف ، وبلقب بابن رشد الحفيد ، تميزاً عن جده . ولد سنة ٥٢٠ هـ ، وتوفي سنة ٥٩٥ هـ ، وله نحو خمسين كتاباً منها : بداية المجتهد ، تهافت التهافت ، علم ما بعد الطبيعة ، والكلديات . (انظر : شذرات الذهب ٣٢٠/٤ ، والأعلام ٣١٨/٥) .

(٢) هو : عبد اللطيف بن عبد العزيز بن أمين الدين ، فقيه حنفي من البارزين توفي سنة ٨٠١ هـ ، من مصنفاته : شرح تحفة الملوك ، مبارك الأزهار في شرح مشارق الأنوار ، شرح مجمع البحرين لابن الساعاتي . (انظر : الأعلام ٥٩/٤) .

تعييب لبراهين القرآن وهو كفر. وأجاب علاء الدين تلميذ السعد^(١) بأن القرآن محتوي على الأدلة الإقناعية لمطابقة حال بعض القاصرين ، وتجويز الاتفاق إنما هو ببادئ الرأي ، وعند التأمل لا يصح صلح بين إلهين ، إذ مرتبة الألوهية تقتضي الغلبة المطلقة كما يشير له قوله تعالى : ﴿ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] .

[١٥٥] قوله : (منزها) حال من الضمير في قوله : (فواجب له ...) إلخ فالمعنى أنه تعالى وجبت له هذه الصفات حال كونه منزهاً ، فهي حال لازمة مثل : دعوت الله سميعاً ، وهي مؤكدة للصفات السابقة وكذلك جملة قوله : (أوصافه سنّية) فهي حال أيضاً من الضمير المذكور فهي حال مترادفة ، ويجوز أن تكون حالاً من الضمير في « منزهاً » فهي حال متدخلة .

[١٥٦] ومعنى قوله : (سنّية) أنها تشبه السنّ بالقصر وهو النور ، بجامع الاهتداء ، فيهتدي بها أي بأثرها لأنه المشاهد لنا ، كما يهتدي بالسنّ الذي هو النور ، فالنسبة على وجه التشبيه ، وليس المراد أنه قام بها السنّ وهو النور ؛ لأن النور عرض يستحيل قيامه بالصفة ، أو معناه : رقيقة ، فيكون لفظ « سنّية » مأخوذاً من السناء بالمد بمعنى الرفعة المعنوية^(٢) .

(١) هو : محمد بن محمد بن محمد البخاري علاء الدين ، فقيه من كبار الحنفية ، توفي سنة ٨٤١ هـ ، من مصنفاته : الملجمة للمجسمة ، نزهة النظر في كشف حقيقة الإنشاء والخير . (انظر : شذرات الذهب ٢٤١/٧ ، والأعلام ٤٧/٧) .

(٢) جاء في شرح الصاوي على الجوهرة : قوله : (سنّية) إما من (السنّ) بالقصر بمعنى الضياء ، أي صفاته كالضياء بمعنى النور بجامع الاهتداء ، لأنه يهتدى بآثارها ، أو من (السناء) بالمد بمعنى الرفعة ، لأنها مرتفعة ومنزهة عن النقائص ، فأوصافه سبحانه وتعالى رقيقة جميلة جليلة ، فمن تعلق بها ، ونظر لها وشاهدها لم يحكم بقبيح شيء . قال بعض العارفين : -

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً رأيت جميع الكائنات ملاحاً

وإن لم تر إلا مظاهر صنعه حجب فتصيرت الحسان قبائحاً

انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٥٨ ، ١٥٩) . تحقيق د . عبد الفتاح البرم .

٢٦ - عَنْ ضِدٍّ أَوْ شَيْءٍ أَوْ شَرِيكَ مُطْلَقًا وَوَالِدٍ كَذَا الْوَلَدُ وَالْأَصْدِقَ [١٥٧ - ١٦٧]

[١٥٧] قوله : (عن ضد) أي مضاد له تعالى ، والجار والمجرور متعلق بقوله « منزهها » ، والضدان هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان ، فلو فرض أن لله ضداً في ذاته أو صفاته لوجب ارتفاع ذاته أو صفاته ارتفاعاً مطلقاً إن ثبت الضد دائماً أو ارتفاعاً مقيداً بحالة وجود الضد إن لم يثبت دائماً ؛ لأنه متى ثبت أحد الضدين ارتفع الآخر ، والفرض أنه واجب الوجود قديم وكذا صفاته . هذا خلف بفتح الحاء : أي يستحق أن يرمى خلف الظهر ، أو بضمها : أي كذب وباطل كما تقدم .

[١٥٨] قوله : (أو شبه) معطوف على « ضد » وأو بمعنى الواو ، وإنما عبر الناظم بتنزيه الله ب « أو » لضرورة النظم ^(١) ، والشبه والشبيه بمعنى : كالحب والحبيب ، وذلك المعنى هو المساوي في أغلب الوجوه ، والتظير : هو المساوي ولو في بعض الوجوه ، والمثيل هو المساوي في جميع الوجوه ، لكن المراد بالشبه هنا : مطلق المشابهة ، فيشمل كلياً منهما ، فليس له تعالى مشابهة في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله لوجوب مخالفته تعالى للممكنات ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً .

[١٥٩] قوله : (شريك) معطوف على « ضد » بحذف حرف تنزيه الله العطف .
عن الشريك

[١٦٠] وقوله : (مطلقاً) أي : في ذاته أو صفاته أو أفعاله ، ولا تكرار في كلامه ، لأن مراده بالشبه : المشابهة من الممكنات ، ومراده بالشريك : المشارك من القدماء فتغايرا ، ودليل تنزيهه تعالى عن الشريك : هو دليل الوجدانية .

[١٦١] قوله : (ووالد) أي : ومنزهها عن والد أي أباً كان أو أمّاً لصدق الوالد بتنزيه الله بهما ، فليس منفصلاً عن غيره .
عن الولد

[١٦٢] وقوله : (كذا الولد) خبر مقدم ومبتدأ مؤخر : أي الولد كالوالد في وجوب تنزه الله عنه ، فليس عيسى ولداً ، بل خلقه الله تعالى بلا أب كما خلق آدم بلا

(١) مجيء أو للجمع المطلق كالواو قاله الكوفيون ، والأخفش والجزمي واحتجوا بقول توبة :

وقد زعمت ليلى بأني فاجر لنفسي تقها أو عليها فجورها

أي لها تقها ، وعليها فجورها ، فكون التقوى له ، وكون الفجور عليه ثابتان لنفسه . (انظر : مغني اللبيب وبهامشه حاشية الدسوقي ٤٧/١ طبعة دار السلام للطباعة والنشر) .

أب ، بل آدم أغرب حيث خلقه من تراب بلا أب ولا أم ، فليس غيره تعالى منفصلاً عنه
 قوله : (والأصدقاء) أي ومنزهاً عن الأصدقاء ، وليس الجمع مراداً ، بل
 المراد الجنس المتحقق ولو في واحد ، ولذا قال المصنف في كبره : ويجب
 التنزه عن جنس الأصدقاء ، والصديق هو الصادق في وده بحيث يكون
 معك في الحق ، ويضر نفسه لينفعك ، وإذا حصل لك مشقة من كدرات الزمان شتت
 أمره ليجمع أمرك ، كما قال بعضهم :

إن صديق الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك
 ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك
 وهو نادر جداً في هذا الزمان .

[١٦٣] والمحال أن يكون لله صديق على الوجه المعتاد من أن كلاً يعاون الآخر
 وينفعه ، فلا ينافي أن يكون لله صديق بمعنى المخلص في عبادته تعالى ،
 لكن لا يجوز أن يطلق (صديق الله) لأنه لم يرد ، مع أنه يوهم المعنى
 المحال .

[١٦٥] وكما أنه يستحيل على الله الأصدقاء يستحيل عليه الأعداء على الوجه
 المعتاد من أن كلاً يؤدي الآخر ويضره ، فلا ينافي أن يكون لله عدو بمعنى المخالف لأمره
 كما في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ﴾ [فصلت : ١٩] .

[١٦٦] والأصل القاطع في ذلك المؤكد للدليل العقلي قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] إلى آخر السورة التي تسمى سورة الإخلاص ،
 وسبب نزولها أن المشركين سألوا رسول الله ﷺ عن ربه فقالوا : صف لنا
 ربك ، أمّن ذهب أم من فضة ^(١) ؟ وقد نفت هذه السورة أنواع الكفر الثمانية ، لأن قوله :
 ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] نفى الكثرة والعدد ، وقوله : ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص : ٢] وهو الذي يقصد في الحوائج : نفى القلة والنقص ، وقوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣] نفى العلة والمعلولية : أي أن يكون تعالى علة لغيره وأن يكون معلولاً
 لغيره ، وقوله : ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٤] نفى الشبيه والنظير .

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة الإخلاص ، ٤٥٠/٥ (٣٣٦٤) من حديث أبي بن كعب .

[١٦٧] وفي الآية السابقة إشكال مشهور وهو أن الكاف بمعنى مثل ، فيصير المعنى : ليس مثل مثله شيء فالمنفى مثل المثل ، فتوهم الآية حيثئذ وجود المثل ! وأجيب عن ذلك بأجوبة منها : أن الكاف صلة : أي زائدة لتأكيد نفي المثل ، فالمعنى انتفى المثل انتفاءً مؤكداً ومنها أن المثل بمعنى الصفة ، فالمعنى : ليس كصفة الله شيء ، ومنها أن الآية من باب الكناية ^(١) على حد « مثلك لا يبخل » تريد : أنت لا تبخل ، ووجه كونها من باب الكناية أنه يلزم من نفي مثل المثل نفي المثل ، لأنه لو فرض وجود المثل لكان الله مثلاً لذلك المثل ، وهو لا يصح نفيه لوجوب وجوده ، وقد دلت الآية على نفي مثل المثل فلزم من ذلك نفي المثل ، وهذا هو المراد ، فالقصد نفي مثله تعالى بأبلغ وجه .

إذ الكناية أبلغ من التصريح لتضمنها إثبات الشيء بدليل ^(٢) .

-
- (١) الكناية : إطلاق اللفظ مع إرادة معناه ولازمه قد تكون حقيقية وقد تكون مجازاً .
- (٢) قال الصاوي في شرحه على جوهره التوحيد : في آية : « ليس كمثله شيء » سؤال مشهور وهو أن الجمع بين الكاف ومثل يوهم محالاً في حقه تعالى ؛ لأن الكاف بمعنى مثل ، و النفي إنما سلط عليها ، وهو باطل من وجهين :
- أحدهما : أن المقصود من الآية نفي مثل ذاته ، لا نفي مثل مثله .
- والآخر : أن مثل المثل يقتضي إثبات المثل وهو محال .
- أجيب عنه بعدة أجوبة :
- ١ - الكاف زائد لغير توكيد .
- ٢ - الكاف مؤكد لنفي الشبيه ، أي : انتفى المثل انتفاءً مؤكداً ، لا أنه من نفي المؤكد الذي هو مثل المثل حتى يتوهم بقاء المثل .
- ٣ - مثل بمعنى المثل [بفتحيتين] أي : الصفة .
- ٤ - مثل بمعنى نفس نحو : ﴿ فَإِنْ مَأْمُونًا يَبْئُلُ مَاءً ءَامَنُتُمْ بِهِ ﴾ .
- ٥ - الآية من باب الكناية .
- انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد (١٦٣) بتصرف .

٢٧ - وَقْدَرَةُ إِرَادَةٍ وَغَايَرَتْ أَفْرَاوَعُلْمَاوَالرُّضَا كَمَا بُنْتُ [١٦٨- ١٧٧]

[١٦٨] قوله : (وقدرة) لما تكلم على الصفة النفسية وعلى الصفات السلبية شرع يتكلم على صفات المعاني مقدماً لها على الصفات المعنوية لكونها كالأصل لها والإضافة في صفات المعاني للبيان ، فالمراد الصفات التي هي المعاني ^(١) ، ويصح أن تكون على معنى « من » كما نص عليه السكتاني وسيدي يحيى الشاوي ، وقد نص عليه أيضاً في شارح الوسطى ، فالمعنى صفات من المعاني باعتبار المعاني من حيث هي الشاملة لكل موجود من صفات القديم والحادث كالبياض ونحوه ، ووقع في بعض العبارات : ولا يصح أن تكون على معنى « من » .

قال العلامة الأمير : ولا وجه له فلعله تحريف ^(٢) اهـ ، والمعاني : جمع معنى ، وهو لغة : ما قابل الذات ، فيشمل النفسية والسلبية ، واصطلاحاً : كل صفة قائمة بموصوف موجبة له حكماً ، ككونه قادراً فإنه لازم للقدرة ، وفي الحقيقة المعاني والمعنوية متلازمان ، لكنهم لاحظوا الوجودي أصلاً لغيره .

[١٦٩] وبدأ المصنف من صفات المعاني بالقدرة لظهور تأثيرها فقال : (وقدرة) القدرة : أي وواجب له قدرة ، فهو معطوف على الوجود ، وهي لغة : القوة تعريفها والاستطاعة كما قاله المؤلف في كبيره ، وعرفاً : صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة ، وهذا رسم لا حدّ حقيقي ، وهكذا سائر التعاريف المذكورة للصفات ، لأنه لا يعلم كنه ذاته وصفاته أي حقيقة ذلك إلا هو ، وفي قولنا : « يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه » إشارة إلى تعلقها الصلوحى ^(٣) القديم ، ويقال له الصلاحي القديم : وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال ، وتعلق بعدمنا فيما لا يزال قبل وجودنا وباستمرار الوجود بعد العدم ، وباستمرار العدم بعد الوجود تعلق قبضه في هذه الثلاثة ، بمعنى أن الممكن في قبضة القدرة ^(٤) ، فإن شاء الله أبقيه على عدمه أو على وجوده ، وإن شاء أوجده أو أعدمه ، وتعلق بإيجادنا بالفعل بعد العدم السابق ، وإعدامنا بالفعل

(١) تسمى صفات المعاني بالصفات الذاتية ، لأنها لا تنفك عن الذات ، كما تسمى بالصفات الوجودية ، لأنها متحققة باعتبار نفسها. انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٦٥) .

(٢) بل وجهه أن الوجود للذات والصفات من قبيل المشترك لا من قبيل المتواطئ حتى يشترك فيه القديم والحادث .

(٣) الصلوحى : أي ما بالقوة .

(٤) القدرة لا تتعلق إلا بالممكن أي تتعلق بالمستحيل والواجب .

بعد الوجود ، وبإيجادنا بالفعل حين البعث تعلقاً تنجيزياً حادثاً في هذه الثلاثة ،
تعلقات | فأقسام تعلقات القدرة سبعة تفصيلاً : صلوحى قديم ، وتعلقات القبضة
القدرة : | ثلاثة ، والتعلقات التنجيزية ^(١) ثلاثة ؛ فالجملة ما ذكر كما وضعه
أقسامها | شيخنا ^(٢) في رسالته ، وأما العدم الأزلي فلا تتعلق به القدرة لأنه واجب ،
 وذهب الأشعري إلى أنها لا تتعلق بإعدامنا بعد وجودنا ، بل إذا أراد الله عدم الممكن
 قطع عنه الإمدادات فيعدم بنفسه كالفتيلة إذا انقطع عنها الزيت انطقت بنفسها ، وفي
 قولنا : « بها » إشارة إلى أن التأثير حقيقة للذات ، وإسناد التأثير إلى القدرة مجاز
 لكونها سبباً فيه ، ويحرم أن يقال : القدرة فعالة ، أو انظر فعل القدرة ، أو نحو ذلك ، لما
 فيه من إيهام أنها المؤثرة بنفسها ، فإن قصد ذلك كفر والعياذ بالله تعالى ، ويخرج
 بقولنا : « كل ممكن » الواجب والمستحيل فلا تتعلق بكل منهما ، لأنها إن تعلقت
 بالواجب فلا يصح أن تعدمه ؛ لأنه لا يقبل العدم ، ولا يصح أن تجده ؛ لأنه يلزم منه
 تحصيل الحاصل ، وإن تعلقت بالمستحيل فعلى العكس من ذلك ، وما في اليواقيت ^(٣)
 للشعراني عن ابن العربي ^(٤) أنه تعالى يقدر على خلق المحال عقلاً ، وأنه دخل الأرض
 المخلوقة من بقية خميرة طينة آدم ، وهي مدينة إنما تدخلها الأرواح فرأى فيها ذلك بعينه ،
 كلام لا يجوز اعتقاد ظاهره ، وقد نُقل أنه ممدوس عليه .

[١٧٠] وقد شنع السنوسي في شرح الصغرى على ابن حزم ^(٥) في قوله : الله قادر
 أن يتخذ ولدًا وإلا كان عاجزًا ، ولم يعقل أن العجز إنما يكون إذا كان المتعلق من
 وظائف القدرة بأن كان يقبل الوجود لذاته ، ويلزم عليه أن المولى قادر على إعدام قدرته
 بل وعلى إعدام ذاته ، وفي ذلك غاية الفساد . وقد سأل إبليس إدريس : هل يقدر المولى

(١) التنجيزي : ما بالفعل .

(٢) هو : محمد بن شافعي الشافعي وقيل : شافع المعروف بالفضالي فقيه مصري شافعي وهو أستاذ الباجوري
 توفي سنة ١٢٣٦ من مصنفاته : كفاية العوام فيما يجب عليهم من علم الكلام ، رسالة في « لا إله إلا الله » .
 (انظر : الأعلام ١٥٥/٦) . (٣) اليواقيت والجواهر للشعراني ٩٠/١ .

(٤) هو : محمد بن علي بن محمد بن العربي ، محب الدين ، الحاتمي الطائي ، الملقب بالشيخ الأكبر ،
 الصوفي المشهور ، ولد سنة ٥٦٠ هـ ، وتوفي سنة ٦٣٨ هـ ، له أكثر من أربعمئة كتاب ، من أشهرها :
 الفتوحات المكية . (انظر : شذرات الذهب ١٩٠/٥ ، الأعلام ٢٨١/٦) .

(٥) هو : علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم أبو محمد ، شافعي المذهب ثم انتقل إلى مذهب أهل الظاهر ،
 أحد أئمة الإسلام ، ولد سنة ٣٨٤ هـ ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ ، من مصنفاته : المحلى ، والفصل في الملل
 والنحل ، والناسخ والمنسوخ . (انظر : لسان الميزان ١٩٨/٤ ، والأعلام ٢٥٤/٤) .

أن يدخل الدنيا في قشرة البندقة ، فنخسه في عينيه بالإبرة ففقأها قال بعضهم : وأرجو أن تكون اليمنى ، وقال له : إن المولى قادر أن يدخل الدنيا في سم الخياط ، بمعنى أنه يصغر الدنيا أو يوسع سم الخياط وإلا كان محالاً ، فإن تداخل الأجرام المتكاثفة واجتماعها في حيز واحد مستحيل ، وإنما لم يفصل سيدنا لإدريس الجواب لإبليس لأنه متعنت ، وشأن المتعنت الزجر ، وإنما فقأ عينه لأنه أراد بهذا السؤال إطفاء نور الإيمان ، فأطفأ نور بصره ، لأن الجزء من جنس العمل . ومعنى قولنا : « على وفق الإرادة » أن ما خصصه الله بإرادته أبرزه بقدرته ^(١) ، فتعلق الإرادة لكونه أزلياً سابق على تعلق القدرة لكونه تنجيزياً حادثاً ، فالترتيب بين التعلقين لا بين الصفتين ، لأن التقديم لا ترتيب فيه وإلا كان المتأخر حادثاً . ودليل وجوب القدرة له تعالى أن تقول : الله صانع قديم له مصنوع حادث ، وكل من كان كذلك تجب له القدرة ، فالله تجب له القدرة .

قوله : (إرادة) معطوف على « الوجود » بحذف حرف العطف : أي الإرادة : [١٧١]
 وواجب له إرادة ، ويرادفها المشيئة وهي لغة : مطلق القصد ، وعرفاً : صفة تعريفها قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ، وهو

الممكنات المتقابلات الستة المنظومة في قول بعضهم :

الممكنات المتقابلات وجودنا والعدم الصفات
 أزمنة أمكنة جهات كذا المقادير روى الثقات

ومعنى كونها متقابلات : أنها متنافيات ؛ فالوجود يقابل العدم وبالعكس فهما قسم أول ، وبعض الصفات يقابل بعضاً ، فكونه أبيض مثلاً يقابل كونه أسود وهذا قسم ثان ، وبعض الأزمنة يقابل بعضاً ، فكونه في زمن الطوفان مثلاً يقابل كونه في زمن سيدنا محمد وهذا قسم ثالث ، وبعض الأمكنة يقابل بعضاً ، فكونه في مكان كذا كمصر يقابل كونه في مكان غيره كبولاق وهذا قسم رابع ، وبعض الجهات يقابل بعضاً ، فكونه في جهة المشرق يقابل كونه في جهة المغرب وهذا قسم خامس ، وبعض المقادير يقابل بعضاً ، فكونه طويلاً مثلاً يقابل كونه قصيراً وهذا قسم سادس ، وفي قولنا : « قديمة » ردّ على الكرامية حيث قالوا بأنها صفة حادثة قائمة بالذات ، وفي قولنا : « زائدة على الذات » ردّ على ضرار ^(٢) -

(١) القدرة لا تتعلق إلا بالممكن أي لا تتعلق بالمستحيل والواجب .

(٢) هو : ضرار بن عمرو النطفاني قاضٍ من كبار المعتزلة ثم خالفهم فكفروه وتبرعوا منه ، وصنف نحو ثلاثين

كتاباً ، توفي نحو سنة ١٩٠ هـ . (انظر : الأعلام ٣/ ٢١٥) .

من المعتزلة - حيث قال : إنها نفس الذات ، وفي قولنا : « قائمة به » ردّ على الجبائي^(١) - من المعتزلة - حيث قال : إنها صفة قائمة لا بمحل ، وفيه رد أيضا على النجار^(٢) حيث قال : إنها صفة سلبية ، وفسرها بعدم كون الفاعل ساهيا أو مكرها ، والصفة السلبية لا قيام لها لكونها أمرا عديميا . وذهب الكعبي^(٣) ومعتزلة بغداد إلى أن إرادته تعالى لفعل غيره : أمره به ، ولفعله : علمه به . وذهب بعضهم إلى أنها الرضا ، وسيأتي الرد عليهم بقوله : (وغيّرت أمرا ...) إلخ وفي قولنا « تخصص الممكن » إشارة للتعلق التنجيزي القديم ، وهو تخصيص الله الشيء أزلا بالصفات التي يعلم أنه يوجد عليها في الخارج ، ولها تعلق صلوحى قديم^(٤) : وهو صلاحيتها في الأزل للتخصيص مع ثبوت التخصيص بالفعل أزلا أيضا ، وبعضهم جعل لها تعلقا تنجيزيا حادثا : وهو تخصيص الله الشيء بما تقدم عند إيجاداه بالفعل ، لكن التحقيق أن هذا إظهار للتعلق التنجيزي القديم لا تعلق مستقل ، وخرج بالممكن الواجب والمستحيل ، فلا تتعلق بهما الإرادة كالقدرة ، وشمل الممكن : الخير والشر خلافا للمعتزلة القائلين بأن إرادة الله لا تتعلق بالشرور والقباح .

[١٧٢] وحكى أن القاضي عبد الجبار الهمداني^(٥) دخل على صاحب ابن

(١) هو : محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن خالد بن حمزة بن أبان البصري المعتزلي . متكلم مفسر ، ولد بجبا بجوزستان وإليه تسبب الطائفة الجبائية ، توفي سنة ٣٠٣ هـ . (انظر : الأعلام ٥٦/٦) .

(٢) هو : الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي أبو عبد الله ، رأس الفرقة النجارية من المعتزلة ، لهم بعض آراء يوافقون فيها أهل السنة ، توفي النجار نحو سنة ٢٢٠ هـ ، (انظر : الأعلام ٢٥٣/٢) .

(٣) هو : عبد الله بن أحمد بن محمود أبو القاسم ، أحد أئمة المعتزلة وكان زعيم الطائفة الكعبية ، توفي في بلخ سنة ٣١٩ هـ ، من كتبه : التفسير ، قبول الأخبار ومعرفة الرجال ، تحفة الوزراء . (الأعلام : ٦٥/٤) .

(٤) معنى ذلك أن الله خصص في الأزل وجود الشيء على عدمه : أي رجح وجوده على عدمه ، و كان يأتي له في الأزل أن يرجح إرادته عدمه على وجوده ، لكنه ترك ترجيح عدمه على الوجود ورجح في الأزل الوجود على عدمه . وحاصل ذلك أن إرادة الله في الأزل صالحة لترجيح كل من الوجود وعدمه ، وفي حال تلك الصلاحية ثابت لفعل ترجيح الوجود على عدمه ، ولا منافاة بين الصلاحية وبين ثبوت الترجيح بالفعل ؛ لأن معناها أنه تعالى كان يتأني له أن يرجح عدمه على الوجود ، وهذا التأني لا يمنع من ترجيح الطرف الآخر بالفعل ، وما تشعر به هذه العبارات من أن الترجيح الأزلي حادث غير مراد .

(٥) هو : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الخليلي ، القاضي الأصولي ، شيخ المعتزلة في عصره ولي القضاء بالري توفي سنة ٤١٥ هـ ، وله مصنفات منها : المغني في أبواب التوحيد والعدل ، تنزيه القرآن عن المطاعن ، المجموع في المحيط بالتكليف . (انظر : شذرات الذهب ٢٠٢/٣ ، الأعلام ٢٧٣/٣) .

عباد^(١) وعنده الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني ، فلما رأى الأستاذ قال : سبحان من تنزه عن الفحشاء ، فقال الأستاذ : سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ، فقال عبد الجبار : أفريد ربنا أن يُعَصَى ؟ فقال الأستاذ : أفيعصى ربنا كرهاً ، فقال عبد الجبار : أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى ، أحسن إليّ أم أساء ، فقال الأستاذ : إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء .

[١٧٣] واختلف العلماء في جواز نسبة فعل الشرور والقبائح إليه تعالى ، والراجح جواز ذلك في مقام التعليم لا في غيره ، وهذا الخلاف جارٍ أيضاً في نسبة الأمور الخسيسة إليه تعالى ، والأصح الجواز في مقام التعليم لا في غيره ، فلا يجوز أن يقال : الله خالق القردة والخنازير ، وسبحان من رزق الهدهد ومن دبب الشوك ، إن لم يكن في مقام التعليم . والدليل على وجوب الإرادة له تعالى أن تقول : الله صانع للعالم بالاختيار ، وكل من كان كذلك تجب له الإرادة ، فالله تجب له الإرادة وأيضاً فقد اتفق كل على إطلاق القول بأنه تعالى مريد ، وشاع ذلك في كلامه وكلام أنبيائه عليهم الصلاة والسلام ، ولا يفهم من قولنا : « مريد » بحسب اللغة إلا ذات ثبت لها الإرادة ، إذ لا يتعقل مريد بلا إرادة ، وإن نازع في ذلك المعتزلة .

[١٧٤] قوله : (وغايرت أمراً) أي خالفت وباينت الإرادة أمراً ، بمعنى أنها ليست عينه ولا مستلزمة له ، فقد يريد ويأمر كإيمان من علم الله منهم الإيمان ، فإنه تعالى أَرَادَهُ منهم وأمرهم به . وقد لا يريد ولا يأمر كالكفر من هؤلاء ، فإنه تعالى لم يرده منهم ولم يأمرهم به . وقد يريد ولا يأمر كالكفر الواقع ممن علم الله عدم إيمانهم ، وكالمعاصي فإنه أراد ذلك ولم يأمر به . وقد يأمر ولا يريد كإيمان هؤلاء ، فإنه أمرهم به ولم يرده منهم ، وإنما أمرهم به مع كونه لم يرده منهم لحكمة يعلمها ﷻ ﴿ لَا يَسْتَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] فالأقسام أربعة . وغرض المصنف بذلك الرد على من زعم من المعتزلة أن إرادته تعالى لفعل غيره أمره به ، والمراد الأمر النفسي لا اللفظي ، لأن مغايرتها للأمر اللفظي في غاية الظهور فليس فيه خلاف ، وإنما الخلاف في الأمر النفسي وهو اقتضاء أي طلب الفعل الذي ليس بكف أي ترك ، أو الفعل الذي هو كف إذا كان مدلولاً عليه

(١) هو : إسماعيل بن عباد بن العباس أبو القاسم الطالقاني ، وزير غلب عليه الأدب فكان من نواذر الدهر استوزره مؤيد الدولة ابن بويه ثم أخوه ، ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة من صباه . توفي سنة ٣٨٥ هـ ، له مصنفات في الأدب جليلة منها : الكشف عن مساوئ المتنبى (ط) ، مجموعة رسائله تحت اسم المختار من رسائل الوزير ابن عباد (ط) . (انظر : الأعلام ٣١٦/١) .

بنحو كف كائزك ، بخلاف الكف المدلول عليه بغير نحو كف كلا تفعل فليس بأمر بل نهى ، فتحصل أن الأمر تحته صورتان ، الأولى : طلب الفعل غير الكف كالصلاة ، والثانية : طلب الفعل الذي هو كف المدلول عليه بنحو كف . وأما النهي فتحته صورة واحدة وهي طلب الكف المدلول عليه بغير : نحو كف كلا تفعل .

[١٧٥] قوله : (وعلماً) أي وغايرت الإرادة علماً ، بمعنى أنها ليست عين العلم ولا مستلزمة له لتعلق العلم بالواجب والمستحيل كالجائز ، ولا تتعلق الإرادة إلا بالجائز ، وغرضه بذلك الرد على من زعم من المعتزلة أن إرادته تعالى لفعله علمه به ، فردّه بمغايرة الإرادة للأمر وللعلم على الكعبي ومعتزلة بغداد في قولهم : إن إرادته تعالى لفعل غيره أمره به ، وإرادته لفعله علمه به كما قاله المؤلف في كبيره .

[١٧٦] وقوله : (والرضا) أي وغايرت الإرادة رضاه تعالى وهو قبول الشيء والإثابة عليه ، وغرضه بذلك الرد على من فسر الإرادة بالرضا ، فإن الإرادة قد تتعلق بما لا يرضى به الله تعالى كالكفر الواقع من الكفار فإنه تعالى أراداه ولا يرضى به .

[١٧٧] قوله : (كما ثبت) أي كالتغاير الذي ثبت لا يقال فيه اتحاد المشبه والمشبه به ، لأننا نقول المعنى : وغايرت ما ذكر شرعاً كما ثبت عقلاً ، فالتغاير المستفاد من الدليل الشرعي مشبه ، والتغاير الثابت بالدليل العقلي مشبه به . أو يقال : المشبه هو التغاير المذكور في كلام المصنف ، والمشبه به هو التغاير الثالث عند أهل السنة ، ويصح أن تكون الكاف للتعليل ، « وما » واقعة على الدليل ، فيكون المعنى للدليل الذي ثبت عقلاً .

٢٨ - وَ عِلْمُهُ وَلَا يَقَالُ مَكْتَسَبٌ فَأَتْبَعَ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَطْرَحَ الرَّبِّ [١٧٨ - ١٨٥]

[١٧٨] قوله : (وعلمه) معطوف على الوجود : أى وواجب له علمه ، وما قاله الشارح فهو حلّ معنى لا حلّ إعراب كما تقدم نظيره وهو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجاثرات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء ، وقولنا : (متعلقة بجميع ...) إلخ فيه إشارة إلى تعلق العلم بجميع الأشياء تعلقاً تنجيزياً قديماً ، فيعلم الله سبحانه وتعالى الأشياء أزلاً على ما هي عليه ، وكونها وجدت في الماضي أو موجودة في الحال أو توجد في المستقبل : أطوار في المعلومات لا توجب تغييراً في تعلق العلم ، فالمتغير إنما هو صفة المعلوم لا تعلق العلم ، وليس له تعلق صلوحى ولا تنجيزى حادث ، وإلا لزم الجهل ؛ لأن الصالح لأن يعلم : ليس بعالم ، والتنجيزى الحادث يستلزم سبق الجهل ، هذا ما عليه السنوسى ومن تبعه وهو الصحيح . وجعل بعضهم له ثلاثة تعلقات : تنجيزى قديم بالنسبة لذات الله وصفاته ، وصلوحى قديم بالنسبة لغيره تعالى قبل وجوده ، فإن العلم صالح لأن يتعلق بوجوده ولم يتعلق بوجوده بالفعل ، لأن علم وجود الشيء قبل وجوده جهل ، نعم علمه بأنه سيكون تنجيزياً قديماً . [١٧٩] وأما قول الأولين : لو كان له تعلق صلوحى لزم الجهل ؛ لأن الصالح لأن يعلم ليس بعالم ، فجوابه أن ثبوت الوجود لزيد بالفعل لا يصلح أن يكون معلوماً قبل وجوده بالفعل ، وعدم تعلق العلم بشيء لا يصلح أن يكون معلوماً ، لا يعدّ جهلاً ، كما أن عدم تعلق القدرة بالمستحيل لا يعدّ عجزاً وتعلق تنجيزى حادث بالنسبة لغيره تعالى بعد وجوده بالفعل ، لكن الحق أنه ليس له إلا تعلق تنجيزى قديم ، فيعلم المولى الأشياء أزلاً إجمالاً و تفصيلاً ، ويعلم الكليات والجزئيات . وكفرت الفلاسفة حيث أنكروا علمه تعالى بالجزئيات ، كما كفرت بإنكار حدوث العالم وحشر الأجساد فقد كفرت بثلاثة كما قال بعضهم :

بثلاثة كفر الفلاسفة العدا إذ أنكروها وهي حقاً مثبتة

علمٌ بجزئى ، حدوث عوالم حشرٌ لأجسادٍ وكانت ميتة

[١٨٠] ويعلم سبحانه وتعالى مالا نهاية له ككمالاته ، وأنفاس أهل الجنة ، فيعلمها تفصيلاً ، ويعلم أنه لا نهاية لها ، وتوقف التفصيل على التناهي إنما هو بحسب عقولنا ، ودخل في ذلك علمه ، فيعلم بعلمه أن له علماً .

[١٨١] والتعريف الذي ذكرناه أولى من التعريف الذي ذكره الشارح وغيره ، وهو

قوله : « صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تنكشف بها المعلومات عند تعلقها بها » لأن هذا التعريف معترض من وجوه ، منها أن قوله : « تنكشف » يقتضي سبق الجهل ، لأن الانكشاف ظهور الشيء بعد الخفاء ، ومنها أن المعلومات جمع معلوم وهو مشتق من العلم ، والمشتق متوقف على المشتق منه ، كما أن العلم متوقف على معرفة المعلوم لأنه أخذ في تعريفه ، فكل منهما متوقف على الآخر فجاء الدور ، ومنها أن قوله : « المعلومات » يقتضي أنها منكشفة قبل الانكشاف ، فيلزم تحصيل الحاصل . وأجيب عن الأول بأن المراد بالانكشاف هنا : ظهور الشيء من غير سبق خفاء. وعن الثاني بأن المشتق منه هو العلم الذي هو المصدر ، والمعرف العلم بمعنى الصفة ، وبأن الجهة منفكة ، لأن توقف العلم على المعلوم من حيث المعرفة ، وتوقف المعلوم على العلم من حيث الاشتقاق . وعن الثالث بأن المراد بالمعلومات الأمور من غير نظر لوقوع العلم عليها وبه يندفع الدور أيضًا ، وبأن المراد بالمعلومات ما من شأنها أن تعلم ، وكان الأولى حذف قوله : « عند تعلقها بها » لأنه يقتضي أن العلم تارة يتعلق بالمعلومات وتارة لا يتعلق بها ، وليس كذلك ، لأن علم الله متعلق بالمعلومات أزلاً وأبداً ، والدليل على وجوب العلم له تعالى أن تقول : الله فاعل فعلاً متقناً محكماً بالقصد والاختيار ، وكل من كان كذلك يجب له العلم ، فالله يجب له العلم فإن قيل : إن هذا الدليل إنما يفيد علمه بالجائزات فقط ، فما الدليل على علمه بالواجبات والمستحيلات ، أجيب بأن دليل ذلك دليل عدم افتقاره للمخصص لأنه لو لم يعلم بالواجبات والمستحيلات لكان محتاجاً لمن يكمله ، فيلزم أن يكون حادثاً فيفتقر للمخصص ، وقد تقدم دليل عدم افتقاره للمخصص .

[١٨٢] قوله : (ولا يقال مكتسب) أي : ولا يجوز شرعاً ولا عقلاً أن يطلق على علمه أنه مكتسب ، وهذا ربما يوهم أن النهي عن القول بالإطلاق مع صحة المعنى وليس كذلك .

[١٨٣] ولعل تفسير القول بالاعتقاد هنا أحسن ، وعليه فالمعنى : ولا يجوز أن يعتقد أن علمه مكتسب لاستحالته ، لأن الكسبي عرفاً : هو العلم الحاصل عن النظر والاستدلال ، فإذا أقمت دليلاً على حدوث العالم بأن قلت : العالم متغير وكل متغير حادث ، ينتج : العالم الحادث ، فالعلم بحدوث العالم حاصل عن نظر واستدلال فهو كسبي ، وقيل : الكسبي هو ما تعلقت به القدرة الحادثة ، وعلى هذا التعريف فيشمل العلم الضروري الحاصل بالحواس كالعلم الحاصل بالإبصار أو بالشم بخلافه على التعريف الأول ، وعلى كل من التعريفين لا يقال لعلم الله كسبي ؛ لأنه يلزم منه قيام

الحوادث بذاته تعالى ، ويلزم منه أيضًا سبق الجهل في حقه تعالى وهو محال ، وما ورد مما يوهم اكتساب علمه تعالى كقوله جل من قائل : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى ﴾ [الكهف : ١٢] مؤول على أن المراد والله أعلم ليظهر لهم متعلق علمنا ، أو أن المراد بـ « نعلم » مفتوح النون واللام « نُعلم » مضموم النون ومكسور اللام ، كما قاله الشيخ الملووي ، وما لا يقال : إنه من باب تنزيل المتكلم منزلة من لم يعلم وإن ذكره في اليواقيت عن ابن العربي ، ولا أظنه إلا مدسوسًا على الشيخ .

فإن قيل : ظاهر الآية التعليل مع أن أفعال الله لا تعلل ! أجب بجعل لأمه للعاقبة والفائدة ، فالآية أوهمت أن علمه مكتسب وقد علمت جوابه ، وأوهمت تعليل فعله وقد علمت جوابه فالكلام في مقامين وإن أوهم كلام الشارح خلافه .

واعلم أنه كما لا يقال : علمه مكتسب ، لا يقال : علمه ضروري ولا نظري ولا بديهي ، أما الضروري فهو وإن كان يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال وهو صحيح في حقه تعالى ، لكن يطلق أيضًا على ما قارنته الضرورة ، فيمتنع أن يقال : علمه ضروري خوفًا من توهم هذا المعنى . وأما النظري فهو ما توقف على النظر والاستدلال ، فهو مرادف للكسبي على تعريفه الأول ، فيمتنع أن يقال علمه نظري لاستلزامه الحدوث كما مر في الكسبي ، وأما البديهي فهو وإن كان يطلق على ما لا يتوقف على نظر واستدلال فيكون مرادفًا للضروري على أحد معنييه ، لكن يطلق أيضًا على العلم الحاصل للنفس بغتة ، يقال : بده النفس الأمر : إذا أتاها بغتة ، فيمتنع أن يقال : علمه بديهي لإيهامه هذا المعنى .

[١٨٤] قوله : (فاتبع سبيل الحق) أي إذا علمت وجوب القدرة والإرادة والعلم له تعالى فاتبع طريقًا هو الحق وهو الحكم المطابق للواقع ، فالفاء فاء الفصيحة ، والسبيل بمعنى الطريق ، وإضافته للحق للبيان ، ويصح أن يكون في الكلام حذف المضاف ، والتقدير : سبيل أهل الحق ، أي طريقهم ، والمراد به : معتقد أهل السنة من وجوب صفات المعاني له تعالى .

[١٨٥] وقوله : (واطرح الريب) أي : وألق عنك الشبه ، فالرَّيب جمع ريبة بمعنى الشبهة التي لم تعلم صحتها ولا فسادها ، وهذا بحسب الأصل ، وإلا فالقصد هنا الرد على المعتزلة النافين لصفات المعاني لئلا يلزم تعدد القدماء ، وهذه شبهة فاسدة ، لأنه لا يضر إلا تعدد ذوات القدماء لا تعدد الصفات مع اتحاد الذات ، ويصح أن يكون في الكلام حذف مضافين ، والتقدير : واطرح سبيل أهل الريب وشكوك النافين لصفات المعاني ، لأنهم يقولون : قادر بذاته مرید بذاته ، وهكذا ، وهو هذيان ، لأنه لا يُعقل قادر بلا قدرة ومرید بلا إرادة وهكذا .

٢٩ - حَيَاتُهُ كَذَا الْكَلَامُ ، السَّمْعُ ثُمَّ الْبَصَرُ بِذِي أَنَا السَّمْعُ [١٨٦-٢٠٢]

[١٨٦] قوله : (حياته) مغطوف على الوجود بحذف حرف العطف ، وما صنعه الشارح حل معنى كما تقدم ، وقد عرّف الشيخ السنوسي الحياة بتعريف تعريفها : يشمل الحياة القديمة والحادثة حيث قال : هي صفة تصح لمن قامت به الإدراك : أي تصح لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا يضره الجمع بين حقيقتين مختلفتين بالقدم والحدوث ؛ لأنه رسم لا حدّ ، وعرف بعضهم كلّاً منهما بتعريف يخصه ، فعرف الحياة القديمة بقوله : « صفة أزلية تقتضي صحة العلم » أي : تقتضي صحة الاتصاف به ، وكما تقتضي صحة الاتصاف بالعلم تقتضي صحة الاتصاف بغيره من الصفات الواجبة ، وإنما اقتصر على العلم ؛ لأنه شرط في غيره وشرط الشرط شرط ، وأقحم لفظة « صحة » لأن الحياة لا تستلزم العلم بالفعل ، لكن العلم واجب في حقه تعالى للدليل السابق ، وأما في حقنا فقد ينتفي العلم مع وجود الحياة كما في المجنون فإنه حي مع انتفاء العلم عنه .

[١٨٧] وعرّف الحياة الحادثة بقوله : « هي كيفية يلزمها قبول الحس والحركة الإرادية » أي عرض يلزمه قبول الإحساس وقبول الحركة الإرادية ، بخلاف الحركة الاضطرارية كحركة الحجر بحركة محرّكة ، وحياة الله لذاته ليست بروح ، وحياتنا ليست لذاتنا بل بسبب روح . ودليل وجوب الحياة له تعالى أن تقول : الله المتصف بالقدرة والإرادة والعلم ، وكل من كان كذلك تجب له الحياة ، فالله تجب له الحياة .

[١٨٨] قوله : (كذا الكلام) « كذا » خبر مقدم و« الكلام » مبتدأ مؤخر والمعنى : الكلام مثل ذا أي ما تقدم من الصفات ، والتشبيه ليس من كل وجه بل في مطلق الوجوب لله تعالى وإن خالفها في الدليل ؛ لأن دليلها عقلي إما وحده وإما مع النقلي على وجه التأكيد ، ودليله نقلي إما وحده أو مع العقلي على وجه التأكيد ، فالمقول عليه فيه الدليل السمعي كما سيذكره بقوله : « بذى أنا السمع » .

[١٨٩] وقد اختلف أهل الملل والمذاهب في معنى كلامه تعالى ^(١) ، فقال أهل كلام الله : السنة : صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ليست بحرف ولا صوت منزّهة عن تعالى : التقدم والتأخر والإعراب والبناء ، ومنزهة عن السكوت النفسي بأن لا معناه يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه ، ومنزهة عن الآفة الباطنية بأن لا

(١) كلام الله يطلق على الكلام النفسي حقيقة وعلى اللفظي مجازاً ، والقرآن يطلق على الكلام النفسي مجازاً وعلى اللفظي حقيقة .

يقدر على ذلك كما في حال الخرس و الطفولية . وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة : كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المترتبة ويزعمون أنها قديمة ، وتعالى بعضهم حتى زعم قدم هذه الحروف التي نقرؤها والرسوم ، بل تجاوز جهل بعضهم لغلاف المصحف . وقالت المعتزلة : كلامه هو الحروف والأصوات الحادثة وهي غير قائمة بذاته ، فمعنى كونه متكلمًا عندهم : أنه خالق للكلام في بعض الأجسام لزعمهم أن الكلام لا يكون إلا بحروف وأصوات ، وهو مردود بأن الكلام النفسي ثابت لغة ، كما في قول الأخطل (١) :
إن الكلام لفى الفؤاد وإنما لجعل اللسان على الفؤاد دليلا

[١٩٠] وكلامه تعالى صفة واحدة لا تعدد فيها ، لكن لها أقسام اعتبارية ، فمن حيث تعلقه بطلب فعل الصلاة مثلاً : أمرٌ ، ومن حيث تعلقه بطلب ترك الزنا مثلاً : نهْيٌ ، ومن حيث تعلقه بأن فرعون فعل كذا مثلاً : خبرٌ ، ومن حيث تعلقه بأن الطائع له الجنة : وعدٌ ، ومن حيث تعلقه بأن العاصي يدخل النار : وعيدٌ ، إلي غير ذلك بالنسبة لغير الأمر والنهي ، تعلق تنجيزي قديم ، وأما بالنسبة للأمر والنهي : فإن لم يشترط فيهما وجود المأمور والمنهي فكذلك ، وإن اشترط فيهما ذلك كان التعلق فيهما صلوحًا قبل وجود المأمور والمنهي ، وتنجيزيًا حادثًا بعد وجودهما .

[١٩١] واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى ، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه ، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب ، وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة : ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى . وإطلاقه عليهما : قيل بالاشتراك ، وقيل حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي ، وعلى كل من أنكر أن ما بين دفتي المصحف كلام الله فقد كفر إلا أن يريد أنه ليس هو الصفة القائمة بذاته تعالى ، ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثًا لا يجوز أن يقال : القرآن حادث إلا في مقام التعليم ؛ لأنه يطلق على الصفة القائمة بذاته أيضًا لكن مجازًا على الأرجح ، فرمما يتوهم من إطلاق أن القرآن حادث أن الصفة القائمة بذاته تعالى حادثة ، ولذلك ضرب الإمام أحمد بن حنبل (٢) وحبس على أن يقول بخلق القرآن فلم يرض .

(١) الأخطل هو : غياث بن غوث بن الصلت أبو مالك شاعر مصقول الألفاظ وكان في عهد بني أمية توفي سنة ٩٠ هـ . من مصنفاته ديوان شعر . (انظر : الأعلام ١٢٣/٥) .

(٢) هو : أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني الإمام المشهور ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، ولد سنة ١٦٤ هـ ، توفي سنة ٢٤١ هـ ، من كتبه : المسند ، والناسخ والمنسوخ ، والزهد . (انظر : تاريخ بغداد ٤١٢/٤ ، وحلية الأولياء ١٦١/٩ ، والأعلام ٢٠٣/١) .

[١٩٢] وقال السنوسي وغيره من المتقدمين : إن الألفاظ التي نقرأها تدل على الكلام القديم ، وهذا خلاف التحقيق ، لأن بعض مدلوله قديم كما في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، وبعض مدلوله حادث كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ قَدْرُونَ كَانَتْ مِنْ قَوْرِ مَوْئِي ﴾ [القصص : ٧٦] .

[١٩٣] والتحقيق أن هذه الألفاظ تدل على بعض مدلول الكلام القديم ، لأنه يدل على جميع الواجبات و الجائزات والمستحيلات ، فالألفاظ التي نقرأها تدل على بعض هذا المدلول ، فلو كشف عنا الحجاب وفهمنا من الكلام القديم طلب إقامة الصلاة مثلاً نفهم ذلك من قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ [البقرة : ٤٣] ويصح أن يكون المراد أن الكلام اللفظي يدل على الكلام النفسي دلالة عقلية التزامية بحسب العرف ، فإن من أضيف له كلام لفظي دل عرفاً أن له كلاماً نفسياً ، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن ، فإنه كلام الله قطعاً بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ ، فدل التزاماً على أن له تعالى كلاماً نفسياً ، وهذا هو المراد بقولهم : القرآن حادث ، ومدلوله قديم فأرادوا بمدلوله الكلام النفسي ، وتكفي الإضافة الإجمالية وإن لم يكن اللفظي قائماً بالذات . وفهم القراني ^(١) أن المراد المدلول الوضعي فقال : منه قديم وهو ذات الله وصفاته ، وحادث كخلق السماوات ، ومستحيل كـ ﴿ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨] كما بسطه العلامة الملوي ، والحاصل أن للألفاظ التي نقرأها داللتين : أولاهما : التزامية عقلية عرفاً كدلالة اللفظ على حياة الالفاظ ، والمدلول بهذه الدلالة هو الكلام القديم ، وهذا محمل كلام السنوسي ومن تبعه ، وثانيتهما وضعية لفظية . والمدلول بهذه الدلالة بعضه قديم وبعضه حادث ، وهذا محمل كلام القراني وغيره فلا تنافي بين القولين كما يصرح به بعض حواشي الكبرى ، والله أعلم .

[١٩٤] قوله : (السمع) معطوف على الكلام بحذف حرف العطف : أى وكذا السمع ، فهو مثل ما ذكر في وجوب اتصافه تعالى به ، وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات : الأصوات ، وغيرها كالذوات كما سيأتي في قوله : (وكل موجود أنط للسمع به) وهذه طريقة السنوسي

ومن تبعه .

(١) هو : أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي ، أحد العلماء البارزين في الفقه المالكي ، وله مؤلفات جليلة في الفقه والأصول ، توفي سنة ٦٨٤ هـ بمصر ، من مصنفاته : أنوار البروق في أنواء الفروق ، والذخيرة في الفقه المالكي ، والإحكام في تمييز الفتاوى والأحكام . (انظر : الأعلام ٩٤/١) .

[١٩٥] وقال السعد : تتعلق بالمسموعات ، فيحتمل أن مراده بالمسموعات في حقنا وهى الأصوات ، فيكون مخالفاً لطريقة السنوسي ومن تبعه ، ويحتمل أن مراده المسموعات في حقه تعالى وهى الموجودات الأصوات وغيرها ، فيكون موافقاً لطريقة السنوسي ، فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات ، بمعنى أن كلا منهما منكشف لله بسمعه ، ويجب اعتقاد أن الانكشاف بالسمع غير الانكشاف بالبصر وأن كلاً منهما غير الانكشاف بالعلم ، ولكل حقيقة يفوض علمها لله تعالى ، وليس الأمر على ما نعهده من أن البصر يفيد بالمشاهدة وضوحاً فوق العلم ، بل جميع صفاته تامة كاملة ، يستحيل عليه الخفاء والزيادة والنقص إلى غير ذلك ، و ما ذكر من التعريف للسمع القديم ، وأما السمع الحادث فهو : قوة مودعة في العصب المفروش في مقعر الصماخ تدرك بها الأصوات على وجه العادة » وقد يدرك بها غير الأصوات ، فقد سمع سيدنا موسى كلام الله القديم وهو ليس بحرف ولا بصوت .

[١٩٦] قوله : (ثم البصر) معطوف على الكلام ، و « ثم » بمعنى الواو ، لأن صفاته تعالى لا ترتيب فيها ، فالمعنى : وكذا البصر فهو مثل ما ذكر في وجوب اتصافه تعالى به ، وهو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها ، كما يعلم من قوله فيما يأتي « كذا البصر »

صفة البصر: تعريفها

كما هو طريقة السنوسي ومن تبعه .

[١٩٧] وقال السعد : تتعلق بالمبصرات ، فيحتمل أن مراده المبصرات في حقنا وهى الذوات والألوان . فيكون مخالفاً لطريقة السنوسي ومن تبعه ، ويحتمل أن مراده المبصرات في حقه تعالى وهى الموجودات الذوات وغيرها ، فيكون موافقاً لطريقة السنوسي فيه ، فيبصر سبحانه وتعالى جميع الموجودات حتى الأصوات ولو خفية جداً كدبيب النملة السوداء في الليل المظلم ، بمعنى أن ذلك منكشف لله ببصره ، وما ذكره من التعريف للبصر القديم .

[١٩٨] وأما البصر الحادث فهو : قوة مخلوقة في العصبين المجوفتين المتلاقيتين تلاقياً صليبيّاً هكذا [+] أو المتلاقيتين تلاقي دالين ظهر أحدهما في ظهر الأخرى هكذا [X] تدرك بها الأضواء والألوان والأشكال وغير ذلك مما يخلق الله إدراكه في النفس .

[١٩٩] قوله : (بذي أتنا السمع) أي بهذه الصفات الثلاثة التي هي : الكلام والسمع والبصر أتنا المسموع : أي الدليل السمعي ، فالسمع بمعنى المسموع وهو الدليل

السمعي وليس المراد أن السمع ورد بنفس الصفات ، لأنه خلاف الواقع ، بل المراد أنه ورد بمشتقاتها . قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] أي أزال عنه الحجاب وأسمعه الكلام القديم ثم أعاد الحجاب ، وليس المراد أنه تعالى يتدئ كلامًا ثم يسكت ، لأنه لم يزل متكلمًا أزلًا وأبدًا ، خلافًا للمعتزلة في قولهم بأن المعنى أنه تعالى خلق الكلام في شجرة وأسمعه موسى ، ويردّ كلامهم بأن الأصل في الإطلاق الحقيقة (١) .

[٢٠٠] وما رواه القضاعي (٢) « من أن الله ناجى موسى بمائة ألف وأربعين كلمة » (٣) معناه أنه فهم معاني يعبر عنها بهذه العدة لا لتبعض في نفس الكلام .

[٢٠١] روي أن موسى عليه الصلاة والسلام كان يسد أذنيه عند قدومه من المناجاة لئلا يسمع كلام الخلق ، لكونه لا يستطيع سماعه لأنه صار عنده كأشد ما يكون من أصوات البهائم المنكرة بسبب ما ذاق من اللذة التي لا يحاط بها عند سماع كلام من ليس كمثله شيء ، وقد أشرق وجهه من النور ، فما رآه أحد إلا عمي فتبرقع وبقي البرقع على وجهه إلى أن مات (٤) ، وأكثر ما اشتهر في المناجاة كذب لا يليق

(١) أي استعمل المفعول المطلق لصرف احتمال العبارة ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴾ الحقيقة والمجاز إلى الحقيقة دون المجاز .

(٢) هو : محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن محمد بن مسلم القضاعي ، الشافعي (أبو عبد الله) فقيه محدث ، مؤرخ ، واعظ مشارك في علوم أخرى ، تولى القضاء بمصر نيابة ، وتوفي بها في ذي الحجة سنة ٤٥٤ هـ ، من تصانيفه : المختار في ذكر الخطط والآثار ، وعيون المعارف وقنون أخبار الخلائق ، ومسند الشهاب . (انظر : طبقات الشافعية ٦٢/٣ ، واللباب لابن الأثير ٢٦٩/٢ ، ومعجم المؤلفين ٣٢٧/٣) .
(٣) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب ١٤٥٨ ، وإسناده ضعيف جدًا . انظر : فتح الوهاب بتخريج أحاديث الشهاب (٨٧٤) .

(٤) جاء في شرح الصاوي على جوهره التوحيد :
أخرجه القضاعي « إن الله ناجى موسى بمائة ألف ، وأربعين ألف كلمة ، فأشرق وجهه بالنور لما جاء من عند ربه ، ليعرف الناس صدق ما ادعاه فما رآه أحد إلا عمي ، فكان يمسح الرائي إليه أي وجهه بثوب مما عليه ، فيرد الله عليه بصره ، فتبرقع ، لئلا تذهب أبصار الناس عند رؤيته ، وبقي رجوعه من المناجاة مدة ، لئلا يسمع كلام الناس فيموت من وحشة قبحه ، وصار يسمع ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء من مسيرة عشرة فراسخ . انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد (١٨١) .

وقال محققه د . عبد الفتاح البزم : الذي أخرجه القضاعي في مسند الشهاب هو الشطر الأول فقط . وأخرجه الطبراني في الكبير ، وليس في كلام الروايتين ما سرده الصاوي سوى اللفظ الأول ، وإسناده تالف ساقط . وقوله : « صار يسمع ديب النملة السوداء . » أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ، وبقيّة الكلام ليس من كلام النبي ﷺ وإنما هو من الإسرائيليات ، وأخرجه أبو الشيخ وابن المنذر بنحوه كما في الدر المنثور ٥٣٧/٣ .

بسيدنا موسى ، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] وقد ورد في الحديث « أربعوا على أنفسكم في الدعاء فإنكم لا تدعون أصم » ^(١) وفي رواية « ولا غائباً وإنما تدعون سميعاً بصيراً » ومعنى قوله : « أربعوا على أنفسكم » أشفقوا على أنفسكم ، فهو من معنى قوله تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف : ٥٥] .

[٢٠٢] وقد أجمع أهل الملل والأديان على أنه تعالى متكلم وسميع وبصير ، فإن قيل : المدعى أن له تعالى صفتين من صفات المعاني وهما السمع والبصر ، وما في الآية والحديث وانعقد عليه الإجماع أنه تعالى سميع وبصير وهو غير المدعى : أجيب بأن أهل اللغة لا يفهمون من سميع وبصير إلا ذاتاً ثبت لها السمع والبصر ، لأن إطلاق المشتق وصفاً لشيء يقتضي ثبوت مأخذ الاشتقاق له ، فثبت له المدعى بالآية والحديث والإجماع مع اعتبار ما يفهمه أهل اللغة ، ولا يخفى أنه لا إبطاء في كلام الناظم ، بل فيه الجناس التام ، لأن السمع الأول بمعنى الصفة القديمة ، والسمع الثاني بمعنى الدليل السمعي ، على أنه تقدم أنها ليست من مشطور الرجز بل من كامله ، وحيث فلا إبطاء أصلاً .

(١) أخرجه البخاري ٦٣٨٤ ، ومسلم ٢٧٠٤ ، من حديث أبي موسى الأشعري .

٣ - فَهَلْ لَهُ إِدْرَاكٌ أَوْ لَا خُلْفٌ وَعِنْدَ قَوْمٍ صَحَّ فِيهِ الْوَقْفُ [٢٠٣ - ٢٠٨]

[٢٠٣] قوله : (فهل له ..) الخ التعبير بواو الاستئناف أوضح من التعبير بالفاء ، لأن هذا لا يتفرع على ما قبله ، ويمكن جعل الفاء للاستئناف ، ويصح أن تجعل فاء الفصيحة فتكون في جواب شرط مقدر ، والتقدير : إذا أردت تحقيق مسألة الإدراك فأقول لك : هل له ... إلخ . وحاصل ما ذكره الناظم أنه قيل بثبوتها ، وقيل بانتفاءها ، وقيل بالوقف ، فهي أقوال ثلاثة .

[٢٠٤] وقد اختلف أيضًا في صفة التكوين فأثبتها الماتريدية ، وعليه فهي صفة قديمة قائمة بذاته تعالى يوجد بها ويعدم بها ، لكن إن تعلقت بالوجود تسمى إيجابًا وإن تعلقت بالعدم تسمى إعدامًا ، وإن تعلقت بالحياة تسمى إحياء وهكذا ، فصفت الأفعال عندهم قديمة لأنها هي صفة التكوين

وهي قديمة ، وذهب بعضهم إلى أن هذه كلها صفات متعددة ، وفيه تكثير للقدماء جدًا ، ونفاها الأشاعرة وجعلوا صفات الأفعال هي تعلقات القدرة التنجزية الحادثة ، فإن قيل على طريقة الماتريدية : ما وظيفة القدرة عندهم ، أجيب بأن وظيفتها تهئية الممكن بحيث يجعله قابلاً للوجود والعدم ^(١) ورُدَّ بأن قبوله لذلك ذاتي له ، وأجيب بأن الذاتي إنما هو القبول الإمكانى ^(٢) ، بخلاف القبول الاستعدادي القريب من الفعل .

[٢٠٥] قوله : (إدراك) هو في حق الحادث تصور حقيقة الشيء المدرك : أي تصور حقيقة الشيء المدرك بفتح الراء على صيغة اسم المفعول عند المدرك بكسرها على صيغة اسم الفاعل ، وأما في حقه تعالى على القول به فهو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى تسمى الإدراك ، يدرك بها الملموسات كالنعومة والخشونة ، والمشمومات كالرائحة الطيبة ، والمذوقات كالحلاوة من غير اتصال بمحالتها التي هي الأجسام ، ولا تكيف بكيفيتها لأن ذلك إنما هو عادي وقد ينفك وقيل : يدرك بها كل موجود ، والذي صرح به بعض المتأخرين أنها صفة واحدة ، لكن الواقع في كتب الكلام أنها ثلاث صفات : إدراك الملموسات ، وإدراك المشمومات ، وإدراك المذوقات ، واستدل القائلون بإثباتها وهم القاضي الباقلاني وإمام الحرمين ومن وافقهما بأنها كمال ، وكل كمال واجب لله ، لأنه

(١) أي يجعله قابلاً للوجود في صورة إيجاده بصفة التكوين ، ويجعله قابلاً للعدم في صورة إعدامه ، وليس المراد أنها تجعله قابلاً للوجود والعدم معاً .

(٢) القبول الاستعدادي : هو قبول الشيء لأن يصير شيئاً آخر قبولاً قريباً كشأن التراب يصير بعد خلط الماء طيناً . القبول الإمكانى هو القبول البعيد كقابلية التراب لأن يصير فخاراً وذلك بعد خلط الماء به ثم عرضه على النار .

لو لم يتصف بها لاتصف بضدها وهو نقص والنقص عليه تعالى محال ، فوجب أن يتصف بها على ما يليق به من غير اتصال بالأجسام ومن غير وصول للذات والآلام له تعالى . [٢٠٦] وقوله (أولا) أي : أو ليس له إدراك : أي صفة تسمى الإدراك كما ذهب إليه جمع ، واستدلوا على ذلك بأنه لو اتصف تعالى بها لزم الاتصال بمحالتها تلازمًا عقليًا فلا يتصور انفكاكه ، واللازم مستحيل في حقه تعالى ، واستحالة اللازم وهو الاتصال توجب استحالة الملزوم وهو اتصافه تعالى بها ، لكن الأولون لا يُسلمون أن بين الانصاف بها والاتصال بمحالتها تلازمًا عقليًا ، لما تقدم من أنه يجعله عاديًا ويقبل الانفكاك. ودعوى أنه تعالى لو لم يتصف بها لاتصف بضدها فاسدة لمنافاة العلم الواجب له تعالى لذلك الضد ، لأن علمه تعالى محيط بمتعلقاتها ، فهو كافٍ عنها حيث لم يرد سمع ولا دل عليها فعله تعالى كخلق العالم ، لأنه لا يتوقف عليها .

[٢٠٧] وقوله : (خلف) أي : في جواب ذلك اختلاف ، فهو مبتدأ خبره محذوف^(١) ، وهذا الاختلاف مبني على الاختلاف في دليل الصفات الثلاثة السابقة التي هي : الكلام ، والسمع ، والبصر ، فمن أثبتها بالدليل العقلي - وهو أنها صفات كمال فلو لم يتصف بها لاتصف بأضدادها وهي نقائص والنقص عليه تعالى محال أثبت هذه الصفة التي هي صفة الإدراك . ومن أثبتها بالدليل السمعي المتقدم : نفى الصفة المذكورة لأنه لم يرد بها سمع .

[٢٠٨] وقوله : (وعند قوم صح فيه الوقف) أي : وصح التوقف عن القول بإثبات الإدراك ونفيه عند قوم من المتكلمين كالمقترح^(٢) وابن التلمساني^(٣) وبعض المتأخرين لتعارض الأدلة ، فهؤلاء القوم لا يجزمون بثبوت الإدراك كأهل القول الأول ، ولا يجزمون بنفيه كأهل القول الثاني ، وهذا القول أسلم وأصح من القولين الأولين ، وكما اختلف في الإدراك اختلف في الكون مدركا والأصح الوقف عن ذلك .

(١) هذا هو صحيح ، وقد قال الصاوي : خلف خبر لمبتدأ مجذوف وهذه كبرة جواد من الصاوي رحمه الله .

(٢) هو : مظفر بن عبد الله بن علي تقي الدين المصري إمام في الفقه والخلاف وأصول الدين ، من كتبه : شرح الإرشاد في الأصول ، توفي سنة ٦١٢ هـ . (انظر : طبقات الشافعية ١٥٦/٥ ، والأعلام ٢٥٦/٧) .

(٣) هو : عبد الله بن محمد بن علي الفهري المصري الشافعي ، شرف الدين أبو محمد ، المعروف بابن التلمساني له تصانيف منها : شرح المعالم في أصول الدين ، والمغني وهو شرح التنبيه في الفقه ، ولد سنة ٥٦٧ هـ ، وتوفي سنة ٦٦٤ هـ . (انظر : الأعلام ١٢٥/٤ ، معجم المؤلفين ١٣٣/٦) .

٣١ - خيِّ عليم قَادِرٌ مُرِيدٌ سَمِعَ بَصِيرًا يَشَاءُ يُرِيدُ [٢٠٩-٢١٦]

[٢٠٩] قوله : (حي) لا يصح أن يكون معطوفاً على الوجود بحذف حرف العطف لأنه ينحل المعنى : وواجب له حي ، وهذا فاسد لأن الله تعالى هو الحي فتعين أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف مقرون بالفاء ، والتقدير : وحيث وجبت له الحياة فهو حي ، والذي ذكره المصنف في شرحه أنه أراد مجرد بيان الأسماء المأخوذة مما سبق لبيان وجوب قيام الصفة بالموصوف ردّاً على بعض فرق الضلال حيث قالوا بعدم قيام بعضها بالموصوف كالكلام والإرادة ، ولم يرد بيان الصفات المعنوية ، ولذا لم يقل : كونه حيّاً ، لأن عدّ الصفات المعنوية إنما يتمشى على قول مثبت الأحوال جمع حال وهي صفة لا موجودة ولا معدومة ، بل واسطة بين الموجود والمعدوم ، وعليه جرى السنوسي في الصغرى حيث قال : وكونه قادراً .. إلخ .

[٢١٠] والمختار عند المحققين أنه لا حال وأن الحال محال ، فعلى القول بثبوت الأمور : الأحوال تكون الأمور أربعة أقسام : موجودات : وهي التي وجدت في أقسامها الخارج بحيث ترى ، ومعدومات : وهي التي ليس لها ثبوت أصلاً ،

وأحوال : وهي التي لها ثبوت لكن لم تصل إلى درجة الوجود حتى ترى ولم تنحط إلى درجة المعدوم حتى تكون عدماً محضاً ، وأمور اعتبارية : وهي قسمان : أمور اعتبارية انتزاعية كقيام زيد ، فهو أمر اعتباري انتزاعي لأنه انتزع من الهيئة الثابتة في الخارج ، وأمور اعتبارية اختراعية كبحر من زئبق ، فهو أمر اعتباري اختراعي ؛ لأنه اخترعه الشخص .

والقسم الأول لا يتوقف على اعتبار المعبر و فرض الفارض ، والقسم الثاني يتوقف على ذلك ، وعلى القول بنفي الأحوال تكون الأمور ثلاثة : موجودات ، ومعدومات ، وأمور اعتبارية بقسميها ، وهذه الطريقة هي الراجحة . ومعنى إنكار المعنوية إنكار زيادتها على المعاني بحيث تكون واسطة بين الموجود والمعدوم ، لا إنكار كونه قادراً مثلاً من أصله ، لأنه مجمع عليه فليس فيه خلاف ، إنما الخلاف في زيادته على المعاني ، فالحاصل أنهم اتفقوا على الكون قادراً مثلاً ، لكن على القول بثبوت الأحوال تكون واسطة بين الموجود والمعدوم لازمة للقدرة ، وعلى القول بنفي الأحوال تكون عبارة عن قيام القدرة بالذات فيكون أمراً اعتبارياً ، وهذا كله عند أهل السنة . وأما عند المعتزلة فهي كناية عن القادرية : أي كونه قادر بذاته ، وكذا يقال في الباقي ، فهم وإن أنكروا المعاني لم ينكروا القادرية والعالمية وغيرهما ، فيقولون قادر بذاته ، وعالم بذاته ، إلى غير ذلك ، ولذلك

يقولون : من أنكر المعاني لا يكفر إلا إذا أثبت ضدها ، و من أنكر المعنوية بمعنى القادرية ونحوها كفر ، لأنه يلزم من إنكار القادرية إثبات الضد ، وأما إنكار المعنوية بمعنى الأحوال فهو الحق ، وحيث علمت أن المصنف صرح بأنه أراد مجرد بيان الأسماء ولم يرد بيان الصفات المعنوية ، علمت أن حمله على بيان المعنوية ليس على ما ينبغي وإن ذكره الشيخ عبد السلام وغيره خصوصاً وقد عبر بالحي ... إلخ ، ولم يعبر بكونه حيّاً ... إلخ ، وقد قالوا : صاحب البيت أدري بالذي فيه ، وحقيقة الحي الذي له الحياة الحقيقية هو الذي تكون حياته لذاته ، وليس ذلك لأحد من الخلق ، فليست حياتهم لذاتهم .

[٢١١] قوله : (عليم) أي : وحيث وجب له العلم فهو عليم ، فهو خبر لمبتدأ محذوف مقرون بالفاء كما تقدم . وعلیم بمعنى عالم و هو الذي علمه شامل لكل ما من شأنه أن يعلم ، فصيغة المبالغة باعتبار الكثرة في المتعلق ، وإن كانت صفة العلم واحدة لا تكثر فيها .

[٢١٢] وقوله : (قادر) أي : وحيث وجبت له القدرة فهو قادر ، فهو خبر لمبتدأ محذوف مقرون بالفاء كما مرّ ، و القادر : هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك فهو متمكن من الفعل والترك ، فيصدر عنه كل من الفعل و الترك بحسب مصالح الخلق المترتبة على ذلك .

[٢١٣] وقوله : (مريد) أي : وحيث وجبت له الإرادة فهو مريد : وهو الذي تتوجه إرادته إلى المعدم فتخصّصه بالوجود بدلاً عن العدم مثلاً .

[٢١٤] وقوله : (سمع) بحذف الياء مع سكون العين للضرورة ^(١) أي : وحيث وجب له السمع فهو سميع .

وقوله (بصير) أي : وحيث وجب له البصر فهو بصير ، والسميع : هو الذي يسمع كل موجود ، والبصير : هو الذي يبصر الأشياء فيحيط بالمسموعات والمبصرات ، من غير أن يشغله شأن على شأن .

[٢١٥] قوله : (ما يشا يريد) بقصر « يشا » للوزن : أي الذي يشاؤه يريده ، وأشار المصنف بذلك إلى اختيار مذهب الجمهور من اتحاد المشيئة والإرادة ، خلافاً

(١) ويمكن أن يقال إن الحمل في القضية نوعان : الأول حمل مواطأة وهو مالا يحتاج إلى تأويل كقولنا : الشافعي عالم ، وحمل اشتقاق وهو ما احتاج إلي تأويل كقولنا الشافعي علم أي : ذي علم ، وهو هنا من النوع الثاني أي هو ذو سمع سبحانه وتعالى .

للكرامية حيث زعموا أن المشيئة صفة واحدة أزلية تتناول ما يشاؤه الله بها ، والإرادة حادثة متعددة بتعدد المرات كما قاله في شرحه الصغير ، ومراداته تعالى : هي شئونه في خلقه .

[٢١٦] وحكي أن ابن الشجري ^(١) كان يكرر في درسه قوله تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن : ٢٩] . فسأله سائل وقال له : ما شأن ربك الآن ، فأطرق رأسه وقام متحيراً ، فنام فرأى النبي ﷺ فسأله عن ذلك ، فقال له ، السائل لك الخضر ^(٢) ، فإذا أتاك في غد وسألك فقل له : شئون يديها ولا يتديها ، يرفع أقواما و يخفض آخرين . فلما أصبح أتاه وسأله فأجابه بما ذكر ، فقال له : صل على من علمك ، ومشى مسرعاً . ومعنى : شئون يديها ولا يتديها : أحوال يظهرها للناس ولا يتديها علما ، لأنه تعالى يعلم الأشياء أزلاً ، خلافاً لمن قال : الأمر أنف ، أى : يستأنف الله الأشياء علماً ، وقد انقرض هؤلاء الجماعة من قبل الإمام الشافعي ^(٣) ، وهم قوم كفار لأنهم أنكروا القدر .

(١) هو : هبة الله بن علي بن محمد الحسني ، أبو السعادات نقيب الطالبين بالكرك توفي سنة ٥٤٢ . من مؤلفاته : الأمالي ، الحماسة . (انظر : وفيات الأعيان ١٨٣/٢ ، الأعلام ٧٤/٨) .

(٢) مسألة حياة الخضر وهو بفتح الحاء وكسر الضاد على الأشهر ألف فيها الحافظ ابن حجر كتابه (القول النضر في حياة الخضر) ، والصوفية وبعض المحدثين يقولون بحياته ، وكثير من العلماء خاصة المتقدمين قائلون بوفاته ، والمسألة دائرة على الجواز العقلي ولا يوجد في الشريعة نص يخالفها ولا حديث صحيح يؤيد حياة الخضر ، والأمر حينئذٍ إن تلك المسألة ليست من مسائل العقيدة .

(٣) هو : محمد بن إدريس بن العباس الهاشمي القرشي أبو عبد الله ، الإمام ناصر السنة وأحد الأئمة الأربعة ، ولد في غرة سنة ١٥٠ هـ ، وتوفي بمصر سنة ٢٠٤ هـ ، من مصنفاته : الأم ، وأحكام القرآن ، وأدب القاضي ، والرسالة . (انظر : تذكرة الحفاظ ٣٢٩/١ ، وطبقات الشافعية ١٨٥/١ ، والأعلام ٢٦/٦) .

٣٢ - متكلّمٌ ثُمَّ صِفَاتُ الذَّاتِ لَيْسَتْ بِغَيْرِ أَوْ بَعَيْنِ الذَّاتِ [٢١٧-٢٢٢]

[٢١٧] قوله : (متكلّم) بسكون التاء للوزن : أي حيث وجب له الكلام فهو متكلّم ، ولا خلاف لأرباب المذاهب والملل في أنه تعالى متكلّم ، وإنما الخلاف في معنى كلامه ، وقد تقدم معناه ، وقد اختلفوا في قدمه ، وقد تقدم بيانه أيضًا ، وسيأتي بيانه في قوله :
ونزه القرآن أي كلامه عن الحدوث واحذر انتقامه

[٢١٨] قوله : (ثم صفات الذات ...) إلخ ثم للاستئناف ، ويحتمل أن تكون للترتيب في الذكر والإخبار ، والمعنى : بعد أن أخبرتك بما تقدم أخبرك بأن صفات الذات ... إلخ ، والغرض الأصلي من ذلك بيان حكم صفات الذات وهو أنها ليست بعين الذات ولا بغير الذات فإن قيل : الشيء إما أن يكون غيرًا ، وإما أن يكون عينًا ، فلا يعقل قولهم : « ليست بغير الذات ولا بعين الذات » أجيب بأن نفي العينية ظاهر ، إذ من المعلوم أن حقيقة الذات غير حقيقة الصفات ، وإلا لزم اتحاد الصفات والموصوف وهو لا يعقل .

[٢١٩] وأما نفي الغيرية فالمراد به : نفي الغير المصطلح عليه وهو الغير المنفك ، لا مطلق الغير ، فالمعنى أنها ليست بعين الذات ولا بغير الذات غيرًا منفكًا فلا ينافي أن حقيقتها غير حقيقة الذات لكنها ليست منفكة عن الذات . وقال بعضهم : إنها غير نظرًا لذلك وإن لم تنفك . قال الشمس السمرقندي ^(١) : وهو خلاف لفظي ، لأن القول بأنها ليست بغير محمول على نفي الغير المنفك وإن كانت غيرًا في المفهوم والقول بأنها غير محمول على الغير في المفهوم وإن لم تنفك ، ولكون الصفات ليست غيرًا بالمعنى المتقدم وقع التسامح بإضافة ما للذات إليها ، نحو « تواضع كل شيء لقدرته » والمراد تواضع كل شيء لذاته لأجل قدرته ، وإلا فعبادة مجرد الصفات كفر ، وعبادة مجرد الذات فسق ، فالمستقيم عبادة الذات المتصفة بالصفات ، وخرج بإضافة صفات الذات : الصفات السلبية فإنها غير بمعنى إنها ليست قائمة به ؛ لأنها أمور عدمية ، وصفات الأفعال كالإحياء والإماتة فإنها غير أيضًا ، بمعنى أنها منفكة لأنها هي تعلقات القدرة التجيزية الحادثة ، والصفة النفسية وهي الوجود فإنها عين الوجود على كلام الأشعري ، وقد تقدم أن التحقيق تأويله على معنى أنه ليس زائدًا على الذات بحيث

(١) هو : محمد بن عبد الحميد بن الحسن علاء الدين أبو الفتح السمرقندي الحنفي ، الفقيه الأصولي المتكلم الناظر . له مصنفات ، منها : « شرح عيون المسائل لأبي الليث » وسماه حصر المسائل وقصر الدلائل ، الهداية في الكلام ، توفي سنة ٥٥٢ هـ . (انظر : شذرات الذهب ٢/٣ ، والفوائد البهية ص ١٧٦ ، ومعجم المؤلفين ١٠/١٣٠) .

يرى ، فلا ينافي أنه أمر اعتباري ، وغير الموجود على كلام غير الأشعري .

[٢٢٠] قوله : (ليست بغير) بلا تنوين لفظ « غير » له ، لإضافته تقديرًا إلى مثل ما أضيف إليه « عين » ، والتقدير : ليست بغير الذات ، وقد عرفت أن المراد ليست بغير منفك ، فلا ينافي أنها غير ملازم ، وأشار المصنف بذلك إلى الجواب عن الشبهة التي أوردها المعتزلة النافون لصفات المعاني ، وتقريرها أن تقول : الصفات الوجودية إما أن تكون حادثة فيلزم قيام الحوادث بذاته تعالى ، وإما أن تكون قديمة فيلزم تعدد القدماء وهو كفر بإجماع المسلمين ، وقد كفرت النصارى بزيادة قديمين على الذات العلية ، فكفروا بإثبات آلهة ثلاثة ، كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثٍ ﴾ [المائدة : ٧٣] . وإذا كفرت النصارى بإثبات آلهة ثلاثة ، فكيف بالأكثر وهو ثمانية قدماء الذات والصفات السبع أو التسع بزيادة التكوين أو عشر بزيادة الإدراك ، ا فيلزم على إثبات ذلك الكفر من باب أولى ، وهذا توسيع في الدائرة لأن أهل السنة معترفون بقدم الصفات . وحاصل الجواب كما أشار إليه العلامة السعد : أن المحذور المبطل للتوحيد إنما هو تعدد القدماء المتغايرة المنفكة بحيث تكون ذوات مستقلة ، وليست الصفات مغايرة للذات بهذا المعنى ، فلم يلزم التعدد المبطل للتوحيد حتى يلزم الكفر ، فنفي الغيرية هو الذي أشير به للجواب عن الشبهة المذكورة ، ولا مدخل لنفي العينية في الجواب ، لكنه تكميل للفائدة ، على أن الغرض الأصلي - كما علمت - بيان حكم الصفات لبعض لظهور ذلك .

[٢٢١] وقوله : (أو بعين الذات) أي : وليست الصفات عين الذات ، فأو بمعنى الواو ، لأن القاعدة أنها تكون بمعنى الواو بعد النفي .

[٢٢٢] واعلم أن وجوب صفات المعاني ذاتي لها مثل وجوب الذات ، كما هو الحق الذي عليه السنوسي ومن تبعه ، وليست ممكنة لذاتها واجبة لغيرها بسبب اقتضاء الذات لها كما قاله العضد ، وهذه نزعة من نزعات العضد ^(١) ، وسرت له هذه النزعة من كلام الفلاسفة ، فإنهم يقولون : إن العالم ممكن لذاته قديم لغيره بسبب كونه معلولا لعلة قديمة وهي ذاته تعالى ، وما كان معلولاً لعلة قديمة فهو قديم ، وهذا كلام باطل ، وكلام السعد في موضع يوافق كلام العضد ، وفي موضع آخر يوافق كلام السنوسي وهو الذي نلقى الله عليه .

(١) هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار مشارك في العلوم وأحد أئمة العقول . توفي سنة ٧٥٦ هـ ، من تصانيفه : المواقف في علم الكلام ، وشرح مختار بن الحاجب . (انظر : الأعلام ٢٩٥/٣) .

٣٣ - فَقُدْرَةٌ بِمُكِنٍ تَعَلَّقَتْ بِلَا تَنَاهِي مَا بِهِ تَعَلَّقَتْ [٢٢٣-٢٢٨]

[٢٢٣] قوله : (فقدره ...) إلخ أي : إذا أردت معرفة تعلقات الصفات فأقول لك : قدرة ... إلخ ، فالفاء فاء الفصيحة . ولما طوى ذيل مباحث الصفات شرع في نشر مالها من التعلقات ، والذي اعتمده المحققون أن التعلق للمعاني فقط . وقال بعض المتكلمين : للمعنوية ، ولم يقل أحد بأن التعلق للمعاني والمعنوية معاً ، وإلا لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد في القدرة والكون قادراً ، والإرادة والكون مريداً ، ولزم تحصيل الحاصل في العلم وكونه عالمًا وهكذا الباقي وعرفوا التعلق بأنه طلب الصفة أمراً زائداً على الذات يصلح لها (١) .

[٢٢٤] واعلم أن صفات المعاني من حيث التعلق وعدمه ، ومن حيث عموم التعلق للواجبات والجائزات والمستحيلات وخصوصه بالممكنات أو بالموجودات أقسام أربعة : الأول : ما يتعلق بالممكنات وهو القدرة والإرادة ، لكن تعلق الأولى تعلق إيجاد وإعدام ، وتعلق الثانية تعلق تخصيص .

والثاني : ما يتعلق بالواجبات والجائزات والمستحيلات وهو العلم والكلام ، لكن تعلق الأول تعلق انكشاف ، وتعلق الثاني تعلق دلالة .

والثالث : ما يتعلق بالموجودات وهو السمع والبصر والإدراك إن قيل به .

والرابع : ما لا يتعلق بشيء وهو الحياة ، وقد ذكرها المصنف على هذا الترتيب كما ستره ، ومعرفة التعلقات غير واجبة على المكلف لأنها من غوامض علم الكلام كما نقله الشيخ البراوي (٢) عن سيدي محمد الصغير وذكره الشيخ الشنواني .

[٢٢٥] قوله : (بممكن تعلقت) الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده ، وإنما قدمه عليه لإفادة الحصر ، فكأنه قال : لا تتعلق إلا بممكن : أي بكل ممكن ، فالمراد العموم

(١) قال الصاوي : اعلم أن الصفات الوجودية قسمان : متعلق ، وغير متعلق ، وضابط الأول : ما يقتضي أمراً زائداً على القيام بمحلها : كالقدرة فإنها تقتضي مقدوراً يتأتى بها إيجاد وإعدامه . والإرادة فإنها تقتضي مراداً يتخصص بها . والعلم فإنه يقتضي معلوماً ينكشف به والكلام لأنه يقتضي معنى يدل عليه ، والسمع فإنه يقتضي مسموعاً يسمع به ، والبصر فإنه يقتضي مبصراً يبصر به . وضابط ما لا يتعلق : ما لا يقتضي أمراً زائداً على قيامها بمحلها وهو الحياة لا غير . والمتعلق إما متعلق بجميع أقسام الحكم العقلي ، وهو العلم والكلام ، أو بالجائزات فقط ، وهو القدرة والإرادة ، أو بالموجودات فقط واجبة أو جائزة ، وهو السمع والبصر .

انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد (١٩٤ - ١٩٥) .

(٢) هو : عيسى بن أحمد بن عيسى الأزهري ، فاضل مصري من فقهاء الشافعية تعلم بالأزهر وتوفي سنة ١١٨٢ هـ ، من مصنفاته : حاشية على شرح جوهره التوحيد ، التيسير لحل ألفاظ الجامع الصغير (انظر : الأعلام ١٠/٥) .

لأن النكرة في سياق الإثبات قد تعم ، كما في قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير : ١٤] أي كل نفس ، فالقدرة متعلقة بجميع الممكنات ، لأنه لو خرج ممكن عن تعلقها لزم منه العجز وهو محال عليه تعالى .

[٢٢٦] والمراد بالممكن : ما لا يجب وجوده ولا عدمه لذاته ، ولو وجب وجوده أو عدمه لغيره ، فالذي تعلق علمه تعالى بوجوده من الممكنات ، فهو وإن كان ممكناً في ذاته لكن وجب وجوده لغيره كإيمان من علم الله إيمانه ، والذي تعلق علمه تعالى بعدم وجوده ، فهو وإن كان ممكناً في ذاته لكن وجب عدم وجوده لغيره كإيمان من علم الله عدم إيمانه كأبي جهل ، لكن تعلق القدرة بالذي تعلق علم الله بعدم وجوده تعلق صلوحى لا تنجزى ، وإلا لانقلب العلم جهلاً وهو محال ، وبذلك يجمع بين القولين ، فالقول بأنه من متعلقات القدرة محمول على أنه من متعلقاتها باعتبار التعلق الصلوحى ، والقول بأنه ليس من متعلقات القدرة محمول على أنه ليس من متعلقاتها باعتبار التعلق التنجزى ، وعلم من ذلك أن للقدرة تعلقين : تعلقاً صلوحياً قديماً وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام فيما لا يزال ، وتنجزياً حادثاً : وهو الإيجاد والإعدام بها بالفعل ، وهذا على سبيل الإجمال ، وأما على سبيل التفصيل فلها تعلقات سبعة ، وقد تقدم بيانها .

[٢٢٧] وخرج بالممكن : الواجب والمستحيل ، فلا تتعلق القدرة بهما ؛ لأنها إن تعلقت بوجود الواجب لزم تحصيل الحاصل ، وإن تعلقت بعدمه لزم انقلاب حقيقة الواجب ، فإن حقيقته مالا يقبل العدم ، وإن تعلقت بالمستحيل فعلى العكس من ذلك .

[٢٢٨] قوله : (بلا تناهي ما به تعلقت) أي : الممكن الذي تعلقت به القدرة متلبس بعدم التناهي ، فمتعلقات القدرة لا تنتهي إلى حدٍّ ونهاية ، إذ منها نعيم الجنان وهو متجدد شيئاً فشيئاً وهكذا ، وأما ما وجد في الخارج من الممكن فهو متناه ، لأن كل ما حصره الوجود من الممكن فهو متناه لاستحالة حوادث لا نهاية لها ، ويدل على عدم تناهي متعلقات القدرة قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة : ٢٨٤] وقوله تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان : ٢] أي : كل شيء ممكن في الآيتين . واعلم أنه لا إبطاء في البيت ، لأن الصحيح أنها من كامل الرجز ، على أنه يصح حمل الأول على التنجزى ، والثاني على الصلوحى ، وأما كون الأول في حيز الإثبات والثاني في حيز النفي فلا يلتفت إليه وإن ذكره المصنف في شرحه .

٣٤ - وَوَحْدَةٌ أَوْجِبَ لَهَا وَمِثْلُ ذِي إِزَادَةِ وَالْعِلْمُ لَكِنْ عَمَّ ذِي [٢٢٩ - ٢٣٢]

[٢٢٩] وقوله : (ووحدة أوجب لها) أي : أوجب للقدرة وحدة ، بمعنى : اعتقد وجوبها لها ، فيجب أن تعتقد أن قدرة الله واحدة ، لأن تعددها لا يقتضيه معقول ولا منقول ، ولأنه لو كان له تعالى قدرتان لزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد ، فالقدرة واحدة والمقدور متعدّد كالحركة والسكون وغيرهما .

[٢٣٠] (قوله : ومثل ذي إرادة) أي : ومثل القدرة إرادة ، فاسم الإشارة عائد للقدرة ، فالمعنى أن إرادة الله تعالى مثل قدرته في الأمور الثلاثة المتقدمة التي هي : تعلقها بكل ممكن ، وعدم تناهي متعلقاتها ، وإيجاب الوحدة لها بلا تفاوت بينهما ، فالمثلية إنما هي في هذه الثلاثة وإن اختلفت جهة التعلق فيهما ، فإن القدرة إنما تتعلق بالممكنات تعلق إيجاد وإعدام والإرادة

صفة
الإرادة :
أقسام
تعلقاتها

إنما تتعلق بها تعلق تخصيص ، فتخصص كل ممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات المتقابلات كالوجود أو العدم وكونه بهذه الصفة أو بصفة أخرى ، وهكذا ، ويدل على عموم تعلق الإرادة : الأدلة العقلية ، كأن يقال : لو تعلق بالبعض دون البعض للزم عليه الترجيح بلا مرجح واللازم باطل ، والأدلة السمعية كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس : ٨٢] والمراد من ذلك والله أعلم : أنه متى تعلقت إرادته وقدرته بشيء برز حالاً ، فهو كناية عن سرعة وجود مراده تعالى وعدم تخلفه ، وليس المراد من ذلك ما هو ظاهره من أنه تعالى إذا أراد شيئاً ، يصدر منه أمر للكائنات بلفظ « كن » ، واعلم أن للإرادة تعلقين : تعلقاً صلوحياً قديماً وهو صلاحيتها في الأزل لتخصيص الممكن بالوجود أو بالعدم وبالغنى أو بالفقر وهكذا ، وتعلقاً تنجيزياً قديماً وهو تخصيص الله بها أزلاً الممكن ببعض ما يجوز عليه من الممكنات السابقة ، وزاد بعضهم تعلقاً ثالثاً وهو : تعلقها بالممكن حين وجوده بالفعل فيكون تعلقاً تنجيزياً حادثاً . والحق أن هذا ليس بتعلق ، وإنما هو إظهار للتعلق كما تقدم .

[٢٣١] قوله : (والعلم) معطوف على قوله « إرادة » فهو مثل القدرة أيضاً في الأمور الثلاثة السابقة : وهي تعلقه بالممكنات ، وعدم تناهي متعلقاته ، وإيجاب الوحدة له بإجماع من يعتد بإجماعه ، فإنه لم يذهب أحد إلى تعدد علمه تعالى بعدد المعلومات إلا أبو سهل الصعلوكي ^(١) فقال : بعلوم

صفة العلم :
أقسام
تعلقاته

(١) هو : محمد بن سليمان بن محمد العجلي الحنفي ، الفقيه الشافعي والمفسر ، المتكلم والأديب الشاعر والكاظم حبر زمانه توفي سنة ٣٦٩ هـ . (انظر : طبقات الشافعية ١/١٦١ ، والأعلام ٦/١٤٩) .

قديمة لانهاية لها ، ولا يرد عليه استحالة دخول مالا نهاية له في الوجود ، لأن الدليل إنما قام على هذه الاستحالة في الحادث دون القديم .

[٢٣٢] وقوله : (لكن عم ذي) أي : لكن عم العلم من حيث تعلقه هذه الممكنات التي أشعر بها عموم قوله « بممكن » لأن المراد به العموم كما سبق ، ودفع المصنف بهذا الاستدراك ما يوهمه تشبيه العلم بالقدرة من قصره على الممكنات كما في القدرة والإرادة ، وليس كذلك ، بل يتعلق أيضا بالواجبات والمستحيلات ، ولا إبطاء في كلامه لاختلاف مرجعي اسمي الإشارة ، على أنها ليست من مشطور الرجز بل من تامه كما تقدم غير مرة .

٣٥ - وَعَمَّ أَيْضًا وَاجِبًا وَالْمَمْتَنِعَ وَمِثْلُ ذَا كَلَامُهُ فَلْتَنْتَبِهْ [٢٣٣ - ٢٣٥]

[٢٣٣] وقوله : (وعَمَّ أَيْضًا وَاجِبًا وَالْمَمْتَنِعَ) أي : وشمل العلم من حيث تعلقه الواجب العقلي كذاته تعالى وصفاته والممتنع العقلي كشريكه تعالى واتخاذها ولدًا أو صاحبة ، بمعنى أنه يعلم استحالة ذلك ، ويعلم أنه لو وجد لترتب عليه من الفساد كذا وكذا ، وأيضا مصدر « آض » إذا رجع ، فمعناه رجوعًا إلى عموم العلم فهو كما عم الممكنات عم الواجبات والممتنعات ، ويدل على عموم تعلقه قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ يَكِلُ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴾ [النور : ٣٥] والمراد بالشيء : مطلق الأمر لا خصوص الموجود ، وإلا لم يطابق المدعى وقوله تعالى : ﴿ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ﴾ [الأنعام : ٧٣] أي : ما غاب عنا وما حضر لنا ، فالمراد الغيب والشهادة بالنسبة لنا . وليس للعلم إلا تعلق تنجيزي قديم فقط على التحقيق . واعلم أن تعلقات

ترتيب تعلقات القدرة	القدرة والإرادة والعلم مرتبة عند أهل الحق باعتبار التعقل فقط في التعلقات القديمة ، وفي الحقيقة أيضاً في الحادث منها مع القديم ، فبين تعلق القدرة الصلوبي القديم وتعلق الإرادة الصلوبي القديم والتنجيزي
---------------------------	--

القديم وتعلق العلم وهو تنجيزي قديم : ترتيب في التعقل ، فنتعقل أولاً وتعلق العلم ، ثم تعلق الإرادة ، ثم تعلق القدرة ، فتعلق القدرة تابع لتعلق الإرادة ، وتعلق الإرادة تابع لتعلق العلم ، وليس بين هذه التعلقات ترتيب في الخارج لأنها قديمة ، والقديم لا ترتيب فيه خارجاً ، وإلا لزم أن المتأخر حادث . وبين تعلق القدرة التنجيزي الحادث وتعلق الإرادة التنجيزي القديم والصلوبي القديم وتعلق العلم وهو تنجيزي قديم كما مر : ترتيب في الخارج وفي التعقل ، لأن تعلق القدرة التنجيزي الحادث متأخر عن هذه التعلقات القديمة ضرورة تأخر الحادث عن القديم ، وأما تعلق القدرة التنجيزي الحادث وتعلق الإرادة التنجيزي الحادث على القول به ، فبينهما ترتيب في الخارج وفي التعقل فيكون تعلق القدرة التنجيزي الحادث متأخراً عن تعلق الإرادة التنجيزي الحادث على القول به ، وقيل بينهما ترتيب في التعقل فقط ، لأنه لا يتأخر مراد الله عن إرادته اهـ . ملخصاً من حاشية العلامة الشنواني مع شرح الشيخ عبد السلام ، فادع لى ولهم بحسن الختام .

[٢٣٤] قوله : (ومثل ذا كلامه) أي : ومثل علمه تعالى كلامه ، فاسم الإشارة عائد على العلم ، و « مثل » خبر مقدم ، و « كلامه » مبتدأ مؤخر والتقدير وكلامه النفسي القديم القائم بذاته تعالى مثل العلم في الأحكام الثلاثة : وهي عموم تعلقه بالواجبات والجائزات والمستحيلات وعدم تنهاى متعلقاته وإيجاب وحدته ، فعموم تعلقه

لصلوحه للجميع والقاعدة أن صفات المولى متى صلحت لشيء فلا بد من ثبوت الجميع لها وعدم تناهي متعلقاته لامتناع التخصيص بشيء يتناهى لأنه ترجيح بلا مرجح ومن متعلقاته نعيم الجنان وهو لا يتناهى بل يتجدد شيئاً فشيئاً وهكذا ، وإيجاب وحدته ، لأنه لم يرد السمع بالتعدد بل انعقد الإجماع على نفي كلام ثانٍ قديم ، والمثلية إنما هي في الثلاثة الأحكام المذكورة وإن اختلفت جهة التعلق ، لأن تعلق العلم تعلق انكشاف ، وتعلق الكلام تعلق دلالة وهو تعلق تنجيزي قديم بالنظر لغير الأمر والنهي ، فهو يدل أزلاً على أن ذاته وصفاته تعالى واجبة ، على أن الشريك والصاحبة والوالد مستحيلة ، وإن ولد زيد ورزقه وعلمه جائزة ، ويدل أزلاً أيضاً على أن من أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار ، والأول وعد والثاني وعيد وهكذا ، وأما بالنظر للأمر والنهي : فعلى اشتراط وجود المأمور والمنهي يكون له تعلق صلوحى قديم قبل وجود المأمور والمنهي ، وتنجيزي حادث بعده كما تقدم تحقيقه .

[٢٣٥] قوله : (فلنتبع) بالنون أو بالتاء أوله ، وفيه إشارة إلى غموض المحل وصعوبته ، فيشير إلى أنه ليس لنا في هذا المقام إلا اتباع القوم ، خصوصاً في إثبات التعلقات الأزلية .

٣٦ - وَكُلُّ مُوجُودٍ أَنْطُ لِلسَّمْعِ بِهِ كَذَا الْبَصَرِ إِذْ رَأَى أَنَّ قِيلَ بِهِ [٢٣٦ - ٢٤١]

[٢٣٦] قوله : (وكل موجود أنط للسمع به) أي : وكل موجود علق للسمع به ، ف « أنط » فعل أمر من الإناطة وهي التعليق ، و « كل » مبتدأ خبره جملة « أنط للسمع به » أو مفعول محذوف يفسره المذكور من باب الاشتغال ، على حد « زيداً مر به » والتقدير : أقصد كل موجود ، واللام في قوله « للسمع » زائدة ، « والسمع » مفعول لأنط ، بمعنى علق ، أو ضمنه معنى فعده باللام ، وبالجملة فالمعنى : اعتقد تعلق السمع الأزلي بكل موجود .

[٢٣٧] وقوله : (كذا البصر) أي : مثل السمع البصر في تعلقه بكل موجود ، فاسم الإشارة راجع للسمع ، و « كذا » خبر مقدم . و « البصر » مبتدأ مؤخر .
[٢٣٨] وقوله : (إدراكه) أي : وكذا إدراكه ، فهو معطوف على البصر بحرف عطف مقدر .

[٢٣٩] وقوله : (إن قيل به) أي : إن قيل بثبوتها كما هو أحد الأقوال الثلاثة السابقة في قوله :

فهل له إدراك أو لا خلف وعند قوم صح فيه الوقف
فهذه الصفات الثلاثة متحدة المتعلق ، ولا يلزم من اتحاد المتعلق اتحاد الصفة بل الصفة متعددة ، وكل منها له حقيقة من الانكشاف ليست عين حقيقة غيره ، لا يعلم تلك الحقيقة إلا الله تعالى .

[٢٤٠] وما ذكره المصنف من أن سمعه وبصره تعالى يتعلقان بكل موجود هو ما ذكره بعض المتأخرين كالشيخ السنوسي ومن تبعه ، والذي في كلام السعد وغيره أن السمع الأزلي صفة تتعلق بالمسموعات وأن البصر الأزلي صفة تتعلق بالمبصرات وهو محتمل للعموم والخصوص ، فيحتمل أنه أراد

السمع والبصر :
بيان
تعلقهما

المسموعات والمبصرات في حقه تعالى وهي الموجودات ، فيكون موافقاً لما تقدم ، ويحتمل أنه أراد المسموعات والمبصرات في حقنا وهي الأصوات في الأول والذوات والألوان في الثاني فيكون مخالفاً لما تقدم . وما ذكره المصنف أيضاً من كون الإدراك على القول به مثل السمع والبصر في التعلق بكل موجود هو أحد قولين قد سبق ذكرهما .
وثانيهما : أنه يتعلق باللموسات والمشمومات والمذوقات من غير اتصال بمحالتها ، فهما طريقتان للقول كما يؤخذ من اليوسى وشرح الكبرى .

[٢٤١] واعلم أن للسمع والبصر والإدراك على القول به والقول بأنه يتعلق بكل موجود ثلاث تعلقات : تعلقًا تنجيزيًا قديمًا : وهو التعلق بذات الله وصفاته ، وصلوحًا قديمًا : وهو التعلق بنا قبل وجودنا ، وتنجيزيًا حادثًا وهو التعلق بنا بعد وجودنا ، ووجوب التعلق لهذه الصفات مستفاد من صيغة الأمر في قوله : (أنط) كما استفيد عدم تناهي متعلقاتها أداة العموم الداخلة على موجود ، وسكت المصنف عن وحدة هذه الصفات للعلم بها من وجوبها لنظائرها كالقدرة والإرادة إذ لا فرق ولا إبطاء من كلام المصنف لاختلاف مرجع الضميرين نظير ما تقدم في اسمي الإشارة في قوله : (ومثل ذى إرادة ..) إلخ وسبق ما في نحوه .

٣٧ - وَغَيْرُ عِلْمٍ هَذِهِ كَمَا ثَبِتَ ثُمَّ الْحَيَاةُ مَا بِشَيْءٍ تَعَلَّقَتْ [٢٤٢-٢٤٤]

[٢٤٢] قوله : (وغير علم هذه) أي : هذه الصفات الأربع وهي : الكلام ، والسمع ، والبصر ، والإدراك - غير العلم - فاسم الإشارة مبتدأ مؤخر ، و « غير علم » خبر مقدم ، ودفع بذلك ما قد يتوهم من اتحادها مع العلم لاتحاد متعلق الكلام مع متعلق العلم واندرج متعلق السمع والبصر والإدراك في متعلقه ، لا سيما وتعلق هذه الثلاثة بتعلق انكشاف كتعلق العلم ، وكما أن هذه الصفات الأربع مغايرة للعلم بعضها مغاير لبعض ، واتحاد المتعلق لا يوجب اتحاد الحقيقة .

[٢٤٣] وقوله : (كما ثبت) أي : كالتغاير الذي ثبت عند القوم بالأدلة السمعية ، لأن هذه الصفات إنما ثبتت بالسمع ، والمدلول لغة لكل واحدة غير المدلول للآخرى ، فوجب حمل ما ورد على ظاهره حتى يثبت خلافه ، ويبان كون المدلول لغة لكل واحدة غير المدلول للآخرى : أن السمع حس الأذن أي : حاستها ، والأذن نفسها وما قر فيها من شيء نسمعه والذكر المسموع ، والبصر حس العين أي حاستها ، والكلام : القول وما كان مكتفياً بنفسه ، والعلم هو المعرفة ، كما يؤخذ من القاموس في مواضع متعددة ، وإذا ثبت أنها متغايرة لغة كانت متغايرة شرعاً ، وبالجمله فكنه كل واحدة غير كنه الأخرى ، ونفوض علم ذلك لله تعالى .

[٢٤٤] قوله : (ثم الحياة ما بشيء تعلق) يسكون الياء وحذف الهمزة للوزن ، وثم للاستئناف ، والمعنى أن الحياة لا تتعلق بشيء أي : أمر موجود أو معدوم ، فالمراد بالشيء هنا المعنى اللغوي الشامل للموجود والمعدوم ، ويصح أن يكون المراد به المعنى الاصطلاحي ، ويقال : إذا كانت لا تتعلق بالموجود فأولى أن لا تتعلق بالمعدوم ، فليست الحياة من الصفات المتعلقة لأنها صفة مصححة للإدراك : أي مصححة لمن قامت به أن يتصف بصفات الإدراك ولا تقتضي أمراً زائداً على قيامها بمحلها ، ومثل الحياة الوجود والقدم والبقاء عند من يعدها من الصفات الذاتية .

٣٨ - وَعِنْدَنَا أَسْمَاؤُهُ الْعَظِيمَةُ كَذَاصِفَاتُ ذَاتِهِ قَدِيمَةٌ [٢٤٥-٢٥١]

[٢٤٥] قوله : (وعندنا ..) إلخ لما فرغ من الصفات وتعلقاتها شرع في مبحث يجب اعتقاده فيجب على الإنسان أن يعتقد أن أسماء العظيمة قديمة وكذا صفات ذاته ، وتقديم الظرف للحصر ، والضمير لأهل الحق ، فالمعنى : وأسماء العظيمة قديمة عندنا معاشر أهل الحق ، خلافاً للمعتزلة في قولهم : إن أسماء تعالى حادثة وإنها من وضع الخلق . واستشكل الأول بأن الأسماء ألفاظ وهي حادثة قطعاً فتكون الأسماء حادثة قطعاً ، فكيف توصف الأسماء بالقدم ، وأجيب بأنها قديمة لا باعتبار ذاتها بل باعتبار التسمية بها ، وببحث في هذا الجواب بأن التسمية وضع الاسم للمسمى ، وحيث كان الاسم حادثاً كانت التسمية حادثة ، وأجيب بأن معنى قدمها أن الله صالح لها أزلاً ، فهي قديمة باعتبار الصلاحية ، وفيه أن هذا لا يحسن في الرد على المعتزلة الذين يقولون : إنها من وضع الخلق ، إذ لا ينافيه ، وبعضهم أجاب بأن قدمها من حيث علم الله تعالى وتقديره في الأزل ، وفيه أن جميع الحوادث كذلك ، وقيل إن قدمها من حيث مدلولها ، وفيه أن قدم المدلول يرجع لما سبق من قدم الذات والصفات ، ولا يحسن في الرد على المعتزلة فيما سبق (١) .

[٢٤٦] ونقل العلامة الملوي عن سيدي محمد بن عبد الله العربي (٢) : أن من كلام الله القديم أسماء له هي المحكوم عليها بالقدم ، كما أن منه أمراً ونهيًا .. إلخ ، وعلى هذا فالمراد بالتسمية القديمة دلالة الكلام أزلاً على معاني الأسماء من غير تبويض ولا تجزئة في الكلام ، وهو الذي ينشرح له الصدر ، ولا يرد أنهم لم يذكروا من أقسام الكلام الاعتبارية الأسماء القديمة ، لأن تقسيمهم ليس حاصراً ، بل اقتصروا على الأهم باعتبار ما ظهر لهم ، كيف ومدلوله لا يدخل تحت حصر ، وأشار العلامة الملوي في آخر عبارته إلى أن القدم هنا ليس بمعنى عدم الأولوية بل بمعنى أنها موضوعة قبل الخلق ، فهي من وضعه تعالى قبل خلقه ، ثم ألهمها للنور المحمدي ، ثم للملائكة ، ثم للخلق ، خلافاً للمعتزلة في قولهم بأنها من وضع البشر ، وفي هذا الكلام تسليم أن الأسماء

(١) اختلف هل بين أسماء الله تفاضل أم لا ؟ فقليل : لا تفاضل ، وقيل بالتفاضل ، ولذلك يقولون : الاسم الأعظم . أي الجامع لمعاني الأسماء والصفات ، واختلفوا فيه ، والحق أنه لفظ الجلالة ؛ لأن حقائق المؤمنين مزوجة به . انظر : شرح الصاوي على الجوهرة . (٢٠٨) .

(٢) هو : محمد بن عبد الله العربي ، شيخ الحنفية في عصره ، تتلمذ لابن نجيم ، من آثاره : معين المفتي على جواب المستفتي فرغ من تأليفه في آخر سنة ٩٨٥ هـ . (انظر : خلاصة الأثر ١٨/٤ ، ومعجم المؤلفين ٤٤٦/٣) .

ليست أزلية كما لا يخفى . وبالجمله فهذا المبحث لم يصف .

[٢٤٧] ونقل عن القرطبي ^(١) : أن من قال : « الاسم مشتق من السمّ » وهو العلو يقول : لم يزل الله موصوفاً ^(٢) قبل وجود الخلق وعند وجودهم وبعد فنائهم ، لأنه لا تأثير لهم في أسمائه ، وهذا قول أهل السنة . ومن قال : « الاسم مشتق من السيمة » يقول : كان في الأزل بلا أسماء ولا صفات ، فلما خلق الخلق جعلوها له ، وبعد فنائهم تبقى بدونها ، وهو قول المعتزلة ، قال الشمني ^(٣) : وهو أقبح من القول بخلق القرآن اهـ . أفاده العلامة الأمير مع بعض زيادة ^(٤) .

[٢٤٨] قوله : (أسماءه) الأسماء جمع اسم ، والمراد به ما دل على الذات بمجرد كالأله و « خدائي » في اللغة الفارسية ، أو باعتبار الصفة كالعالم والقادر ، ثم إن « أسماءه » مبتدأ ، والعظيمة « وصف كاشف والخبر » قديمة « وقوله » كذا صفات ذاته مبتدأ وخبر ، ف « كذا » خبر مقدم ، و « صفات ذاته » مبتدأ مؤخر ، والجمله معترضة بين المبتدأ وخبره و التشبيه في القدم ، وأشار الشارح لإعراب آخر ، فجعل خبر قوله « أسماءه » محذوفاً ، دل عليه قوله فيما بعد « قديمة » وجعل قوله الآتي خبراً عن قوله « صفات ذاته » فيكون المصنف حذف من الأول لدلالة الثاني ، كما حذف من الثاني « عظيمة » لدلالة الأول عليه ، وحيث فقي كلامه من المحسنات البديعية نوع احتباك : وهو أن يحذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر ، وعلى هذا فالتشبيه للتأكيد ، والأول هو المتبادر من كلام المصنف .

[٢٤٩] قوله : (العظيمة) أي : الجليلية المقدسة أي : المطهرة عن أن يسمى بها الغير ، أو عن أن تُفسّر بما لا يليق ، أو أن تذكر على غير وجه التعظيم كما قاله السعد ، وعظم أسمائه تعالى مجمع عليه . واختلف هل بينها تفاضل أو لا ، فقليل : لا تفاضل بينها .

(١) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي ، أبو عبد الله . من كبار المفسرين . له تصانيف منها : تفسيره المشهور ، والتذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة . توفي سنة ٦٧١هـ . (انظر : نفع الطيب ٤٢٨/١ ، والأعلام ٣٢٢/٥) . (٢) أي مسمى بأسمائه .

(٣) هو : أحمد بن محمد بن محمد الحنفي القسطنطيني ، أبو العباس تقي الدين الشمني ، مفسر ، محدث نحوي طلب لقضاء الحنفية فامتنع مات سنة ٨٧٢هـ ، من كتبه : شرح المغني لابن هشام ، كمال الدراية في شرح النقاية . (انظر : الأعلام ٢٣٠/١) .

(٤) في المسألة خلاف بين البصريين والكوفيين ، ولكل فريق حججه التي يحتج بها ، وأدله التي يستند إليها . انظر : المسألة الأولى من كتاب الإنصاف للأنباري : تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد .

[٢٥٠] وفي اليواقيت عن ابن العربي أن أسماء الله تعالى متساوية في نفس الأمر لرجوعها كلها إلى ذات واحدة ، وإن وقع فيها تفاضل فإن ذلك لأمر خارج ، والحق أنها متفاضلة ، وأعظمها لفظ الجلالة وهو الاسم الأعظم وكان سيدي علي وفا عليه السلام يذهب إلى التفاضل في الأسماء ويقول في قوله تعالى : ﴿ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ﴾ [التوبة : ٤٠] هو اسم الله فإنه أعلى مرتبة من سائر الأسماء ، قال : ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] أي : ولذكر اسم الله أكبر من ذكر سائر الأسماء اهـ . أفاده الشيخ الأمير .

[٢٥١] قوله : (كذا صفات ذاته قديمة) أي : مثل أسمائه تعالى : الصفات القائمة بذاته وهي صفات المعاني السبع أو الثمان على الخلاف في ذلك صفات الذات ، قديمة ، فكل من أسمائه وصفات ذاته قديم ، فليست أسمائه من وضع بيان قدمها خلقه له ، وليست صفاته حادثة ، لأنها لو كانت حادثة لزم قيام الحوادث بذاته تعالى ، ويلزم كونه تعالى عارياً عنها في الأزل و يلزم افتقارها إلى مخصص وهو ينافي وجوب الغنى المطلق وهو انتفاء الحاجات مطلقاً ، وهو لا يكون إلا لله ، بخلاف الغنى المقيد وهو قلة الحاجات ، وهو غنى الحوادث ، ولذلك قال بعضهم : إلهي غناك مطلق وغنانا مقيد ، وخرج بإضافة صفات إلى الذات : صفات الأفعال ، فليس شيء منها بقديم عند الأشاعرة ، بخلافه عند الماتريدية : أي : ولذلك قال صاحب متن بدء الأمالي : ما نصه : صفات الذات والأفعال طرا قديمات إلخ

وهو موضوع على مذهب الماتريدية ، لأنها عند الأشاعرة تعلقات القدرة التنجزية الحادثة ، وعند الماتريدية هي عين صفة التكوين كما تقدم ، وأما الصفات السلبية فهي قديمة قطعاً أو أزلية ، على الخلاف في القديم والأزلي ، ولعل الشارح جرى على القول بالفرق بين القديم والأزلي ، فقال : وخرج بإضافة الصفات إلى الذات السلبية والفعلية ، فليس شيء منهما بقديم عند الأشاعرة . قال الشيخ الأمير : ورأيت بخط سيدي أحمد النفراوي ^(١) أن ذكرها سبق قلم : أي ذكر الصفات السلبية سبق قلم ، وإلا ففضل الشارح مشهور .

(١) هو : أحمد بن غنيم بن سالم بن مهنا النفراوي المالكي ، فقيه مشارك في العلوم ، من مؤلفاته : الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني في فروع المالكية وشرح الأجرومية ، توفي سنة ١١٢٦ هـ . (انظر : سلك الدرر ١/ ١٤٨ ، والأعلام ١/ ١٩٢ ، ومعجم المؤلفين ٤٠/ ٢) .

٣٩ - وَأَخْتِيرَ أَنَّ أَسْمَاءَهُ تَوْقِيفِيَّةٌ كَذَا الصُّفَاتُ فَأَخْفِظُ السَّمْعِيَّةَ [٢٥٢-٢٥٦]

[٢٥٢] قوله : (واختير ...) إلخ أي : واختار جمهور أهل السنة أن أسماءه تعالى توقيفية وكذا صفاته ، فلا تثبت لله اسماً ولا صفةً إلا إذا ورد بذلك توقيف من الشارع ، وذهبت المعتزلة إلى جواز إثبات ما كان متصفاً بمعناه ولم يوهم نقصاً وإن لم يرد به توقيف من الشارع ، ومال إليه القاضي أبو بكر الباقلاني ، وتوقف فيه إمام الحرمين ، وفصل الغزالي فجوّز إطلاق الصفة وهي ما دل على معنى زائد على الذات ، ومنع إطلاق الاسم وهو ما دل على نفس الذات ، والحاصل أن علماء الإسلام اتفقوا على جواز إطلاق الأسماء والصفات على البارئ عز وجل إذا ورد بها الإذن من الشارع ، وعلى امتناعه إذا ورد المنع منه ، واختلفوا حيث لا إذن ولا منع ، والمختار منع ذلك وهو مذهب الجمهور ^(١) اهـ مصنف في شرحه الصغير .

[٢٥٣] قوله : (أن اسماءه) بدرج همزة أسماء الأولى مع القصر للوزن ، والمراد بالأسماء : ما قابل الصفات ، بدليل قوله « كذا الصفات » فالاسم ما دل على الذات ^(٢) والصفة ما دل على معنى زائد على الذات ، وليس المراد بالاسم ما قابل الفعل والحرف ولا ما قابل الكنية واللقب .

[٢٥٤] وقوله : (توقيفية) أي : يتوقف جواز إطلاقها عليه تعالى على ورودها في كتاب أو سنة صحيحة أو حسنة أو إجماع ، لأنه غير خارج عنها ، بخلاف السنة الضعيفة إن قلنا إن المسألة من العلميات أي : الاعتقادات بحيث يعتقد أن ذلك الاسم من أسمائه تعالى ، وإن قلنا إن المسألة من العمليات بحيث نستعمله ونطلقه عليه تعالى فالسنة الضعيفة كافية في ذلك لأنهم قالوا : الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال ، وأما القياس فقليل كالإجماع ما لم يكن ضعيفاً ، وعليه فقياس « واهب » بناء على أنه يرد على « وهاب » وأطلق بعضهم منع القياس ، قال المصنف في الشرح الصغير : وهو الظاهر لاحتمال إيهام أحد المترادفين دون الآخر كالعالم والعارف ،

(١) وقوله : (وهو مذهب الجمهور) الراجح جوازه بشروط :

١ - يرد المادة ٢ - أن لا يوهم نقصاً ٣ - أن يكون في الصفات دون الأسماء .
(٢) فالاسم ما دل على الذات « إما وحدها كلفظ الجلالة ، وإما مع الصفة كلفظ الرحمن ، وقوله : « والصفة ما دل على معنى زائد على الذات » بأن دلت على ذلك المعنى الزائد وحده كلفظ « قدرة » فإنه دل على المعنى القائم بذاته سبحانه وتعالى ، وبهذا يعلم أن مراد المصنف بالصفات في قوله « كذا الصفات » الأسماء الدالة على الأمور الثابتة للذات ، فهي أيضاً توقيفية ، فلا يعبر عن قدرة الله تعالى ، بالجرأة مثلاً لعدم وروده .

والجواد والسخي ، والحليم والعاقل اهـ ، وبالجمله فما أذن الشارع في إطلاقه واستعماله جاز وإن أُوهم كالصبور والشكور والحليم ، فإن الصبور يُوهم وصول مشقة له تعالى ، لأن الصبر حبس النفس على المشاق ، فيفسر في حقه تعالى بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، والشكور يُوهم وصول إحسان إليه ، لأن معناه كثير الشكر لمن أحسن إليه ، مع أن الإحسان كله من الله ، فيفسر في حقه تعالى بالذي يجازي على يسير الطاعات كثير الدرجات ، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعمًا في الآخرة غير محدودة ، وقيل المجازي على الشكر ، وقيل المثني على من أطاعه. والحليم يُوهم وصول أذى إليه وهو تعالى لا يصل إليه أحد بأذى ، فيفسر في حقه تعالى بالذي لا يعجل بالعقوبة على من عصاه ، فيرجع لمعنى الصبور ، ولا يرد على قولنا « وهو تعالى لا يصل إليه أحد بأذى قوله ، » من أذى مسلمًا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله »^(١) لأن معناه أنه فعل معه فعل المؤذي ، وقد تقدم لك أن أسماء النبي ، توقيفية اتفاقًا ، وسبقت حكمة ذلك ، فتفطن لها^(٢) .

[٢٥٥] قوله : (كذا الصفات) أي : مثل أسمائه تعالى صفاته في كونها توقيفية ، فلا يجوز إثبات صفة له تعالى إلا بتوقيف من الشارع لنا .

[٢٥٦] وقوله : (فاحفظ السمعية) أي : إذا عرفت أن إطلاق الأسماء والصفات عليه تعالى يتوقف على الإذن الشرعي فاحفظ الأسماء والصفات الواردة بالسمع حقيقة كالواردة في الكتاب والسنة ، أو حكمًا كالثابتة بالإجماع كالصانع والموجود والواجب والقديم ، كما ذكره المؤلف في كبره .

(١) أخرجه الطبراني في الصغير (٤٦٨) عن أنس بن مالك .

(٢) سبق القول بأن أسماء النبي ﷺ توقيفية باتفاق وذلك عند شرح الباجوري لقول اللقاني :

محمد العاقب لرسول ربه وآله وصحبه وحزبه

وأما أسماء الله تعالى ففيها خلاف والفرق بينهما أن النبي بشر يتطرق له النقص بخلافه سبحانه وتعالى ، وللا بطرى كما أطرت النصارى عيسى. وقال البوصيري رحمه الله :

دع ما ادعته النصارى بنبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم

(انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد ٢١) .

٤٠ - وَكُلُّ نَصٍّ أَوْ هَمَّ التَّشْبِيهًا أَوَّلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرَمَّ تَنْزِيهَا [٢٥٧-٢٦٦]

[٢٥٧] قوله : (وكل نص ..) إلخ يصح قراءة « كل » بالرفع مبتدأ ، وجملة « أوله » خبر وبالنصب مفعول لفعل محذوف يفسره المذكور من باب الاشتغال ، والمراد بالنص هنا : ما قابل القياس والاستنباط والإجماع ، وهو الدليل من الكتاب والسنة سواء كان صريحاً أو ظاهراً وليس المراد به ما قابل الظاهر وهو ما أفاد معنى لا يحتمل غيره ، إذ لو كان هذا هو المراد لم يمكن تأويله .

[٢٥٨] وقوله : (أوهم التشبيها) أي : أوقع في الوهم صحة القول به بحسب ظاهره ، والمراد من التشبيه المشابهة لا فعل الفاعل .

[٢٥٩] وقوله : (أوله) أي : أحمله على خلاف ظاهره مع بيان المعنى المراد ، فالمراد : أوله تأويلاً تفصيلياً بأن يكون فيه بيان المعنى المراد كما هو مذهب الخلف : وهم من كانوا بعد الخمسمائة وقيل : من بعد القرون الثلاثة .

[٢٦٠] وقوله : (أو فوض) أي : بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره ، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى على طريقة السلف : وهم من كانوا قبل الخمسمائة ، وقيل القرون الثلاثة : الصحابة ، والتابعون ، وأتباع التابعين ، وطريقة الخلف أعلم وأحكم ، لما فيها من مزيد الإيضاح والرد على الخصوم ، وهي الأرجح ، ولذلك قدمها المصنف ، وطريقة السلف أسلم لما فيها من السلامة من تعيين معنى قد يكون غير مراد له تعالى .

[٢٦١] وقوله : (ورم تنزيها) أي : واقصد تنزيهاً له تعالى عما لا يليق به مع تفويض علم المعنى المراد ، فظهر مما قرناه اتفاق السلف والخلف على التأويل الإجمالي ، لأنهم يصرفون الموهم عن ظاهره الحال عليه تعالى ، لكنهم اختلفوا بعد ذلك في تعيين المراد من ذلك في تعيين المراد من ذلك النقص وعدم التعيين ، بناء على الوقف على قوله تعالى : ﴿ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧] فيكون معطوفاً على لفظ الجلالة ، وعلى هذا فنظم الآية هكذا ﴿ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴿ وجملة ﴿ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ ﴾ حيث قد مستأنفة لبيان سبب التماس التأويل ، أو على قوله : ﴿ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ ﴾ وعلى هذا فقله : ﴿ وَالرَّسُخُونَ فِي الْعِلْمِ ... ﴾ إلخ استئناف ، وذكر مقابله في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ إلخ أي كالجسمة ،

فمنهم من قال : أنه على صورة شيخ كبير ، ومنهم من قال : إنه على صورة شاب حسن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والحاصل أنه إذا ورد في القرآن أو السنة ما يشعر بإثبات الجهة أو الجسمية أو

الصفات الموهبة
للمتشابه :
بيان تأويلها
الصورة أو الجوارح اتفق أهل الحق وغيرهم ما عدا المجسمة والمشبهة على تأويل ذلك لوجوب تنزيهه تعالى عما دل عليه ما ذكر بحسب ظاهره ،
فهما يوهم الجهة قوله تعالى : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠]
فالسلف يقولون : فوقية لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد بالفوقية التعالي في العظمة ،
فالمنعنى يخافون أي : الملائكة ربهم من أجل تعاليه في العظمة أي : ارتفاعه فيها . ومنه
قوله تعالى : ﴿ أَلَرَجُلٌ عَلَى أَلْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] فالسلف يقولون : استواء لا
نعلمه ، والخلف يقولون : المراد به الاستيلاء والملك كما قال الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

[٢٦٢] . وسأل رجل الإمام مالكاً^(١) عن هذه الآية فأطرق رأسه ملياً ثم قال :
الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ،
وما أظنك إلا ضالاً ، فأمر به فأخرج .

[٢٦٣] وسأل الزمخشري الغزالي فأجابه بقوله : إذا استحال أن تعرف نفسك
بكيفية أو أينية ، فكيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى بأين أو كيف وهو مقدس عن
ذلك ، ثم جعل يقول :

قل لمن يفهم عني ما أقول	قَصُرَ القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه	قصرت والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك و لا	تدر من أنت و لا كيف الوصول
لا و لا تدري صفات رُكبت	فيك حارت في خفاياها العقول
أين منك الروح في جوهرها	هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها	لا و لا تدري متى عنك تزول

(١) هو : مالك بن مالك بن أنس الأصبحي ، أبو عبد الله ، إمام دار الهجرة ، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية توفي سنة ١٧٩ ، من مصنفاته : الموطأ ، وتفسير غريب القرآن (انظر : الدياج ص ١٧ - ٣٠ ، وتهذيب التهذيب ٥/١٠ ، والأعلام ٢٥٧/٥) .

أين منك العقل والفهم إذا غلب النوم فقل لى يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه كيف يجرى منك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكى الرب أم كيف يرى فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له وهو في كل النواحي لا يزول
جلّ ذاتًا وصفاتًا وسما وتعالى قدره عما تقول

[٢٦٤] وما يوهم الجسمية قوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ رُبُّكَ ﴾ [الفجر : ٢٢] وحديث
الصحيحين « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير ويقول من
يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له » ^(١) فالسلف يقولون
مجئ ونزل لا نعلمهما ، والخلف يقولون : المراد : وجاء عذاب ربك أو أمر ربك
الشامل للعذاب ، والمراد : ينزل ملك ربنا فيقول عن الله ... الخ ^(٢) . وفي المتن أن
الغالب أن الموكب الإلهي ينصب من الثلث الأخير ، وتارة ينصب من أول النصف
الثاني إلا ليلة الجمعة فإنه ينصب من غروب الشمس إلى خروج الإمام من صلاة
الصبح ، كما ورد في حديث مسلم .

[٢٦٥] وما يوهم الصورة ما رواه أحمد و الشيخان أن رجلاً ضرب عبده فنهاه
النبي ، وقال : « إن الله تعالى خلق آدم على صورته » ^(٣) فالسلف يقولون صورة لا
نعلمها ، والخلف يقولون ، المراد بالصورة الصفة من سمع وبصر وعلم وحياة ، فهو على

(١) أخرجه البخاري ١١٤٥ ، ٦٣٢١ ، ٧٤٩٤ ، ومسلم ٧٥٨ من حديث أبي هريرة .
(٢) قال أبو الحسن الأشعري : وأجمعوا على أنه ﷻ يجيء يوم القيامة والملك صفًا صفًا لعرض الأمم وحسابها
وعقابها وثوابها ، فيغفر لمن يشاء من المذنبين ، ويعذب منهم من يشاء كما قال ، وليس مجيئه حركة ولا
زوالاً ، وإنما يكون المجئ حركة وزوالاً إذا كان الجائي جسماً أو جوهرًا ، فإذا ثبت أنه ﷻ ليس بجسم ولا
جوهر لم يجب أن يكون مجيئه نقلة ، ألا ترى أنهم لا يريدون بقولهم : جاءت زيدا الحمى أنها تنقلت إليه ،
أو تحركت من مكان كانت فيه إذ لم تكن جسماً ولا جوهرًا ، وإنما مجيئها إليه وجودها به وأنه ﷻ ينزل إلى
السماء الدنيا كما روى النبي ﷺ وليس نزوله نقلة ، لأنه ليس بجسم . (انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب
الأبواب لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق : د . عبد الله شاکر الجنيدي ١٢٨ ، ١٢٩) .
(٣) أخرجه مسلم : (٢٦١٢) عن أبي هريرة ﷺ .

صفته في الجملة وإن كانت صفته تعالى قديمة وصفة الإنسان حادثة ، وهذا بناء على أن الضمير في صورته عائد على الله تعالى كما يقتضيه ما ورد في بعض الطرق « فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن » وبعضهم جعل الضمير عائداً على الآخر المصرح به في الطريق التي رواها مسلم بلفظ « فإذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه ، فإن الله خلق آدم على صورته أي : وإذا كان كذلك فينبغي احترامه باتقاء الوجه ، ومما يوهم الجوارح قوله تعالى : ﴿ وَيَتَّبِعْ وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] و ﴿ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ٢] وحديث « إن قلوب بنى آدم كلها كقلب واحد بين إصبعين من أصابع الرحمن » (١) فالسلف يقولون : لله وجه ويد وأصابع لا نعلمها ، والخلف يقولون : المراد من الوجه : الذات ، وباليد : القدرة ، والمراد من قوله « بين أصبعين من أصابع الرحمن » بين صفتين من صفاته ، وهاتان الصفتان : القدرة والإرادة .

[٢٦٦] (لطيفة) سأل الشعراني شيخه الخواص : لماذا يؤول العلماء الموهم الواقع من الشارع ، ولا يؤولون الموهم الواقع من الولي ؟ فقال : لو أنصفوا لأولوا الواقع من الولي بالأولى ، لأنه معذور بضغفه في أحوال الحضرة ، بخلاف الشارع فإنه ذو مقام مكين ، وقد يقال : الشارع ينبغي المحافظة على الواقع منه ما أمكن لأنه يقتدى به ، ولا كذلك الولي فإنه لا يحافظ على كلامه لأنه لا يقتدى به ، فإذا أوهم أهدر .

(١) أخرجه مسلم : (٢٦٥٤) عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

وخلاصة القول في النصوص الواردة والتي تتحدث عن الله تعالى بما قد يوهم التشبيه والتجسيم هو أنه ينبغي على المكلف أن يعلم أن هناك فارقاً بين المخلوق والمخالق ، وأن الرب رب والعبد عبد وأن هناك في اللغة العربية ما يسمى بالمشترك اللفظي فيتحذف اللفظ وتعدد المعاني مثل كلمة عين التي يراد منها البئر والشمس والجالوس والذهب والبصرة ... إلخ وحقائق هذه الأشياء مختلفة ، واختلاف ذات الله عن ذات مخلوقاته أشد ، فنحن نثبت له أنه استوى على العرش لا كاستواء المخلوقين بل هذا شيء آخر لا نعلم حقيقته إلا إذا علمنا حقيقة ذات الله ، وهو ما لا يعلمه لا نبي مرسل ولا ملك مقرب فهو القاهر فوق عباده ، ونثبت له يداً منزهة عن مشابهة يد المخلوقين فإذا نزهناها عن ذلك فما معناها ، لا نعلم لأننا لا نعلم كنه ذات الله وهكذا .

وينبغي على عقلاء الأمة أن ينهوا الخلاف والنزاع بهذه الطريقة التي تحفظ للنص الوارد قداسه وتحترم ألفاظه وتنزه رب العباد عما يطرق في أذهان البلدان من البشر من تشبيه أو تجسيم وتأمين القول على الله بغير علم . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ فنحن لا نخوض في كنه مدلول تلك الألفاظ لفقدنا المعلومات اللازمة لذلك والتي لم يأذن لنا الله تعالى في معرفتها ، فليس الامتناع عن تفسيرها جهلاً ، بل هو عين العلم حيث وقفنا عما أرادنا الله تعالى أن نقف عنده ، ولا يسعنا إلا أن نترجم عن هذا كله بمقولات السلف الصالح العالم الحكيم « مرؤها كما جاءت ، تفسيرها تلاوتها » والله أعلى وأعلم .

٤١ - وَزَّيَّهَ الْقُرْآنَ أَيَّ كَلَامِهِ عَنِ الْخُدُوثِ وَاحْدًا ثَقَاتُهُ [٢٦٧-٢٧٣]

[٢٦٧] قوله : (ونزه القرآن ..) إلخ أي : واعتقد أيها المكلف تنزيه القرآن ^(١) بمعنى كلامه تعالى عن الحدوث ، خلافاً للمعتزلة القائلين بحدوث الكلام ، زعمًا منهم أن من لوازمه الحروف والأصوات ، وذلك مستحيل عليه تعالى ، فكلام الله تعالى عندهم مخلوق ، لأن الله خلقه في بعض الأجرام ، ومذهب أهل السنة أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق ، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه إلا في مقام التعليم ، لأنه ربما أوهم أن القرآن بمعنى كلامه تعالى مخلوق ، ولذلك امتنعت الأئمة من القول بخلق القرآن .

[٢٦٨] وقد وقع في ذلك امتحان كبير لخلق كثير من أهل السنة . فخرج البخاري ^(٢) فآزًا وقال : اللهم اقبضني إليك غير مفتون ، فمات بعد أربعة أيام . وسجن عيسى بن دينار ^(٣) عشرين سنة ، وسئل الشعبي ^(٤) فقال : أما التوراة والإنجيل والزبور والفرقان فهذه الأربعة حادثة ، وأشار إلى أصابعه ، فكانت سبب نجاته ، واشتهرت أيضًا عن الإمام الشافعي ، وحبس الإمام أحمد وضرب بالسياط حتى غشي عليه .

[٢٦٩] ويذكر أن النبي ﷺ قال للإمام الشافعي في المنام : بشر أحمد بالجنة على

(١) القرآن هو : اللفظ المنزل على نبيينا ، المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر المتحدى بأقصر سورة منه ، « المنزل » خرج به : الكلام الذي صدر عن النبي من غير أن يكون منزلًا .

« على النبي » ، خرج به ما نزل على موسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ، « المتعبد بتلاوته » يخرج الحديث القدسي لأنه غير متعبد بتلاوته .

« المتحدى بأقصر سورة منه » خرج به المنسوخ تلاوة .

« المنقول إلينا بالتواتر » خرجت به القراءات الشاذة .

(٢) هو : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبد الله البخاري ، إمام الدنيا وجبل الحفظ ، صاحب أصح كتاب بعد كتاب الله . توفي سنة ٢٥٦ هـ . من مصنفاته : الجامع الصحيح ، والأدب المفرد ، خلق أفعال العباد ، والضعفاء . (انظر : تذكرة الحفاظ ١٢٢/٢ ، والأعلام ٣٤/٦) .

(٣) هو : عيسى بن دينار بن واقد أبو عبد الله فقيه الأندلس في عصره وأحد علمائها المشهورين . توفي سنة ٢١٢ هـ (انظر : الأعلام ١٠٢/٥) .

(٤) هو : عامر بن شراحيل الحميري أبو عمرو ، فقيه من كبار علماء التابعين توفي سنة ١٠٣ هـ . في الكوفة . (انظر : تهذيب التهذيب ٦٥/٥ ، والأعلام ٢٥١/٣) .

بلوى تصيبه في خلق القرآن ؛ فأرسل له كتابًا ببغداد ، فلما قرأه بكى ودفع للرسول قميصه الذي يلي جسده وكان عليه قميصان ، فلما دُفع للشافعي غسله وادّهن بمائه . [٢٧٠] وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل ، أو سيدنا محمد ﷺ ؟ تمسك بعضهم بما يروى : كل حرف خير من محمد وآل محمد ^(١) ، لكنه غير محقق الثبوت . والحق أنه ﷺ أفضل ؛ لأنه أفضل من كل مخلوق ، كما يؤخذ من كلام الجلال المحلي على البردة ، ويؤيده أنه فعل القارئ والنبى ﷺ أفضل من القارئ وجميع أفعاله ، والأسلم الوقف عن مثل هذا ، فإنه لا يضر خلو الذهن عنه اهـ ملخصًا من حاشية الشيخ الأمير . [٢٧١] قوله : (أي كلامه) تفسير للقرآن ، فالمراد منه هنا كلامه تعالى ، ولما كان الأكثر إطلاق القرآن على اللفظ المقروء ، دفع توهم ذلك بتفسيره بكلامه تعالى ، فالقرآن يطلق على كل من النفسي واللفظي ، والأكثر إطلاقه على اللفظي ، وأما كلام الله فيطلق أيضًا على كل من النفسي واللفظي والأكثر إطلاقه على النفسي ، وتقدم في مبحث الكلام زيادة ، فارجع إليه إن شئت .

[٢٧٢] قوله : (عن الحدوث) أي : الوجود بعد العدم ، فليس مخلوقًا بل هو صفة ذاته العلية ، خلافًا للمعتزلة في قولهم بأنه مخلوق وليس صفة ذاته العلية ، وإنما عبر بالحدوث مع أن المشهور بين القوم التعبير بالخلق لضرورة النظم ، أو للرد على محمد البلخي ^(٢) من المعتزلة القائل بأن كلام الله تعالى محدث وليس بمخلوق ، زعمًا منه أن قولنا مخلوق يوهم أنه كذب يتعالى الله تعالى عنه ، وورد بأن الحدوث مثل الخلق ، فهو كمن هرب من المطر ووقف تحت الميزاب اهـ . مصنف في صغيره . [٢٧٣] قوله : (واحذر انتقامه) أي : وخف انتقام الله منك إن قلت بحدوثه .

(١) حديث موضوع أورده ابن عراق في تنزيه الشريعة (٣٠٩/١) .

(٢) البلخي : ينسب إلى هذا الاسم كثير من الأقوال في التوحيد والأصول ، وهو مجهول من زمن بعيد حتى رجح الزركشي أنه الثلجي يعنى محمد بن شجاع الثلجي الحنفي ، ولكن أطبقت المراجع قديمًا وحديثًا على نسبة الأقوال إليه باسم محمد البلخي ، فإن كان كذلك فلم نعر على ترجمة له إلى الآن والله أعلم .

٤٢ - فَكُلُّ نَصٍّ لِلْحَدُوثِ دَلَالَةٌ إِخْمِيلٌ عَلَى اللَّفْظِ الَّذِي قَدْ دَلَّ [٢٧٩-٢٧٤]

[٢٧٤] قوله : (فكل نص) إلخ أي : إذا تحققت ما سبق فكل نص ... إلخ ، فالفاء فاء الفصيحة ، وهذا في الحقيقة جواب عما تمسك به المعتزلة من النصوص الدالة على الحدوث مثل ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ﴾ [الحجر : ٩] والمراد من النص : الظاهر من الكتاب أو السنة .

[٢٧٥] وقوله : (للحدوث دلا) أي : دل على حدوث القرآن ، فاللام بمعنى على ، والألف في دلاً للإطلاق .

[٢٧٦] وقوله (احمل ...) إلخ خبر المبتدأ الذي هو : كل ، والرابط محذوف ، والتقدير : « احمله .. إلخ » .

[٢٧٧] وقوله : (على اللفظ) أي : على القرآن بمعنى اللفظ المنزل على نبينا ﷺ المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه ، والراجح أن المنزل اللفظ والمعنى ، وقيل المنزل : المعنى وعبر عنه جبريل بألفاظ من عنده ، وقيل المنزل المعنى وعبر عنه النبي ، بألفاظ من عنده ، لكن التحقيق الأول ، لأن الله خلقه أولاً في اللوح المحفوظ ، ثم أنزله في صحائف إلى سماء الدنيا في محل يقال له : « بيت العزة » في ليلة القدر ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر : ١] . ثم أنزله على النبي ﷺ مفرقاً بحسب الوقائع .

[٢٧٨] قوله : (الذي قد دلا) صفة للفظ ، والألف في « دلا » للإطلاق ، والمراد : الذي قد دل على الصفة القديمة بطريق دلالة الالتزام كما تقدم .

[٢٧٩] والحاصل أن كل ظاهر من الكتاب والسنة دل على حدوث القرآن فهو محمول على اللفظ المقروء لا على الكلام النفسي ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق إلا في مقام التعليم كما سبق .

٤٣ - وَيَسْتَحِيلُ ضِدُّ ذِي الصِّفَاتِ فِي حَقِّهِ كَالْكُونِ فِي الْجِهَاتِ [٢٨٠ - ٢٨٤]

[٢٨٠] قوله : (ويستحيل ...) إلخ هذا شروع في ثالث الأقسام المتقدمة في قوله : فكل من كلف شرعاً وجباً * عليه أن يعرف ما قد وجب * لله والجائز والممتنع . فهذا هو القسم الثالث في الإجمال السابق وإن كان ثانياً في التفصيل ، وإنما أخرج الجائز في التفصيل لطول الكلام عليه ، ولا شك في علم استحالة هذا القسم من وجوب القسم الأول له تعالى ، وإنما تعرض له المصنف على طريق القوم من عدم اكتفائهم بدلالة الالتزام ولا بدلالة التضمن ، بل مالوا إلى الدلالة المطابقة لخطر الجهل في هذا الفن .

[٢٨١] وقوله : (ضد ذي الصفات) أي : منافي هذه الصفات المتقدمة بأسرها ، فالمراد من الضد هنا : المعنى اللغوي : وهو مطلق المنافي وجودياً كان أو تعريضاً ، وليس المراد خصوص الأمر الوجودي كما هو المعنى الاصطلاحي ، لأن الضدين اصطلاحاً : هما الأمران الوجوديان اللذان بينهما غاية الخلاف لا يجتمعان ، وقد يرتفعان كالسواد والبياض ، لأن هذا المعنى لا يظهر في جميع ما ذكره هنا .

[٢٨٢] وقوله : (في حقه) أي : على ذاته تعالى ، ففي بمعنى على و « حق » بمعنى الذات ، والإضافة للبيان لأن الحق اسم من أسمائه تعالى : أي حق هو هو . ويحتمل أن « في » باقية على بابها ، والمراد من الحق : الحكم الواجب له والإضافة حقيقية . والمعنى حال كون استحالة ما ذكر مندرجة في الحكم الواجب له تعالى ، وهذا هو الذي اقتصر عليه الشارح .

[٢٨٣] وقد أجمل المصنف الأضداد ، ونحن نذكرها تفصيلاً كما ذكرها السنوسي ، فيستحيل عليه تعالى : العدم وهو ضد الوجود ، والحدوث وهو ضد القدم ، وطروق العدم وهو الفناء وهو ضد البقاء ،

والمماثلة للحوادث وهو ضد المخالفة للحوادث ، والمماثلة مصورة بأن يكون جرمًا سواء كان مركبًا ويسمى حينئذ جسمًا أو غير مركب ويسمى حينئذ جوهرًا فردًا لكن المجسمة لا يكفرون إلا إن قالوا : هو جسم

كالأجسام أو بأن يكون عرضًا يقوم بالجرم أو يكون في جهة للجرم ، فليس فوق العرش ولا تحته ، ولا عن يمينه ولا عن شماله ونحو ذلك ، أو له هو جهة فليس له فوق ولا تحت ، ولا يمين ولا شمال ونحو ذلك ، أو يحل في المكان فالحلول هو المراد بالتقييد في

عبارة من عبر به ، والمراد بالمكان : الفراغ الموهوم على رأي المتكلمين والمحقق على رأي الحكماء ، ومعنى كونه موهوماً عند المتكلمين : أنه يتوهم أنه أمر وجودي وليس كذلك ، بل هو أمر عدمي .

وقيل معنى كونه موهوماً ^(١) : أنه يتوهم أنه فراغ وليس كذلك ، بل هو مملوء بالهواء فليس فراغاً محققاً ، أو يتقيد بالزمان بحيث تكون حركة الفلك منطبقة عليه ، أو يكر عليه الجديدان الليل والنهار ، أو تتصف ذاته العلية بالحوادث كالقدرة الحادثة والإرادة الحادثة والحركة أو السكون والبياض أو السواد أو نحو ذلك ، أو يتصف بالصغر بمعنى قلة الأجزاء ، أو بالكبر بمعنى كثرة الأجزاء ، فليس صغيراً بمعنى قليل الأجزاء ولا كبيراً بمعنى كثير الأجزاء وهذا لا ينافي أنه تعالى كبير في المرتبة والشرف . قال الله تعالى : ﴿ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴾ [الرعد : ٩] . أو يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام فليس فعله كإيجاد زيد لغرض من الأغراض أي : مصلحة تبعته على ذلك الفعل ، فلا ينافي أنه لحكمة ، وإلا لكان عبثاً وهو مستحيل في حقه تعالى ، وليس حكمه كإيجابه الصلاة علينا لغرض من الأغراض أي مصلحة تبعته على ذلك الحكم ، فلا ينافي أنه لحكمة كما علمت ، فصور المماثلة عشرة . ويستحيل عليه أيضاً أن لا يكون قائماً بنفسه بأن يكون صفة يقوم بمحل أو يحتاج إلى مخصص ، وهذا ضد القيام بالنفس . وأن لا يكون واحداً بأن يكون مركباً في ذاته أو يكون له مماثل في ذاته ، أو يكون في صفاته تعدد من نوع واحد كقدرتين وإرادتين وهكذا . أو يكون لأحد صفة كصفته تعالى أو يكون معه في الوجود مؤثر في فعل من الأفعال ، وهذا كله ضد الوحدانية . وأن يكون عاجزاً عن ممكن ما ، وهذا ضد القدرة . وأن يوجد شيئاً من العالم مع كراهته لوجوده ، أو يعدم شيئاً مع كراهته لعدمه : أي عدم إرادته له ، أو مع الذهول أو الغفلة ، فالذهول : ذهاب الشيء من الحافظة والمدرسة أو من أحدهما ، والأول نسيان والثاني سهو . وأما الغفلة فهي السهو ، أو مع التعليل بأن يكون الباري علة تنشأ عنه الخلائق من غير اختيار ولا توقف على وجود شرط وانتفاء مانع كحركة الخاتم فأنها نشأت عند القائلين بالتعليل عن حركة الأصبع ، فعندهم حركة الأصبع علة في حركة الخاتم .

ونحن نقول : الخالق لحركة الأصبع والحركة الخاتم هو الله تعالى من غير تأثير لحركة

(١) الموهوم : توهم الشيء : تخيله وتمثله ، كان في الوجود أو لم يكن ، والوهم مخاطر القلب والجمع أوهام ، أوهمت في كذا أي غلطت .

والوهم : الغلط وزناً ومعنى ، والوهم : إدراك الطرف المرجوح . (انظر : اللسان (وهم) ٤٩٣٤) .

الإصبع في حركة الخاتم . أو مع الطبع بأن يكون الباربي طبيعة تنشأ عنه الخلائق من غير اختيار مع التوقف على وجود الشروط وانتفاء الموانع كالنار فإنها تؤثر بطبعها عندهم في الإحراق مع وجود شرط المماسمة وانتفاء مانع البلل .

ونحن نقول : المؤثر في الإحراق هو الله تعالى ، ولا تأثير للنار أصلاً ، وهذا كله ضد الإرادة . والجهل وما في معناه كالظن والشك والوهم والنوم ، وهذا ضد العلم ، والموت وهو ضد الحياة ، والبُكم النفسي وهو ضد الكلام والعمى وهو ضد البصر ، وكونه عاجزاً ... إلى آخرها على القول بالأحوال .

[٢٨٤] وقوله : (كالكون في الجهات) أي : ككونه تعالى في جهة من الجهات الست ؛ وهذا مثال من أمثلة المماثلة للحوادث . ويقاس عليه باقي أمثلة المماثلة بل وباقي صور المستحيل ، كما أشار إليه المصنف بالكاف . واعلم أن معتقد الجهة لا يكفر كما قاله العز بن عبد السلام ، وقيده النووي : بكونه من العامة ، وابن أبي جمرة ^(١) بغسّر فهم نفيها ، وفصل بعضهم فقال : إن اعتقد جهة العلو لم يكفر ، لأن جهة العلو فيها شرف رفعة في الجملة وإن اعتقد جهة السفلى كفر ، لأن جهة السفلى خسة ودناءة .

(١) هو : عبد الله بن سعد بن سعيد الأزدي الأندلسي أبو محمد ، من العلماء بالحديث ، مالكي توفي بمصر سنة ٦٩٥ هـ ، من مصنفاته : جمع النهاية اختصر به صحيح البخاري ، وبهجة النفوس ، المراتبي الحسان . (انظر : الأعلام ٨٩/٤) .

٤٤ - وَجَائِزٌ فِي حَقِّهِ مَا أَمْكَنَّا إِيْجَادًا اَعْدَامًا كَرَزَقَهُ الْغَنَى [٢٨٥ - ٢٨٧]

[٢٨٥] قوله : (وجائز في حقه ...) إلخ لما فرغ من الكلام على الواجب والمستحيل شرع يتكلم على الجائز الذي هو ثاني الأقسام الثلاثة في الإجمال ، وإنما أخره في التفصيل لما مر آنفاً من طول الكلام عليه ، و « جائز » خبر مقدم ، و « ما أمكنا » مبتدأ مؤخر ، وألف « أمكنا » للإطلاق ، و « إيجاداً » و « إعداماً » تمييزان محولان عن المضاف الذي كان مبتدأ في الأصل ، والتقدير : وإيجاد ما أمكن وإعدامه جائز كل منهما في حقه تعالى .

فإن قيل : إن هذا الإخبار لا فائدة له ، لأن الجائز هو الممكن ، والممكن هو الجائز ، فكأنه قال : الجائز جائز أو الممكن ممكن . أجب بأن التمييز أعني « إيجاداً وإعداماً » يدفع عدم فائدته ، لأنه تمييز محول عن المضاف الذي كان مبتدأ في الأصل ، والتقدير : وإيجاد الممكن وإعدامه جائز كل منهما في حقه تعالى كما تقدم . وقد أشار الشارح إلى هذا بقوله : أي : فعل كل ممكن وتركه فإنه قدر ذلك أخذاً من قوله « إيجاداً وإعداماً » وإلا فلا حاجة للتقدير مع التمييز . واعترض بأن الفعل والترك كل منهما ممكن ، فيعود الإشكال . وأجب بأن المغايرة اللفظية القوية كافية ، إذ ربما يتوهم أن صفة الفعل أو الترك الوجوب بخلاف الجائز والممكن ، فإن مغايرتهما غير قوية . ويدفع أصل الإشكال بأن المبتدأ هو الممكن في ذاته ، والخبر هو الجائز في حقه تعالى ، فهو مقيد بكونه في حقه تعالى ، خلافاً للمعتزلة في قولهم بوجوب بعض الممكنات عليه تعالى ، فإنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى ، وخلافاً للبراهمة في قولهم باستحالة إرسال الرسل مع أنه من الممكنات ، وهذه فائدة معتبرة ، أفاده العلامة الأمير والعلامة الشنواني .

[٢٨٦] قوله : (كرزقه الغنى) هذا مثال لفعل الممكن ، ومثال تركه عدم رزقه إياه ، والرزق بفتح الراء مصدر ، وأما بالكسر فاسم للمرزوق به ، والضمير عائد على الله ، والإضافة في « رزقه » من إضافة المصدر لفاعله والمفعول الأول محذوف ، والغني مفعوله الثاني ، والتقدير : كرزق الله العبد الغني وهو بالكسر ، وبالقصر ضد الفقر ، فهو كثرة الأموال ، وأما بالكسر وبالماء فهو إنشاء الشعر وبالماء مع الفتح : النفع ، وأما بالفتح والقصر وكذلك بالضم فلم يسمع .

[٢٨٧] (فائدة) الغني الشاكر وهو من لا يبقى من المال الحلال الذي يدخل عليه إلا ما يحتاج إليه أو يرصده لأحوج منه أفضل عند الجمهور من الفقير الصابر ، ومحل الخلاف فيما إذا قام الغني بجميع وظائف الغني من البذل ، والإحسان والمواساة وأداء حقوق المال وشكر الملك الديان ، وقام الفقير بجميع وظائف الفقر من الرضا والصبر والقناعة . وقيل : الفقير الصابر هو الذي يلتذ بفقره كما يلتذ الغني بغناه ، اهـ . شنواني .

المفاضلة بين
الغني الشاكر
والفقير الصابر

٤٥ - فَخَالِقٌ لِعَبْدِهِ وَمَا عَمِلَ مُؤَقِّفٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِلَ [٢٨٨-٢٩٨]

[٢٨٨] قوله : (فخالق ...) إلخ هذا تفریع علی ما علم مما تقدم من انفراده تعالى بالإيجاد فالفاء للتفریع ، ويصح أن تكون فاء الفصيحة لكونها أفصحت عن شرط محذوف ، والتقدير : إذا ثبت وجود انفراده تعالى بالإيجاد فخالق ... إلخ ، و « خالق » خبر لمبتدأ محذوف ، والأصل : فالله خالق ... إلخ ، وهذا يسمى عند العارفين بوحدة الأفعال ، ومنها يعلم بطلان دعوى أن شيئاً يؤثر بطبعه أو بقوة فيه ، فمن اعتقد أن الأسباب العادية كالنار والسكين والأكل والشرب تؤثر في مسبباتها كالخرق والقطع والشبع والري بطبيعتها وذاتها فهو كافر بالإجماع ، أو بقوة خلقها الله فيها ففي كفره قولان ، والأصح أنه ليس بكافر بل فاسق مبتدع ، ومثل القائلين بذلك المعتزلة القائلون بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية بقدرته خلقها الله فيه ، فالأصح عدم كفرهم . [٢٨٩] ومن اعتقد أن المؤثر هو الله لكن جعل بين الأسباب ومسبباتها تلازماً عقلياً بحيث لا يصح تخلفها فهو جاهل ، وربما جره ذلك إلى الكفر ، فإنه قد ينكر معجزات الأنبياء لكونها على خلاف العادة . ومن اعتقد أن المؤثر هو الله وجعل بين الأسباب والمسببات تلازماً عادياً بحيث يصح تخلفها فهو المؤمن الناجي إن شاء الله تعالى ، فالفرق في ذلك أربعة كما يؤخذ من كتب السنوسي .

[٢٩٠] قوله : (لعبده) اللام للتقوية والمراد من العبد : كل مخلوق يصدر عنه الفعل عاقلاً كان أو غيره خلافاً لبعضهم حيث قصره على المكلف ، لأن بعض الأدلة التي ذكروها لا تجري من غير فعله ، وإنما ذكر المصنف العبد مع أنه متفق على خلق الله إياه توصيلاً لما بعده ، واقتداءً بقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : ٩٦] .

[٢٩١] قوله : (وما عمل) معطوف على عبده ، و « ما » مصدرية ، فيؤول الفعل بعدها بمصدر ، والتقدير : فخالق لعبده ولعمله . ويحتمل أن تكون موصولة و « عمل » صلة والعائد محذوف ، وعليه فالتقدير : فخالق لعبده وعمله ، والأول أولى ، لأنه لا حذف عليه والأصل عدم الحذف ، ويجري الاحتمالان المذكوران في قوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصفات : ٩٦] وفي ذلك رد على المعتزلة في قولهم بأن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية . وأما الأفعال الاضطرارية كحركة المرتعش فهي مخلوقة لله تعالى اتفاقاً .

[٢٩٢] | والخاص أن الناس بعد اتفاقهم على أن الله خالق للعباد ولأفعالهم
الاضطرارية اختلفوا في أفعالهم الاختيارية ، فنحن نقول : إن الله خالق لها
العباد | أيضًا ، والمعتزلة يقولون : إن العبد خالق لها بقدرة خلقها الله فيه ، ونقل
عن الأستاذ أنها بالقدرتين : أي قدرته تعالى وقدرة العبد ، وفيه أن القدرة القديمة لا
شريك لها ولا معين . ونقل عن القاضي أن قدرة العبد أثرت في فعله لوصفه بالطاعة أو
المعصية ، قلنا هذا تابع للأمر والنهي ، واضطرب النقل عن إمام الحرمين ^(١) ، فمما نقل
عنه : أنه لو لم تكن قدرة العبد مؤثرة لكانت عجزًا .

[٢٩٣] | والذي نعتقه كما قاله السنوسي : تنزيه هؤلاء الأئمة عن مخالفة مشهور أهل
السنة ، فهذه الأقوال لم تصح عنهم ، وربما هجس لبعض القاصرين على أن من حجة العبد
أن يقول لله : لم تعذبني والكل فعلك ، وهذه مردودة بأنه لا يتوجه عليه تعالى من غيره
سؤال : قال تعالى : ﴿ لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] . وكيف يكون للعبد حجة ولله
الحجة البالغة ، فلا يسعنا إلا التسليم المحض . ومع أن الفعل خيره وشره لله ، فالأدب أن
لا ينسب له إلا الحسن فينسب الخير لله والشر للنفس كسبًا ، وإن كان منسوبًا لله إيجابًا .
قال تعالى : ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] .
أي : كسبًا كما يفسره قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾
[الشورى : ٣٠] . وأما قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ [النساء : ٧٨] . فرجوع
للحقيقة ، وانظر إلى أدب الخضر عليه السلام حيث قال : ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا ﴾
[الكهف : ٨٢] . وقال : ﴿ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ [الكهف : ٧٩] وتأمل قول إبراهيم الخليل

(١) توضيح الإشكال في مسألة الاضطراب : الناظر إلى جهة العبد فقط يرى : أن له إرادة واختيارًا وقدرة على
فعله فهو أمر محسوس مشاهد ولا إشكال في وصفه .

ومن نظر إلى صفات الله تعالى فقط فإن الله على كل شيء قدير هو خالق لعبده وما عمل ولا إشكال أيضًا
في تصور ذلك ولا في تصديقه .

والإشكال يتأتى عند دراسة مشكلة ثالثة بين الأمرين (قدرة الله ، وقدرة العبد) حيث يترتب على ترجيح
الجانب الإلهي تصور الظلم في حقه تعالى .

أو ترجيح الجانب المخلوقي (البشري) تصور الشرك .

وهنا اضطربت أقوال الناس . أما ما ورد عن أئمة أهل السنة كالأستاذ والقاضي والإمام فهو منزل على المسألة
الأولى والثانية وليست الثالثة ، وأعدل الأقوال في الثالثة الوقف أو كلام أهل السنة . لأن العلاقة بين القديم
والحدث مما لا قدرة للعبد الإحاطة بها وقد قال النبي ، « إذا ذكر القدر فأمسكوا » وقال تعالى : ﴿ مَا لَيْسَ لَكَ
بِهِ عِلْمٌ ﴾ وقيل في هذا الباب : « هذا أخفى من كسب الأشعري من وثبة النظام » .

عليه الصلاة السلام ﴿الَّذِي خَلَقَ فَهُوَ يُحْيِي ۖ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ ﴿الشعراء : ٧٨﴾ . فلم يقل أمرضني تأدباً ، وإلا فالكل من الله تعالى .

[٢٩٤] قوله : (موفق) معطوف على « خالق » بحرف عطف مقدر ، كما أشار إليه الشارح حيث قال : « وموفق » فقد حرف العطف « وموفق » مأخوذ من التوفيق ، وهو لغة : التأليف بين الأشياء ، وشرعاً : خلق قدرة الطاعة

في العبد ، وهل يحتاج لقولهم : وتسهيل سبيل الخير إليه ، أو قولهم : والداعية إليها : أي الميل النفساني إلى الطاعة ، أو لا يحتاج لذلك ، خلاف مبني على الخلاف في تفسير قدرة الطاعة ، ففسرها إمام الحرمين بسلامة الأسباب والآلات .

[٢٩٥] المراد من الأسباب : الأشياء التي تكون حاملة على الفعل ، والمراد من الآلات الأشياء التي يحصل بها الإعانة على الفعل ، فالماء الذي يتوضأ به من الأسباب العرفية للصلاة ، والأعضاء التي تحاول بها الطاعة آلات لها ، وعلى هذا التفسير فيحتاج لما ذكر لإخراج الكافر فإنه ليس موفقاً ، مع أن الله خلق فيه قدرة الطاعة بالمعنى السابق . وفسرها الأشعري بالعرض المقارن للطاعة ، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لما ذكر ، لأن الكافر خارج من أول الأمر ، إذ لم يخلق الله فيه قدرة الطاعة بهذا المعنى ، وأورد عليه أن الشخص مكلف قبل الطاعة ، مع أنه قبلها على كلامه ليس فيه قدرة ، فيلزم على تكليف العاجز وهو ممنوع . وأجيب بأنه قادر بالقوة القرية لما اتصف به من سلامة الأسباب والآلات وهذا بناء على ما قاله الأشعري من أن العرض كالبياض لا يبقى زمانين ، بل العرض في هذا الزمان غير العرض في الزمان الذي قبله ، وهكذا ، فيكون كالماء الجاري . والحق أن العرض يبقى زمانين ، وعليه فلا مانع من تقدم القدرة على الطاعة عنها ، فتحصل من ذلك أن في التوفيق قولين ، القول الأول : أنه خلق قدرة الطاعة في العبد وتسهيل سبيل الخير إليها أو الداعية إليها ، وفي بعض العبارات : خلق الطاعة نفسها ، وهو ظاهر . والقول الثاني : أنه خلق قدرة الطاعة في العبد . وهذان القولان مبنيان على القولين في تفسير قدرة الطاعة ، واقتصرهم على إخراج الكافر يقتضي أن المؤمن العاصي موفق وهو الحق ، خلافاً لمن قال : الموفق لا يعصى ، إذ لا قدرة له على المعصية ، كما أن المخذول لا يطيع ؛ إذ لا قدرة له على الطاعة . ولك أن تقول : الموفق لا يعصي من حيث ما وفق فيه والمخذول لا يطيع من حيث ما خذل فيه .

[٢٩٦] وقد سئل الجنيد : أيعصى الولي ، فأطرق ثم رفع رأسه وقال : ﴿وَكَانَ أَمْرُ

اللَّهُ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ [الأحزاب : ٣٨] .

[٢٩٧] ومن كلام ابن الفارض (١) :

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط
فأجابه الهاتف بقوله :

محمد الهادي الذي عليه جبريل هبط

[٢٩٨] قوله : (لمن أراد أن يصل) أي : للذي أراد وصوله لرضاه ومحبهه فأن
والفعل في تأويل مصدر مفعول : أراد ، والجار والمجرور متعلق بموفق ، وضمير أراد عائد
على الله تعالى ، وضمير « يصل » عائد على « من » فالمعنى أن الله موفق للشخص
الذي أراد الله أن يصل لرضاه ومحبهه له .

(١) هو : عمر بن علي بن رشد أبو حفص أبو القاسم شرف الدين ، أشهر المتصوفين ويلقب بسلطان
العاشقين ، اشتغل بفقهاء الشافعية ، وأخذ الحديث عن ابن عساكر ، وأخذ عنه الحافظ المنذري ، وغيره ، توفي
سنة ٦٣٢ هـ (انظر : وفيات الأعيان ٣٨٣/١ ، وشذرات الذهب ١٤٩/٥ - ١٥٣ ، والأعلام ٥٥/٥) .

٤٦ - وَخَاذِلْ لِمَنْ أَرَادَ بُعْدَهُ وَمُنْجِزْ لِمَنْ أَرَادَ وَعْدَهُ [٢٩٩-٣٠٥]

[٢٩٩] وقوله : (وخاذل) من الخذلان ، ومعناه لغة : ترك النصرة والإعانة ، وشرعاً : خلق المعصية في العبد والداعية إليها ، أو خلق قدرة المعصية على الرأين في التوفيق .
[٣٠٠] وقوله : (لمن أراد بعده) أي : للذي أراد بعده عن رضاه ومحبه كما تقدم نظيره .

[٣٠١] قوله : (ومنجز لمن أراد وعده) أي : ومعطي للذي أراد به خيراً ما وعده به على لسان نبيه أو في كتابه ، فمفعول « أراد » محذوف و « وعده » مفعول « منجز » والمراد به الموعود به .

[٣٠٢] وأشار المصنف بذلك إلى أن وعد الله المؤمنين الجنة لا يتخلف شرعاً قطعاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ [الحج : ٤٧] . ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾ [الرعد : ٣١] أي : الوعد كما قاله بعض المفسرين ، فلو تخلف إعطاء الموعود به لزم الكذب والسفاهة والخلف ، واللازم باطل فكذا المزوم ، فالخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه ، وهذا متفق عليه عند الأشاعرة والماتريدية .

[٣٠٣] وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه عند الأشاعرة ^(١) ، لأن الخلف فيه لا يُعد نقصاً بل يعد كرمًا يمتدح به ، كما يشير له قول الشاعر :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لخلف إيعادي ومنجز موعدي

[٣٠٤] وقد اعترض جواز تخلف الوعيد بلزوم مفاسد كثيرة منها : الكذب في الوعيد : خبره تعالى ، وقد قام الإجماع عن تنزه خبره تعالى عن الكذب ، ومنها جواز تخلفه : تبدل القول وقد قال تعالى : ﴿ مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَنِي ﴾ [ق : ٢٩] . ومنها تجويز عدم خلود الكفار في النار وهو خلاف ما قامت عليه الأدلة القطعية

من خلودهم فيها ، وأجيب عن الأول بأن الكريم إذا أخبر بالوعيد فاللائق بكرمه أن يبيّن إخباره به على المشيئة وإن لم يصرح بها ، فإذا قال الكريم : لأعذبن زيداً مثلاً فنيته إن شئت ، بخلاف الوعد فإن اللائق بكرمه أن يبيّن إخباره به على الجزم ، قال ، « من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » ^(٢) وعن

(١) الراجح عدم تخلف الوعيد أيضاً كقول الماتريدية .

(٢) أخرجه أبو يعلى (٣٣١٦) والبيهقي (٣٢٣٥) وابن حجر في المطالب العالية

(٢٩٨٨) والطبراني في الأوسط (كما في مجمع الزوائد ١٠ / ٢١١) . عن أنس بن مالك ؓ .

الثاني بأن الممنوع إنما هو تبديل القول في وعيد الكفار أو من لم يرد الله عنه عفوًا ، فالآية أعني قوله : ﴿ مَا يَذُلُّ الْقَوْلُ لَدَيَّْ ﴾ محمولة على ذلك . وعن الثالث بأن جواز تخلف الوعيد فيما إذا كان واردًا فيما يجوز العفو عنه فلا ينافي خلود الكفار في النار فإنه لا يجوز العفو عن الكفر . قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] . وهذه الآية مقيدة لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر : ٥٣] .

[٣٠٥] وذهبت الماتريدية إلى أنه يمتنع تخلف الوعيد كما يمتنع تخلف الوعد ، ولا يرد على ذلك أن الوعيد ، يتخلف في المؤمن المغفور له ، لأن الآيات الواردة بعموم الوعيد مخرج منها المؤمن المغفور له . أما غير المغفور له فلا بد من نفوذ الوعيد فيه ، فقولهم : لا بد من إنفاذ الوعيد ولو في واحد الآتي في قوله .

وواجب تعذيب بعض ارتكب كبيرة إلى آخره

إنما يظهر على كلام الماتريدية ، وينبغي على الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية أنه يصح على قول الأشاعرة أن تقول : اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم ، ولا يصح ذلك على كلام الماتريدية ، فظهر أن الخلاف حقيقي وإن جعله بعضهم لفظيًا فتدبر .

٤٧ - قَوْزُ السَّعِيدِ عِنْدَهُ فِي الْأَزْلِ كَذَا الشَّقِي ثُمَّ لَمْ يَنْتَقِلْ [٣٠٦-٣١٢]

[٣٠٦] قوله : (فوز السعيد عنده في الأزل) « فوز » مبتدأ ، و « في الأزل » متعلق بمحذوف خبر ، والظرف المضاف للضمير العائد على الله تعالى متعلق بمحذوف حال ، والتقدير : فوز السعيد مقدر في الأزل حال كونه سابقاً عنده تعالى ، أي : في علمه ، فالمراد من العندية : العلم . والفوز : النجاة والظفر بالخير ، كما في القاموس .

[٣٠٧] والأزل : عبارة عن عدم الأولية ، أو عن استمرار الوجود في أزمنة مقدرة الأزل : غير متناهية من جانب الماضي ، وإنما قلنا « مقدرة » لأنه لا أزمنة في تعريفه الأزل ، فهي مقدرة لا محققة .

[٣٠٨] وقوله : (كذا الشقي) أي : شقاؤه عنده في الأزل مثل فوز السعيد ، فليس كل من فوز السعيد وشقاء الشقي باعتبار الوصف القائم به في الحال من الإيمان في الأول والكفر في الثاني ، بل باعتبار ما سبق أزلاً في علمه تعالى .

[٣٠٩] وقوله : (ثم لم ينتقل) أي : لم يتحول كل واحد من السعيد والشقي عما سبق أزلاً في علمه تعالى ، فالسعيد لا ينقلب شقياً وبالعكس ، وإلا لزم انقلاب العلم جهلاً وهو بديهي الاستحالة .

[٣١٠] فالسعادة والشقاوة مقدرتان في الأزل لا يتغيران ولا يتبدلان ، لأن السعادة : هي الموت على الإيمان باعتبار تعلق علم الله أزلاً بذلك ، والشقاوة : هي الموت على الكفر بذلك الاعتبار ، فالخاتمة تدل على تعريفهما السابقة ، فإن ختم له بالإيمان دل على أنه في الأزل كان من السعداء وإن تقدمه كفر وإن ختم له بالكفر دل على أنه في الأزل كان من الأشقياء وإن تقدمه إيمان كما يدل له حديث الصحيحين « إن أحدكم يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » ^(١) وخوف العامة من الخاتمة ، وخوف الخاصة من السابقة ، وهو أشد ، وإن تلازما ، هذا ما ذهب إليه الأشاعرة .

(١) أخرجه البخاري (٧٤٥٤) ، ومسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

[٣١١]
 والخلاف في قول القائل أنا مؤمن
 وذهبت الماتريدية إلى أن السعادة هي الإيمان في الحال ، والشقاوة هي الكفر كذلك ، فالسعيد هو المؤمن في الحال وإذا مات على الكفر فقد انقلب شقيًا بعد أن كان سعيدًا ، والشقي هو الكافر في الحال وإذا مات على الإيمان فقد انقلب سعيدًا بعد أن كان شقيًا ، ويترتب على الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية أنه يصح أن تقول : أنا مؤمن إن شاء الله على قول الأشاعرة ، أنه لا يصح ذلك على الثاني .

وحكى بعضهم في ذلك خلافًا على غير هذا الوجه حيث قال : جوزة الشافعي ، ومنعه مالك وأبو حنيفة ، وقال بعض أتباع مالك بوجوبه وذلك إن لم يرد الشك أو التبرك ، وإلا امتنع في الأول إجماعًا ، وجاز في الثاني كذلك ، وقد نظم بعض الأفاضل حاصل هذا فقال :

من قال إني مؤمن يمنع من	مقاله « إن شاء ربي » يا فطن
وذا للمالك وبعض تابعيه	يوجب أن يقول هذا يا نبيه
ومثل ما للمالك للحنفي	والشافعي جَوِّزَ هذا فاعرف
وامنعه إجماعًا إذا أراد به	الشك في إيمانه يا منتبه
كعدم المنع إذا به يراد	تبرك بذكر خالق العباد
فالخلف حيث لم يرد شكًا ولا	تبركًا فكن بذا محتفلاً

[٣١٢] وبالجمله فالخلاف بين الأشاعرة والماتريدية لفظي ، لأنهم اختلفوا في المراد من لفظ السعادة ولفظ الشقاوة مع الاتفاق في الأحكام .

٤٨ - وَعِنْدَنَا لِلْعَبْدِ كَسْبٌ كُلُّفًا وَلَمْ يَكُنْ مُؤْتَرَا فُتَعْرِفَا [٣١٣-٣١٩]

[٣١٣] قوله : (وعندنا ...) إلخ الظرف متعلق بالنسبة بين المبتدأ وهو « كسب » والخبر وهو الجار والمجرور ، والضمير في « عندنا » لأهل السنة والحق ، بخلاف الجبرية والمعتزلة المردود عليهما فيما سيأتي . وقد أشار المصنف في المتن إلى أن في هذه المسألة ثلاثة مذاهب ، مذهب أهل السنة : وهو أنه ليس للعبد في أفعاله الاختيارية إلا الكسب ، فليس مجبوراً كما تقول الجبرية ، وليس خالقاً لها كما تقول المعتزلة .

ومذهب الجبرية : وهو أن العبد ليس له كسب بل هو مجبور أي : مقهور كالريشة المعلقة في الهواء تقلبها الرياح كيف شاءت . ومذهب المعتزلة : وهو أن العبد خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه ، ولقولهم بقدرة خلقها الله فيه لم يكفروا ، على الأصح ، فالجبرية أفرطوا ، والمعتزلة فوطوا ، وتوسط أهل السنة ، وخير الأمور أوساطها . فخرج مذهبهم من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين .

[٣١٤] فإن قيل : قد قام البرهان على وجوب استقلاله تعالى بالأفعال ، والمقدور الواحد لا يدخل تحت قدرتين كما يستلزمه إثباتكم للعبد كسباً ، أوجب بأنه لما ثبت بالبرهان أن الخالق هو الله سبحانه وتعالى ، وبالضرورة أن لقدرة العبد مدخلاً في بعض الأفعال كحركة البطش ، دون البعض كحركة الارتعاش ، احتجنا في التخلص عن هذا المضيق بأن الله تعالى خالق للفعل ، لكن للعبد في الاختياري منه كسب ، والمقدور الواحد يدخل تحت قدرتين بجهتين مختلفتين ، فيدخل تحت قدرة الله تعالى بجهة الخلق ، وتحت قدرة العبد بجهة الكسب .

[٣١٥] قوله : (للعبد) المراد به كل مخلوق يصدر عنه فعل اختياري . قال المصنف : فيشمل حنين الجذع بالمقدور ، ومشى الشجر ، وتسبيح الحصى . اهـ ، وهذا يقتضي أن مثل ذلك من محل الخلاف فلينظر .

[٣١٦] وقوله : (كسب) هو تعلق القدرة بالحادثة . وقيل : هو الإرادة الحادثة ، فإن الأمور أربعة : إرادة سابقة وقدرة وفعل مقترنان . وارتباط بينهما ، فعلى تفسير الكسب بهذا الارتباط وهو تعلق القدرة بالمقدور ليس مخلوقاً ، لأنه من الأمور الاعتبارية ، وعلى تفسيره بالإرادة الحادثة يكون مخلوقاً ، وقد عرفوا

الكسب بتعريفين :

الأول : أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به : أي ارتباط وتعلق ، أو إرادة على ما سبق من القولين يقع المقدور كالحركة متلبسًا ومصحوبًا به ، من غير صحة كون القادر وهو العبد ينفرد بذلك المقدور بل ومن غير صحة المشاركة ، إذ لا تأثير منه بوجه ما ، وإنما له مجرد المقارنة والخالق الحق منفرد بعموم التأثير .

الثاني : أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته : أي ارتباط وتعلق ، أو إرادة ، على ما مر من القولين يقع المقدور كالحركة متلبسًا ومصحوبًا به ، حال كون هذا المقدور في محل قدرته كاليد .

[٣١٧] وقوله : (كلفا) ألفه للإطلاق ، وهو مبني للمفعول ، ونائب الفاعل ضمير يعود على العبد ، والأصل : كلفه الله ، أي : ألزمه ما فيه كلفة ، أو طلب منه ما فيه كلفة على الخلاف في تفسير التكليف ، ويفهم من إثبات الكسب الذي هو سبب في التكليف : رد مذهب الجبرية .

[٣١٨] قوله : (ولم يكن مؤثرًا فلتعرفا) هذه النسخة هي التي أصلحها المصنف رحمته في المبيضة ، وهي أحسن من المتداولة التي كتبها أولاً في تأليفه وهي :

وعندنا للعبد كسب كلفا به ولكن لا يؤثر فاعرفا

ولما شرح هذا البيت شرح على النسخة المتداولة لغية النسخة التي أصلحها عنه ، ولذلك قال : وما متعني أن أشرح عليها إلا غيبة الأصل عني ، كما نبه على ذلك بطرة أصله : أي إلا غيبة الأصل المصلح عنه عند إرادته لشرح هذا البيت . ووجه الأحسنية : أنه لا محل للاستدراك فإنه يساق لدفع ما يتوهم ثبوته أو لإثبات ما يتوهم نفيه كما في قولهم : زيد شجاع لكنه ليس بكريم ، وكما في قولهم : زيد جبان لكنه كريم ، وهنا لا يتوهم ثبوت التأثير من التعبير بالكسب ، لأن اصطلاحهم أن الكسب لا تأثير فيه ، إلا أن يقال ربما يتوهم أنه يؤثر في مكسوبه ، وقد يقال : المتداولة أحسن لما فيها من التصريح بلفظ « به » والمعنى عليه ، ولو صرح به على النسخة المصححة لم يستقيم الوزن ، نعم يحتاج إلى رجز المتداولة لتسكين راء يؤثر . والألف في قوله فلتعرفا أو فاعرفا بدل من نون التوكيد الخفيفة في الوقف ، وبالجملة فليس للعبد تأثير ما ، فهو مجبور باطنًا ، مختار ظاهرًا .

[٣١٩] فإن قيل : إذا كان مجبورًا باطنًا فلا معنى للاختيار الظاهري ، لأن الله قد

علم وقوع الفعل ولا بد وخلق في العبد القدرة عليه . وأجيب بأنه تعالى لا يُسأل عما يفعل ، ولذلك قال سيدي إبراهيم الدسوقي ^(١) : من نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ومن نظر لهم بعين الشريعة مقتهم ، فالعبد مجبور في صورة مختار . والصوفية يشيرون للجبر كثيرًا وحاشاهم من الجبر الظاهري ، وإنما مرادهم الجبر الباطني ، ويفهم من نفي التأثير رد مذهب المعتزلة .

(١) هو : إبراهيم بن أبي المجد بن قريش بن محمد ، يتصل نسبه بالإمام الحسين السبط ، من كبار الصوفية توفي سنة ٦٧٦ هـ . له كتاب الجواهر . (انظر : الأعلام ٥٩/١) .

٤٩ - فَلَيْسَ مَجْبُورًا وَلَا اخْتِيَارًا وَلَيْسَ كُلًّا يَفْعَلُ اخْتِيَارًا [٣٢٤ - ٣٢٠]

٥٠ - فَإِنْ يُبَيَّنَّا فَيَمَحُضُ الْفَضْلُ وَإِنْ يُعَذِّبُ فَيَمَحُضُ الْعَذْلُ [٣٣٢ - ٣٢٥]

[٣٢٠] قوله : (فليس مجبورًا ...) إلخ أي : إذا علمت أن للعبد كسبًا في أفعاله الاختيارية ، فاعتقد أن العبد ليس مجبورًا ^(١) .

[٣٢١] وقوله : (ولا اختياريًا) عطف تفسير لمعنى مجبورًا ، فكأنه قال : أي لا اختيار له في صدور أفعاله عنه ، وهو مسلط عليه النفي السابق ، فالمراد أنه لا اختيار له . بل له اختيار ، وغرض المصنف بذلك التصريح الرد على الجبرية في قولهم : إن العبد مجبور لا اختيار له في صدور جميع أفعاله عنه فهو كريشة معلقة في الهواء تميلها الرياح يمينًا وشمالًا .

قال شاعرهم موردًا على أهل السنة :

ما حيلة العبد والأقدار جارية عليه في كل حال أيها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء
وأجابه بعض أهل السنة بقوله :

إن حفه اللطف لم يمسه من بلل ولم يبال بتكتيف وإلقاء
وإن يكن قدر المولى بغرقته فهو الغريق ولو ألقى بصحراء

[٣٢٢] والواجب اعتقاده أن بعض أفعاله صادر باختياره والبعض الآخر باضطراره ، لما يجده كل عاقل من الفرق الضروري بين حركة البطش وحركة المرتعش .
[٣٢٣] قوله : (وليس كلاً يفعل اختياريًا) أي : وليس العبد يفعل كل فعل حال كون ذلك الفعل اختياريًا ، ف (كلاً) مفعول لـ (فعل) مقدم عليه ويفعل بمعنى يخلق ، فالمعنى : ليس العبد يخلق كل فعل من أفعاله الاختيارية ، وظاهر ذلك أنه يخلق بعض أفعاله الاختيارية ، لأن القاعدة أنه إذا تقدمت أداة السلب على أداة العموم ، أفادت سلب العموم كما في قولهم : لم آخذ كل الدراهم ، مع أن المراد أنه لا يخلق فعلاً أبدًا ،

(١) قال الصاوي : قوله (فليس مجبورًا إلخ) .

هذا شروع في الرد التزاما في العبارة الأولى ، فإن قوله : « وعندنا للعبد كسب كلفا ... رد على الجبرية ، وقوله : « ولم يكن مؤثرا » رد على المعتزلة ، لكن علماء هذا الفن يحبون زيادة الإفصاح . انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (٢٣٩ ، ٢٤٠) .

وقد يقال : قوله (لم يكن مؤثراً) قرينة على المعنى المراد ، والقاعدة أغلبية لا كلية ، فالمراد هنا عموم السلب ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] .

[٣٢٤] وغرض المصنف بذلك التصريح الرد على المعتزلة في قولهم : إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وإنما صرح بالرد على كل من الجبرية والمعتزلة في هذا البيت مع فهم الرد على كل منهما من البيت قبله ، كما تقدم التنبيه عليه ، لأن القوم لا يكتفون في مقام رد المذاهب الفاسدة إلا بالتصريح .

[٣٢٥] قوله : (فإن يثينا ...) إلخ مفرع على ما تقدم من وجوب انفراده تعالى بخلق أفعال العباد ، وأنه ليس لهم فيها سوى الكسب ، ووجه التفريع أنه لم يحصل منهم خير يستحقون به ثواباً ، ولا شر يستحقون به عقاباً ، فالفاء للتفريع . ويصح أن تكون فاء الفصيحة ، لأنها أفصححت عن شرط محذوف ، والتقدير : إذا علمت انفراده تعالى بخلق أفعالنا خيراً كانت أو شراً فإن يثينا ... إلخ .

[٣٢٦] (تنبيه) اتفقوا على أن بني آدم مثابون ومعاقبون ، أما الملائكة فسيأتي الكلام في إثباتهم عند قول المصنف : (بكل عبد حافظون وكلوا)

[٣٢٧] وأما الجن فقد اتفق العلماء على أن كافهم معذب في الآخرة واختلف في مؤمنهم على أقوال . فقليل : إنهم كالإنس فيثابون على الطاعة ويعاقبون على المعصية . وقيل : لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ، ثم يقال لهم : كونوا تواباً كالبهائم . وقيل : يكونون في ربض الجنة يراهم الإنس من حيث لا يرونهم عكس ما كانوا عليه في الدنيا . وقيل : يكونون في الأعراف . ذكره الجلال السيوطي مع ما يشهد لكل من الأحاديث اهـ . شتواني بتصرف .

[٣٢٨] قولهم : (فبمحض الفضل) أي : فإثابته لنا إنما هي بفضل المحض : أي الخالص ، فالإضافة في كلامه من إضافة الصفة للموصوف . ومعنى الفضل المحض : الإعطاء عن اختيار كامل لا عن إيجاب ، بحيث يثينا ولا اختيار له في الإثابة أبداً لكونه علة تنشأ عنها معلولاتها من غير اختيار لها كما يقوله الحكماء ، ولا عن وجوب بحيث تصوير الإثابة مستحقة لازمة يقبح عليه تعالى تركها ، فيثينا باختياره لكن مع الوجوب كما يقوله المعتزلة ، فمذهب أهل السنة أن إثابته تعالى لنا بالفضل الخالص غير مشوبة بإيجاب ولا وجوب ، فقولنا (بالفضل) رد لكلام الحكماء ، وقولنا (الخالص)

رد لكلام المعتزلة .

[٣٢٩] ويدل لمذهب أهل السنة أن طاعات العبد وإن كثرت لا تفي بشكر بعض ما أنعم الله عليه فكيف يتصور استحقاقه عوضاً عليها ؟ .

[٣٣٠] قوله : (وإن يعذب فبمحض العدل) أي : وإن يعذبنا فتعذيبه إنما هو بالعدل المحض أي : الخالص ، فالإضافة في كلامه من إضافة الصفة للموصوف كما تعريفه في نظيره ، ومعنى العدل المحض ^(١) : وضع الشيء في محله من غير اعتراض على الفاعل ، ضد الظلم الذي هو وضع الشيء في غير محله مع الاعتراض على فاعله .

[٣٣١] حكى عن الشيخ عفيف الدين الزاهد ^(٢) أنه كان بمصر ، فبلغه ما وقع ببغداد من القتل فإنه وقع السيف فيها أربعين يوماً فقتل ألف ألف ، وعلقت النصارى المصاحف في أعناق الكلاب ، وجعلوا المساجد كنائس ، وألقوا كتب الأئمة في الدجلة حتى صارت كالجسر تمر الخيل عليها ، فأنكر الشيخ عفيف الدين ذلك وقال : يا رب كيف هذا وفيهم الأطفال ومن لا ذنب له ، فرأى في النوم رجلاً ومعه كتاب فأخذه فإذا فيه :

دع الاعتراض فما الأمر لك ولا الحكم في حركات الفلك
ولا تسأل الله عن فعله فمن خاض لجة بحر هلك

[٣٣٢] وبالجملة فهو سبحانه وتعالى لا تتفعه طاعة ولا تضره معصية ، والكمل بجعله ، فليست الطاعة مستلزمة للثواب ^(٣) ، وليست المعصية مستلزمة للعقاب ، وإنما هما أمارتان تدلان على الثواب لمن أطاع والعقاب لمن عصى ، حتى لو عكس دلالاتها بأن قال : من أطاعني عذبت ، ومن عصاني أثبتته لكان ذلك منه حسناً ، فلا حرج عليه ، لا يسأل عما يفعل ، وهذا كله جواز تعذيب الطائع بفضله وإثابة العاصي بعذابه

(١) وصف العدل بأنه محض لبيان الواقع ، لأن عدل الله لا يكون إلا محضاً . وقوله : « معنى العدل المحض » الأولى إسقاط « المحض » لأن ما ذكره معنى للعدل بقطع النظر عن كونه محضاً ، وعبرة المصنف في شرحه : ومعنى العدل ، لم يذكر لفظ المحض ، والمقصود بقول المصنف « وإن يعذب فبمحض العدل » الرد على المعتزلة في قولهم بوجوب تعذيب العاصي لقولهم بوجوب إثابة الطائع ، وبنوا ذلك على قاعدتهم من أن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية التي منها الطاعة والمعصية ، وأما أهل السنة فقاعدتهم أن الله هو الخالق للأفعال كلها ومنها الطاعة والمعصية وبنوا على ذلك أن الإثابة بالفضل والتعذيب بالعدل وليسوا واجبين عليه تعالى . (٢) هو : سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني ، عفيف الدين اليافعي ، مشارك في الأدب والنحو واللغة ، وله تصانيف منها شرح مواقف النفري ، وشرح فصوص ابن عربي ، توفي سنة ٦٩٠ هـ . (انظر : الأعلام ٣/ ١٣٠) . (٣) .. إلخ « أي أن الطاعة لا توجب على الله إثابة ، وكذا المعصية لا توجب على الله عقاباً ، وهذا هو عين ما في المتن .

بحسب العقل ، وأما بحسب الشرع^(١) فلا يجوز خلف الوعد ، لأنه سفه وهو يستحيل عليه تعالى . وأما الوعيد فيجوز الخلف فيه لأنه كرم وفضل ، كما تقدم تحقيق ذلك .

(١) وقوله « وأما بحسب الشرع ... إلخ » تلخص في أول كلامه إلى آخره أن تعذيب المطيع جائز عقلاً أي بالنظر إلى الدليل العقلي ، وهو « أنه لم يخلق الطاعة حتى يستحق عليها ثواباً » ، ممتنع شرعاً لأن فيه خلف الوعد وهو نقص ، والنقص على الله تعالى محال . وأما إثابة العاصي فهو جائز : أي بالدليل العقلي ، وهو أنه لم يخلق المعصية حتى يستحق عليها عقاباً ، وكذا شرعاً لأن خلف الوعيد جائز شرعاً ، وهو صادق بالإثابة .

٥١ - وَقَوْلُهُمْ إِنْ الصَّلَاحُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ زُورٌ مَا عَلَيْهِ وَاجِبٌ [٣٣٣-٣٣٩]

[٣٣٣] قوله : (وقولهم) إلخ هذا علم مما تقدم من أنه يجوز في حقه تعالى كل ممكن وتركه ، لكن لما كان خطر الجهل في هذا الفن عظيمًا لم يكتف فيه إلا بالتصريح . و (قولهم) مبتدأ وخبره (زور) والضمير عائد على المعتزلة وإن لم يتقدم لهم ذكر لشهرة هذا المذهب عنهم ، وجملة قوله : (إن الصلاح واجب عليه) مقول (قولهم) .

[٣٣٤] واعلم أن للمعتزلة عبارتين ، الأولى : وجوب الصلاح والمراد به ما قابل الفساد كالإيمان في مقابلة الكفر ، فيقولون : إذا كان هناك أمران أحدهما الصلاح والأصلح والآخر فساد وجب على الله أن يفعل الصلاح منهما دون الفساد ،

والثانية وجوب الأصلح ، والمراد به ما قابل الصلاح ككونه في أعلى الجنان مقابلة كونه أسفلها ، فيقولون : إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح والآخر أصلح منه وجب على الله أن يفعل الأصلح منهما دون الصلاح ، والمصنف تكلم في إبطال مذهبهم على الأولى دون الثانية ، لأن الصلاح أعم من الأصلح ، وإذا بطل الأعم بطل الأخص ، وفي كلام المصنف إجمال في نسبة القول بذلك إليهم لعدم تعلق غرضه بمذهبهم ، وإنما غرضه الرد عليهم .

[٣٣٥] والحاصل أنهم قالوا بوجوب الصلاح والأصلح عليه تعالى ، فذهب ثم اختلفوا معتزلة بغداد إلى أنه يجب على الله تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لعباده في الدين والدنيا ، وذهب معتزلة البصرة إلى أنه يجب عليه تعالى مراعاة الصلاح والأصلح لهم في الدين فقط ، ثم اختلفوا أيضًا في المراد بالأصلح ، فعند البغدادية : الأوفق في الحكمة والتدبير ، وعند البصرية الأنفع .

[٣٣٦] وهذه المسألة كانت سببًا لافتراق الشيخ أبي الحسن الأشعري من شيوخه أبي هاشم الجبائي . فإن أبا الحسن سأل الجبائي في درسه وقال : ما تقول في ثلاثة إخوة أي مثلاً مات أحدهم كبيرًا مطيعًا ، والآخر كبيرًا عاصيًا ، والثالث صغيرًا ، فقال الجبائي : الأول يثاب بالجنة ، والثاني يعاقب بالنار ، والثالث لا يثاب ولا يعاقب ، فقال له الأشعري : فإن قال الثالث يا رب لِمَ أمتني صغيرًا وما أبقيتني فأطيعك فأدخل الجنة ، ماذا يقول الرب ، فقال الجبائي : يقول الرب إنني أعلم أنك لو كبرت عصيت فتدخل النار فكان الأصلح لك أن تموت صغيرًا ، فقال الأشعري : فإن قال الثاني يا رب لِمَ لم تمتني صغيرًا فلا أدخل النار ، ماذا يقول الرب ، فبهت الجبائي فترك الأشعري مذهبه واشتغل هو وأتباعه بإبطال ما ذهب إليه المعتزلة ، وإثبات ما وردت به السنة ومضى عليه

الجماعة ، فلذلك سمو بأهل السنة والجماعة .

[٣٣٧] قوله : (زور) أي : مزين الظاهر فاسد الباطن ، ويصح تفسيره من أول الأمر بالباطل ، وإنما كان مزين الظاهر للتعبير عنه بالصلاح والأصلح ، وإلا فهو من أسمع المذاهب ، وإنما كان فاسد الباطن لأنه لو وجب عليه تعالى الصلاح والأصلح لعباده لما خلق الكافر الفقير المعذب في الدنيا بالفقر ، وفي الآخرة بالعذاب الأليم المخلد ، لأن الأصلح له عدم خلقه ، وإن خلق فالأصلح له إمامته صغيراً أو سلب عقله قبل التكليف .

[٣٣٨] وحكي أن الحافظ ابن حجر مر يوماً بالسوق في موكب عظيم وهيئة جميلة ، فهجم عليه يهودي يبيع الزيت الحار وأثوابه ملطخة بالزيت وهو في غاية الرثاثة والبشاعة ، فقبض على لجام بغلته وقال له : يا شيخ الإسلام تزعم أن نبيكم قال : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » ^(١) فأني سجن أنت فيه ، وأي جنة أنا فيها ، فقال : أنا بالنسبة لما أعدده الله لي في الآخرة من النعيم كأني الآن في السجن ، وأنت بالنسبة لما أعدده الله لك في الآخرة من العذاب الأليم كأنتك في جنة ، فأسلم اليهودي .

[٣٣٩] قوله : (ما عليه واجب) أي : ليس عليه تعالى واجب من فعل أو ترك ، لأنه تعالى فاعل بالاختيار ، ولو وجب عليه فعل أو ترك لما كان مختاراً ، لأن المختار هو الذي إن شاء فعل وإن شاء ترك ، وأما الآيات الدالة على الوجوب عليه تعالى نحو : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود : ٦] فمحمولة على أن المراد به الوعد تفضلاً ، وكذلك الأحاديث الدالة على ذلك ، وتقدم الكلام في نظيره من الإبطاء فلا تغفل .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٥٦) والترمذي (٢٣٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

٥٢ - أَلَمْ يَرَوْا إِيلَامَهُ الْأَطْفَالَا وَشَبَّهَهَا فَحَازِرَ الْحَالَا [٣٤٠ - ٣٤٤]

٥٣ - وَجَائِزٌ عَلَيْهِ خَلْقُ الشَّرِّ وَالْخَيْرِ كَالْإِسْلَامِ وَجَهْلُ الْكُفْرِ [٣٤٥ - ٣٥٣]

[٣٤٠] قوله : (أولم يروا ...) الخ هذا تنبيه على فساد مذهبهم والرؤية بصرية . ويحتمل أن تكون علمية والأول أبليغ لمزيد التشنيع عليهم ، وهم حقيقون بذلك خصوصاً في هذا المقام فإن فيه غاية إساءة الأدب .

[٣٤١] وقوله : (إيلامه) مفعول (يروا) وعلى جعلها علمية يكون المفعول الثاني محذوفاً تقديره (حاصلًا) مثلاً ، وعلى جعلها بصرية لا تحتاج إلى مفعول ثانٍ ، واعترض بأن الإيلام عبارة عن تعلق القدرة بالألم . وهو لا يرى . وأجيب بأنه على حذف مضاف ، والتقدير : أثر إيلامه ، وذلك الأثر هو الألم .

[٣٤٢] وقوله : (الأطفالا) مفعول الإيلام ، لأنه مصدر مضاف لفاعله وهو الضمير العائد على الله ، فالأصل إيلام الله الأطفال ، وحكمة إيلام الأطفال حصول الثواب عليه لأبويهم ، لأن ذلك من المصائب التي يثاب الشخص عليها ، ولهذا قال إمام الحرمين : شدائد الدنيا مما يلزم العبد الشكر عليها ، لأنها نعم حقيقية .

[٣٤٣] وقوله : (وشبهها) أي : كالدواب والعجزة فإنهم ، لا نفع لهم في إنزال الأسقام بهم .

[٣٤٤] وقوله : (فحاذر المحالا) بكسر الميم بمعنى العقاب . قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] ويصح قراءته بفتح الميم بمعنى الشك ، وبالضم بمعنى الممتنع ، فالمعنى على الأول : فاحذر عقاب الله النازل بهم على إضلالهم ، وعلى الثاني : فاحذر الشك في ذلك ، وعلى الثالث : فاحذر الممتنع ، وهو وجوب شيء عليه تعالى .

[٣٤٥] قوله : (وجائز عليه خلق ...) الخ « جائز » خبر مقدم ، و « خلق » مبتدأ مؤخر ، والمتبادر من كلام المصنف التكلم في مسألة الخلق ، فذكر أن مذهب أهل السنة أن الله يجوز عليه خلق الخير والشر ، وخالفت المعتزلة فيهما فقالوا : إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية خيراً كانت أو شراً ، وقد صرفه الشارح عن ظاهره فجعله في الإرادة تبعاً للمصنف وشرحه ، لأن إبقاء العبارة على ظاهرها يجعلها مكررة مع قوله سابقاً (فخالق لعبده وما عمل) لا أن يجعل هذا تفصيلاً لما تقدم ، وعلى كلام الشارح يكون في العبارة مجاز بالحذف ، والتقدير : إرادة خلق ... الخ .

[٣٤٦] ووافقت المعتزلة على أن الله يريد الخير ، وخالفت في أنه يريد الشر ،

فقالوا : يمتنع عليه تعالى إرادة الشر والقبايح ، وتبنا ذلك على أصلهم الفاسد ومذهبهم الكاسد من التحسين والتقبيح العقليين ، الله يريد الحسن لذاته ولا يريد الشر لذاته .

[٣٤٧] وعندنا : الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح : ما قبحه الشرع ، واستدلّت المعتزلة على مذهبهم بأن إرادة الشر شر ، وإرادة القبيح قبيحة ، والله تعالى منزّه عن الشرور والقبايح . ورد بأنه لا يقبح من الله شيء ، غاية الأمر أنه يخفى علينا وجه حسنه . واستدلّت المعتزلة أيضًا على مذهبهم بأن العقاب على ما أَرادَه ظلم ، والله تعالى منزّه عن الظلم ، ورد بأنه تصرف في خالص ملكه وهو لا يعد ظلمًا على أنه سبحانه وتعالى لا يُسأل عما يفعل .

[٣٤٨] ويحكى أن إبليس لعنه الله تمثل بين يدي الشافعي رحمته الله وقال : يا إمام ، ما تقول فيمن خلقتني لما اختار ، واستعملني فيما اختار ، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار ، أعدل في ذلك أم جار ؟ قال الإمام : فنظرت في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلت : يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وإن خلقك لما يريد هو فلا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، فاضمحل إبليس وتلاشى ، ثم قال : والله يا شافعي لقد أخرجت بمسألتني هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة .

[٣٤٩] ولا يرد على مذهب أهل السنة حديث (الخير بيدك والشر ليس إليك) ^(١) لأن معناه : الخير بقدرتك وإرادتك ، والشر لا يتقرب به إليك ، ويلزم على ما ذهب إليه المعتزلة : أن أكثر ما يقع في ملكه تعالى غير مراد له ، لأن الشرور أكثر من الخيرات ، ويرده قوله ، « ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن » ^(٢) .

[٣٥٠] وله : (الشر والخير) اعلم أنهم يعبرون عن الأول بالقبيح وعن الثاني بالحسن . واصطلحت المعتزلة على أن القبيح ما يكون متعلق الذم في العاجل : أي الدنيا ، والعقاب في الآجل : أي الآخرة ، فيكون القبيح هو الحرام بخصوصه ، وعلى أن الحسن ما لا يكون متعلق الذم والعقاب ، فيشمل الواجب والمندوب والمباح والمكروه وخلاف الأولى إن لم ندخله في المكروه ، فهذه الأمور كلها حسنة عندهم .

[٣٥١] واصطلح كثير من أهل السنة على أن المنهي عنه مطلقًا قبيح ، والأحسن ما قاله إمام الحرمين : أن المكروه ومنه خلاف الأولى ليس حسنًا ولا قبيحًا .

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) وأبو داود (٧٦٠) عن علي بن أبي طالب .

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٧٥) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١٢) عن بعض بنات النبي ﷺ .

[٣٥٢] وقوله : (كالإسلام) مثال للخير .

[٣٥٣] وقوله : (وجهل الكفر) مثال للشر ، ففيه مع ما قبله لف ونشر مشوش ، والإضافة (جهل الكفر) للبيان أي : جهل هو الكفر ، أو من إضافة السبب للمسبب ؛ فإن الجهل سبب للكفر ، وإن كان له سبب آخر وهو العناد ، وقد تقدم تعريف الجهل وانقسامه إلى بسيط ومركب ، والكفر ضد الإيمان ، فهو إنكار ما علم مجيء الرسول به من الدين بالضرورة ، أو ما يستلزم ذلك كالقاء المصحف في القاذورة ، وإنما أضاف الناظم الجهل إلى الكفر لينبه على أن من الجهل مالا يضر كجهلنا بجلال الله وصفاته التي لم تدل عليها أفعاله ، كما يشير إليه قول الصديق الأكبر : العجز عن الإدراك إدراك .

٥٤ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْقَدَرِ وَبِأَلْفَضَا كَمَا أَتَى فِي الْخَبَرِ [٣٥٤ - ٣٥٩]

[٣٥٤] (وواجب إيماننا) إلخ واجب خبر مقدم ، « وإيماننا » مبتدأ مؤخر ، وغرض المصنف بذلك الرد على القدرية التي تنفي القدر وتزعم أنه تعالى لم يقدر الأمور أزلًا ، وتقول : الأمر أنف : أي يستأنفه الله علمًا حال وقوعه ، ولقبوا بالقدرية لخوضهم في القدر حيث بالغوا في نفيه ، ولا يقال : مثبت القدر أحق أن ينسب إليه ، لأننا نقول كما يصح نسبة مثبتة إليه يصح نسبة نافية إليه إذا بالغ في نفيه ، وهؤلاء انقضوا قبل الإمام الشافعي رحمه الله .

[٣٥٥] وأما القدرية التي تنسب أفعال العبيد إلى قدرهم مع كونهم مطبقين على القدرية : أنه تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها ، فقد تقدم الرد عليهم بقوله أقسامها سابقًا : (فخالق لعبده ما عمل) فهما قدرتان :

أولى : وهي تذكر سبق علمه تعالى بالأشياء قبل وقوعها وتخوض في القدر حيث بالغت في نفيه .

وثانية : وهي تنسب أفعال العباد إلى قدرهم ، ومذهب هذه وإن كان مذهبًا باطلًا أخف من مذهب الفرقة الأولى فإنه كفر .

القضاء : والإيمان بالقضاء والقدر يستدعي الرضا بهما فيجب الرضا بالقضاء والقدر .
والقدر : واستشكل بأنه يلزم على ذلك الرضا بالكفر والمعاصي ، لأن الله قضى بهما وقدرهما على الشخص ، مع أن الرضا بالكفر كفر ، وبالمعاصي

معصية . وأجيب بما قاله السعد من أن الكفر والمعاصي مقضي ومقدر ، لا قضاء وقدر ، والواجب الرضا به إنما هو القضاء والقدر لا المقضي والمقدر ، وفيه أنه لا معنى للرضا بالقضاء والقدر إلا الرضا بالمقضي والمقدر^(١) ؛ والذي حققه الخيالي في حاشيته : أن الكفر والمعاصي لهما جهتان : جهة كونهما مقضيين ، مقدرين لله ، وجهة كونهما مكتسبين للعبد ، فيجب الرضا بهما من الجهة الأولى لا من الثانية .

[٣٥٦] وإعلم أنه وإن وجب الإيمان بالقدر لكن لا يجوز الاحتجاج به قبل الوقوع

(١) هذا الإشكال غير ظاهر لأن الرضا بالقضاء والقدر غير الرضا بالمقضي والمقدر ، لأن معنى الرضا بالقضاء والقدر أن لا يعترض على الله في قضائه وقدره ، ويعتقد أنه لحكمة وإن كنا لا نعلمها ، وذلك بجامع عدم الرضا بالمقضي والمقدر بأن يعترض على الكافر في اختياره الكفر واكتسابه له ، فهذا الجواب عند التأمل هو عين جواب الخيالي الآتي ، فالتفرقة بينها غير ظاهرة .

توصلاً إليه بأن قال شخص : قدر الله عليّ الزنا ، مثلاً ، وغرضه بذلك التوصل إلى الوقوع في الزنا ، أو بعد الوقوع تخلصاً من الحد ، أو نحوه بأن وقع شخص في الزنا مثلاً وقال : قدر الله عليّ ذلك ، وغرضه به التخلص من الحد ، وأما الاحتجاج به بعد الوقوع لدفع اللوم فقط فلا بأس به ، ففي الحديث الصحيح « إن روح آدم التقت مع روح موسى عليه السلام فقال موسى لآدم : أنت أبو البشر الذي كنت سبباً لإخراج أولادك من الجنة بأكلك من الشجرة ، فقال آدم : يا موسى فأنت الذي اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده تلومني على أمر قد قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين ألف سنة . فقال عليه السلام : فحج آدم موسى (١) أي : غلبه بالحجة .

قوله : (بالقدر والقضاء) اعلم أن الأشاعرة والماتريدية اختلفوا في كل من القدر والقضاء ، فالقدر عند الأشاعرة : إيجاد الله الأشياء على قدر تعريفه | [٣٥٧]
مخصوص ووجه معين أراده تعالى ، فيرجع عندهم لصفة فعل ، لأنه عبارة عن الإيجاد وهو من صفات الأفعال ، وعند الماتريدية : تحديد الله أولاً كل مخلوق بحده الذي يوجد عليه من حسن وقبح ونفع وضرر إلى غير ذلك : أي علمه

(١) أخرجه البخاري (٦٦١٤) ومسلم (٢٦٥٢) . عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وخلاصة القول في القضاء والقدر أننا إذا نظرنا إلى الإنسان في معاشه وتأمّلنا علاقته بأفعاله لوجدناه مختاراً قطعاً سواء في إقدامه على الفعل أو إحجامه عنه ، وإذا نظرنا إلى ما يؤمن به من صفات ربنا سبحانه وتعالى لوجدناه عالماً للغيب ، ويعلم طاعة عبده ومعصيته ، ولو وجدناه لا يكون في كونه إلا ما أراد ، ولا يجد العقل البشري إلى هذا الحد أي مشكلة في تصوره لذلك أو تصديقه له ، ولكن تأتي المشكلة عند ما ينتقل الإنسان للبحث في العلاقة بين المستويين الإلهي والبشري ، فإذا كان الله لا يكون في كونه إلا ما أراد فكيف يكون الإنسان مختاراً ، وهو سؤال لا جواب له حيث يحتاج الجواب عليه إلى أمرين ، الأول : معرفة خصائص البشر وكيف تصدر منهم الأفعال وهذا ممكن حيث نشاهده بعيوننا ، والثاني : معرفة كيف تعلقت صفات الله تعالى بذاته وهو أمر لا اطلاع لنا عليه والعلاقة بين الله تعالى والخلق هي التي حيرت الأذهان والعقول والفلاسفة بجميع جوانبها وضل فيها الناس وتشبثوا في كل سبيل ، وسبب ذلك هو عدم الاطلاع على كنه ذات الله وصفاته وحقيقته قيام تلك الصفات بهذه الذات فلم يتمكنوا من حل تلك المعضلة حيث مال بعضهم إلى البشر فوصف الله بالعجز كالوثنيين اليونان ، وبعضهم أراد تزيه الله تعالى عن العجز فوصفه بالظلم كالجبرية حيث يعاقب الله مخلوقه على أمر قد أرغمه على فعله في اعتقادهم .

أما منهاج النبوة الذي التزم بأمر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ يقول : « وإذا ذكر القدر فأمسكوا » فعليه يؤمن باختيار الإنسان المستوجب لحسابه أمام ربه ويؤمن بكمال صفات الله المستوجب ألا يقع في كونه إلا ما أراد ولا نسأل أصلاً عن العلاقة بينهما ، أي أننا نترك تلك المشكلة بلا حل لأننا لم ندخل فيها أصلاً وهذا هو عين العلم والالتزام بالمنهج الصحيح .

تعالى أزلًا صفات المخلوقات ، فيرجع عندهم لصفة العلم وهي من صفات الذات .
 القضاء : والقضاء عند الأشاعرة : إرادة الله الأشياء في الأزل على ما هي عليه فيما
 تعريفه لا يزال ، فهو من صفات الذات عندهم . وعند الماتريدية : إيجاد الله
 الأشياء مع زيادة الإحكام والإتقان ، فهو صفة فعل عندهم ، فالقدر حادث والقضاء
 قديم عند الأشاعرة ، ولا كذلك عند الماتريدية .

[٣٥٨] وقد حمل الشارح كلام المصنف على مذهب الماتريدية في القدر والقضاء
 دون مذهب الأشاعرة ، لأن القضاء في اللغة له نحو معان سبعة ، أشهرها الحكم ، وهو
 يرجع للفعل ، فناسب أن يفسر في الاصطلاح بالفعل ، وأما القدر فلم يرد أن معناه في
 اللغة الفعل ، فناسب أن لا يفسر في الاصطلاح بالفعل بل بالعلم . وقد نظم العلامة
 الأجهوري معنى القضاء والقدر ، وحكى فيه الخلاف على غير هذا الوجه فقال :

إرادة الله مع التعلق في أزل قضاؤه فحقق
 والقدر الإيجاد للأشياء على وجه معين أراده علا
 وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق في الأزل
 والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

فأنت تراه جعل القضاء هو الإرادة مع التعلق الأزلي على القول الأول ، أو العلم مع
 التعلق الأزلي على القول الثاني ، وعلى كل من القولين فهو قديم ، وجعل القدر هو
 الإيجاد على وفق الإرادة على القول الأول أو الإيجاد على وفق العلم على القول الثاني ،
 وعلى كل من القولين فهو حادث ، وبعد هذا كله فالقضاء والقدر راجعان لما تقدم من
 العلم والإرادة وتعلق القدرة ، لكن لما كان خطر الجهل في هذا الفن العظيم صرحوا بهما .

[٣٥٩] قوله : (كما أتى في الخبر) أي : لما ورد في الخبر ، فالكاف للتعليل
 والمراد من الخبر : الحديث لأن الخبر والحديث مترادفان على الأصح ، ولذلك قال
 العلامة الصبان ^(١) في منظومته التي في المصطلح :

والخبر المتن الحديث الأثر ما عن إمام المرسلين يؤثر
 أو غيره لا فرق فيما اعتمد

(١) هو : محمد بن علي الصبان أبو العرفان ، المصري الشافعي الحنفي ، عالم أديب مشارك في اللغة توفي سنة
 ١٢٠٦ هـ من مصنفاته : إسعاف الراغبين ، أرجوزة في العروض . (انظر : الأعلام ٦/٢٩٧) .

وأشار المصنف بذلك إلى أن دليل ذلك سمعي ؛ فمن جملة ما ورد عن علي كرم الله وجهه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربعة : يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله بعثني بالحق ، ويؤمن بالبعث بعد الموت ، ويؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره » ^(١) ومن جملة ذلك أيضًا حديث الأربعين (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، وتؤمن بالقدر خيره وشره حلوه ومره) ^(٢) وإنما عولوا على الدليل السمعي هنا لأنه أسهل للعامة ، وإلا فقد علمت مما مر أن القضاء والقدر يرجعان للصفات التي عولوا فيها على الدليل العقلي .

(١) أخرجه الترمذي (٢١٤٥) ، وابن ماجه (٨١) وصححه ابن حبان (١٧٨) عن علي ؓ .

(٢) أخرجه مسلم (٨) وأبو داود (٤٦٩٥) . عن عمر بن الخطاب ؓ .

٥٥ - وَمِنْهُ أَنْ يُنْظَرَ بِالْبَصَارِ لَكِنْ بِلَا كَيْفٍ وَلَا انْحِصَارٍ [٣٦٠-٣٧٢]

[٣٦٠] قوله : (ومنه أن ينظر ...) إلخ أي : ومن الجائز عقلاً عليه تعالى أن ينظر ... إلخ ،
الرؤية : فالرؤية جائزة عقلاً دنيا وأخرى ، لأن البارئ سبحانه وتعالى موجود ، وكل
جواز رؤية موجود يصح أن يرى ، فالبارئ ﷻ يصح أن يرى ، لكن لم تقع دنيا لغير نبينا ﷺ
المولى ﷺ وواجبة شرعاً في الآخرة كما أطبق عليه أهل السنة للكتاب والسنة والإجماع .

أما الكتاب فأيات كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴾
[القيامة : ٢٢] . ومعنى (ناصرة) حسنة ، وهو صفة للوجه ، وهو المسوخ للابتداء به ،
و (ناطرة) خبره . وحمل الجبائي النظر في الآية على الانتظار ، وجعل (إلى) اسماً
بمعنى النعمة ، والمعنى عنده : منتظرة نعمة ربها .

ومنها قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لُحُوفٌ ذَرِيَّةٌ ﴾ [يونس : ٢٦] . فإن الحسنی :
هي الجنة ، والزيادة : هي النظر لوجهه الكريم كما قال جمهور المفسرين .

ومنها قوله تعالى : ﴿ عَلَى الْأَرْكَانِ يُنْظَرُونَ ﴾ [المطففين : ٢٣] .

وأما السنة فأحاديث كحديث « إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر » ^(١)
والتشبيه للرؤية في عدم الشك والخفاء ، لا للمرئي كما قد يتوهم ، والتعبير بالسين في
الحديث لأن القيامة قد قربت ، وأول المعتزلة الحديث بأن المعنى : سترون رحمة ربكم .
وأما الإجماع فهو أن الصحابة رضی اللہ عنہم كانوا مجمعين على وقوع الرؤية في الآخرة ^(٢) .
[٣٦١] قال الإمام مالك ، لما حجب أعداؤه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رآه ،
ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعبر الكافرون بالحجاب . قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَا تَتِمُّ
عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] .

(١) أخرجه : البخاري كتاب التوحيد . باب قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ ١٢٧/٩ ، ومسلم كتاب المساجد .
باب فضل صلاتي الصبح والعصر ٤٣٩/١ ، ٦٣٣ ، وابن ماجه في المقدمة . باب فيما أنكر الجهمية ٦٣/١ ، ١٧٧ .
(٢) قال أبو الحسن الأشعري : أجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر
به تعالى في قوله تعالى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴾ ١٢٧/٩ ، ﴿ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ .

وقد بين معنى ذلك النبي ﷺ ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين « ترون ربكم عياناً » وقوله « ترون ربكم
يوم القيامة » كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته « فيين أن رؤيته تعالى بأعين الوجوه » .

ولم يرد النبي ، أن الله ﷻ مثل القمر من قبل أن النبي ، شبه الرؤية بالرؤية ، ولم يشبه الله تعالى بالقمر ، وليس
يجب إذا رأيناه تعالى أن يكون شبيهاً لشيء مما نراه ، كما لا يجب إذا علمناه أنه يشبه شيئاً نعلمه ، ولو كان يجب
إذا رأيناه ﷻ أن يكون مثل المرئيين منا لوجب إذا كان الله ﷻ رائيًا لنا وعالماً بنا أن يكون مثل الرائيين العالمين منا .
انظر : رسالة إلى أهل الثغريباب الأبواب لأبي الحسن الأشعري (١٣٤ ، ١٣٥) . تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي .

[٣٦٢] وقال الإمام الشافعي ، لما حجب قوماً بالسخط ، دل على أن قوماً يرونه بالرضا ، ثم قال : أما والله لو لم يوقن محمد بن إدريس بأنه يرى ربه في الميعاد لما عبده في الدنيا ، وهذا من كلام المدللين نفعا الله بهم ، وإلا فالله يستحق العبادة لذاته .
[٣٦٣] وقال ابن العربي : إن رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة في الدنيا ، فما رآه كمن سمعاً ؟ . والحاصل أن هنا مقامين كما يستفاد من كلام السعد في شرح المقاصد أحدهما في جواز الرؤية ، وثانيهما في وقوعها ، والمتبادر من كلام المصنف المقام الأول كما هو قضية مرجع الضمير .
[٣٦٤] قوله : (بالأبصار) ظاهره أن الرؤية بالحدق فقط ، وهو أحد أقوال ثلاثة . ثانيها : أنها بجميع الوجوه ، لظاهر قوله تعالى : ﴿ وَجْهَهُ يُؤَيِّدُ تَائِيَةً ۖ إِلَيْهَا نَاطِرَةٌ ۖ ﴾ [القيامة : ٢٢] .
ثالثها : أنها بكل جزء من أجزاء البدن ، كما نقل عن أبي يزيد البسطامي ^(١) .

[٣٦٥] قوله : (بلا كيف) لما كان قد يتوهم من قوله : (ومنه أن ينظر بالأبصار) أنه تعالى يرى بكيف كما في رؤية بعضنا بعضاً استدرك عليه بقوله : (لكن بلا كيف) أي : بلا تكيف للمرئي بكيفية من كيفيات الحوادث من مقابلة وجهة وتحييز وغير ذلك .
[٣٦٦] وغرض المصنف بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة العقلية التي تمسكوا بها في قولهم بإحالة الرؤية . وحاصلها : أنه تعالى لو كان مرئياً لكان مقابلاً للرائي بالضرورة فيكون من جهة وحيز . وحاصل الجواب أن قولكم : (لكان مقابلاً للرائي بالضرورة) ممنوع ، فلزوم الجهة والحيز ممنوع ، إذ الرؤية قوة يجعلها الله في خلقه لا يشترط فيها مقابلة المرئي ولا كونه في جهة وحيز ولا غير ذلك ، ودعوى الضرورة فيما نازع فيه الجمل الغفير من العقلاء غير مسموعة ، غاية الأمر أن هذه الأمور لازمة عادة لا عقلاً ، وانتحتوا من قول أهل السنة : « بلا كيف » باللكفة .

[٣٦٧] وقد أنشد الزمخشري في الكشف يهجو أهل السنة :

لجماعة سموها هواهم سنة وجماعة حمر لعمرى موكفه
قد شبهوه بخلقه فتخوفوا شنع الورى فتستروا باللكفه
[٣٦٨] ورد عليه السيد البليدي ^(٢) بقوله :

(١) هو : طيفور بن عيسى البسطامي أبو يزيد ، شيخ الصوفية في عصره ومن كبار الزهاد ، توفي سنة ٢٦١ هـ ، وقيل سنة ٢٦٤ هـ . (انظر : ميزان الاعتدال ٣/٣٤٦ ، الأعلام ٣/٢٣٥) .

(٢) هو : محمد بن محمد بن محمد الحسن التونسي المالكي أبو عبد الله عالم باللغة العربية والتفسير والقراءات ، توفي في القاهرة سنة ١١٧٦ هـ . من مصنفاته : تكليل الدرر ، وحاشية على تفسير البيضاوي . (انظر : الأعلام ٧/٦٨) .

هل نحن من أهل الهوى أو أنتم
اعكس تصب فالوصف فيكم ظاهر
يكفيك في ردّي عليك بأننا
وبنفي رؤيته فأنت حرمتها
فتراه في الأخرى بلا كيفية
[٣٦٩] وقال بعضهم في الرد عليه :

شبهت جهلاً صدر أمة أحمد
وجب الخسار عليك فانظر منصفاً
أترى الكلم أتى يجهل ما أتى
إن الوجوه إليه ناظرة بذا
نطق الكتاب وأنت تنطق بالهوى
وقد شنعوا في الرد عليه بغير ذلك .

[٣٧٠] وقوله : (ولا انحصار) أي : ولا انحصار للمرئي عند الرائي بحيث يحيط به لاستحالة الحدود والنهايات عليه تعالى .

[٣٧١] وغرض المصنف بذلك الجواب عن شبهة المعتزلة النقلية التي تمسكوا بها في قولهم بإحالة الرؤية ، وهي قوله تعالى : ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْآبْصَارُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فإنه يدل على أنه تعالى لا يدرك بالبصر . والإدراك هو الرؤية فلا يرى بالبصر وحاصل الجواب أنا لا نسلم أن الإدراك بالبصر هو مطلق الرؤية ، بل هو رؤية مخصوصة ، وهي التي تكون على وجه الإحاطة بحيث يكون المرئي منحصراً بحدود ونهايات ، فالإدراك المنفي في الآية الكريمة أخص من الرؤية ، ولا يلزم من نفي الأخص نفي الأعم .

[٣٧٢] والحاصل أنه تعالى يُرى من غير تكيف بكيفية من الكيفيات المعتبرة في رؤية الأجسام ومن غير إحاطة ، بل يحار العبد في العظمة والجلال حتى لا يعرف اسمه ولا يشعر بمن حوله من الخلائق ، فإن العقل يعجز هنالك عن الفهم ويتلاشى الكل في جنب عظمته تعالى .

٥٦ - للمؤمنين إذ بجائز عُلِّقَتْ هذا وللمُخْتَارِ دُنْيَا نَبِثَتْ [٣٧٣م - ٣٩٠]

[٣٧٣] قوله : (للمؤمنين) متعلق بـ (ينظر) لتضمنه معنى الانكشاف ، فلا يرد ما يقال إن « نظر » إذا كان بمعنى « أبصر » يتعدى إلى .

[٣٧٤] والمراد بالمؤمنين : ما يشمل المؤمنات ، ففيه تغليب ، فإنهن يرينه تعالى على الصحيح ، وعمومه يشمل الملائكة . قال السيوطي : وهو الأقوى .

وقيل : لا رؤية للملائكة أصلاً . وقيل : إن جبريل يراه تعالى دون سائر الملائكة ، ويشمل أيضاً مؤمني الجن فيحصل لهم الرؤية في الموقف مع سائر المؤمنين قطعاً وفي الجنة على الراجح ، ويشمل أيضاً مؤمني الأمم السابقة ، ولابن أبي حمزة فيهم احتمالان . قال : والأظهر مساواتهم [٣٧٥] الرؤية : رؤية الله ﷻ في الآخرة

لهذه الأمة في الرؤية ، ويشمل أيضاً أهل الفترة على القول بناجاتهم وإن غيروا وبدلوا ، ويخرج بالمؤمنين الكفار والمنافقون ، فلا يروونه تعالى على الراجح لقوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَإِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ ﴾ [المطففين : ١٥] ولأنهم ليسوا من أهل الإكرام والتشريف ، وقيل : إنهم يروونه ثم يحجبون ، فتكون الحجة حسرة عليهم .

[٣٧٦] قال الجلال : وله شواهد روينها عن الحسن البصري (١) ، ولا يراه سائر الحيوانات غير العقلاء حتى الحيوانات التي تدخل الجنة مثل ناقة صالح وكبش إسماعيل كما هو ظاهر كلامهم ومحل الرؤية الجنة بلا خلاف فيراه أهلها في مثل يوم الجمعة والعيد ، ويراها خواصهم كل يوم بكرة وعشيا ، وبعضهم لا يزال مستمراً في الشهود حتى قال أبو يزيد البسطامي : إن لله خواص من عباده لو حج بهم في الجنة عن رؤيته ساعة لاستغاثوا من الجنة ونعيمها كما يستغيث أهل النار من النار وعذابها .

[٣٧٧] وأما في عرصات القيامة كالموقف ، فالصحيح وقوعها أيضاً ، لأنه ورد في السنة ما يقتضي وقوعها لهم فيها ، ففي الحديث « ينادى إذا كان يوم القيامة ، لتلزم كل أمة معبودها ، فنقول هذه الأمة : هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فيظهر لهم على الوجه الذي لا يعرفونه بأن يدخل عليهم غلطاً في كشفهم وإلا فهو تعالى منزّه عن أن يتصف بما لا يليق به فيقول : أنا ربكم . فيقولون : نعوذ بالله منك لست ربنا ، فيتجلى لهم تجلياً لا تقاً بحال المقام ويكشف عن الساق ، ويقول : إنا ربكم ، فيراه المؤمنون كما

(١) هو : الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد التابعي المشهور إمام أهل البصرة ، المتوفى سنة ١١٠هـ ، وله كتاب فضل مكة . (انظر : حلية الأولياء ١٣١/٢ ، الأعلام ٢٢٦/٢) .

يعلمون أي : على وفق ما يعتقدون ، فيخرون سجداً إلا المنافق » (١) وهذا معنى قوله : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ... الآية﴾ [القلم : ٤٢] .

[٣٧٨] وكشف الساق عند الخلف بمعنى رفع الحجاب ، والسلف يفوضون انظر شرح البخاري .

[٣٧٩] قوله : (إذ بجائر عقلت) بسكون الزاي للوزن ، وإذ تعليلية داخلية على (عقلت) و (بجائر) متعلق به ، فكأنه قال : حكمنا بجواز الرؤية عقلاً لأن الله تعالى علقها بأمر جائز عقلاً وهو استقرار الجبل حين سأله موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام حيث قال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَنِي﴾ الرؤية : رؤية الله تعالى في الدنيا

[الأعراف : ١٤٣] والاستدلال بالآية من وجهين ، الأول : ما أشار إليه المصنف وحاصله قياس اقتراني أشار إلى صغراه وحذف كبراه للعلم بهما كالنتيجة ، وتقريره أن تقول : رؤية الباري عقلت على أمر ممكن ، وكل ما علق على الممكن لا يكون إلا ممكناً ، ف رؤية الباري لا تكون إلا ممكنة ، ومنعت المعتزلة الصغرى قائلين : إن المراد : فإن استقر مكانه حال تحركه وهو مستحيل فالرؤية معلقة على مستحيل فتكون مستحيلة ، وهو تقول لا دليل عليه ولا داعي يدعو إليه ، كقولهم إن « لن » في قوله تعالى : ﴿لَنْ تَرَنِي﴾ للتأييد .

والثاني سكت عنه المصنف ، وحاصله قياس استثنائي ، وتقريره هكذا : لو كانت الرؤية ممتنعة في الدنيا ما سألها موسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ، لأنه نبي يعلم ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز ، إذ لا يجوز على أحد من الأنبياء الجهل بشيء من أحكام الألوهية ، لكنه سألها موسى عليه الصلاة والسلام فدل على أنها جائزة .

[٣٨٠] وقول المعتزلة : « سألها لأجل جهلة قومه » مردود بأن سياق الآية حيث قال : ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ صريح في حال نفسه .

[٣٨١] قوله : (هذا) أي افهم هذا ، فهو مفعول محذوف ، أو هذا كما علمت ، فهو مبتدأ خبره محذوف أو نحو ذلك ، وهذا تخلص من بحث إلى بحث آخر ، لأن الكلام السابق كان متعلقاً بجواز رؤيته تعالى فانتقل عنه إلى الإخبار بوقوعها في الدنيا .

[٣٨٢] قوله : (وللمختار دنيا ثبت) أي : وقعت رؤيته تعالى في الدنيا ليلة الإسراء للمختار الذي هو نبينا ﷺ وفي التعبير بالمختار مناسبة ، لأنه اختير لهذا المقام .

[٣٨٣] والراجح عند أكثر العلماء أنه ﷺ رأى ربه ﷻ بعيني رأسه وهما في محلها ، خلافاً لمن قال حوّل قلبه ، لحديث ابن عباس وغيره ، وقد نفت السيدة عائشة رضي الله عنها وقوعها له ﷺ لكن قدّم عليها ابن عباس ^(١) لأنه مثبت ، والقاعدة أن المثبت مقدم على النافي حتى قال معمر بن راشد ^(٢) : ما عائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ، وكان ﷺ يراه تعالى في كل مرة من مرات المراجعة ، ومن كلام ابن وفا : إنما كان ترجيع موسى عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ في شأن الصلوات ليتكرر مشاهدة أنوار المرات ، وأنشد يقول :

والسر في قول موسى إذ يراجعه ليجتلي النور فيه حيث يشهده
يبدوا سناه على وجه الرسول فيا لله حسن رسول إذ يردده

[٣٨٤] فالحكمة الباطنية : اقتباس النور من وجهه ﷺ ففي كل مرة يزداد نوراً . والحكمة الظاهرية : التخفيف . واختلف في وقوعها للأولياء على قولين للأشعري أرجحهما المنع ، فالحق أنها لم تثبت في الدنيا إلا له ﷺ ومن ادعاها غيره في الدنيا يقظة فهو ضال ياطباق المشايخ ، حتى ذهب بعضهم إلى تكفيره .

[٣٨٥] قال العلامة القنوي ^(٣) : فإن صح عن أحد من المعبرين وقوع ذلك أمكن تأويله ، وذلك أمكن تأويله ، وذلك أن غلبات الأحوال تجعل الغائب كالشاهد ، حتى إذا كثر اشتغال السر بشيء صار كأنه حاضر بين يديه كما هو معلوم بالوجدان لكل أحد اه وعلى هذا يُحمل ما وقع في كلام ابن الفارض ، وهذا كله في رؤيته تعالى يقظة .

[٣٨٦] وأما رؤيته تعالى مناماً فنقل عن القاضي عياض ^(٤) أنه لا نزاع في وقوعها وصحتها ، فإن الشيطان لا يتمثل به تعالى كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وذكر غيره الخلاف .

(١) هو : عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن ، ولد بمكة ولازم رسول الله ﷺ وتوفي بالطائف سنة ٦٨ هـ ، (انظر : الإصابة ترجمة ٤٧٧٢ ، حلية الأولياء ٣١٤/١ ، والأعلام ٩٥/٤) .

(٢) هو : معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي أبو عروة فقيه حافظ للحديث متقن ثقة توفي سنة ١٥٣ هـ (انظر : الأعلام ٢٧٢/٧) .

(٣) هو : محمد بن إسحاق بن صدر الدين القنوي ، من كبار تلاميذ الشيخ محيي الدين بن العربي ، كان شافعي المذهب ، من مصنفاته : الرسالة المرشدية في أحكام الصفات الإلهية ، وتفسير الفاتحة ، وشرح الأحاديث الأربعينية . توفي سنة ٦٧٣ هـ ، (انظر : الأعلام ٣٠/٦) .

(٤) هو : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي البستي أبو الفضل عالم المغرب وإمام أهل الحديث في عصره :

[٣٨٧] وقال بعضهم : إن الشيطان يتمثل به دون النبي ، والفرق أن النبي بشر ، فيلزم من التمثل به اللبس ، بخلاف المولى فأمره معلوم .

[٣٨٨] وقال بعضهم : ولا يتمثل بالملائكة ولا بالشمس ولا بالقمر ولا بالنجوم المضئية ولا بالسحاب الذي فيه الغيم .

[٣٨٩] وحكي أن الإمام أحمد رأى المولى سبحانه وتعالى في المنام تسعاً وتسعين مرة ، وقال : وعزته إن رأيت تمام المائة لأسأله ، فرآه فقال : سيدي ومولاي ما أقرب ما يتقرب به المتقربون إليك ، قال تلاوة كلامي . فقال بفهم أو بغير فهم ، فقال : يا أحمد بفهم وبغير فهم . والمرئي إن كان بوجه لا يستحيل عليه تعالى فهو هو تعالى ، وإلا بأن كان بصورة رجل مثلاً فليس هو هو تعالى بل خلق من خلقه تعالى ، ويقال حينئذ إنه رأى ربه في الجملة لحكمة تظهر عند المعبرين بأن يقولوا تدل على كذا وكذا ، وقيل هو أيضاً وكونه بهذا الوجه إنما هو باعتبار ذهن الرائي ، وأما في الحقيقة فليس تعالى كذلك .

[٣٩٠] وقد قال بعض الصوفية : إنه رأى ربه في منامه على وصفه ، فقليل له كيف رأيت فقال : انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي بصيراً فرأيت من ليس كمثله شيء .

٥٧ - ومنه إرسال جميع الرسل فلا يُجُوبُ بل بمحض الفضل [٣٩٨ - ٣٩١]

٥٨ - لكنْ بهذا إيماننا قد وَجِبَنا فَدَعَّ هَوَى قَوْمٍ بِهِمْ قَدْ لَعِبَنا [٣٩٩ - ٤٠٢]

[٣٩١] قوله : (ومنه إرسال جميع الرسل) أي : ومن الجائز العقلي في حقه تعالى إرساله لجميع الرسل من آدم إلى سيدنا محمد ﷺ بدخول المبدأ والغاية عليهم الصلاة والسلام ، خلافاً لمن أوجبه ولمن أحاله .

[٣٩٢] فالأول : أعني من أوجبه المعتزلة والفلاسفة ، فقد اتفقت الطائفتان على الوجوب وزادت الفلاسفة الإيجاب .

[٣٩٣] ومبنى كلام المعتزلة على قاعدة وجوب الصلاح والأصلح ، فيقولون : النظام المؤدي إلى صلاح النوع الإنساني على العموم في المعاش والمعاد لا يتم إلا بعبثة الرسل ، وكل ما هو كذلك فهو واجب على الله تعالى ، وقد مر هدم تلك القاعدة .

[٣٩٤] ومبنى كلام الفلاسفة على قاعدة التعليل أو الطبيعة فيقولون : يلزم من وجود الله وجود العالم بالتعليل أو بالطبع ، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه ، وقد تقدم أنه تعالى فاعل بالاختيار لا بطريق الإيجاب ، وذكر بعضهم الشيعة بدل الفلاسفة .

[٣٩٥] وذكر شمس الدين السمرقندي أن الفلاسفة ينكرون الإرسال لنفيهم كونه تعالى مختاراً ، لكن في المقاصد وغيرها نحو ما تقدم .

[٣٩٦] والثاني : أعني من أحاله كالسمنية والبراهمة زعموا أن إرسال الرسل عبث لا يليق بالحكيم ، لأن العقل يغني عن الرسل ، فإن الشيء إن كان حسناً عند العقل فعله ، وإن لم تأت به الرسل ، وإن كان قبيحاً عنده تركه وإن لم تأت به الرسل ، وإن لم يكن عنده حسناً ولا قبيحاً : فإن احتاج إليه فعله وإلا تركه ، ونعوذ بالله من تلك العقائد .

[٣٩٧] قوله : (فلا وجوب) أي : إذا علمت أن إرسال الرسل من الجائز العقلي في حقه تعالى فاعلم أنه لا وجوب عليه خلافاً للمعتزلة والفلاسفة أي : ولا استحالة ، خلافاً للسمنية والبراهمة كما يعلم مما تقدم ، فالتفريع فيه قصور ، ولعله لم يعتد بالقول بالاستحالة .

[٣٩٨] وقوله : (بل بمحض الفضل) أي : بل إرسال الرسل إنما هو بإحسانه الخالص ، فإضافة محض بمعنى الخالص للفضل بمعنى الإحسان من إضافة الصفة للموصوف ، فقولنا « بإحسانه » فيه رد على الفلاسفة . وقولنا « الخالص » فيه رد على المعتزلة ، و« بل » هنا للإضراب الانتقالي .

[٣٩٩] قوله : (لكنْ بهذا إيماننا قد وجب) لما كان قد يتوهم من كون الإرسال من

الجائز العقلي أن الإيمان بوقوعه ليس واجباً ، استدرك عليه بقوله « لكن بدأ إيماننا قد وجباً » بألف الإطلاق ، والمتبادر من كلام المصنف أن اسم الإشارة عائد على الإرسال ، لكن جعله الشارح عائداً على المذكور من الإرسال والمرسلين .

[٤٠٠] فإن قلت : يلزم من التصديق بوقوع إرسال الرسل التصديق بهم ، فلا حاجة إلى ذلك . قلت : فيه زيادة البيان كما هو المطلوب في عقائد الإيمان ، وقد سبق أول الكتاب بيان من يجب الإيمان بهم تفصيلاً ومن يجب الإيمان بهم إجمالاً ، والأولى عدم حصرهم في عدد كما يشعر به قول المصنف جميع الرسل ، فإنه يؤذن بعدم معرفة عددهم .

قوله : (فدع هوى قوم) أي : إذا عرفت أن الإرسال من الجائز العقلي في الهوى : [٤٠١] حقه تعالى ، وأن الإيمان به واجب فدع عنك هوى قوم ، والمراد بهوهم : تعريضه مهويهم : وهو ما اعتقدوه من الاعتقادات الباطلة التي زينها الشيطان لهم ،

والهوى بالقصر عند الإطلاق ينصرف إلى الميل إلى خلاف الحق غالباً ، نحو ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَى ﴾ [ص : ٢٦] سمي هوى لأنه يهوى بصاحبه في النار ، ومن غير الغالب قول السيدة عائشة له ، : « ما أرى ربك إلا يسارع في هواك » ^(١) وقد يطلق على مطلق الميل فيشمل الميل للحق وغيره ، وأما بالمد فهو ما بين السماء والأرض .

[٤٠٢] وقوله : (بهم قد لعبا) بألف الإطلاق : أي : قد تلاعب بهم لا بغيرهم حتى أوقعهم في البدع والمعاصي أو الكفر ، فأوجب الإرسال بعضهم كالمعتزلة والحكماء ، وأحاله بعضهم كالسمنية والبراهمة .

٥٩ - وَوَأَجِبْ فِي حَقِّهِمُ الْأَمَانَةَ وَصِدْقُهُمْ وَصِفْ لَهُ الْفَطَانَةَ [٤٠٣ - ٤١١]

[٤٠٣] قوله : (وواجب) إلخ لما تمم الكلام على ما يجب في حقه تعالى
الرسول ، ما وما يستحيل وما يجوز ، شرع في الكلام على ما يجب في حق الرسل
يجب في وما يستحيل وما يجوز مقدماً الواجب لشرفه ، والمراد بالوجوب هنا :
حقهم عدم قبول الانفكاك بالنظر للشرع ، لأن ما ذكر من الواجبات سمعي ولذا
قال المصنف فيما سيأتي « ويستحيل ضدها كما رووا » فأشار بذلك إلى أن استحالة
ضدها بالدليل الشرعي فيكون وجوبها بالدليل الشرعي ، نعم تصديق المعجزة لهم في
دعوى الرسالة قيل وضعي لتنزيلها منزلة الكلام ، ودلالته وضعية فكذا ما نزل منزلته ،
وقيل عادي لأنه بقرائن عادية ، وقيل عقلي لتنزهه تعالى عن تصديق الكاذب ، وبذلك
تعلم أن جعل الشارح الوجوب هنا عقلياً فيه نظر .

[٤٠٤] وقوله : (في حقهم) أي : لذاتهم ، ف (في) بمعنى اللام ، و (حق)
بمعنى الذات كما تقدم .

[٤٠٥] والمتبادر من كلام المصنف أن الضمير ، عائد على الرسل ، وفسره الشارح
بالأنبياء قائلًا : لأن معظم هذه الأحكام لا يختص بالرسل ، وكأن الشارح أشار إلى
استخدام في المتن ، وإلا فالسابق في كلامه الرسل ، ومراده بمعظم هذه الأحكام ما عدا
التبليغ ، فإن التبليغ خاص بالرسل ، وبعضهم عممه للأنبياء لأنه يجب على النبي أن
يلبغ أنه نبي ليحترم .

[٤٠٦] قوله : (الأمانة) بالنقل والدرج للوزن : وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم
من التلبس بمنهي عنه ، ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى ، فهم محفوظون ظاهراً من
الزنا وشرب الخمر والكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ، وم محفوظون باطناً من
الحسد والكبر والرياء وغير ذلك من منهيات الباطن ، والمراد بالمنهي عنه ولو صورة
فيشمل ما قبل النبوة ، ولو في حال الصغر ولا يقع منهم مكروه ولا خلاف الأولى بل
ولا مباح على وجه كونه مكروهاً أو خلاف الأولى أو مباحاً ، وإذا وقع صورة ذلك فهو
للتشريع فيصير واجباً أو مندوباً في حقهم ، فأفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين
الواجب والمندوب ، بل في الأولياء الذين هم أتباعهم من يصل لمقام تصير حركاته
وسكناته طاعة بالنيات ، وبهذا اندفع ما يقال : قد ثبت أنه ﷺ توضأ مرة مرة (١)

(١) أخرجه البخاري (١٥٧) ، من حديث ابن عباس ؓ .

ومرتين مرتين^(١) ، وبال قائمًا^(٢) وشرب قائمًا^(٣) ، وأما الحرم فلم يقع منهم إجمالاً ، وما أوهم المعصية فمؤول بأنه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين ، ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان ، وما وقع من آدم فهو معصية إلا كالمعاصي ، لأنه تأول الأمر لسرينه وبين سيده وإن لم نعلمه ، حتى نقل في اليواقيت عن أبي مدين^(٤) : لو كنت بدل آدم لأكلت الشجرة بتمامها ، فهو وإن كان منهياً ظاهراً مأموراً باطناً ، وكذلك يقال فيما وقع من إخوة يوسف على القول بأنهم أنبياء .

ودليل وجوب الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام : أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه أو خلاف الأولى لكننا مأمورين به ، لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل ، وهو تعالى لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى ، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى ، وهذا الدليل وإن كان على صورة الدليل العقلي هو في الحقيقة دليل شرعي ، لأن دليل الملازمة شرعي ، وبطلان التالي بدليل شرعي وهو أن الله لا يأمر بالفحشاء .

[٤٠٨] قوله : (وصدقهم) معطوف على الأمانة : أي وواجب في حقهم صدقهم وهو مطابقة خبرهم للواقع ولو بحسب اعتقادهم ، كما في قوله ﷺ « كل ذلك لم يكن » لما قال له ذو اليمين^(٥) : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ، حين سلم من ركعتين .

[٤٠٩] فإن قيل : قد مر النبي ﷺ على جماعة يؤبرون النخل وقال لهم : لو تركتموها لصلحت فتركوها فشاصت^(٦) : أجيب بأن هذا من قبيل الإنشاء ، لأن

(١) أخرجه البخاري (١٥٨) ومسلم (٢٢٦) ، من حديث عبد الله بن زيد ؓ .

(٢) أخرجه البخاري (٢٢٤) ومسلم (٢٦٦) ، من حديث حذيفة بن اليمان ؓ .

(٣) أخرجه البخاري (١٦٣٧ ، ٥٦١٧) ومسلم (٢٠٢٧) ، من حديث عبد الله بن عباس ؓ قال :

سبقت النبي ﷺ من ززم فشرب وهو قائم .

(٤) هو : شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني . من كبار الصوفية توفي سنة ٥٩٤ هـ ، من تصانيفه :

مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب . (انظر : الأعلام ١٦٦/٣) .

(٥) هو : الخرباق من بني سليم ، كان ينزل بنواحي المدينة . فهو صاحب الكلمة الشهيرة لرسول الله ﷺ

أقصرت الصلاة أم نسيت عندما سها رسول الله ﷺ في الصلاة . (انظر أسد الغابة ١٧٩/٢) .

والحديث أخرجه البخاري ١٢٢٩ ، ومسلم ٥٧٣ ، من حديث أبي هريرة وفيه قصة ذي اليمين .

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٦٣) عن أنس بن مالك ؓ .

المعنى : كان في رجائي ذلك ، والإنشاء لا يتصف بالصدق ولا كذب وعدم وقوع المترجى لا يعد نقصاً . ودليل وجوب صدقهم عليهم الصلاة والسلام : أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى لتصديقه تعالى لهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى . صدق عبدي في كل ما يبلغ عني . وتصديق الكاذب كذب وهو محال في حقه تعالى ، فملزومه - وهو عدم صدقهم - محال ، وإذا استحال عدم صدقهم وجب صدقهم وهو المطلوب ، لكن هذا الدليل إنما يدل على صدقهم في دعوى الرسالة وفي الأحكام الشرعية ، لأن ذلك هو الذي بلغوه عن الله تعالى ، ولا يدل على صدقهم في غير ذلك ك (قام زيد وقعد عمرو) ولكن يدل عليه دليل الأمانة ، لأنه داخل فيها ، ولو التفت لعموم الأمانة لتضمنت جميع ما بعدها ، وعلم من ذلك أن أقسام الصدق ثلاثة ، المقصود هنا الأولان . وأما الثالث فهو داخل في الأمانة كما علمت .

[٤١٠] وقوله : (وطف له الفطانة) أي : ضم لما تقدم مما يجب لهم : الفطانة وهي التفتن والتمعن لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة . والدليل على وجوب الفطانة لهم عليهم الصلاة والسلام آيات كقوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الأنعام : ٨٣] والإشارة عائدة إلى ما احتج به إبراهيم على قومه في قوله : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [الأنعام : ٧٦ - ٨٢] وكقوله تعالى حكاية عن قوم نوح : ﴿ يَنْبُحُ قَدْ جِئْنَاكُمْ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا ﴾ [هود : ٣٢] أي : خاسمتنا فأطلت جدالنا أو أتيت بأنواعه . وكقوله تعالى : ﴿ وَجَدَلُهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥] أي : بالطريق التي هي أحسن بحيث تشتمل على نوع إرفاق بهم .

[٤١١] ومن لم يكن فطناً بأن كان مغفلاً لا تمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة ، لا يقال هذه الآيات ليست واردة إلا في بعضهم فلا تدل على ثبوت الفطانة لجميعهم ، لأننا نقول : ما ثبت لبعضهم من الكمال يثبت لغيره ، فثبتت الفطانة لجميعهم وإن لم يكونوا رسلاً بل أنبياء فقط ، فاللائق بمنصب النبوة أن يكون عندهم من الفطانة ما يردون به الخصم على تقدير وقوع جدال منهم ، ففي قول الشارح : « والظاهر اختصاص هذا الواجب بالرسول » نظر ، بل الظاهر العموم ، نعم الواجب للأنبياء مطلق الفطنة ، وأما الرسول فالواجب لهم كمال الفطنة .

٦٠ - وَمِثْلُ ذَا تَبْلِيغُهُمْ لَمَّا أَتَوْا وَيَسْتَجِيلُ ضِدْهَا كَمَا زَوَّارُ [٤١٢-٤١٦]

[٤١٢] قوله : (ومثل ذا تبليغهم) أي : ومثل الواجب المتقدم : تبليغهم ، وقد عرفت أن الوجوب هنا بالدليل الشرعي لا العقلي خلافاً لما جرى عليه الشارح .

[٤١٣] وقوله : (لما أتوا) أي : جاءوا به عن الله تعالى ، ففي كلامه حذف العائد المجرور مع انتفاء شرطه : وهو أن يجر بما جر به الموصول للضرورة ، والمراد ما أتوا بقيد أن يكون مما أمروا بتبليغه للخلق بخلاف ما أمروا بكتمانهم وما خيروا فيه ، فالأقسام ثلاثة .

[٤١٤] والدليل على وجوب تبليغهم عليهم الصلاة والسلام أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكُتِّمَ مأمورين بكتمان العلم ؛ لأن الله تعالى أمرنا بالاعتداء بهم ، واللازم باطل لأن كاتم العلم ملعون ؛ ولو جاز عليهم كتمان شيء لكتّم رئيسهم الأعظم ﷺ قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ [الأحزاب : ٣٧] وأصح محامله ما نقله من يعول عليه في التفسير عن علي بن الحسين ^(١) من أن الله تعالى كان أعلم نبيه ^(٢) أن زينب ^(٣) ستكون من أزواجه ، فلما شكاهوا إليه زيد ^(٤) قال له : أمسك عليك زوجك

التبليغ :
وجوب
التبليغ في
حق الرسل

(١) هو : زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حدث عن أبيه الحسين الشهيد ، وكان معه يوم كربلاء وله ثلاث وعشرون سنة ، وكان يومئذ موعوكا فلم يقاتل ولا تعرضوا له ، بل أحضروه مع آله إلى دمشق فأكرمهم يزيد ، ورده مع آله إلى المدينة .

حدث عنه : أولاده : محمد ، عمر ، وزيد المقتول وعبد الله ، وعمر بن دينار والزهري وزيد بن أسلم وغيرهم . قال ابن سعد : هو علي الأصغر ، وأما أخوه علي الأكبر ، فقتل مع أبيه بكربلاء .

وكان علي بن الحسين ثقة « مأموناً » كثير الحديث عالماً ، رفيقاً ، ورعاً . اختلف في سنة وفاته فقيل سنة ٩٢ وقيل ٩٣ وقيل ٩٤ وقيل ٩٥ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء ٣٣٢/٥ ، تذكرة الحفاظ ٧٤/١ ، تهذيب الكمال ٢٣٧/١٣) .

(٢) ففي الحديث عن علي بن الحسين قال : كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال : اتق الله وأمسك عليك زوجك قال تعالى ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ أخرجه ابن جرير الطبري في التفسير (١١/٢٢) والبيهقي في الدلائل (٤٦٦/٣) .

(٣) هي : أم المؤمنين زينب بنت جحش الأسدية ، تزوجها النبي ، سنة ثلاث وقيل خمس وكانت من سادة النساء ، ديناً وورعاً وجوداً ومعروفاً ، رضي الله عنها ، وحديثها في الكتب الستة توفيت في سنة عشرين ، وصلى عليها عمر . (انظر : الإصابة ٩٣/٨ ، أسد الغابة ١٢٥/٧ ، ابن سعد ١١١/٨ ، الذهب في الأعلام ٤٨٠/٣) .

(٤) هو : زيد بن حارثة بن شراحيل أبو أسامة الكلبي ، سيد الموالى ، وأسبقهم إلى الإسلام وحب رسول الله ﷺ ، وأبو حبه ، وما أحب ﷺ إلا طيباً ، ولم يسم الله تعالى في كتابه صحابياً باسمه إلا زيد بن حارثة . قتل ﷺ شهيداً في غزوة مؤتة وكانت سنة ثمان وهو ابن خمس وخمسين سنة . (انظر : الإصابة ٢٨٨/٣ ، والاستيعاب ٤٧/٤) .

واتق الله وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها ، والله مبدي ذلك بطلاق زيد لها وتزوجها له ﷺ ومعنى الخشية استحياءه ﷺ من الناس أن يقولوا : تزوج زوجة ابنه أي من تبناه ، فعاتبه الله على هذا الاستحياء لعلو مقامه وما قيل من أنه ﷺ تعلق قلبه بها وأخفاه فلا يلتفت إليه وإن جل ناقلوه ، فإن أدنى الأولياء لا يصدر عنه مثل هذا الأمر ، فما بالك به ﷺ وهذا الذي نعتقد وندين الله به كما نقله السنوسي في كتبه .

[٤١٥] قوله : (ويستحيل ضدها) أي : ويستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام ضد الصفات الأربعة الواجبة في حقهم ، فضعف الأمانة : الخيانة ، وضد الصدق : الكذب ، وضد الفطانة : الغفلة وعدم الفطنة ، وضد التبليغ : كتمان شيء مما أمروا بتبليغه .

المستحيل ، ما
يستحيل في
حق الرسل

[٤١٦] ومعنى استحالتها : عدم قبولها الثبوت لكن بالدليل الشرعي ، كما أشار إليه بقوله : « كما رووا » فإن المعنى : لما رواه العلماء من كتاب وسنة وإجماع .

٦١ - وجائز في حقهم كالأكل والجماع للنساء في الحل [٤١٧ - ٤٢٦]

[٤١٧] قوله : (وجائز) إلخ لما قدم الكلام على الواجب في حق الرسل والمستحيل كذلك شرع في الكلام على الجائز في حقهم لأنه كالركب من الواجب والمستحيل فإنه ما يجوز وجوده لهم وعدمه .

[٤١٨] وقوله : (في حقهم) أي : على ذاتهم ، ف (في) بمعنى على و (حق) بمعنى الذات ، والضمير للرسل وكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقوله (كالأكل) أي : مثل الأكل ، فالكاف اسم بمعنى مثل ، مبتدأ مؤخر قد تقدم خبره وهو (جائز) ويصح أن يكون فاعلاً به سد مسد الخبر على رأي من لا يشترط الاعتماد على استفهام أو نحوه ، كما في قوله (خبير بنو لهب) .

[٤١٩] وقوله : (كالجَماع للنساء) بالقصر للوزن وإنما كرر المثال إشارة إلى أنه لا فرق بين أن يكون الجائز في حقهم من توابع الصحة التي لا يستغنى عنها عادة كالأكل والشرب والنوم ، أو التي يستغنى عنها كالجَماع للنساء ، فإنه يستغنى عنه بدون حبس النفس حبساً شديداً ، بناء على أنه من باب التفكه ، أو بحبس النفس حبساً شديداً بناء على أنه من باب القوت .

[٤٢٠] وقوله : (في الحل) أي : في حال الحل بمعنى الجواز بأن كان بالملك أو بالنكاح ، فيجوز لهم الوطء بالملك ولو للأمة الكتابية بخلاف المجوسية ونحوها كالوثنية .

[٤٢١] وخالف ابن العربي في الأمة الكتابية معللاً بأنه ﷺ شريف عن أن يضع نطفته في رحم كافرة ، وبأنها تكره صحبتته . وأما الأمة المسلمة بالملك فجائزة باتفاق ، ويجوز لهم الوطء بالنكاح لما عدا الكتابية والمجوسية ، وما عدا الأمة ولو مسلمة ، لأنها إنما تنكح لخوف العنت ولعدم الطول أي : المهر ، وكل منهما منتف : أما الأول فللعصمة ، وأما الثاني فلأنهم واجدون للطول أي : المهر ، على أنه يجوز للنبي أن يتزوج بدون مهر ، ويعلم من قوله في (الحل) أنهم عليهم الصلاة والسلام لا يطئونهن صائمات صوماً مشروعاً ولا معتكفات كذلك ولا حائضات ولا نساء ولا محرمات .

[٤٢٢]
الاحتلام :
حكمه في
حق الرسل
ولا يجوز الاحتلام عليهم كما صححه النووي ، لأنه من الشيطان ، وقد ورد « ما احتلم نبي قط » (١) نعم إن كان مجرد فيضان ماء من غير تلاعب من الشيطان فلا مانع منه ، ومثل ما ذكره المصنف من الأكل والجماع سائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ، ومنه الإغماء فيجوز عليهم .

[٤٢٣]
الإغماء :
حكمه في
حق الرسل
وقيد أبو حامد الإغماء بغير الطويل ، وجزم به البلقيني (٢) ، بخلاف الجنون قليله وكثيره ، لأنه نقص ، وكالجنون : الجذام والبرص والعمى وغير ذلك من الأمور المنفرة ، فلم يعم نبي قط ، ولم يثبت أن شعيبا كان ضريزا ، وما كان يعقوب فهو حجاب على العين من تواصل الدموع ، ولذلك لما جاءه البشير عاد بصيرا ، وما كان بأيوب من البلاء فكان بين الجلد والعظم ، فلم يكن منفرا ، وما اشتهر في القصة من الحكايات المنفرة فهي باطلة .

[٤٢٤]
السهو :
حكمه في
حق الرسل
وأما السهو فممتنع عليهم في الأخبار البلاغية كقولهم الجنة أعدت للمتقين ، وعذاب القبر واجب وهكذا . وغير البلاغية كـ (قام زيد وقعد عمرو) وهكذا ، وجائز عليهم في الأفعال البلاغية وغيرها كالسهو في الصلاة للتشريع ، لكن لم يكن سهوهم ناشئا عن اشتغالهم بغير ربهم ، ولذا قال بعضهم :

يا سائلي عن رسول الله كيف سها والسهو من كل قلب غافل لاه
قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله

[٤٢٥]
النسيان :
حكمه في
حق الرسل
وأما النسيان فهو ممتنع في البلاغيات قبل تبليغها ، قولية كانت أو فعلية ، فالقولية كالجنة أعدت للمتقين ، والفعلية كصلاة الضحى إذا أمرهم الله بفعلها ليقتنى بهم فيها ، فلا يجوز نسيان كل منهما قبل تبليغ الأولى بالقول والثانية بالفعل ، وأما بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من الله تعالى ،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١٥٦٤) بسند ضعيف جدًا وأخرجه ابن عدي في الكامل (٩٥٩/٣) عن ابن عباس .

(٢) هو : عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكنانى العسقلاني الأصل ، ثم البلقيني المصري الشافعي شيخ الإسلام الفقيه المجتهد وبلقينة من بلاد الغربية بمصر . له تصانيف منها : تصحيح المنهاج في فروع الشافعية ، ومحاسن الاصطلاح في الحديث ، توفي سنة ٨٠٥ هـ . (انظر : الضوء اللامع ٨٥/٦ ، وشنرات الذهب ٥١/٧ ، والأعلام ٤٦/٥) .

وأما نسيان الشيطان فمستحيل عليهم ، إذ ليس للشيطان عليهم سبيل . وقول يوشع : ﴿ وَمَا أَسْنَيْنِي إِلَّا الشَّيْطَانُ ﴾ [الكهف : ٦٣] تواضع منه ، أو قبل نبوته وعلمه بحال نفسه ، وإلا فهو رحماني بشهادة ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾ [الكهف : ٦٤] وسوسة الشيطان لآدم بتمثيل ظاهري ، والممنوع لعبه ببواطنهم ، وبالجملة فيجوز على ظواهرهم ما يجوز على البشر مما لا يؤدي إلى نقص . وأما بواطنهم فمنزهة عن ذلك متعلقة بربهم . [٤٢٦] وفي المتن : كان معروف الكرخي ^(١) يقول : لي ثلاثون سنة في حضرة الله تعالى ما خرجت ، فأنا أكلم الله والناس يظنون أنني أكلمهم اهـ . فإذا كان هذا حال أحد الأتباع ، فما بالك بالأنبياء ، خصوصاً رئيسهم الأعظم ﷺ .

(١) هو : معروف بن فيروز الكرخي أبو محفوظ أحد أعلام المتصوفين ، / كان من موالى الإمام علي الرضا ، وقد أفرد ابن الجوزي أخباره ومناقبه بالتصنيف . توفي سنة ٢٠٠ هـ . (انظر : الأعلام ٢٩٦/٧) .

٦٢ - وَجَامِعٌ مَعْنَى الَّذِي تَقَرَّرَا شَهَادَاتَا الْإِسْلَامِ فَأَطْرَحَ الْمَرَا [٤٢٧ - ٤٣٦]
 [٤٢٧] قوله (وجامع ...) إلخ لما فصل ما يجب لله وما يستحيل وما يجوز وما
 يجب للرسول وما يستحيل وما يجوز : ذكر ما يتضمن ذلك ، و « جامع » مبتدأ
 لاعتماده على موصوف محذوف ، والتقدير : وشيء جامع ، « وشهادتا الإسلام » فاعل
 سد مسد الخبر .

[٤٢٨] وقوله : (معنى الذي تقرر) بألف الإطلاق : أي معنى هو الذي تقرر في
 ذهن السامع ، فالإضافة للبيان ، ويصح أن تكون الإضافة حقيقة : أي معنى ما تقرر من
 الألفاظ في موضعه المخصوص من الكتاب ، وعلى كل فذلك المعنى هو جميع العقائد
 الإيمانية مما يرجع إلى الألوهية والنبوة وجوبًا وجوازًا واستحالة ، والمعنى : ما يعني : من
 اللفظ ويسمى مفهومًا باعتبار كونه يفهم منه ومدلولًا باعتبار كون اللفظ يدل عليه .
 [٤٢٩] وقوله : (شهادتا الإسلام) أي : الشهادتان الدلتان على الإسلام الذي هو
 الانقياد الظاهري كما تقدم ، فالإضافة في كلامه من إضافة الدال للمدلول : أو اللتان
 هما سبب في الإسلام ، فالإضافة في كلامه من إضافة السبب للمسبب ، أو اللتان هما
 الجزء الأعظم من مسمى الإسلام ، بناء على أن الهيئة المركبة من الأركان الخمسة
 المذكورة في حديث « بني الإسلام على خمس » فالإضافة في كلامه من إضافة الجزء
 للكل ، والجامع لما تقدم من العقائد إنما هو معنى الشهادتين لا لفظهما ، فكلام المصنف
 على حذف مضاف : أي معنى شهادتي الإسلام كما أشار إليه الشارح ، ومعنى جمعه
 لها : استلزامه لها لأن اللزوم يصح وصفه بجمعه للوازمه بالنظر لدلالته عليها .

[٤٣٠] وقوله : (فاطرح المرأ) تكملة : أي : إذا علمت أن كلمتي الشهادتين
 جمعتا جميع ما تقرر من العقائد الإيمانية ، فترك الجدال في صحة جمعها لما ذكر ،
 وبيان ما ذكره : أن الجملة الأولى نفت الألوهية عن غيره تعالى وأثبتتها له تعالى ،
 وحقيقة الألوهية العبادة بحق ، ويلزم منها استغناء الإله عن كل ما سواه ، وافتقار كل ما
 عداه إليه ، فحقيقة الإله : المعبود بحق ، ويلزم منه أنه مستغن عن كل ما سواه ومفتقر
 إليه كل ما عداه ، فمعنى لا إله إلا الله الحقيقي : لا معبود بحق في الواقع إلا الله .
 ومعناها بطريق اللزوم : لا مستغنيًا عن كل ما سواه ومفتقرًا إليه كل ما عداه إلا الله .

[٤٣١] فتفسير الشيخ السنوسي الذي ذكره في الصغرى باللازم لا بالحقيقة ، وإنما
 اختاره لكون استلزامه للعقائد المتقدمة أظهر من استلزام المعنى الحقيقي لها ، فإذا علمت

ذلك فاعلم أن الاستغناء يستلزم وجوب وجوده وقدمه وبقائه ومخالفته للحوادث وقيامه بنفسه وتنزيهه عن النقائص ، ويدخل في ذلك السمع والبصر والكلام ولوازمها : وهي كونه سميعًا وبصيرًا ومتكلمًا ، بناء على القول بالأحوال ، إذ لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجًا إلى المحدث أو المحل أو من يدفع عنه النقائص ، فهذه إحدى عشرة عقيدة من الواجبات ، وإذا وجبت هذه الصفات استحالت أضدادها ، فهذه إحدى عشرة عقيدة من المستحيلات ، يستلزم أيضًا نفي وجوب فعل شيء من الممكنات أو تركه ، وإلا لزم افتقاره إلى فعل ذلك الشيء أو تركه ليتكامل به ، فهذه عقيدة الجائز ، فجملة ما استلزمه الاستغناء ثلاثة وعشرون عقيدة . وأما الافتقار فيستلزم الحياة والقدرة والإرادة والعلم ، ولوازمها : وهي كونه حيًا وقادرًا ومريدًا وعالمًا ، بناء على القول بالأحوال ، ويستلزم أيضًا الوجدانية ، فهذه تسعة من العقائد الواجبات ، ومتى وجبت هذه الصفات استحالت أضدادها فهذه تسعة من العقائد المستحيلات ، فجملة ما استلزمه الافتقار ثمان عشرة عقيدة ، فإذا ضُمت للثلاثة والعشرين السابقة كان المجموع واحدًا وأربعين الواجب له تعالى منها عشرون ، والمستحيل عليه عشرون ، والجائز عليه واحد .

[٤٣٢] فقد اشتملت الجملة الأولى على أقسام الحكم العقلي الثلاثة الراجعة له تعالى ، والجملة الثانية فيها الإقرار برسالاته ، ويلزم منه تصديقه في كل ما جاء به ، ويندرج فيه وجوب صدق الرسل وأمانتهم وفطانتهم وتبليغهم لما أمروا بتبليغه للخلق ، ويندرج فيه أيضًا استحالة الكذب والخيانة والغفلة والكتمان عليهم ، ويندرج فيه أيضًا جواز جميع الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية ، وهذه جملة أقسام الحكم العقلي الثلاثة المتعلقة بالرسل عليهم الصلاة والسلام ، فقد بان لك تضمن كلمتي الشهادة لجميع العقائد المتقدمة ، ولعلمهما لهذا المعنى مع اختصارهما جعلهما الشارع ترجمة عما في القلب من الإيمان ولم يقبل من أحد الإيمان إلا بهما مع القدرة عليهما وقد نص العلماء على أنه لا بد من فهم معناهما ولو إجمالاً ، وإلا لم ينتفع الناطق بهما .

[٤٣٣] وقال بعضهم : الأوسع للذاكر أن يلاحظ أخذهما من القرآن ليثاب عليهما مطلقًا .

[٤٣٤] وقد اختلف العلماء ، هل الأفضل المد أو القصر ، فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بهما بنفي الألوهية عن كل موجود سواه تعالى ، ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى ، وفصل بعضهم بين أن يكون أول كلامه بهما فيقصر ، وإلا فيمد . وأما حذف ألف الله فهو لحن لا يصح معه ذكر ولا

تعتقد معه يمين . واعلم أن النفي منصب على المعبود بحق في الواقع .

[٤٣٥] فالمعنى : انتفى المعبود بحق في الواقع إلا الله كما يصح جعله منصباً على ما في ذهن المؤمن ، لأنه يتصور أفراد المعبود بحق على سبيل الفرض ، ثم يحكم عليها بالنفي إلا الله ، لكن لا يحصل الرد على الكفار إلا باعتبار الواقع ، ولا يصح أن يكون منصباً على ما في ذهن الكافر ، لأن ما في ذهنه من الأصنام ثابت لا يصح نفيه .

[٤٣٦] والتحقيق أن الكلمة المشرفة من قبيل عموم السلب أي : السلب العام لجميع أفراد الإله ما عدا المستثنى ، لأنه يجب على المتكلم بهذه الكلمة أن يلاحظ أن الحكم بالنفي منصب على جميع أفراد الإله غير المستثنى ، لأنه لو جعله شاملاً للمستثنى لكفر ، فقوله : « إلا الله » قرينة على ما أراده أولاً ، لكن جعلها من عموم السلب على خلاف القاعدة من أنه إذا تقدمت أداة السلب على أداة العموم كان الكلام من سلب العموم كما في قولهم « لم آخذ كل الدراهم » فإن الحق أنها قاعدة أغلبية ، ولا يصح أن تكون الكلمة المشرفة من سلب العموم على القاعدة ، لأنها حيث لا تفيد التوحيد . وقول بعضهم إنها من سلب العموم ، محمول على أنها سلبت عموم الألوهية لغير المستثنى وقصرتها على المستثنى ، لكن لا يفيد ذلك جوهر الكلمة المشرفة .

٦٣ - وَلَمْ تَكُنْ نُبُوَّةً مُكْتَسَبَةً وَلَوْ رَقِيَ فِي الْخَيْرِ أَعْلَى عَقْبَهُ [٤٣٧-٤٤٠]

[٤٣٧] قوله : (ولم تكن نبوة مكتسبة) أي : لا يكتسبها العبد بمباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت الفلاسفة لعنهم الله تعالى ، فالذي ذهب إليه المسلمون جميعاً أن النبوة خصيصة من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها ، ويفسرونها باختصاص العبد بسماع وحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا ، وهكذا الرسالة ، لكن بشرط أن يؤمر بالتبليغ .

[٤٣٨] | وذهبت الفلاسفة إلى أن النبوة مكتسبة للعبد بمباشرة أسباب خاصة ، ويفسرونها بأنها صفاء وتجلُّ للنفس يحدث لها من الرياضات بالتخلي عن الأمور الذميمة والتخلق بالأخلاق الحميدة ، فالخلاف بين المسلمين | حكم اكتسابها | والفلاسفة في أن النبوة ليست مكتسبة أو أنها مكتسبة : مبني على الخلاف بينهما في معناها .

[٤٣٩] | والقول باكتساب النبوة أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة وإن لم تكن من المسائل المذكورة في النظم المشهور ، ويلزم على قولهم باكتسابها تجوز نبي بعد سيدنا محمد أو معه ، وذلك مستلزم لتكذيب القرآن والسنة ، فقد قال تعالى : ﴿ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] وقال ﷺ « لا نبي بعدي » ^(١) وأجمعت الأمة على إبقائه على ظاهره .

الولاية : | وأما الولاية ففيها طريقتان ، والأظهر التفصيل ، فمنها ما هو مكتسب وهو أمثال المأمورات واجتناب المنهيات ، وتسمى الولاية العامة ، ومنها ما هو غير مكتسب : وهو العطايا الربانية كالعلم اللدني ورؤية اللوح المحفوظ | أنواعها | حكم اكتسابها | وغير ذلك .

[٤٤٠] | وقوله : (ولو رقى في الخير أعلى عقبة) أي : ولو فعل العبد في الخير أشق العبادات فشبّه أشق العبادات بأعلى عقبة ، وهي في الأصل الطريق الصاعد في الجبل بجامع المشقة في كل ، واستعير لفظ المشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التصريحية ورقى ترشيح للاستعارة ، لأن الرقي معناه الصعود وهو مناسب للمشبه به ^(٢) .

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥) ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة .

(٢) ذهب الفلاسفة إلى أن النبوة مكتسبة بالرياضة والعبادة وأكل الحلال . ويرد عليهم بطرد إبليس ، مع كونه كان أكثر الخلق عبادة . « والله أعلم » حيث يجعل رسالته . (انظر : شرح الصاوي على جوهره التوحيد

٦٤ - بَلْ ذَاكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ لِمَن يَشَاءُ جَلَّ اللَّهُ وَاهِبُ الْمُنِّ [٤٤١ - ٤٤٦]

[٤٤١] قوله : (بل ذاك فضل الله) هذا إضراب انتقالي لا إبطالي ، واسم الإشارة عائد على المذكور من النبوة والفضل إعطاء الشيء لغير عوض لا عاجل ولا آجل ، ولذا لا يكون لغيره تعالى ، وفي الكلام حذف مضاف ، والتقدير بل المذكور من النبوة أثر فضل الله .

[٤٤٢] وقد فسر الشارح اسم الإشارة بالاصطفاء للنبوة والاختيار للرسالة ، وعليه فلا حاجة لتقدير المضاف المذكور . وإن قدره الشارح مع ذلك التفسير ، لأن الاصطفاء للنبوة والاختيار للرسالة جزئي من جزئيات فضل الله لا أثره .

وقوله : (يؤتيه لمن يشاء) أي : آتاه وأعطاه لمن شاء ، وأراد في الأزل لذلك من كان مستجعماً لشروط النبوة ، فالمراد بالمضارع الماضي فيهما ، وإنما عبر بالمضارع استحضاراً للصورة العجيبة وإنما كان المضارع بمعنى الماضي في الأول ، لأن إتياء النبوة قد انقطع بعده ، فإنه خاتم النبيين ، وفي الثاني لأن مشيئته وإرادته تعالى لذلك ثابتة في الأزل ، وإن تأخر الإتياء بالفعل فيما لا يزال ، والضمير المنصوب في (يؤتيه) عائد على الفضل بمعنى المتفضل به لا بالمعنى السابق ، ففي الكلام استخدام ، وإنما قلنا ذلك لأن الفضل بالمعنى السابق لا يتصف بذلك .

[٤٤٣] قوله : (جل الله) أي : تنزه الله عن أن ينال شيء لم يكن أراد إعطاءه .

[٤٤٤] وقوله : (واهب المنن) أي : معطي العطايا بدون عوض ، فالواهب بمعنى المعطي بدون عوض ، والمنن بمعنى العطايا أي : الأمور التي تتول إلى كونها عطايا ، ففي كلامه مجاز الأول ، وإلا لزم تحصيل الحاصل كما في قوله ﷺ « من قتل قتيلاً فله سلبه »^(١) أي : من قتل شخصاً يقول أمره إلى كونه قتيلاً فله سلبه كذا قيل .

والحق أنه ليس من المجاز في شيء ولا يلزم تحصيل الحاصل لأن المراد : من قتل قتيلاً بهذا القتل لا بغيره ، حتى يلزم ما ذكر .

[٤٤٥] ولذلك شنع السبكي في عروس الأفراح على من جعل الحديث المذكور من مجاز الأول ، فالمراد هنا العطايا بهذا الإعطاء .

[٤٤٦] قال الشارح : وظاهر السياق أن المرد بالمنن الكاملة كالنبوة : أي فتكون « أل » للعهد ، والمعهود النوع الكامل منها والأحسن أن تكون للاستغراق ، فإنه تعالى

(١) أخرجه البخاري (٤٣٢١) ومسلم (١٧٥١) عن أبي قتادة .

واهـب لجميع المنـن جليلها وحـقيرها . وبقي أنه قد تقرر أن أسماء الله تعالى توقيفية ، مع أن (الواهـب) لم يرد ، وإنما الوارد في الأسماء الوهاب ، وحيثـذ فكيف يطلق المصنف الواهـب عليه تعالى ، وقد يقال : إن المصنف جار على طريقة من يكتفي بورود المادة أو على طريقة من يجـوز إطلاق كل ما يدل على الكمال ، وإن لم يرد ، وهذا على تسليم عدم ورود (الواهـب) وأما على وروده كما عزاه بعضهم لابن حجر في شرحه على المنهاج في باب العقيدة فلا إشكال .

٦٥ - وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا فَمِيلَ عَنِ الشَّقَايِ [٤٤٧ - ٤٤٩]

[٤٤٧] قوله : (وأفضل الخلق على الإطلاق نبينا) أي أفضل المخلوقات على
أفضلية العموم الشامل للعلوية والسفلية من البشر والجن والملك في الدنيا والآخرة
النبي ﷺ في سائر خصال الخير وأوصاف الكمال : نبينا محمد ﷺ والأولى أن

(أفضل الخلق) خبر مقدم و (نبينا) مبتدأ مؤخر ، ويصح العكس ، والإضافة في
(نبينا) لتشريف المضاف إليه لا للاختصاص لما سيأتي من عموم بعثته ﷺ هذا إذا جعل
الضمير راجعاً لهذه الأمة ، وإن جعل راجعاً لما يشمل هذه الأمة وغيرها كان عاماً
مطابقاً لما سيأتي من عموم بعثته وأفضليته ﷺ على جميع المخلوقات مما أجمع عليه
المسلمون حتى المعتزلة فهو ﷺ مستثنى من الخلاف الآتي في التفضيل بين الملائكة
والبشر ، ولا عبرة بما زعمه الزمخشري من تفضيل جبريل ﷺ مستدلاً بقوله تعالى :
﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٤٠] حيث عُدَّ فيه فضائل جبريل ، فإنه وصف فيه
بأنه رسول كريم إلى قوله : ﴿ آمِينَ ﴾ واقتصر على نفي الجنون عنه ﷺ بقوله تعالى :
﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ [التكوير : ٢٢] وقد خرق في ذلك الإجماع ، ولا دلالة في
الآية لما ادعاه ، لأن المقصود منها نفي قولهم : ﴿ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] .
وقولهم : ﴿ أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ [سبا : ٨] وليس المقصود المفاضلة
بينهما ، وإنما هو شيء اقتضاه الحال ولا عبرة بما قد يتوهم من تفضيل جبريل عليه ،
لكونه كان يعلمه ، فكم من معلم بالفتح أفضل من معلم بالكسر على أنه قد ذكر الشيخ
ابن العربي في الفتوحات أن القرآن أنزل عليه ، قبل نزول جبريل به عليه ، لكن قال
الشيخ الشعراني بعد أن نقل ذلك عنه ، وفيه نظر ، ولم أطلع على ذلك في حديث والله
أعلم ^(١) ، وما ورد من النهي عن تفضيله ، كقوله : « لا تفضلوني على الأنبياء » ^(٢)

(١) أجمع المسلمون على أن محمداً ، أفضل الخلق على الإطلاق ، لم يخالف في ذلك سوى الزمخشري الذي
خرق الإجماع ، وقال بتفضيل جبريل على محمد ، مستدلاً بما في سورة التكوير من قوله تعالى : « إنه لقول رسول
كريم الآية حيث وصف جبريل بأنه رسول كريم إلى قوله ... ثم آمين ، واقتصر في وصف محمد على قوله : ﴿ وَمَا
صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴾ فرد عليه بأن القرآن في أعلى طباق البلاغة وهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فإن كلام الكفار
كان في الوسطة الذي كان يأخذ عنه النبي ، حيث قالوا : إنما يعلمه بشر ، وقالوا : إن به جنة ، أي أخذ عن الجن ،
فرد عليهم المولى بمدح الوسطة ، وبراءة المصطفى مما يقولون ، فإنه كان معروفاً بينهم بالصادق الأمين ، قال تعالى
﴿ أَمْ لَمْ يَرَوْا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَكُونُوا ﴾ . انظر : شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (٢٩٠ ، ٢٩١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٤١١ ، ٧٤٧٢) ومسلم (٢٣٧٣) عن أبي هريرة ؓ .

وقوله : « لا تفضلوني عن يونس بن متى » والتحقيق أن متى اسم أبيه ، خلافاً لعبد الرزاق (١) كما رجحه بن حجر (٢) . وقوله ﷺ : « لا تخبروني على موسى » ونحو ذلك فمحمول على تفضيل يؤدي إلى تنقيص غيره من الأنبياء ، أو أنه قال قبل أن يعلم أنه أفضل . ويحتمل أنه قاله تأدباً وتواضعاً ، وقيل : معنى لا تفضلوني على يونس بن متى لا تعتقدوا أنني أقرب إلى الله من يونس في الحس ، حيث ناجيت الله من فوق السموات السبع وهو ناجى ربه في بطن الحوت في قاع البحر لتنزّهه تعالى عن الجهة والمكان ، فيستوي في حقه من فوق السموات ومن في قاع البحر ، وعدم التفضيل بهذا الاعتبار لا ينافي أنه ﷺ أفضل الجميع ، وقد قال ﷺ : « أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر » (٣) أي ولا فخر أعظم من ذلك ، أو ولا أقول ذلك فخراً ، بل تحدثاً بالنعمة ، واختلف هل أفضليته ، لمزاياه التي اختص بها أو بتفضيل من الله تعالى .

[٤٤٨] والتحقيق أنه بتفضيل من الله تعالى وإن كنا نعتقد أنه ، قام به مزايا لكنها لا تقتضي التفضيل ، ولذلك يقولون : يوجد في المفضل ما لا يوجد في الفاضل ، فللسيد أن يفضل من شاء على من شاء ، وغير هذا تعسف لا يسلم من سوء الأدب .

[٤٤٩] قوله : (فمل عن الشقاق) أي : إذا عرفت هذا الحكم المجمع عليه فاعدل عن المنازعة فيه ، لأنه لا تجوز المنازعة في الحكم المجمع عليه ، إذ لا يجوز خرق الإجماع . وقد أشار المصنف بذلك لمنازعة الزمخشري ، وإنما سميت المنازعة شقاقاً ، لأن كلا من المتنازعين يكون في شق : أي جانب لا يكون فيه الآخر .

(١) هو : عبد الرزاق بن همام الصنعائي أحد الأئمة الأعلام الحفاظ صاحب المصنف المشهور باسمه ، وله تفسير القرآن ، توفي سنة ٢١١ هـ . (انظر : تهذيب التهذيب ٦/٣١٠ ، ووفيات الأعيان ١/٣٠٣) .

(٢) انظر : فتح الباري ٦/٤١٥ .

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٠) وقال حسن غريب ، عن أنس بن مالك ؓ .

٦٦ - وَالْأَنْبِيَاءُ يُلَوْنُهُ فِي الْفَضْلِ وَتَقْدَهُمْ مَلَائِكَةُ ذِي الْفَضْلِ [٤٥٠ - ٤٥٧]
 [٤٥٠] قوله : (والأنبياء يلونه في الفضل) أي : والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يتبعون نبينا
 محمداً ﷺ في الفضل ؛ فمرتبتهم بعد مرتبته ﷺ فيه ، وإن تفاوتوا فيها فيليه سيدنا إبراهيم ،
 فسيدنا موسى ، فسيدنا عيسى ، فسيدنا نوح ، وهؤلاء هم أولوا العزم أي : الصبر وتحمل المشقاق .
 وقد نظم بعضهم أولي العزم على هذا الترتيب فقال :

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم
 وليس آدم منهم ، لقوله تعالى : ﴿ وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴾ [طه : ١١٥] ويلي أولي
 العزم بقية الرسل ، ثم الأنبياء غير الرسل مع تفاوت مراتبهم عند الله تعالى .
 [٤٥١] فالواجب اعتقاد أفضلية الأفضل على طبق ما ورد به الحكم : تفصيلاً في
 التفصيلي ، وإجمالاً في الإجمالي ، ويمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف .

[٤٥٢] وقوله : (وبعدهم ملائكة ذي الفضل) بإسكان التاء ، وإدغامها في الذال
 للوزن ، و (ذي الفضل) صفة للفظ الجلالة المقدر . أي وبعد الأنبياء ملائكة الله ذي
 الفضل ، فمرتبتهم تلي مرتبة الأنبياء في الجملة ، وإنما قلنا في الجملة لأن الذي يلي مرتبة
 الأنبياء من الملائكة رؤسائهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، ثم بقية الملائكة .
 [٤٥٣] وقد اتفقوا على أن جبريل وميكائيل أفضل جميع الملائكة ، ثم اختلفوا في
 الأفضل منهما ، فقيل : إن جبريل أفضل وهو المشهور ، وقيل : إن ميكائيل أفضل ، وما
 ذكر من أن الملائكة رؤساء وغيرهم تلي الأنبياء : طريقة جمهور الأشاعرة وهي
 مرجوحة ، وستأتي طريقة الماتريدية وهي الراجحة .

[٤٥٤] وذهب القاضي أبو عبد الله الحلبي ^(١) مع آخرين كالمعتزلة إلى أن
 الملائكة أفضل من الأنبياء إلا نبينا ، لما تقدم من أنه مستثنى من محل الخلاف معللين
 بتجردهم عن الشهوات ، ورد بأن وجودها مع قمعها أتم ، فقد قال : « أحب الأعمال
 إلى الله أحمرها » ^(٢) بسكون الحاء المهملة وبعد الميم زاي : أي أشقها .

(١) هو : الحسين بن الحسن بن محمد الشافعي أبو عبد الله ، القاضي أحد فقهاء الشافعية ، كان رئيس أهل
 الحديث في بلاد ما وراء النهر . توفي سنة ٤٠٣ هـ في بخارى من تصانيفه : المنهاج في شعب الإيمان .
 (انظر : سير أعلام النبلاء ١٣/١٤١ ، والأعلام ٢/٢٣٥) .

(٢) ذكره الزمخشري في غريب الحديث ١/٣١٩ ، وقد نقل السخاوي في المقاصد الحسنة ص ٦٩ عن الحافظ
 المزني قوله : هو من غرائب الأحاديث ولم يرو في شيء من الكتب الستة .

[٤٥٥] قال السعد : ولا قاطع في هذه المقامات .

[٤٥٦] ولذلك قال تاج الدين ابن السبكي ليس تفضيل البشر على الملك مما يجب اعتقاده ويضر الجهل به ، والسلامة في السكوت عن هذه المسألة ، والدخول في التفضيل بين هذين الصنفين الكريمين على الله تعالى من غير دليل قاطع دخول في خطر عظيم وحكم في مكان لسنا أهلاً للحكم فيه .

[٤٥٧] واعلم أن الملائكة أجسام لطيفة نورانية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة الملائكة؛ في أشكال حسنة ، شأنها الطاعة ومسكنها السموات غالباً ، ومنهم من تعريفها يسكن الأرض ، يسبحون الليل والنهار لا يفترون ولا يعصون الله ما

أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة ، فمن وصفهم بذكورة فسق ، ومن وصفهم بأنوثة كفر لمعارضته قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ [الزخرف : ١٩] وأولى بالكفر من قال : خنثى ، لمزيد التنقيص .

٦٧ - هَذَا وَقَوْمٌ فَضَّلُوا إِذْ فَضَّلُوا وَبَعْضُ كُلِّ بَعْضُهُ قَدْ يُفْضَلُ [٤٥٨-٤٦١]

[٤٥٨] قوله : (هذا) مفعول لمحذوف أي : افهم هذا ، ويصح غير ذلك كما تقدم في نظيره ؛ واسم الإشارة عائد على المذكور من تفضيل الأنبياء على الملائكة وتفضيل الملائكة على بقية البشر من غير تفصيل كما هو طريقة جمهور الأشاعرة المرجوحة ، وإنما قدمها الناظم لأنه وضع منظومته على مذهبه .

[٤٥٩] وقوله : (وقوم فضلوا إذ فضلوا) أي : وقوم من الماتريدية فصلوا بين رؤساء الملائكة وعوامهم وعوام البشر حين فضلوا بين الفريقين فقالوا : الأنبياء أفضل من رؤساء الملائكة كجبريل وميكائيل ، ورؤساء الملائكة أفضل من عوام البشر وهم أولياؤهم غير الأنبياء كأبي بكر ^(١) وعمر ^(٢) ؛ وليس المراد بعوام البشر ما يشمل الفساق ، فإن الملائكة أفضل منهم على الصحيح

المفاضلة
بين
الملائكة
والبشر

وعوام البشر المذكورون أفضل من عوام الملائكة وهم غير رؤسائهم كحملة العرش وهم أربعة الآن ، فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى . قال تعالى : ﴿ وَيَجْلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مَنَيْنَةٌ ﴾ [الحاقة : ١٧] . لمزيد الجلال عليه يوم القيامة ، وكالكرويين بفتح الكاف وتخفيف الراء وهم ملائكة حافون بالعرش طائفون به ، لقبوا بذلك لأنهم متصدون للدعاء برفع الكرب عن الأمة . وقيل غير ذلك ، وقد علمت أن هذه الطريقة هي الراجحة .

[٤٦٠] فإن قيل : يلزم عليها تفضيل غير المعصوم على المعصوم أوجب بأن العصمة لا دخل لها في التفضيل ، فلا ينظر لها فيه ، وإنما ينظر للأكثرية في الثواب على العبادة ، فعوام البشر أكثر ثواباً من عوام الملائكة لحصول المشقة لعوام البشر في عبادتهم ، بخلاف عوام الملائكة فإن جيلتهم الطاعة فلا يحصل لهم فيها مشقة .

[٤٦١] قوله : (وبعض كل بعضه قد يفضل) « بعض » بالرفع مبتدأ « وبعضه »

(١) هو : اسمه عبد الله ويقال : عتيق بن أبي قحافة عثمان القرشي التيمي ، صاحب رسول لله وأحد السابقين الأولين وال عشرة المبشرين بالجنة وصاحب رسول الله في الغار ورفيقه في الهجرة وأحب خلق الله من الرجال إلى قلب رسول الله ، وخليفة المسلمين من بعده . توفي ^(١) سنة ١٣ هـ . (انظر : أسد الغابة ٤/٢٩٥ ، تاريخ الطبري ٣/٢٧٨ ، طبقات ابن سعد ٣/١٢٤ ، سير أعلام النبلاء ٢/٤٦٧) .

(٢) هو : أمير المؤمنين وخليفة خليفة رسول رب العالمين ، فاروق الأمة عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى أبو حفص القرشي العدوي ، روى عن النبي ^(ﷺ) وعنه : علي وابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة ، وعدة من الصحابة ، ومناقبه ^(١) كثيرة شهيرة . قتل شهيداً سنة ٢٣ هـ ^(٢) وأرضاه . (انظر : سير أعلام النبلاء ٢/٥٠٩ ، طبقات ابن سعد ٣/٢٧٥ ، الإصابة ٣٠٣ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٢٨) .

بالنصب مفعول مقدم ليفضل الواقع بعده ، والجملة خبر المبتدأ : أي وبعض كل من الأنبياء والملائكة قد يفضل بعضه الآخر . و « قد » للتحقيق ، فبعض الأنبياء كأولي العزم أفضل من بعضهم الآخر ، وبعض الملائكة كرؤسائهم أفضل من بعضهم الآخر ، وتلخيص ما أشار إليه الناظم أولاً وآخرًا مع الجري على الطريقة الراجعة في التفضيل : أن سيدنا محمدًا ﷺ أفضل الخلق على الإطلاق ، يليه سيدنا إبراهيم ، ثم سيدنا موسى ، ثم سيدنا عيسى ثم سيدنا نوح ، وهؤلاء هم أولي العزم كما تقدم ، ثم بقية الرسل ، ثم الأنبياء غير الرسل ، وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله ، ثم جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم بقية رؤسائهم ، ثم عوام البشر ، ثم عوام الملائكة وهم متفاضلون فيما بينهم عند الله أيضًا ، وسبق أنه يمتنع الهجوم فيما لم يرد فيه توقيف ، ولهذا أبهم الناظم في الفاضل والمفضول حيث قال : « وبعض كل بعضه قد يفضل » .

٦٨ - بالمعجزات أَيْدُوا تَكْرُمًا وَعِصْمَةُ الْبَارِي لِكُلِّ حَتْمًا [٤٦٢-٤٦٥]

[٤٦٢] قوله : (بالمعجزات أيدوا) الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده : أي أيدهم الله تعالى بالمعجزات ، حيث أظهرها على أيديهم تصديقاً لهم في دعوى النبوة والرسالة ، وفيما بلغوه عن الله تعالى لأنها نازلة منزلة قوله تعالى : « صدق عبدي في كل ما يبلغ عني » و « أل » في المعجزات للجنس ، فاندفع ما يوهمه ظاهر النظم من أنه لا بد في ثبوت النبوة والرسالة من عدد من المعجزات ، وليس كذلك ، إذ الواحدة تكفي ، ويصح أن تكون للاستغراق ، ويكون من مقابلة الجمع بالجمع ، كما في قولك « لبس القوم ثيابهم » أي : لبس كل واحد ثوبه الخاص به ولو واحداً ، وقوله (تكرمًا) أي : تفضلاً وإحساناً من غير إيجاب ولا وجوب. وأشار بذلك إلى الرد على من أوجب عليه تعالى المعجزة كما أوجب عليه الإرسال ، وإلا لبطلت فائدة الإرسال ، وذلك مبني على قولهم بوجوب الصلاح والأصلح المبني على قاعدتهم الباطلة وهي قولهم بالتحسين والتقبيح العقليين ، فالحق أنه لا يجب على الله شيء لأحد من خلقه ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

<p>المعجزة : واعلم أن المعجزة لغة : مأخوذة من العجز وهو ضد القدرة . وعرفاً : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم أنواعها</p>	<p>المعارضة .</p>
--	-------------------

[٤٦٣] وقال السعد : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مدعي النبوة عند تحدي المنكرين على وجه يُعْجِزُ المنكرين عن الإتيان بمثله ، وقد اعتبر المحققون فيه سبعة قيود .

الأول : أن تكون قولاً أو فعلاً أو تركاً ، فالأول كالقرآن ، والثاني كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ ، والثالث كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم ، وخرج بذلك الصفة القديمة ، كما إذا قال : آية صدقي كون الإله متصفاً بصفة الاختراع .

والثاني : أن تكون خارقة للعادة وهي ما اعتاده الناس واستمروا عليه مرة بعد أخرى ، وخرج بذلك غير الخارق ، كما إذا قال : آية صدقي طلوع الشمس من حيث تطلع وغروبها من حيث تغرب .

المعجزة : الثالث : أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة ، وخرج بذلك الكرامة الفرق بينها وبين غيرها من الأمور الخارقة للعادة وهي ما يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح والمعونة وهي ما يظهر على يد العوام تخليصاً لهم من شدة ، والاستدراج وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به ، والإهانة وهو ما يظهر على يده تكذيباً له كما وقع لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين أعور لتبرأ فعميت الصحيحة .

والرابع : أن تكون مقرونه بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير ، وخرج بذلك الإرهاص : وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإضلال الغمام له ﷺ قبل البعثة (١) .

والخامس : أن تكون موافقة للدعوى وخرج بذلك المخالف لها ، كما إذا قال : آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل .

والسادس : أن لا تكون مكذبة له وخرج بذلك ما إذا كانت مكذبة له كما إذا قال : آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب ، بخلاف ما لو قال : آية صدقي نطق هذا الإنسان الميت وإحياءه فأحيي ونطق بأنه مفتر كذاب. والفرق أن الجماد لا اختيار له ، فاعتبر تكذيبه لأنه أمر إلهي ، والإنسان مختار فلا يعتبر تكذيبه لأنه ربما اختار الكفر على الإيمان . السابع : أن تتعذر معارضته وخرج بذلك : السحر ومنه الشعبة ، وهي خفة اليد ، يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها كما يقع للحواة .

وزاد بعضهم : ثامناً : وهو أن لا تكون في زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها ، وخرج بذلك ما يقع من الدجال كأمره للسماء أن تمطر فتمطر ، وللأرض أن تنبت فتنبت . وقد نظم أقسام الأمر الخارق للعادة فقال :

إذا ما رأيت الأمر يخرق عادةً	فمعجزة إن من نبي لنا ضد
وإن بان منه قبل وصف نبوة	فالإرهاص سمّه تتبع القوم في الأثر
وإن جاء يوماً من ولي فإنه الـ	كرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإن كان من بعض العوام صدوره	فكنوه حقاً بالمعونة واشتهر
ومن فاسق إن كان وفق مراده	يسمى بالاستدراج فيما قد استقر
وإلا فيدعى بالإهانة عندهم	وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) وقال : حسن غريب .

وزاد بعضهم السحر ، وقيل إنه ليس من الخوارق ؛ لأنه معتاد عند تعاطي أسبابه .
[٤٦٤] قوله : (وعصمة الباري لكل حتماً) الإضافة في عصمة الباري من إضافة المصدر لفاعله ، و (لكل) متعلق بعصمة ، و (حتماً) بفتح الحاء على أنه فعل أمر وألفه منقلبة عن نون التوكيد الخفيفة في الوقت بعد حذف الرابط ، والأصل : حتمتها ، والجملة خبر المبتدأ وهو (عصمة) إن قرئ بالرفع ، ويصح أن يقرأ بالنصب على أنه مفعول محذوف يدل عليه المذكور ، والتقدير : وحتم عصمة الباري ، ولم يجعل مفعولاً للمذكور ؛ لأنه مقترن بنون التوكيد الخفيفة ، وهو حينئذ لا يعمل فيما قبله .

فإن قيل : إذا لم يعمل لا يفسر عاملاً . أجيب بأن قولهم مالا يعمل لا يفسر عاملاً إنما هو في التفسير الاصطلاحي ، فلا ينافي أنه يشير له في الجملة . أو بضم الحاء على أنه فعل ماض مبني للمجهول وألفه للإطلاق ، وعلى هذا فـ (عصمة) بالرفع لا غير على أنه مبتدأ ، والجملة من الفعل ونائب الفاعل خبره ، وتذكير الضمير الذي هو نائب الفاعل مع كونه عائداً على العصمة لتذكيرها باعتبار كونها وصفاً ، وعلى كل فالمعنى : اعتقد أن عصمة الباري لكل واحد من الأنبياء والملائكة محتمة وواجبة ، بمعنى أنها لا تنفك ولا تقبل الانتقاء ، والباري : الخالق ، من البرء : وهو الخلق .

[٤٦٥] وقد يقال : إن عصمة الأنبياء قد تقدمت في قوله : (وواجب في حقهم الأنبياء الأمانة) إذ الأمانة هي العصمة ، وقد يجاب بأنه إنما تعرض لها ليجمع والملائكة : تعريضهما الحفظ ، واصطلاحاً : حفظ الله للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه ،

ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى كأن يقال : اللهم إنا نسألك العصمة ، فإن أريد المعنى اللغوي جاز لنا سؤالها . واعلم أن المشهور عصمة جميع الملائكة . وقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] . ليس غيبة ولا اعتراضاً على الله ، بل مجرد استفهام . وما نقل في قصة هاروت وماورث مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شيء من الأخبار ، بل هو من افتراء اليهود وكذبهم ، وتبعهم المؤرخون في ذكر ذلك . وقيل : كانا رجلين صالحين ، وسميا ملكين تشبيها لهما بالملكين .

٦٩ - وَخُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّأَ بِهِ الْجَمِيعُ رَبُّنَا وَعَمَّأَ [٤٦٦ - ٤٦٩]

[٤٦٦] وقوله : (وخص خير الخلق) ببناء الفعل للمفعول ، و (خير الخلق) نائب فاعل الذي هو الله ، والأصل : وخص الله خير الخلق أي أفضلهم وهو نبينا محمد ﷺ (وخير) أفعل تفضيل أصله : « أخير » كأكرم ، حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال .

[٤٦٧] وقوله : (أن قد تمأ به الجميع ربنا) أي بأن ختم ربنا به ﷺ جميع الأنبياء ، فالباء مقدره وهي داخلة على المقصور ، فتتميم جميع الأنبياء مقصور عليه ﷺ لا يتعداه إلى غيره . قال تعالى : ﴿ وَنَاثَرَ اللَّيْتِنَ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] ويلزم منه ختم المرسلين ، لأنه يلزم من ختم الأعم ختم الأخص من غير عكس .

نـزول عيسى عليه السلام | ولا يشكل ذلك بنزول سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام في آخر الزمان ، لأنه إنما ينزل حاكمًا بشريعة نبينا ومتبعًا له ولا ينافي ذلك أنه حين نزوله يحكم برفع الجزية عن أهل الكتاب ولا يقبل منهم إلا الإسلام أو السيف ؛ لأن نبينا أخبر بأنها مغياة إلى نزول عيسى ، فحكمه بذلك إنما هو بشريعة نبينا وخصائصه ، لا تنحصر حدًا ولا عدًا ، ولكن المهم منها ما ذكره المصنف .

[٤٦٨] قوله : (وعمما بعثته) أي وخص أيضًا بأن عمم ربنا بعثته ، فالباء مقدره وهي داخلة على المقصور كما في الذي قبله ، فتعميم البعثة مقصور عليه ﷺ لا يتعداه إلى غيره ، فأرسله الله إلى جميع المكلفين من الثقلين إرسال تكليف اتفاقًا ، وأما الملائكة فقد تقدم فيهم الخلاف ، والأصح أنه مرسل

إليهم إرسال تشريف ، وبعضهم اعتمد أنه مرسل إليهم إرسال تكليف بما يليق بهم ، فإن منهم الراكع والساجد إلى يوم القيامة ، وما كلف به الإنس تفصيلًا وإجمالًا ، فقد كلف به الجن كذلك وشمل ذلك يأجوج ومأجوج - بالهمز وتركه - وهم أولاد يافث بن نوح ، وقيل : جيل من الترك . وقيل غير ذلك .

[٤٦٩] والتحقيق أنه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة ، لكن باعتبار عالم الأرواح ، فإن روحه خلقت قبل الأرواح وأرسلها الله لهم قبلت الجميع ، والأنبياء نوابه في عالم الأجسام ، فهو ﷺ مرسل لجميع الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة حتى إلى نفسه ، لدخول الجميع تحت قوله ﷺ « بعثت إلى الناس كافة » (١)

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥ ، ٤٣٨ ، ٣١٢٢) ومسلم (٥٢١) عن جابر بن عبد الله .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ [سبأ : ٢٨] فمن

<p>حكم من نفى بعثة النبي ﷺ</p>	<p>نفى عموم بعثته ﷺ فقد كفر ، وفي ذلك رد على العيسوية وهم فرقة من اليهود زعموا تخصيص رسالته ﷺ بالعرب ، لا يقال : تعميم البعثة ليس خاصاً بنبينا ﷺ بل مثله نوح فإنه كان مبعوثاً لجميع من في الأرض بعد الطوفان لأننا نقول : تعميم بعثة نوح ليس من أصل البعثة بل أمر اتفاقي ، لأنه لم يسلم من الهلاك إلا من كان معه في السفينة . وأما تعميم بعثة سيدنا محمد ﷺ فهو من أصل البعثة . ومقتضى ما ذكر أن بعثة نوح لم تكن عامة قبل الطوفان ، فيكون بعض المغرقين لم يرسل إليهم فيقال : إذا لم يرسل إليهم فما موجب غرقهم ؟ وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ولذلك قيل : إنها عامة قبل الطوفان ، ولعل الأول تمسك بقوله تعالى : ﴿ وَأَنقَضُوا فِتْنَتَهُ لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الأنفال : ٢٥] وعلى القول بعموم بعثته قبل الطوفان فالتعميم خاص بزمه فقط ، وتعميم رسالة نبينا ﷺ لزمه وللزمن الذي بعده ، بل والذي قبله كما تقدم ، فأين التعميم الخاص من التعميم العام ؟ على أن سيدنا نوحاً لم يرسل إلى الجن ، فإنه لم يرسل لهم إلا نبينا محمد ﷺ وأما تسخير الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام فتسخير سلطنة وملك لا تسخير نبوة .</p>
--	--

٧٠ - بَعَثْتُهُ فَشَرَعُهُ لَا يُنْسَخُ بغيره حَتَّى الزَّمَانُ يُنْسَخَ [٤٧٠ - ٤٧٢]

[٤٧٠] قوله : (فشرعه لا ينسخ بغيره) مفرع على ختم النبوة به وتعميم بعثته ، فالفاء للتفريع ، ويصح أن تكون فاء الفصيحة ؛ لأنها أفصحت عن شرط مقدر ، والتقدير : إذا علمت أنه خاتم النبيين وأن بعثته عامة فشرعه لا ينسخ بغيره ، لا كلاً ولا بعضاً . والشرع لغة : البيان ، واصطلاحاً : الأحكام الشرعية .

[٤٧١] والنسخ لغة : الإزالة والنقل ، ومنه : نسخت الشمس الظل أي أزالته ، والنسخ : ونسخت الكتاب أي نقلته ، وهل هو حقيقة في المعنيين ، أو حقيقة في تعريضه الأول مجاز في الثاني ، أو بالعكس ، أقوال ، وخير الأمور أوساطها ، فالصحيح أنه حقيقة في الأول مجاز في الثاني . واصطلاحاً : رفع حكم شرعي بدليل شرعي ، والمراد برفع الحكم الشرعي انقطاع تعلقه بالمكلفين ؛ لأنه خطاب الله تعالى ، وهو يستحيل رفعه لأنه قديم ، بخلاف التعلق فلا يستحيل رفعه ؛ لأنه حادث .

[٤٧٢] وقوله : (حتى الزمان ينسخ) أي فشرعه ﷺ مستمر إلى نسخ الزمان ، فالمراد بـ (حتى) الغاية مع كونها ابتدائية ، و (الزمان) مبتدأ خبره (ينسخ) والمراد بالنسخ هنا : المعنى اللغوي وهو الإزالة ، فالمعنى : حتى الزمان يزال ويرفع بحضور يوم القيامة ، لقوله ﷺ : « لن تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله - يعني الدين الحق - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله » (١) أي الساعة ، وهو على حذف مضاف : أي قريبها ؛ لأن المؤمنين يموتون قبل الساعة بريح لينة ، والمراد بالنسخ في آخر الشطر الأول : المعنى الشرعي ، ففي كلامه الجناس ، وقد تقدم الكلام في الإبطاء فلا حاجة إلى الإعادة .

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١) ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان

٧١ - وَنَسَخَهُ لَشَرْعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ حَتْمًا أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعٌ [٤٧٣ - ٤٧٤]

٧٢ - وَنَسَخَ بَعْضُ شَرْعِهِ بِالْبَعْضِ أَجْزُ وَمَا فِي ذَالِهِ مِنْ غَضٍّ [٤٧٥ - ٤٧٧]

[٤٧٣] نسخ الشريعة الإسلامية للشرائع قبلها
وقوله : (وَنَسَخَهُ لَشَرْعٍ غَيْرِهِ وَقَعَ حَتْمًا) أي ونسخ شرع نبينا ﷺ لشرع كل نبي غيره وقع وحصل حال كونه متحتمًا ، ف (حتما) بمعنى متحتمًا حال من فاعل (وقع) ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ [آل عمران : ٨٥] ، والأحاديث في ذلك كثيرة بلغت جملتها مبلغ

التواتر ، فنسخ شرعه ﷺ لشرع غيره واقع سماعًا بإجماع المسلمين ، خلافًا لليهود والنصارى حيث زعموا أن شرع نبينا ﷺ لم ينسخ شرع أحد من الأنبياء توسلاً للقول بنفي نبوته ﷺ واحتجوا على ذلك بأنه يلزم على القول بالنسخ ظهور مصلحة كانت خفية على الله تعالى ، ورد بأن المصلحة تختلف بحسب الأزمنة ، فالمصلحة في زمن الأمم السابقة اقتضت تكليفهم بشرائعهم ، والمصلحة في زماننا اقتضت تكليفنا بشريعتنا .

[٤٧٤] وقوله : (أَذَلَّ اللَّهُ مَنْ لَهُ مَنَعٌ) أي ألحق الذل بمن منع نسخ شرع نبينا لغيره ، وهذه جملة دعائية على اليهود والنصارى المانعين لذلك .

[٤٧٥] قوله : (ونسخ بعض شرعه بالبعض أجز) لا يخفى أن (نسخ) بالنصب مفعول مقدم لـ (أجز) الواقع بعده : أي اعتقد جواز نسخ بعض شرعه ﷺ بالبعض الآخر جوازًا وقوعيًا ، لأن ذلك وقع بالفعل ، نعم وجوب معرفته تعالى وتحريم الكفر بنسخه غير واقع ، وإن كان جائزًا كما هو

مذهب أهل الحق ، خلافًا لمن قال : إن المعرفة حسن عقلي ، والكفر قبيح عقلي ، فوجوب المعرفة وتحريم الكفر لا يجوز نسخهما ، ونحن نقول : الحسن ما حسنه الشرع ، والقبيح ما قبحه الشرع : فلو جعل المعرفة من القبيح ، والكفر من الحسن فلا حرج عليه ، وشمل البعض المنسوخ البعض القرآني خلافًا لمن منعه كأبي مسلم الأصفهاني ^(١) محتجًا بقوله تعالى : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [فصلت : ٤٢] فلو نسخ بعضه لتطرق إليه البطلان .

(١) هو : محمد بن بحر الأصفهاني ، أبو مسلم المعتزلي ، كان عالمًا بالتفسير والأدب وغيرهما ، من فنون العلم ، من تصانيفه : تفسير القرآن في أربعة عشر مجلدًا ، والناسخ والمنسوخ . توفي سنة ٣٢ هـ . (انظر : معجم الأدباء ٣٥/١٨ ، والأعلام ٥٠/٦) .

نسخ | وأجاب الأولون بأن الضمير لمجموع القرآن وهو لا ينسخ اتفاقاً . وخرج
القرآن | بتقييد المصنف بالبعض نسخ الجميع ، فهو وإن كان جائزاً لكنه غير واقع ،
بالقرآن | فالحاصل أن الكلام في مقامين : مقام جواز ومقام وقوع ، فمن حيث
الجواز يجوز نسخ الشريعة كلاً أو بعضاً . وأما من حيث الوقوع فلا يجوز نسخ الجميع
جوازاً ووقوعاً .

[٤٧٦] وقوله : (وما في ذا له من غض) أي وما في هذا الحكم وهو تجويز
نسخ بعض شرعه بالبعض الآخر من نقص له يقتضي امتناعه ، وشمل ما ذكر نسخ
الكتاب بالكتاب كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا
وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة : ٢٤٠] فإنه نسخ بقوله
تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَوْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرَ وَعَشْرًا ﴾
نسخ [البقرة : ٢٣٤] لتأخره نزولاً ، وإن تقدم تلاوة ، ونسخ السنة بالسنة
السنة | كما في حديث « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » ^(١) فإنه
بالسنة | نسخ النهي الذي وقع منه ﷺ أولاً بالأمر في هذا الحديث ، ونسخ
السنة بالكتاب كما في استقبال بيت المقدس الثابت بالسنة ، فإنه نسخ باستقبال
الكعبة الثابت بقوله تعالى : ﴿ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ [البقرة : ١٤٤]
نسخ | ونسخ الكتاب بالسنة كما في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ
السنة | أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَلَدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة : ١٨٠]
بالكتاب | فإنه نسخ بحديث « لا وصية لوارث » ^(٢) وشمل أيضاً نسخ التلاوة
والعكس | والحكم جميعاً كما في نحو « عشر رضعات معلومات يحرم » فإنه كان
مما يتلى ، فنسخ بـ « خمس معلومات يحرم » ثم نسخ هذا الناسخ عندنا تلاوة لا
حكماً ، وعند المالكية تلاوة وحكماً . ونسخ التلاوة دون الحكم كما في نحو « الشيخ
والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم » فإنه كان مما يتلى
فنسخ تلاوة لا حكماً . ونسخ الحكم دون التلاوة كما في آية ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ
مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَّتَلَعًا إِلَى الْحَوْلِ ﴾ فإنه نسخ حكماً بآية
﴿ أَزْوَاجَهُنَّ أَشْهُرَ وَعَشْرًا ﴾ [البقرة : ٢٣٤] وبقي تلاوة .

(١) أخرجه مسلم (٩٧٧) عن بريدة .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٠) ، الترمذي (٢١٢١) وقال حسن صحيح . عن أبي أمامة الباهلي .

[٤٧٧] والحق أن النسخ لا يكون إلا إلى بدل كما قاله الإمام الشافعي رحمته الله ،
 خلافاً لمن قال : تارة يكون إلى بدل كما في آيتي الأنفال ، أعني قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا
 النَّبِيُّ حَرَضٌ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَاعِدُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ الآية
 [الأنفال : ٦٥] . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَخَفْ اللَّهَ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا إِنْ يَكُنْ
 مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ ﴾ [الأنفال : ٦٦] . وتارة يكون إلى غير بدل كما في
 قوله تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَزَّجْتُمُ الرِّسُولَ ﴾ [المجادلة : ١٢] فإن وجوب تقديم
 الصدقة على مناجاة الرسول نسخ بلا بدل ، وعلى الأول فبدل هذا الوجوب جواز
 التصديق أو استحبابه فلم يقع بلا بدل أصلاً .

٧٣ - وَمُعْجَزَاتُهُ كَثِيرَةٌ غُرُرٌ مِنْهَا كَلَامُ اللَّهِ مُعْجَزُ الْبَشَرِ [٤٧٨ - ٤٨١]

[٤٧٨] قوله : (ومعجزاته كثيرة غرر) لما ذكر فيما تقدم تأييد الله تعالى للأنبياء بالمعجزات نبه هنا على كثرتها ووضوحها لنبيينا دون غيره ، فالغرض الآن التنبيه على كثرة معجزاته ووضوحها لكن المراد من معجزاته : الأمور الخارقة للعادة الظاهرة على يده ﷺ سواء كانت مقرونة بالتحدي أم لا ، فهو من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه ، أو من عموم الحجاز ، وإنما وصفها بالكثرة المطلقة إيماءً للعجز عن الإحاطة بها .

[٤٧٩] | والغُرر : جمع غُرّة وهي في الأصل : يياض في جبهة الفرس فوق الدرهم ، وتطلق على خيار الشيء ، ثم استعملت في كل واضح معروف على وجه الحقيقة العرفية ، وهو المراد هنا ، فـ (غرر) بمعنى واضحات مشهورات . واعلم أن ما كان منها معلوم بالقطع منقولاً بالتواتر كالقرآن ، منكرها

فلا شك في كفر منكره ، وما لم يكن منها كذلك : فإن اشتهر كنيع الماء من بين أصابعه ﷺ فسق منكره وإن لم يشتهر وثبت بطريق صحيح أو حسن عزز منكره . [٤٨٠] قوله : (منها كلام الله) قد تقدم أن كلام الله يطلق على الصفة القديمة وعلى اللفظ المنزل على النبي ﷺ المتعبد بتلاوته المتحدى بأقصر سورة منه كما يطلق عليهما القرآن ، لكن قد غلب كلام الله في الصفة القديمة ، والقرآن في اللفظ الحادث . والمصنف أراد هنا بكلام الله : اللفظ ، وإنما نص عليه بخصوصه لأنه أفضل معجزاته ﷺ وأدومها لبقائه إلى يوم القيامة ، ولا يخرج عنه شيء من معجزاته غالباً ، وإلا فبعضها لم يذكر فيه بطريق الصراحة وإن كان داخلاً في عموم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٠] . ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] . وذلك كانشقاق القمر . فعن ابن مسعود ؓ أنه قال : بينما نحن مع رسول الله ﷺ : إذ انشق القمر فلقين ، فكانت فلقة وراء الجبل وفلقة دونه ، فقال لنا رسول الله ﷺ : « اشهدوا » ^(١) ، وقال كفار قريش : هذا سحر فابعثوا إلى أهل الآفاق حتى تنظروا أرواً مثل هذا أم لا ؟ فأخبر أهل الآفاق بأنهم رأوه منشقاً ، فقال كفار قريش : هذا سحر مستمر فقد انشق نصفين وهو في السماء وإن كان قد يسبق إلى الوهم أنه نزل منها إلى الجبل .

(١) أخرجه البخاري (٣٨٦٩) ، ومسلم (٢٨٠٠) عن عبد الله بن مسعود ؓ .

وكتسليم الحجر والشجر عليه ﷺ ؛ فعن علي عليه السلام (١) أنه قال : « كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها فما استقبله حجر ولا شجر إلا وهو يقول : السلام عليك يا رسول الله » .

وكتسبيح الحصى في كفه ﷺ : فقد روى ثابت بن أنس بن مالك قال : كنا جلوساً عند رسول الله ، فأخذ كفاً من الحصى فسبحن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد أبي بكر فسبحن ، ثم في يد عمر فسبحن ثم في يد عثمان فسبحن ثم صبهن في أيدينا فما سبحن (٢) .
وكتحنين الجذع : الذي هو ساق النخلة وحديثه مشهور متواتر : وهو أنه كان ﷺ قبل أن يصنع له المنبر يخطب عنده ، فلما صنع له المنبر انتقل إليه فسمع له كل من كان في المسجد حينئذ وصوتاً عظيماً حتى كاد أن ينشق أسفاً على فراقه ﷺ فضمه إليه فصار يئن أئين الذي تضمه أمه إليها وتسكته عن بكائه ثم قال : إن شئت أردك إلى الحائط أي البستان الذي كنت فيه تنبت لك عروقتك ويكمل لك خلقتك ويتجدد لك خوص وثمر ، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك ، ثم أصغى إليه ليسمع ما يقول فقال بصوت يسمعه من يليه : بل تغرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله وأكون في مكان لا بلاء فيه . فقال : قد فعلت ، ثم قال : اختار دار البقاء على دار الفناء ، وأمر به فدفن تحت المنبر (٣) . وكان الحسن إذا حدث بهذا الحديث بكى وقال : يا عباد الله الخشبة تحن إلى رسول الله ﷺ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه (٤) .

وكرد عين قتادة حين سألت علي خده : وذلك أنه كان يتقي بوجهه السهام عن رسول الله ﷺ في غزوة أحد ، فأصاب عينه سهم فسالت علي خده فأخذها بيده وسعى بها إلى رسول الله ﷺ فلما رآها في كفه دمعت عيناه وقال : إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت رددتها ودعوت الله لك فلم تفقد منها شيئاً ، فقال : يا رسول الله إن الجنة لجزاء جميل وعطاء جليل ، ولكني رجل مبتلى بحب النساء وأخاف أن يقلن : أعور فلا يردنني ولكن تردها وتسأل الله لي الجنة فردها في موضعها وقال : « اللهم قي

(١) هو : علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، الهاشمي القرشي ، أبو الحسن وأبو تراب ، ابن عم رسول الله ﷺ وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ورابع الخلفاء الراشدين ، وأحد الشعجاء الأبطال ، باب مدينة العلم ، ولد ﷺ سنة ٢٣ هـ ، وتوفي سنة ٤٠ هـ . (انظر : تاريخ الطبري ٨٣/٦ ، وسياة الأبطال ٦١/١ ، والأعلام ٢١٦/٤) .

(٢) أخرجه ابن عساكر (٤٤٧) في حجة الله على العالمين .

(٣) أخرجه البخاري (٢٠٩٥) . (٤) أخرجه البيهقي في الدلائل (١٠٩/٢) .

قتادة كما وقى وجه نبيك فاجعلها أحسن عينيه وأحدهما نظراً^(١) وكان كذلك ، وكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى .

وكشهادة الضب بنبوته : رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ فِي مُحْفَلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَهُ أَعْرَابِي وَقَدْ صَادَ ضُبًّا ، فَقَالَ الْأَعْرَابِي : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : نَبِيُّ اللَّهِ . فَقَالَ : وَاللَّاتِ وَالْعَزَى ، لَا آمَنْتُ بِهِ ، إِلَّا أَنْ يُؤْمِنَ هَذَا الضُّبُ ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ فَقَالَ : يَا ضُبُ ، فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مَبِينٍ ، يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعًا : لِيَبْكُ وَسَعْدِيكَ يَا زَيْنَ مِنْ وَافَى الْقِيَامَةِ . قَالَ : مَنْ تَعْبُدُ ؟ قَالَ : الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ وَفِي الْأَرْضِ سُلْطَانُهُ ، وَفِي الْبَحْرِ سَيْبِلُهُ ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ . قَالَ : فَمَنْ أَنَا ؟ قَالَ : رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَخَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ وَخَابَ مَنْ كَذَبَكَ فَأَسْلَمَ الْأَعْرَابِي^(٢) .

وأما حديث الظبية : فالحق أنه موضوع لا أصل له ولفظه : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي صَحْرَاءَ ، فَنَادَتْهُ ظَبْيَةٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ ؟ قَالَتْ : صَادَنِي هَذَا الْأَعْرَابِي وَلِي خَشْفَانٌ - بِكَسْرِ الْخَاءِ وَتَسْكِينِ الشَّيْنِ - أَيُّ وَلَدَانِ فِي ذَلِكَ الْجَبَلِ فَأُطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ أَرْضَعُهُمَا وَأَرْجِعَ ؛ فَقَالَ : وَتَفْعَلِينَ ؟ قَالَتْ : نَعَمْ عَذَّبَنِي اللَّهُ عَذَابَ الْعَشَارِ إِنْ لَمْ أَفْعَلْ فَأُطْلِقْهَا ، فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ ، فَأَوْثَقَهَا ، فَاتَّبَعَهُ الْأَعْرَابِي ، وَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَمْ تَكُنْ حَاجَةً ؟ قَالَ : تَطْلُقُ هَذِهِ الظَّبْيَةَ فَأُطْلِقْهَا ، فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ وَتَقُولُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَكِنَّ الْحَدِيثَ مُوَضَّوعٌ كَمَا عَلِمْتُ .

[٤٨١] قوله : (معجز البشر) أي يصيرهم عاجزين عن معارضته ، والإتيان بمثله ، بل كل المخلوقات كذلك إجماعاً ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِشَيْءٍ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] . أي مُعِينًا . وخص الإنس والجن مع أن سائر المخلوقات كذلك ؛ لأنهما اللذان يتصور منهما المعارضة ، بخلاف غيرهما كالملائكة لعصمتهم واقتصار الناظم على البشر لأنهم الذين تصدوا لذلك بالفعل ، و (البشر) هم بنو آدم ، سموا بذلك لبدو بشرتهم التي هي ظاهر الجلد ، ولا خلاف في أن القرآن بجملته معجزاً ، وإنما الخلاف في أقل ما يقع به الإعجاز من أبعاضه . واختار جمهور أهل التحقيق أن أقله أقصر سورة منه أو ثلاث آيات . وقال القاضي عياض : إن أقله سورة ﴿ إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ [الكوثر : ١]

(١) أخرجه الطبري (١٩/٨) وأبو يعلى (١٥٤٩) عن قتادة بن النعمان .

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير (٩٤٨) وقال الذهبي في الميزان : خير باطل (٦٥١/٣) .

أو آية أو آيات في قدرها ، وظاهر الأول أن الآية أو الآيتين ليس معجزًا وإن عادل الثلاثة أو السورة في الطول كآية الكرسي والدين ، والظاهر خلافه ، فالمعتمد أن الآية الطويلة معجزة كالثلاثة : واختلف في وجه إعجازه ، فقليل : كون الله صرفهم عن الإتيان بمثله ، مع كونهم قادرين على ذلك ، وهذا القول يسمى قول الصرفة ، والذي ذهب إليه الجمهور أن وجه إعجازه كونه في أعلى طبقات البلاغة والفصاحة مع اشتماله على الإخبار بالمغيبات ودقائق العلوم وأحوال المبدأ والمعاد ، وغير ذلك مما لا يحصى ، وهذا هو الصحيح في وجه الإعجاز .

٧٤ - واجزِمَ بمعراجِ النبي كما رَوَوا وَبَرَّئْنِ لَعَائِشَةَ مِمَّا رَمَوُا [٤٨٢ - ٤٨٤]

[٤٨٢] وقوله : (واجزم بمعراج النبي كما رَوَوا) بسكون الياء من النبي مخففة للإسراء | للوزن : أي واعتقد اعتقادًا جازمًا بعروج نبينا ﷺ وصعوده إلى السماوات والمعراج | السبع إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله بعد الإسراء به على البراق ،

وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حال كون العروج الذي جازمت به مثل الذي رواه أهل الحديث والتفسير والسير ، وكان على الناظم التعرض للإسراء أيضًا لكن استغنى عن ذكره بذكر المعراج لشهرة إطلاق أحد الاسمين - أعني الإسراء والمعراج - على ما يعم مدلوليهما ، وهو سيره ﷺ ليلاً إلى أمكنة مخصوصة على وجه خارق للعادة ، فهذا أمر كلي يشمل مدلوليهما والحق أنه كان يقظة بالروح والجسد ، كما أجمع عليه أهل القرن الثاني ومن بعده من الأمة ، خلافاً لبعض القرن الأول ، القائل بأنه كان منامًا ، ولبعضه القائل بأنه كان بالروح فقط ، لكن يقظة فالأقوال ثلاثة .

فإن قيل : فما الفرق بين كونه منامًا وبين كونه بالروح ؟ أجيب بأنه على كونه منامًا يكون في حالة النوم ، وعلى كونه بالروح لا نوم أصلاً ، بل الروح تذهب للأمكنة المخصوصة ، والجسد في هذه الحالة يكون كالغافل . والإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى : ثابت بالكتاب والسنة وإجماع المسلمين ، فمن أنكره كفر ، والمعراج من المسجد الأقصى إلى السموات السبع ثابت بالأحاديث المشهورة . ومنها إلى الجنة ، ثم إلى المستوى أو العرش أو طرف العالم من فوق العرش ، على الخلاف في ذلك ثابت بخبر الواحد ، فمن أنكره لا يكفر ولكن يفسق ، والتحقيق أنه لم يصل إلى العرش كما نصوا عليه في موارد القصة .

[٤٨٣] قوله : (وبرئ لعايشة مما رموا) بزيادة اللام وسكون الهاء للوزن : أي تبرئة | اعتقد وجوبًا براءة أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبيها مما رماها به المنافقون من الإفك : أي أشد الكذب . والذي تولى كبره أي معظمه حيث ابتدأ الخوض فيه وأشاعه : عبد الله بن أبي ابن الإفك

سلول لعنه الله . وأُتِيَ : اسم أبيه ، وسلول اسم أمه . وقد جاء القرآن ببراءتها ، وانعقد عليه إجماع الأمة ، ووردت بها الأحاديث الصحيحة ، فمن جحد براءتها أو شك فيها كفر .

[٤٨٤] وحاصل قصتها أن النبي ﷺ كان إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فلما أراد التوجه لغزوة بني المصطلق وتسمى غزوة المريسيع أقرع بينهن ، فخرجت القرعة

على عائشة فتوجهت معه ففي رجوعهم منها ضاع عقدها وكان من جزع أظفار - بفتح الجيم وسكون الزاي أو فتحها - أي خرز منسوب لأظفار : وهي بلدة في اليمن ، فتخلفت في طلبه ، فحمل هودجها وهو مركب من مراكب النساء كالقبة ظناً أنها فيه لأنها كانت خفيفة كما أخبرت بذلك ، وسار القوم ورجعت إليهم فلم تجدهم ، فمكثت مكانها ، فأخذها النوم ، فمر بها صفوان بن المعطل ^(١) وكان يعرفها قبل آية الحجاب ، وكان يتخلف ليلتقط ما يسقط من المتاع أو لأنه كان ثقیل النوم فبرك ناقته وولاهها ظهره وصار يسترجع جهراً حتى استيقظت ، وحملها على الناقة ولم ينظر إليها ، وقاد بها الناقة مولياً ظهره حتى أدرك بها النبي ﷺ فرموا به وفشا ذلك بين المناققين وضعفاء المسلمين ، فشق ذلك على النبي ﷺ فجمع الصحابة وقال : يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً ، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً ، فقال سعد بن معاذ ^(٢) سيد الأوس : أنا أعذرک منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرک ، فقال سعد بن عبادة ^(٣) سيد الخزرج : كذبت لا تقدر على قتله فهم الأوس والخزرج بالقتال ، فأمرهم النبي ﷺ بالإعراض عن ذلك ، فأنزل الله في براءتها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ﴾ [النور : ١١] العشر آيات إلى قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ٢٦] فقال أبو بكر لعائشة : قومي فاشكري لرسول الله ﷺ فقالت : والله لا أشكر إلا الله الذي برأني ، لكن لم يكن ذلك لشيء كان في نفسها من رسول الله ﷺ فإن مقامها يجلب عن ذلك ، وإنما استغرقت في مقام الشهود فلم تشهد إلا الله ، وكان ممن تكلم في الإفك مسطح ^(٤) ، وكان أبو بكر ينفق عليه ، فلما بلغه أنه تكلم في الإفك حلف لا ينفق عليه ، فأنزل الله ﴿ وَلَا يَأْتِلِ أُولَٰؤُا۟ الْفُضَّلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ﴾ الآية [النور : ٢٢] فأعاد أبو بكر النفقة كما كانت .

(١) صفوان بن المعطل : هو صفوان بن عمرو صحابي استشهد بأرمينية وقيل سمي ساط ، وروى عن النبي ﷺ حديثين ، توفي سنة ١٩ هـ (انظر الأعلام ٢٠٦/٣) .

(٢) هو : سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ، الأوسي الأنصاري ، صحابي جليل من الأبطال ، توفي سنة خمس من الهجرة . (انظر : طبقات ابن سعد ٢/٣ ، الأعلام ٨٨/٣) .

(٣) هو : سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة ، سيد الخزرج ، وصاحب راية الأنصار ، شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ ، توفي سنة ١٤ هـ . (انظر : طبقات ابن سعد ١٤٢/٣ ، والأعلام ٨٦/٣) .

(٤) هو : مسطح بن أثانة بن عباد من قريش ، أبو عباد صحابي اسمه الأصلي عوف ولُقِبَ بمسطح فغلب عليه ، جلده النبي ﷺ مع من خاضوا في حديث الإفك ، توفي سنة ٣٤ هـ . (انظر : الأعلام ٢١٥/٧) .

٧٥ - وَصَّحْهُ خَيْرَ الْقُرُونِ فَاسْتَمِعْ فَتَابِعِي فَتَابِعْ مَنْ تَبِعَ [٤٨٥ - ٤٩٠]

[٤٨٥] قوله : (وصحبه خير القرون) أي وأصحابه ﷺ أفضل القرون المتأخرة
أفضل
القرون
قرن النبي
وأصحابه
والمقدمة ما عدا الأنبياء والرسل لحديث « إن الله اختار أصحابي على
العالمين سوى النبيين والمرسلين » ^(١) ولحديث « الله الله في أصحابي لا
تتخذوهم غرَضًا من بعدي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد
ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » ^(٢) ولا يخفى ترجيح رتبة من لازمه
ﷺ وقاتل معه وقتل تحت رايته على من لم يكن كذلك ، وإن كان شرف الصحبة
حاصلًا للجميع ^(٣) .

[٤٨٦] والقرون : جمع قرن ، ومعناه : أهل زمان واحد متقارب اشتركوا في أمر
من الأمور المقصودة كالصحابة فإنهم اشتركوا في الصحبة ، وهكذا من بعدهم . وقيل :
معناه الزمان الذي اشترك أهله في الأمر المذكور . وسمي قرنًا ؛ لأنه يقرن أمة بأمة وعالمًا
بعالم ، وعلى الأول فلا تقدير في كلام المصنف . وعلى الثاني ففي كلامه تقدير
مضاف : أي أهل القرون كما قدره الشارح في حل المتن .
[٤٨٧] وقوله : (فاستمع) تكملة .

[٤٨٨] وقوله : (فتابعي) بإسكان الياء مخففة يفيد أن رتبة التابعين تلي رتبة
الصحابة من غير تراخ كبير ، ولذلك عبر بالفاء المفيدة للترتيب والتعقيب .

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦ / ١٠) للبخاري من حديث جابر بن عبد الله قال : ورجاله ثقات وفي بعضهم .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٦٢) عن عبد الله بن مغفل وقال : حديث غريب .
وحديث « لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا » أخرجه البخاري (٣٦٧٣) ومسلم (٢٥٤١) عن أبي سعيد
الخدري .

(٣) أجمعوا على أن خير القرون قرن الصحابة ، ثم الذين يلونهم على ما قال ﷺ : « خيركم قرني » وعلى أن
خير الصحابة أهل بدر ، وخير أهل بدر العشرة ، وخير العشرة الأئمة الأربعة أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ،
ثم علي رضوان الله عليهم وأن إمامتهم كانت عن رضا من جماعتهم ، وأن الله ألف قلوبهم على ذلك لما
أراد من استخلافتهم جميعا بقوله : ﴿ وَبَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَنْكُرُوا الْمُصَلِّينَ فَتَقَالُوا سَبْعًا كَمَا
أَسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيَسَّ لَهُمْ فِي قُلُوبِهِمُ الْقَرْبُ وَلَئِنْ لَمْ يَنْكُرُوا لَكُمْ كُنْتُمْ لَكَافِرِينَ ﴾
من قبل أنهم لو قدموا عمر على الجماعة لخرج أبو بكر عما وعده الله به ، وكذلك لو قدم علي جميعهم لخرجوا
بكر وعمر لأن الله قد علم أنه يبقى بعدهما ، وأنهما يموتان قبله ، وكذلك لو قدم علي جميعهم لخرجوا
من الوعد لعلم الله أنهم يموتون قبله فرتبهم وألف بين قلوب المؤمنين على ذلك ، لينالوا جميعا ما وعدوا به ،
وإن كان كل واحد منهم يعلم ذلك . (انظر : رسالة إلى أهل الثغر يباب الأبواب ١٧٠ - ١٧١) .

[٤٨٩] والتابعي : من اجتمع بالصحابي اجتماعًا متعارفًا ، ولا يشترط فيه طول الاجتماع كما في الصحابي مع النبي ﷺ وهذا ما صححه ابن الصلاح ^(١) والنووي وهو المعتمد ، والطريقة المشهورة أنه : يشترط التمييز في التابعي دون الصحابي ، والمعتمد عندنا : عدم اشتراطه في التابعي كما لا يشترط في الصحابي . وأفضل التابعين : أويس القرني ^(٢) ، كما أن أفضل التابعيات : حفصة بنت سيرين ^(٣) ، على خلاف في المسألة .

[٤٩٠] وقوله : (فتابع لمن تبع) يفيد أن رتبة أتباع التابعين تلي رتبة التابعين من غير تراخ كبير كما مر في الذي قبله . وفي كلامه إظهار في مقام الإضمار ، إذ كان مقتضى الظاهر أن يقول فتابع له ، ويكون الضمير عائداً على التابعي ، والأصل في الترتيب الذي أفاده كلام المصنف قوله ﷺ : « خير أمتي القرن الذي يلونني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ^(٤) وظاهره أن ما بعد القرون الثلاثة سواء في الفضيلة ، وذهب جماعة إلى تفاوت بقية القرون بالسبقية ، فكل قرن أفضل من الذي بعده إلى يوم القيامة لحديث « ما من يوم إلا والذي بعده شر منه ، وإنما يسرع بخياركم » ^(٥) لكن قد ورد « مثل هذه الأمة مثل المطر لا يُدرى أوله خير أو آخره » ^(٦) والعيان قاض بذلك .

(١) هو : عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان أبو عمرو ، تقي الدين الفقيه الشافعي المفسر المحدث الأصولي توفي سنة

٦٤٣ بدمشق ، من مصنفاته : معرفة أنواع الحديث ، مقدمة ابن الصلاح ، الأمالي . (انظر : الأعلام ٢٠٧/٤) .

(٢) هو : أويس بن عامر بن جزء القرني ، أحد النساك العباد المقدمين من سادات التابعين قتل في موقعة صفين سنة ٣٧هـ . (انظر : الأعلام ٣٢/٢) .

(٣) هي : أم الهذيل الأنصارية البصرية ماتت بعد المائة . (انظر : تقريب التهذيب ٥٩٤/٢) .

(٤) أخرجه مسلم (٢٥٣٤) عن أبي هريرة ؓ .

(٥) اللفظ لأبي يعلى في مسنده (٤٠٣٦) وأخرجه البخاري بنحوه (٧٠٦٨) .

(٦) أخرجه الترمذي (٢٨٦٩) وقال : حسن غريب .

٧٦ - وَخَيْرُهُمْ مَنْ وَلِيَ الْخِلَافَةَ وَأَتْرَهُمْ فِي الْفَضْلِ كَالْخِلَافَةِ [٤٩٣-٤٩١]

٧٧ - يَلِيهِمْ قَوْمٌ كَرَامٌ بَرَرَةٌ عِدَّتُهُمْ سِتُّ تَمَامِ الْعَشْرِ [٤٩٦-٤٩٤]

[٤٩١] قوله : (وخيرهم من ولي الخلافة) أي وأفضل الصحابة النفر الذي ولي الخلافة العظمى وهي النيابة عن النبي ﷺ في عموم مصالح المسلمين ، وقد قدر رسول الله ﷺ مدتها بقوله : « الخلافة بعدي ثلاثون - أي سنة - ثم تصير ملكاً عضوياً » ^(١) أي ذا عض وتضييق ، لأن الملوك يضرون بالرعية حتى كأنهم يعضون عضاً ، فالمراد أنه ذو تضييق ومشقة على الرعية .

[٤٩٢] والنفر الذي ولي الخلافة العظمى : الخلفاء الأربعة ، فتولاها أبو بكر ﷺ سنتين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ، وتولاها عمر ﷺ عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وتولاها عثمان ﷺ إحدى عشرة سنة ، وأحد عشر شهراً وتسعة أيام . وتولاها علي ﷺ وكرم الله وجهه أربع سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام ، فالجموع تسعة وعشرون سنة وستة أشهر وأربعة أيام ، فلم تكمل المدة التي قدرها النبي ﷺ إلا بأيام الحسن بن علي ^(٢) . كذا حرره السيوطي ، ولذا قال معاوية : أنا أول الملوك ، وإلى هذا التفصيل ذهب الجمهور خلافاً لما نقله المازري ^(٣) عن طائفة من عدم المفاضلة بين الصحابة .

[٤٩٣] قوله : (وأمرهم في الفضل كالخلافة) أي : وشأن الخلفاء الأربعة في ترتيبهم في الفضل بمعنى كثرة الثواب على حسن ترتيبهم في الخلافة عند أهل السنة ، فأفضلهم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ^(٤) ثم علي ^(٥) ، ويدل لذلك حديث ابن عمر : كنا نقول ورسول الله ﷺ يسمع : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي فلم ينهنا ^(٥) .

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) عن سفينة ﷺ وقال : حسن .

(٢) هو : الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو محمد ، خامس الخلفاء الراشدين وسيد شباب أهل الجنة ، وأمه فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، بنت سيدنا رسول الله ﷺ ، ولد في السنة الثالثة من الهجرة ، وكان أشبه الناس بجده ﷺ ، حج خمس عشرة حجة ماشياً ، وخرج من ماله مرتين ، وتوفي سنة ٥٠ هـ ، (انظر : الإصابة ٣٢٨/١ ، والأعلام ١٩٩/٢) .

(٣) هو : محمد بن علي بن عمر التميمي ، المازري أبو عبد الله محدث من فقهاء المالكية ، من تصانيفه : العلم بفوائد مسلم ، وإيضاح الحصول في الأصول ، توفي سنة ٥٣٦ هـ ، (انظر : الدياج المذهب ٢٧٩ ، وفيات الأعيان ٤٨٦/١) .

(٤) هو : الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس أمير المؤمنين ، وأحد السابقين ، ذو النورين وزوج الابتين ، وصاحب الهجرة روى عن النبي ﷺ وعن الشيخين ، قتل شهيداً سنة ٣٥ هـ . (انظر :

سير أعلام النبلاء ٥٦٦/٢ ، وطبقات ابن سعد ٨٠/٣) . (٥) أخرجه البخاري (٣٦٥٥) .

[٤٩٤] وقد قال السعد : على هذا وجدنا السلف والخلف ، والظاهر أنه لو لم يكن لهم دليل على ذلك لما حكموا به ، وفي ذلك رد على الخطائية وهم فرقة تنسب لابن خطاب الأسدي ^(١) تقول بتقديم عمر ، وفيه رد على الراوندية ، وكانوا في الأصل يقال لهم العباسية ، يقولون بتقديم العباس بن عبد المطلب ^(٢) ، وإنما غير اسمهم لئلا يتوهم أنهم أولاد العباس . وفيه رد أيضًا على الشيعة بفتح الياء وهم فرقة تتغالي في حب سيدنا علي عليه السلام فتقدمه على سائر الصحابة . وأما أهل الكوفة وبعض أهل السنة وجمهور المعتزلة وسيدنا مالك ^(٣) في قوله الأول ، فيقدمون عليًا على عثمان فقط ، ففرق بين قول الشيعة وقول هؤلاء ، وإن أوهم كلام الشارح خلاف ذلك .

[٤٩٥] قوله : (يليهم) بالإشباع : أي يلي آخرهم وهو علي ، فالكلام على تقدير مضاف . وقوله : (قوم) أي رجال . وقوله : (كرام) جمع كريم وهو كريم النفس رفيع النسب . وقوله : (بررة) جمع بار وهو المحسن : من البر والإحسان .

[٤٩٦] وقوله : (عدتهم ست تمام العشرة) أي عددهم ست تمام العشرة المبشرين بالجنة ، فمن جعلتهم المشايخ الأربعة السابقون ، والستة الباقية : هم طلحة بن عبيد الله ^(٤) ، والزبير بن العوام ^(٥) ، وعبد الرحمن بن

العشرة المبشرون
بالجنة

(١) ابن خطاب الأسدي ترجم له الشهرستاني في الملل والنحل (١٦/٢) بهامش الفصل لابن حزم مصورة على (ط صبح ص ١٣٤٨) فقال : أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وذكر قبائحه وأنه قتل في زمن المنصور .

(٢) هو : العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، أبو الفضل عم رسول الله ﷺ ، وجد الخلفاء العباسيين ، أظهر إسلامه يوم الفتح ، وتوفي سنة ٣٢ هـ ، (انظر : الأعلام ٢٦٢/٣) .

(٣) هو : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث . أخذ عن نافع ، وسعيد المقبري ، والزهري ، وغيرهم ، ومن أقرانه : معمر ، وابن جريج ، وأبو حنيفة ، وعمرو بن الحارث . طلب مالك العلم ، وهو ابن بضع عشرة سنة ، وتأهل للفتيا ، ولم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبه مالكًا في العلم والفقه والجلالة ، والحفظ . مات سنة تسع وسبعين ومائة . (انظر : سير أعلام النبلاء ٣٨٢/٧) .

(٤) هو : طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي التيمي أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، قال الذهبي : كان ممن سبق إلى الإسلام ، أُرذِي في الله ، ثم هاجر فاتفق أنه غاب عن وقعة بدر في تجارة له بالشام وتألم لغيبته ، فضرب له رسول الله ﷺ وسهم بسهمه وأجره .

قتل ﷺ سنة ٣٦ هـ رحمه الله ورضي عنه . (انظر : الإصابة ٤٢٦٦ ، الاستيعاب ٧٦٤/٢ ، طبقات ابن سعد ٢٢٥/٢١٤/٣ ، سير أعلام النبلاء ١٥/٣) .

(٥) هو : الزبير بن العوام بن خويلد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب . حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطلب وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى ، وأول من سل سيفه في =

عوف^(١) ، وسعد بن أبي وقاص^(٢) ، وسعيد بن زيد^(٣) ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح^(٤) . ولم يرد نص بتفاوت بعضهم على بعض في الأفضلية ، فلا نقول به لعدم التوقيف . وتخصيص هؤلاء العشرة بأنهم مبشرون بالجنة مع أن المبشرين بالجنة أكثر منهم ، فإن الحسن والحسين^(٥) وأمهما فاطمة^(٦) من المبشرين بالجنة قطعاً ؛ لأن هؤلاء العشرة جمعوا في حديث مشهور ، ففي الترمذي وابن حبان وفي حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبي ﷺ أنه قال : « أبو بكر في الجنة ، وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة ، وسعد بن أبي وقاص في الجنة ، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة ، وسعيد بن زيد في الجنة » .

سبيل الله ، أسلم وهو حدث له ست عشرة سنة . (انظر : الإصابة ٥٤٥/١ ، الاستيعاب ٥١٠/٢ ، أسد الغابة ١٩٦/٢ ، سير أعلام النبلاء ٢٦/٣) .

(١) هو : عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، أبو محمد أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة أهل الشورى . أحد السابقين البدرين ، القرشي الزهري ، وهو أحد الثمانية الذين بادروا إلى الإسلام ، له عدة أحاديث . (انظر : سير أعلام النبلاء ٤٣/٣ ، تهذيب الكمال ٣٩٠٥ طبعة دار الفكر) .

(٢) هو : سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ، الأمير أبو إسحاق القرشي الزهري المكي ، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد السابقين الأولين وأحد من شهدوا بدرًا والحديبية ، وأحد الستة أهل الشورى توفي سنة ٥٦ هـ . (انظر : سير أعلام النبلاء ٥٨/٣ ، أسد الغابة ٢٩٠/٢) .

(٣) هو : سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله القرشي العدوي . وهو ابن عم عمر ابن الخطاب أسلم قديماً قبل عمر بن الخطاب هو وامرأته فاطمة بنت الخطاب وكان من المهاجرين الأولين وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين أبي بن كعب ، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة . (انظر : أسد الغابة ٣٨٧/٣) .

(٤) هو : عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك . القرشي الفهري المكي وهو أمين هذه الأمة داهية قريش ، أخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ شهد بدرًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، من العشرة المبشرين بالجنة ، توفي سنة ١٨ هـ . (انظر : بن عساكر في تاريخ دمشق ٣٤٥/٢٦ ، ابن سعد في طبقاته ٤١٤/٣ ، البداية والنهاية لابن كثير ٣٢١/٣) .

(٥) هو : الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي ، أبو عبد الله الإمام الشهيد سبط النبي ﷺ ، وسيد شباب أهل الجنة ، ولد ﷺ في السنة الرابعة من الهجرة ، واستشهد سنة ٦١ هـ . (انظر : الكامل لابن الأثير ١٩/٤ ، وتاريخ الطبري ٢١٥/٦) .

(٦) هي : فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة بنت سيدنا رسول الله ﷺ وريحته ، ومناقبها وفضائلها أكثر من أن تحصى ، وللبيهقوري « الثغور الباسمة في مناقب السيدة فاطمة » ، ولدت قبل الهجرة بثمان عشرة سنة ، وتوفيت بعد أيها ﷺ بستة أشهر . (انظر : تهذيب التهذيب ٤٤٣/١٢ ، وطبقات ابن سعد ٢٠٠/٢ ، والأعلام ١٣٢/٥) .

٧٨ - فَأَهْلُ بَدْرِ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَأَهْلُ الْخُدُفِيَّةِ الرُّضْوَانِ [٤٩٧-٥٠٣]

[٤٩٧] قوله : (فَأَهْلُ بَدْرِ) بتحريك التنوين للوزن : أي فَأَهْلُ غَزْوَةِ بَدْرِ ، ففي فضل
الكلام تقدير مضاف ، فرتبهم تلي رتبة الستة من العشرة . ولا فرق بين
اهل بدر من استشهد فيها وهم أربعة عشر رجلاً ؛ ستة من المهاجرين وثمانية من
الأنصار وبين من لم يستشهد بها .

[٤٩٨] و (بدر) اسم للوادي أو لبئر فيه بناها رجل في الجاهلية يقال له بدر . وفي
السيرة الشامية : بدر قرية مشهورة على نحو أربع مراحل من المدينة .

[٤٩٩] وكان أهل غزوة بدر ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً . وفي رواية (وثلاثة عشر)
ويؤيد هذه الرواية أنه ﷺ أمر بعدهم فأخبر بأنهم ثلاثمائة وثلاثة عشر ، ففرح بذلك
وقال : عدة أصحاب طالوت ، وكان معهم فرسان فقط : إحداهما للمقداد ابن
الأسود^(١) والثانية للزبير بن العوام . وفي عبارة بعضهم : ثلاثة أفراس وكان معهم أيضاً
سبعون بعيراً ، وكان المشركون ألفاً ومعهم مائة فرس وسبعمئة بعير ، وسبق المشركون إلى
ماء بدر فأحرزوه ولم يصل إليه المسلمون ، فعطشوا وأصبح غالبهم جُئناً ، فوسوس
الشیطان لبعضهم وقال : تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله وأنكم أولياء الله وقد
غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين مجننين ، وما ينتظر أعداؤكم
إلا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكمون فيكم كيف شاءوا ، فأرسل الله
عليهم مطراً وسال منه الوادي ، فاغتسلوا وشربوا وشربت دوابهم وملأوا الأسقية وثبت
المطر رمل الأرض ورسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة حتى أصبح ، وصنعوا عريشاً له
ﷺ فكان فيه هو وأبو بكر ، وقام سعد بن معاذ على بابه متوشحاً بالسيف ، ومشى
رسول الله ﷺ في موضع المعركة وجعل يشير بيده : هذا مصرع فلان ، وهذا مصرع
فلان إن شاء الله تعالى ، فما تعدى أحد منهم موضع إشارته ، وسوى رسول الله ﷺ
الصفوف وخطب خطبة يحثهم فيها على الثبات ، وابتهل ، في الدعاء حتى قال : اللهم
إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض ، اللهم أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إن
ظهروا على هذه العصابة ظهر الشرك ولا يقوم لك دين ، وركع ركعتين ، وكان كثيراً ما
يقول في سجوده إذ ذاك : يا حي يا قيوم يكررها مدة وهو ساجد حتى سقط رداؤه من

(١) هو : المقداد بن عمرو الكندي الحضرمي ، أبو معبد أبو عمرو صحابي من الأبطال ، أول من قاتل على
فرس في سبيل الله ، توفي سنة ٣٣ هـ . (انظر : الأعلام ٢٨٢/٧) .

كثرة ما ابتهل ، فألقاه عليه أبو بكر وقال : يا نبي الله كفاك تناشد ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ، ثم قاتل رسول الله ﷺ بنفسه قتالاً شديداً وحرص المسلمين على القتال فقال : قدموا إلى جنة عرضها السموات والأرض ، وكانوا إذا اشتد البأس اتقوا برسول الله ﷺ فكان أقربهم للمشركين ، فأخذ رسول الله ﷺ كفاً من حصي فرمى به المشركين وقال : شأته الوجوه أي قبحت اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم . فأصاب أعين جميعهم وانهزموا ورسول الله ﷺ يقول : ﴿ سَبِّحْهُمُ لِبَعْضِ دُورِ الدُّنْيَا ﴾ [القمر : ٤٥] وأسير منهم سبعون وقتل من أشرفهم سبعون كأبي جهل وأمية بن خلف وعتبة بن ربيعة ، وكان مع المسلمون سبعون من الجن وثلاثة آلاف من الملائكة مردفين يتبع بعضهم بعضاً ، ثم كملت خمسة آلاف فتمثلوا برجال بيض على خيل بلق عمائمهم بيض قد أرخوا أطرافهم بين أكتافهم ، وقيل : سود ، وقيل : صفر ، وقيل : حمر ، وقيل : خضر ، فكانهم أنواع ، وكان قتيلهم يعرف بأثر السواد في الأعناق والبنان أي المفصل مثل حرق النار ، وكان إبليس مع المشركين متصوراً بصورة سراقه بن مالك ^(١) ، وكان معه راية وقال : لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم : أي معين لكم ، فلما أقبل جبريل والملائكة نكص على عقبيه وقال : إني برئ منكم إني أرى مالا ترون ، وصار يقول : اللهم إني أنشدك أني من المنظرين ، وتيسم رسول الله ﷺ في صلاته فسأله عن ذلك بعد انقضائها فقال : مر بي ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار وهو راجع من طلب القوم ، فضحك إلي فتبسمت إليه ، وجاءه جبريل بعد القتال على فرس أحمر عليه درعه ومعه رمحه فقال : يا محمد ، إن الله بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ، هل رضيت ؟ فقال : نعم .

[٥٠٠] والحكمة في قتال الملائكة وحضورهم مع المسلمين مع أن الملك الواحد كجبريل يقدر على رفع الكفار على اقتلاع الأرض أن تكون الملائكة عدداً وممدداً لجيش المسلمين على عادة مدد الجيوش راعية لصورة الأسباب التي أجراها الله بين عباده . قال ابن عباس : ولم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر ، ولكنها تحضر في كل قتال من قتال الكفار إلى يوم القيامة لتكثير سواد المسلمين ثم إن ما اقتضاه كلام الناظم من أن الأربعة الخلفاء والستة الذين هم تمام العشرة

(١) هو : سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي ، الكناني ، الصحابي الجليل ، كان قائفاً في الجاهلية ، أخرجه أبو سفيان ليقتاف أثر النبي ﷺ حين خرج مهاجراً أسلم بعد غزوة الطائف ، توفي سنة ٢٤ هـ . (انظر : الأعلام

أفضل من الملائكة الذين حضروا بدرًا محمول على غير رؤسائهم لما تقدم من أن رؤسائهم أفضل من عوام البشر ، وقد علمت أن المراد بهم أوليائهم كأبي بكر وعمر ، ثم الملائكة الذين شهدوا بدرًا أفضل ممن لم يشهدوا منهم . وقياسه أن يقال : كذلك في مؤمني الجن .

[٥٠١] قوله : (العظيم الشأن) صفة لبدر من حيث غزوتها . واحترز بذلك عن غزوتها الأخيرتين ، فإن غزواتها ثلاث : الأولى لم يقع فيها قتال بل كانت لطلب إنسان أغار على مواشي المدينة وخرجوا في طلبه فلم يجده ، والثالثة : قد تواعد لها أبو سفيان مع النبي ﷺ وتخلف أبو سفيان خوفًا ، والوسطى هي العظمى لحضور الملائكة والجن فيها مع الإنس .

[٥٠٢] (قوله فأهل أحد) بدرج همزة « أحد » وتسكين داله للوزن ، و« أحد » فضل أهل أحد | جبل معروف بالمدينة أي فأهل غزوة أحد فرتبتهم تلي رتبة أهل غزوة بدر ، والمراد من شهدها من المسلمين سواء استشهد بها كالسبعين ، أم لا ، وكان أهلها ألفًا ، منهم ثلاثمائة من المنافقين الذين رجع بهم عبد الله بن أبي بن سلول ، وكان المشركون ثلاثة آلاف رجل ، واصطف المسلمون بأصل أحد والمشركون بالسبخة ، وجعل النبي ﷺ عبد الله بن جبير ^(١) أميرًا على الرماة بالنبل وهم خمسون وقال : احموا ظهورنا واثبتوا مكانكم ، فلما التحم الحرب شرع المسلمون في أخذ الغنائم فقال الرماة : غلب أصحابكم فماذا تنتظرون ، فقال أميرهم : أنسيتم قول رسول الله ﷺ فقالوا : والله لنأتين الناس ونصيب من الغنيمة ، وحملوا كلامه ﷺ على أن المراد : مادام الحرب قائمًا ، فلما أتوهم رجع الكفار عليهم ووقع القتال ، وأشاع إبليس في ذلك الوقت أن محمدًا قد قتل ، فقتل من المسلمين سبعون ، ومن الكفار نيف وعشرون ، وقيل سبعون أيضًا منهم أبي بن خلف قتله المصطفى بيده الكريمة ولم يقتل بيده الشريفة غيره وكان ﷺ لابسًا درعين ، فأراد أن ينهض وهما عليه ليصعد صخرة هنالك فبرك طلحة فصعد على ظهره واستوى عليها ، وقد أصيب طلحة حيثئذ ببضع وسبعين ما بين طعنة بالرمح وضربة بالسيف ورمية بالسهم وقطعت أصابعه ، ورسول الله ﷺ يقول : قد أوجب طلحة . أي الجنة . وفيها استشهد حمزة : قتله وحشي ،

(١) هو : عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري . صحابي شهد العقبة وبدرًا وكان أمير الرماة يوم أحد واستشهد فيها سنة ٣ هـ . (انظر : الأعلام ٧٦/٤) .

وشُج وجه رسول الله ﷺ ورماه عتبة بن أبي وقاص ^(١) بحجر فكسر رباعيته فلم يولد من نسله ولد إلا أهتم أبخر ، ودخلت حلقتان من المغفر في وجنته ﷺ فأخرجها أبو عبيدة بأسنانه فسقطت ثنيتاه ، فكان أحسن الناس هتماً .

[٥٠٣] قوله : (فبيعة الرضوان) أي فأهل بيعة الرضوان فربتهم تلي رتبة أهل
فضل غزوة أحد ، والإضافة في « بيعة الرضوان » من إضافة السبب للمسبب ،
أهل بيعة وسميت بذلك لقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الآية
الرضوان [الفتح : ١٨] وكان أهل بيعة الرضوان ألفاً وأربعمائة ، وقيل خمسمائة ،

وخرج بهم النبي ﷺ عام ست من الهجرة لزيارة البيت الحرام والاعتماد به ، ولم يكن معهم سلاح إلا السيوف ، فنزلوا بأقصى الحديبية محل معروف ، فصدّه المشركون عن دخول مكة ، فأرسل إليهم عثمان بكتاب لأشرف قريش يعلمهم أنه إنما قدم معتمراً لا مقاتلاً ، فقالوا : لا يدخل مكة هذا العام ، فشاع أنهم قتلوا عثمان أشاع ذلك إبليس ورفع صوته به ، فقال : عند ذلك : لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ، ودعا الناس عند الشجرة للبيعة على الموت ، أو على ألا يفروا بل يصبرون على الحرب ، فبايعوه على ذلك ، ووضع ﷺ شماله في يمينه وقال : هذه عن يد عثمان : أي على تقدير حياته ، أو نظراً للحقيقة ، ولم يتخلف عنها إلا الجند بن قيس بفتح الجيم اختبأ تحت بطن ناقته وكان منافقاً ، ويقال : إنه تاب وحسن إسلامه ، ثم تبينت حياة عثمان ، فصالحهم النبي ﷺ على شروط وهي : أن يوضع الحرب بينه وبينهم عشر سنين ، وأن يؤمن بعضهم بعضاً . وأن يرجع هذا العام ويأتي للعمرة في العام القابل ، وأن من جاء ممن تبعه لا يردوه ، ومن جاء من قريش مؤمناً يرده ، وكره المسلمون ذلك فقالوا : يا رسول الله إنا نرد ولا يردون قال : نعم ، من ذهب إليهم فأبعده الله ، ومن جاء منهم فسيجعل الله له مخرجاً ، حتى أسلم أبو جندل ^(٢) وجماعة وانحازوا بجبل يقطعون الطريق على قريش ، فأرسلوا له ﷺ بإسقاط الشروط وأن يأخذهم عنده وقد كتب عليّ : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله ﷺ فقالوا : لو سلمنا أنك رسول الله ما خاصمناك ، فأبى عليّ أن يحوها ، فقال ﷺ : أرنيها ، فمحاها وقال : اكتب لهم كما قالوا « محمد بن عبد الله » فإني رسول الله وابن عبد الله ، وتحللوا بالخلق والذبح ، ورجعوا المدينة .

(١) عتبة بن أبي وقاص هو : والده أبو وقاص يدعى مالكاً . وهو الذي شج وجه رسول الله ﷺ وكسر رباعيته يوم أحد وقيل : إنه مات كافراً . (انظر : أسد الغابة ٥٧١/٣) .

(٢) هو : أبو جندل بن سهيل بن عمرو كان اسمه العاص وهو يعد من خيار الصحابة . توفي شهيداً في طاعون عمواس بالأردن سنة ١٨هـ . (انظر : أسد الغابة ٥٤/٦) .

٧٩- وَالسَّابِقُونَ فَضْلُهُمْ نَصًّا عُرِفَ هَذَا فِي تَعْيِينِهِمْ قَدْ اخْتَلَفَ [٥٠٤-٥٠٩]

[٥٠٤] قوله : (والسابقون فضلهم نصًّا عرف) هذه جملة مستأنفة ، ولهذا لم يأت بحرف الترتيب ، « والسابقون » مبتدأ أول ، و « فضلهم » مبتدأ ثان ، وجملة قوله « عرف » خبر المبتدأ الثاني . وهو وخبره خبر عن المبتدأ الأول ، و « نصًّا » منصوب على نزع الخافض ، وفي عبارة بعضهم : منصوب على التمييز . والمعنى والمتقدمون الأولون فضلهم بمعنى كثرة ثوابهم على غيرهم ممن لم يشركهم في هذه الصفة عرف من نص القرآن أو من جهة نص القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴾ ... الآية [التوبة : ١٠٠] .

[٥٠٥] وقوله : (هذا) أي افهم هذا ، فهو مفعول محذوف ، ويصح غير ذلك .

[٥٠٦] وقوله : (وفي تعيينهم قد اختلف) أي وفي تعيين السابقين قد اختلف العلماء : فقال أبو موسى الأشعري ^(١) وغيره من الأكابر : الذين صلوا إلى القبلتين أي قبله بيت المقدس والكعبة ، وهذا هو قول الأكثر وهو الأصح .

[٥٠٧] وقال محمد بن كعب ^(٢) القرظي وجماعة : هم أهل بدر .

[٥٠٨] وقال الشعبي ^(٣) : هم أهل بيعة الرضوان ، فالأقوال ثلاثة : أرجحها أولها ، وقد علم من كلام الناظم أن التفضيل تارة يكون باعتبار الأفراد ، وتارة باعتبار الأصناف ، فالأول كتفضيل أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، والثاني كتفضيل الخلفاء الأربعة ، ثم الستة الباقية من العشرة ، ثم أهل بدر ، ثم أهل أحد ، ثم أهل بيعة الرضوان ، وبعض أهل هذه المراتب ربما دخل في بعضها وربما دخل في الجميع ، فقد يكون سابقاً خليفة بدرياً أحدئاً رضوائياً كالمشايخ الأربعة لكن عثمان بدرى أجراً لا حضوراً ؛ لأنه خلفه على بنته رقية يمرضها ومات في غيبته ، وقال : لك أجر رجل وسهمه ^(٤) .

[٥٠٩] وكان عثمان يلقب بذي النورين لتزوجه ببنته عليها السلام رقية ، وأم كلثوم ، ولم يعلم من تزوج ببنتي نبي غيره .

(١) هو : عبد الله بن قيس بن سليم ، أبو موسى الأشعري ، صحابي جليل من الشجعان ، الولاة الفائقين ، كان أحسن الصحابة صوتاً في تلاوة القرآن ، توفي سنة ٤٤ هـ . (انظر : طبقات بن سعد ٧٩١٤ ، والأعلام ١١٤/٤) .

(٢) هو : محمد بن كعب بن سليم بن أسد أبو حمزة القرظي ثقة عالم مات سنة عشرين . (انظر : تقريب التهذيب ٢٠٣/٢) .

(٣) هو : عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كيار ، الإمام ، علامة العصر ، أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي ، كان مولده في إمرة عمر بن الخطاب لست سنين خلت منها ، وقيل ولد سنة إحدى وعشرين . قاله شباب توفي سنة ١٠٤ هـ . (انظر : تاريخ الخلفاء ص ١٤٩ ، والعبر ١٢٧/١ ، وسير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥) .

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٩٨) .

٨٠ - وَأَوَّلُ التَّشَاخُرِ الَّذِي وَرَدَ إِنَّ خُضَّتْ فِيهِ وَاجْتَبَتْ دَاءَ الْحَسَدِ [٥١٠-٥١٣]

[٥١٠] قوله : (وأول التشاجر الذي ورد) لما ذكر أن صحبه ﷺ خير
تأويل الخلاف
الذي وقع
بين الصحابة
القرون احتاج للجواب عما وقع بينهم من المنازعات الموهمة قدحاً في
حقهم مع أنهم لا يصرون على عمد المعاصي وإن لم يكونوا
معصومين .

[٥١١] وقد وقع تشاجر بين علي ومعاوية رضي الله عنه ^(١) ، وقد اقترفت الصحابة ثلاث فرق :
فرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع علي فقاتلت معه ، وفرقة اجتهدت فظهر لها أن الحق مع
معاوية فقاتلت معه ، وفرقة توقفت . وقد قال العلماء : المصيب بأجرين والمخطئ بأجر ، وقد
شهد الله ورسوله لهم بالعدالة ، والمراد من تأويل ذلك أن يصرف إلى محل حسن لتحسين
الظن بهم ، فلم يخرج واحد منهم عن العدالة بما وقع بينهم ؛ لأنهم مجتهدون .

[٥١٢] قوله : (إن خضت فيه) أي إن قُدر أنك خضت فيه فأوله ولا تنقص
أحدًا منهم ، وإنما قال المصنف ذلك ؛ لأن الشخص ليس مأموراً بالخوض فيما جرى
بينهم ، فإنه ليس من العقائد الدينية ولا من القواعد الكلامية وليس مما ينتفع به في الدين
بل ربما ضر في اليقين ، فلا يباح الخوض فيه إلا للرد على المتعصبين أو للتعليم كتدريس
الكذب التي تشتمل على الآثار المتعلقة بذلك . وأما العوام فلا يجوز لهم الخوض فيه
لشدة جهلهم وعدم معرفتهم بالتأويل .

[٥١٣] قوله : (واحتتب داء الحسد) أي : واترك وجوباً في خوضك فيما شجر
بينهم داء هو الحسد ، فالإضافة للبيان إن أريد الداء المعنوي أو الحسد الشبيه بالداء ،
فالإضافة من إضافة المشبه به للمشبه إن أريد الداء الحسي ، والمراد داء الحسد الحامل
على الميل مع أحد الطرفين على وجه غير مرضي . وقد قال ﷺ : « الله الله في
أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي ، من آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ،
ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » أي اتقوا الله ثم اتقوا الله ، أو أنشدكم الله ثم أنشدكم
الله في حق أصحابي وتعظيمهم لا تتخذوهم كالغرض الذي يرمى إليه بالسهم فترموهم
بالكلمات التي لا تناسب مقامهم ، فمن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله : أي
تعدى حدوده وخالفه ، ففيه مشاكلة وإلا فحقيقة الإيذاء على الله محالة ، ومن آذى

(١) هو : معاوية بن أبي سفيان بن صخر بن حرب الأموي ، أبو عبد الرحمن رضي الله عنه ، أسلم زمن الفتح ، ولي
الشام ، وملك عشرين سنة ، وكان كريماً سائساً أحد دهاة العرب ، ومؤسس الدولة الأموية توفي سنة ٦٠ هـ .

(انظر : الخلاصة للخزرجي ص ٣٨١ ، والأعلام ٢٦١/٧) .

اللَّهُ يوشك أن يأخذه أي يقرب أن يعذبه وفي رواية « لا تسبوا أصحابي فمن سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه الله صرفاً ولا عدلاً » (١) ومعلوم جواز لعن غير المعين من العصاة. والصرف : الفرض . والعدل النفل . وقيل بالعكس ، وقيل غير ذلك ، وهذا في المستحل أو خارج مخرج المبالغة في الزجر .

(١) رواه الطبراني (١٢٧٥٩) . عن ابن عباس ؓ .

٨١ - وَمَالِكٌ وَسَائِرُ الْأَئِمَّةِ كَذَا أَبُو الْقَاسِمِ هُدَاةُ الْأُمَّةِ [٥١٤-٥٢٣]

[٥١٤] قوله : (ومالك) مبتدأ ، وقوله « وسائر الأئمة » عطف عليه والخبر قوله : فضل الأئمة « هداة الأمة » وأما قوله « كذا أبو القاسم » فجملة معترضة بين المبتدأ والخبر . واعلم أنه لم يصح في الأئمة الأربعة حديث بالخصوص ، وإنما ورد « يوشك أن تضرب أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة »^(١) فحمل على الإمام مالك ، فكانوا يزدحمون على بابه لطلب العلم . وقيل : هو كل عالم منها .

ورود « عالم قریش يملأ طباق الأرض علماً »^(٢) فحمل على الإمام الشافعي . وقيل : هو ابن عباس . وورد « لو كان العلم بالثريا لئاله رجال من فارس »^(٣) فحمل على أبي حنيفة وأصحابه وكل من هذه الأحاديث ظني .

[٥١٥] وقوله : (وسائر الأئمة) أي باقيهم . (وأل) في « الأئمة » للعهد ، والمعهود الأئمة الأربعة فقط ، والأولى جعلها للكمال لا بقيد عهد الأربعة فقط ، فيدخل الإمام الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس ، والإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، والإمام أحمد بن حنبل . والإمام الليث بن سعد^(٤) ، وداود الظاهري^(٥) ، فإنه كان جبلاً في العلم ، وما نقل عن إمام الحرمين من أنه لا يؤخذ بكلام الظاهرية ولا يعول عليهم ، فمحمول على طائفة مخصوصة كابن حزم ، ويدخل أيضاً سفيان الثوري^(٦) وكان يسمى أمير المؤمنين في الحديث وإسحاق بن راهويه^(٧) ، ومحمد ابن جرير

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه وقال : حسن .

(٢) أسنده البيهقي في مناقب الشافعي (٥٤/١) عن أحمد رضي الله عنه .

(٣) أخرجه أحمد (٢٩٧/٢) وأصله في الصحيحين .

(٤) هو : الليث بن سعد بن عبد الرحمن . أبو الحارث . إمام أهل مصر في عصره حديثاً وفقهاً ، توفي بمصر سنة ١٧٥ هـ (انظر : الأعلام ٢٤٨/٥) .

(٥) هو : داود بن علي بن خلف الأصبهاني أبو سليمان الملقب بالظاهري إليه تنسب الطائفة الظاهرية مات في بغداد سنة ٢٧٠ هـ (انظر : الأعلام ٣٣٣/٢) .

(٦) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري . أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث مات سنة ١٦١ هـ في البصرة من مصنفاته : الجامع الكبير ، والجامع الصغير . (انظر : الأعلام ١٠٤/٣) .

(٧) هو : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد التميمي المروزي أبو يعقوب . أحد كبار حفاظ الحديث مات سنة ٢٣٨ هـ في نيسابور من كتبه المسند (انظر : الأعلام ٢٩٢/١) .

الطبري^(١) ، وسفيان بن عيينة^(٢) ، وكان يقول : « إذا كانت نفس المؤمن محبوسة عن مكانها في الجنة بدينه حتى يقضى عنه فكيف بصاحب الغيبة فإن الدين يقضى والغيبة لا تقضى » ، وعبد الرحمن بن عمر الأوزاعي^(٣) وكان يقول : ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وتعرض على العبد يوم القيامة فالساعة التي لا يذكر الله فيها تتقطع نفسه عليها حسرات ، فكيف إذا مرت ساعة مع ساعة ويوم مع يوم . والإمام أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي .

[٥١٦] وقوله : (كذا أبو القاسم) كذا : خبر مقدم ، و « أبو القاسم » مبتدأ مؤخر : أى مثل من ذكر في الهداية واستقامة الطريق أبو القاسم محمد الجنيدي سيد الصوفية علماً وعملاً ، ولعل المصنف رأى شهرته بهذه الكنية ، ولو قال : « جنيدهم أيضاً هداة الأمة » لكان أوضح .

[٥١٧] وقد اختلف العلماء في التكني بأبي القاسم ، فقال الإمام الشافعي : لا يجوز مطلقاً ، أي : سواء كان اسمه محمداً أو لا ، قبل مفارقتها ، للدنيا أو بعدها . وقال الأئمة الثلاثة : يجوز بعد مفارقتها ﷺ الدنيا ، وكان الجنيدي رحمه الله على مذهب أبي ثور^(٤) صاحب الإمام الشافعي فإنه كان مجتهداً اجتهداً مطلقاً كالإمام أحمد .

[٥١٨] ومن كلام الجنيدي الطريق إلى الله مسدود على خلقه إلا على المفتين آثار الرسول ﷺ ..

[٥١٩] ومن كلامه أيضاً : لو أقبل صادق على الله ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة كان ما فاتة أكثر مما ناله .

[٥٢٠] ومن كلامه أيضاً : إن بدت ذرة من عين الكرم والجود ألحقت المسيء

(١) هو : محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر المؤرخ المفسر الإمام ولد في أمل طبرستان وتوفي سنة ٣١٠ هـ من مصنفاته : أخبار الرسل والملوك ، تفسير القرآن جامع البيان . (انظر : الأعلام ٦/٦٩) .

(٢) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي أبو محمد أمير المؤمنين في الحديث إمام الحرم المكي توفي سنة ١٩٨ هـ من مصنفاته : الجامع في الحديث ، كتاب في التفسير . (انظر : الأعلام ٣/١٠٥) .

(٣) هو : عبد الرحمن بن عمرو بن محمد . أبو عمرو . إمام الديار الشامية في الفقه والزهد كان علماء الأندلس يستقون منه الفتيا توفي في بيروت سنة ١٥٧ هـ . (انظر : الأعلام ٣/٣٢٠) .

(٤) هو : إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان . يكنى أيضاً أبا عبد الله الفقيه صاحب الإمام الشافعي وكان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً . توفي سنة ٢٤٠ هـ من مصنفاته كتاب ذكر فيه اختلاف مالك والشافعي . (انظر : الأعلام ١/٣٧) .

بالمحسن وبقيت أعمالهم فضلاً لهم .

[٥٢١] ودخل عليه إبليس في صورة فقير يريد خدمة الشيخ فخدمه مدة طويلة ثم أخبره بنفسه وقال له : خدمتك مدة ولم يختل من عملك شيء ، فلم يرتض قوله لما فيه من الدخيل ^(١) وقال له : أنا عارف بك من أول ما دخلت ، وقد استخدمتك عقوبة لك لعلمي أن لا أجر لك في الخدمة . ثم خرج خاسئاً .

[٥٢٢] وقوله : (هداة الأمة) أي هداة هذه الأمة التي هي خير الأمم بشهادة قوله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] فهم خيار الخيار ، لكن بعد من ذكر من الصحابة ومن معهم .

[٥٢٣] والحاصل أن الإمام مالكا ونحوه هداة الأمة في الفروع ، والإمام الأشعري ونحوه هداة الأمة في الأصول أي العقائد الدينية ، والجنيد ونحوه هداة الأمة في التصوف ، فجزاهم الله عنا خيراً ونفعنا بهم .

(١) الدخيل : أي هو الذي يداخله في أموره كلها ، فهو له دخيل ودُخْلٌ . (انظر : لسان العرب (دخل)

٨٢ - فَوَاجِبُ تَقْلِيدُ خَيْرٍ مِنْهُمْ كَذَا حَكَى الْقَوْمُ بِلَفْظِ يُفْهَمُ [٥٢٤-٥٢٧]

[٥٢٤] قوله : (فواجب : تقليد . .) إلخ لما قَدَّمَ أن الأئمة المذكورين هداة هذه وجوب الأمة ولم يكن كل واحد من الناس قادرًا على الاجتهاد المطلق ذكر هنا تقليد إمام أنه يجب على كل من لم يكن فيه أهلية الاجتهاد المطلق ولو كان مجتهد

مذهب أو فتوى تقليد إمام من الأئمة الأربعة في الأحكام الفرعية . وما جزم به الناظم هو مذهب الأصوليين وجمهور الفقهاء والمحدثين ، واحتجوا بقوله تعالى : ﴿ فَتَشْلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل : ٤٣] فأوجب السؤال على من لم يعلم ، ويترتب عليه الأخذ بقول العالم ، وذلك تقليد له . وقال بعضهم : لا يجب تقليد واحد بعينه ، بل له أن يأخذ فيما يقع له بهذا المذهب تارة وبغيره أخرى ، فيجوز صلاة الظهر على مذهب الشافعي ، وصلاة العصر على مذهب مالك ، وهكذا . وخرج بقولنا : « من لم يكن فيه أهلية الاجتهاد المطلق » من كان فيه أهليته ، فإنه يحرم عليه التقليد فيما يقع له عند الأكثر ، واختاره الآمدي وابن الحاجب ^(١) والسبكي لتمكنه من الاجتهاد الذي هو أصل التقليد . وأما التقليد في العقائد فقد علمته في صدر هذه المنظومة .

[٥٢٥] وقوله : (خير منهم) بفتح الحاء وكسر ها : أي عالم حاذق من الأئمة الأربعة ، ولا يجوز تقليد غيرهم ولو كان من أكابر الصحابة ، لأن مذاهبهم لم تدون ولم تضبط كمذاهب هؤلاء ، لكن جَوِّزَ بعضهم ذلك في غير الإفتاء كما قال :

وجائز تقليد غير الأربعة في غير إفتاء وفي هذا سعة

[٥٢٦] وقوله : (كذا حكى القوم بلفظ يفهم) أي حكى الأصوليون وجمهور الفقهاء والمحدثين بلفظ يفهمه السامع لوضوح حكمًا مثل هذا الحكم الذي هو وجوب تقليد إمام من الأئمة الأربعة . واختلف المشبه والمشبه به بالاعتبار فإن القول باعتبار كونه صادرًا من المصنف غير نفسه باعتبار كونه صادرًا من القوم ، وليس مراد المتن التبري من ذلك ، بل مجرد العزو .

[٥٢٧] فإن قلت : هل يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب ، قلت : فيه أقوال ثلاثة ، فقيل يمتنع مطلقًا . وقيل : يجوز مطلقًا . وقيل : إن لم يجمع بين المذهبيين على صفة تخالف الإجماع كمن تزوج بلا صداق ولا ولي ولا شهود ، فإن هذه الصورة لا

(١) هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر ، جمال الدين أبو عمر كان أصوليًا فقيهاً متكلمًا متبحرًا محققًا توفي سنة ٦٤٦هـ . من مصنفاته : الكافية في النحو ، الأمالي في النحو . (انظر : الأعلام ٢١١/٤) .

يقول بها أحد ، وهذا شرط من شروط التقليد المنظومة في قول بعضهم :
عدم التتبع رخصة وتركب الحقيقة ما إن يقول بها أحد
وكذاك رجحان المقلد يعتد ولحاجة تقليده تم العدد
وقد أملى شيخنا علي هذين البيتين رسالة لطيفة ينبغي الاطلاع عليها .

٨٣ - وَأُثْبِتَتْ لِلأُولَى الْكَرَامَةُ وَمَنْ نَفَّاهَا انْبَدَنَ كَلَامُهُ [٥٢٨-٥٣٩]

[٥٢٨] قوله : (وأُثْبِتَتْ لِلأُولَى الْكَرَامَةُ) أي : اعتقد ثبوت الكرامة للأولياء بمعنى إثبات الكرامة للأولياء

من لم تظهر كرامته بعد موته كما كانت في حياته فليس بصادق .

[٥٢٩] وقال الشعراني : ذكر لي بعض المشايخ أن الله تعالى يوكل بقبر الولي ملكًا يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه (١) .

[٥٣٠] واستدلوا على الجواز بأنه لا يلزم من فرض وقوعها محال ، وكل ما كان كذلك فهو جائز . وعلى الوقوع بما جاء في الكتاب العزيز من قصة مريم قال تعالى : ﴿ وَأَنْبِئْهَا تَبَأًا حَسَنًا ﴾ [آل عمران : ٣٧] أي أنشأها إنشاء حسنًا بأن سوى خلقها وجعلها تنبت في اليوم كما ينبت المولود في العام ، وكفلها زكريا ، وكان لا يدخل عليها غيره ، وكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وقصة أصحاب الكهف وهم سبعة من أشرف الروم خافوا بعد عيسى على إيمانهم من ملكهم فخرجوا ودخلوا غارًا فلبثوا فيه بلا طعام ولا شراب ثلاثمائة وتسع سنين نيامًا بلا آفة .

[٥٣١] وقصة « آصف » بالمد وفتح الصاد وزير سليمان وكان يعرف الاسم الأعظم فقال لسليمان : انظر إلى السماء ، فنظر إليها ، فدعا آصف بالاسم الأعظم أن يأتي الله بعرش بلقيس فأتى به ، فرد سليمان طرفه فوجده بين يديه .

[٥٣٢] وما وقع من كرامات الصحابة والتابعين إلى وقتنا هذا ، فقد روي أن عمر ابن الخطاب رأى العدو من مسافة شهر فقال : يا سارية (٢) الجبل فسمع سارية صوته فانحاز بالناس إلى الجبل وقاتلوا العدو فنصرهم الله تعالى (٣) .

[٥٣٣] وروي أن عبد الله الشقيق (٤) كان إذا مرت عليه سحابة يقول لها :

(١) قول الشعراني : المذكور لم يثبت دليل صحته .

(٢) هو : سارية بن زعيم بن عبد الله بن جابر ، صحابي من الشعراء ، القادة ، الفاتحين ، جعله عمر أميرًا على جيش وسيره إلى بلاد الروم ففتح بلادًا منها أصبهان ، توفي سنة ٣٠ هـ . (انظر : الأعلام ٦٩/٣) .

(٣) أثر أن عمر بن الخطاب رأى أخرجه البيهقي في الدلائل ، ونقل السخاوي في المقاصد (٤٧٤) عن الحافظ أن إسناده حسن .

(٤) هو : عبد الله بن شقيق العقيلي . بصري ثقة مات سنة ١٠٨ هـ (انظر تقريب التهذيب ٤٢٢/١) .

أقسمت عليك بالله إلا أمطرت : فتمطر بالحال .

[٥٣٤] والأولياء جمع ولي وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان ،
الولي : المواظب على الطاعة المجتنب للمعاصي بمعنى أنه لا يرتكب معصية بدون
تعريفه توبة . وليس المراد أنه لا تقع منه معصية بالكلية إذ ليس معصوماً .

[٥٣٥] وقولهم « لا يكذب الولي » أي بلسان حاله بأن يظهر خلاف ما يظن ،
المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات المباحة ، وأما أصل التناول فلا مانع منه لا
سيما إذا كان بقصد التقوي على العبادة ، وسمي « ولياً » لأن الله تولى أمره فلم يكله
إلى نفسه ولا إلى غيره لحظة ، ولأنه يتولى عبادة الله على الدوام من غير أن يتخللها
عصيان ، وكلا المعنيين واجب تحقيقه حتى يكون الولي عندنا ولياً في نفس الأمر .

[٥٣٦] والكرامة : أمر خارق للعادة يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمطابقة
الكرامة : نبي كلف بشريعته مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ، علم بها
عريفها أو لم يعلم ، وسبق ما يتعلق بخوارق العادة عند المعجزات .

[٥٣٧] قوله : (ومن نفاها انبذن كلامه) أي ومن نفى الكرامة وقال بعدم جوازها
كالأستاذ^(١) وأبي عبد الله الحلبي من أهل السنة وجمهور المعتزلة اطرحن كلامه ولا تعول
عليه ، وأتى المصنف بهمة الوصل للضرورة ، فتكون مكسورة وليست همزة قطع كما قد
يتوهم : فإن الذي في القرآن العظيم ثلاثي . قال تعالى : ﴿ فَأَيُّ الْيَهُودِ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

[٥٣٨] وتمسك من نفى الكرامة بأنه لو ظهرت الخوارق من الأولياء لالتبس النبي
بغيره لأن الخارق إنما هو المعجزة ، وبأنها لو ظهرت على أيديهم لكثرت بكثرتهم
وخرجت عن كونها خارقة للعادة والفرس أنها كذلك . ورد الأول بأنه ليس في وقوعها
التباس النبي بغيره للفرق بين المعجزة والكرامة . بدعوى النبوة في الأولى وعدمها في
الثانية ، ورد الثاني بأننا لا نسلم أنها تخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة ، بل غاية
الأمر استمرار خرق العادة ، وذلك لا يوجب كونه عادة .

[٥٣٩] وسئل بعضهم : لأي شيء كثرت الكرامات في الزمان المتأخر عن الزمان
المقدم ، فأجاب بأن ذلك لضعف اعتقاد المتأخرين ، فاحتيج لتأليفهم بالكرامات
ليعتقدوا في الصالحين . وأما المتقدمون فاعتقادهم تابع لميزان الشرع .

(١) هو : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران ، أبو إسحاق الإسفراييني ، الإمام الفقيه الأصولي المتكلم ،
كان يلقب بركن الدين ، شافعي المذهب ، له تصانيف منها : الجامع في علم أصول الدين ، ورسالة في أصول
الفقه . (انظر : طبقات الشافعية الكبرى ٢٥٦/٤ ، وفيات الأعيان ٨/١) .

٨٤ - وَعِنْدَنَا أَنَّ الدَّعَاءَ يَنْفَعُ كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ وَعِنْدَ إِسْمَاعِيلَ [٥٤٠-٥٤١]

[٥٤٠] قوله : (وعندنا أن الدعاء ينفع) أي : وعندنا معاشر أهل السنة أن الدعاء الذي هو الطلب على سبيل التضرع ، وقيل : رفع الحاجات إلى رافع الدرجات ينفع الأحياء والأموات إن دعوت لهم ، ويضرهم إن دعوت عليهم وإن صدر من كافر على الراجح ؛ لحديث أنس رضي الله عنه « دعوة المظلوم مستجابة ونفعه

ولو كافراً » ^(١) وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴾ [الرعد : ١٤] فمعناه أنه لا يستجاب لهم في خصوص الدعاء بتخفيف عذاب جهنم عنهم يوم القيامة .

[٥٤١] وروى الحاكم وصححه أنه رضي الله عنه قال : « لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل وإن البلاء لينزل ويتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة » ^(٢) والدعاء ينفع في القضاء المبرم والقضاء المعلق ، أما الثاني فلا استحالة في رفع ما علق رفعه منه على الدعاء ، ولا في نزول ما علق نزوله منه على الدعاء ، وأما الأول فالدعاء وإن لم يرفعه لكن الله تعالى ينزل لطفه بالداعي ، كما إذا قضى عليه قضاءً مبرماً بأن ينزل عليه صخرة فإذا دعا الله تعالى حصل له اللطف بأن تصير الصخرة متفتتة كالرمل وتنزل عليه .

وانقسام القضاء إلى مبرم ومعلق ظاهر بحسب اللوح المحفوظ ، وأما بحسب العلم فجميع الأشياء مبرمة ، لأنه إن علم الله حصول المعلق عليه حصل المعلق ولا بد ، وإن علم الله عدم حصوله لم يحصل ولا بد ، لكن لا يترك الشخص الدعاء اتكالاً على ذلك كما لا يترك الأكل اتكالاً على إبرام الله الأمر في الشبع . وأما عند المعتزلة فالدعاء لا ينفع ، ولا يكفرون بذلك لأنهم لم يكذبوا القرآن كقوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] بل أولوا الدعاء بالعبادة ، والإجابة بالثواب .

[٥٤٢] واعلم أن للدعاء شروطاً وآداباً : فمن شروطه أكل الحلال ، وأن يدعو وهو موقن بالإجابة ، وألا يكون قلبه غافلاً ، وألا يدعو بما فيه إثم أو قطيعة رحم أو إضاعة حقوق المسلمين ، وألا يدعو بمحال ولو عادة ، لأن الدعاء به يشبه التحكم على القدرة القاضية بدوامها وذلك إساءة أدب على الله تعالى .

ومن آدابه : أن يتحرى الأوقات الفاضلة كأن يدعو في السجود ، وعند الأذان

(١) أخرجه أحمد (١٥٣/٣) عن أنس بن مالك .

(٢) أخرجه الحاكم (٤٩٢/١) عن عائشة رضي الله عنها وقال : صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي بأن فيه مجمع على ضعفه .

والإقامة . ومنها تقديم الوضوء والصلاة ، واستقبال القبلة ، ورفع الأيدي إلى جهة السماء ، وتقديم التوبة ، والاعتراف بالذنب ، والإخلاص ، وافتتاحه بالحمد والصلاة على النبي ﷺ وختمه بها ، وجعلها في وسطه أيضًا .

[٥٤٣] قوله : (كما من القرآن وعدًا يسمع) أي لأجل الذي يسمع داله من ألفاظ القرآن حال كونه موعودًا به ، فالكاف للتعليل ، و « ما » اسم موصول ، و « يسمع » صلته ، و « وعدًا » بمعنى موعودًا به حال ، والمسموع إنما هو الدال والموعود به المدلول لا الدال . قال تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر : ٦٠] وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة : ١٨٦] وتخصيص القرآن لتواتره لا لقصر الدلالة عليه ، وإلا فيدل على أن الدعاء ينفع السنة والإجماع ، فقد دعا ﷺ ربه في مواطن كثيرة كيوم بدر ، وقد أجمع عليه السلف والخلف .

[٥٤٤] واعلم أن الإجابة تنوع فتارة يقع المطلوب بعينه على الفور ، وتارة يقع ، ولكن يتأخر لحكمة فيه ، وتارة تقع الإجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب مصلحة ناجزة ، وفي ذلك الغير مصلحة ناجزة ، أو يكون في المطلوب مصلحة وفي ذلك الغير أصلح منها ، على أن الإجابة مقيدة بالمشيئة كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ ﴾ [الأنعام : ٤١] فهو مقيد لإطلاق الآيتين السابقتين فالمعنى : ادعوني أستجب لكم إن شئت وأجيب دعوة الداعي إن شئت .

٨٥ - بِكُلِّ عَبْدٍ حَافِظُونَ وَكُلُّوا وَكَاتِبُونَ خَيْرَةٌ لَّنْ يُهْمِلُوا [٥٤٥-٥٤٤]

٨٦ - مِنْ أَمْرِهِ شَيْئًا فَعَلْ وَلَوْ ذَهْلٌ حَتَّى الْأَنْثَى فِي الْمَرْضِ كَمَا تُقَلُّ [٥٥٥-٥٥٨]

[٥٤٥] قوله : (بكل عبد حافظون وكلوا) الجار والمجرور متعلق بالفعل بعده : أي وكلهم الله تعالى بكل عبد ، وهو شامل للإنس والجن والملائكة ، وقد تردد الجزولي^(١) في الجن والملائكة ، أعليهم حفظة أم لا ؟ ثم جزم بأن الجن عليهم حفظة ، واستبعد القول بذلك في الملائكة . قال المصنف : ولم أقف عليه لغيره ا هـ .

[٥٤٦] والظاهر أن الملائكة لا حفظة عليهم ، وهل المراد بالحافظين في كلام المصنف الحافظون للعبد من المضار أو الحافظون لما يصدر منه من قول أو فعل أو اعتقاد يجعل الله لهم أمانة على الاعتقاد ، وهذا الخلاف مبني على العطف في قوله « وكاتبون » فإن جعل للتغاير كما ذكره المصنف في

شرحه الصغير كان المراد بالحافظين المعنى الأول ، وإن جعل للتفسير كما ذكره في شرحه الكبير كان المراد بالحافظين المعنى الثاني ، والراجع الأول ، فقد ذكر بعضهم أن المعقبات في قوله تعالى : ﴿ لَمْ مَعَقَبْتُمْ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الرعد : ١١] غير الكاتبين ، ويقويه كما قاله القرطبي أنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد بل يلزمونه أبداً ، بخلاف الكتبة فإنهم يفارقون العبد عند ثلاث حاجات : عند قضاء حاجة الإنسان بولاً أو غائطاً ، وعند الجماع ، وعند الغسل كما جاء ذلك في حديث ابن عباس ؓ^(٢) ، ولا يمنع ذلك من كتب ما يصدر منه في هذه الأحوال ، لأن الله يجعل لهم علامة على ذلك كما مر في الاعتقاد ، وفي غير هذه الأحوال لا يفارقونه ولو كان بيته فيه جرس أو كلب أو صورة .

[٥٤٧] وأما حديث « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه جرس »^(٣) ونحوه فالمراد ملائكة الرحمة .

(١) هو : محمد بن أحمد بن عبد الله الجزولي الحنفي السوسي ، أبو عبد الله ، محدث ، مؤرخ ، من تصانيفه : شرح على الجامع الصحيح للبخاري ، حاشية على سيرة الكلاعي وغيرهما وتوفي في سنة ١١٨٩ هـ . (انظر : فهرس الفهارس ٢٦٠/١ ، معجم المؤلفين ٧٥/٢) .
(٢) أخرجه البزار ، كما في كشف الأستار (٣١٧) وإسناده ضعيف .
(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٣١) .

[٥٤٨] وقد ورد أن عثمان سأل النبي ﷺ عن عدد الملائكة الموكلين بالآدمي (١) ، فقال : « لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار : واحد عن يمينه وآخر عن شماله ، واثنان بين يديه ومن خلفه ، واثنان على جنبه ، وآخر قابض على ناصيته ، فإن تواضع رفعه ، وإن تكبر وضعه ، واثنان على شفثيه ليس بالملائكة الموكلون بالآدمي

يحفظان عليه إلا الصلاة على النبي ﷺ والعاشر يحرسه من الحية أن تدخل فاه » وفي بعض الروايات أنه ذكر عشرين ملكاً . وذكر الأبي أنه يحفظ لابن عطية (٢) أن كل آدمي يوكل به من حين وقوعه نطفة في الرحم إلى موته أربعمائة ملك ، وحفظهم للعبد إنما هو من المعلق . وأما المبرم فلا بد من إنفاذه فيتنحون عنه حتى ينفذ .

[٥٤٩] قوله : (وكاتبون خيرة) أي : مختارون ، لأن الله تعالى اختارهم بذلك وقد علمت أنه وقع خلاف في هذا العطف ، فقليل : للتغاير ، وقيل : للتفسير ، والحق الأول ، والمراد بالجمع : ما فوق الواحد ، لأن كل واحد من العباد إنما عليه ملكان ، وكل منهما رقيب : أي حافظ ، وعتيد : أي حاضر ، لا كما قد يتوهم من أن أحدهما رقيب والآخر عتيد ، وهما لا يتغيران مادام حيًا ، فإذا مات يقومان على قبره يسبحان ويهللان ويكبران ويكتبان ثوابه له إلى يوم القيامة إن كان مؤمناً ، ويلعنانه إلى يوم القيامة إن كان كافراً .

[٥٥٠] وقيل : لكل يوم ولية ملكان ، فلليوم ملكان ، ولليلة ملكان ، فتكون الملائكة أربعة يتعاقبون عند صلاة العصر وصلاة الصبح ، ويؤرخون ما يكتبون من أعمال العباد بالأيام والجمع والأعوام والأماكن ، وملك الحسنات من ناحية اليمين ، وملك السيئات من ناحية اليسار ، والأول أمين أو أمير على الثاني ، فإذا فعل العبد حسنة بادر ملك اليمين إلى كتبها ، وإذا فعل سيئة قال ملك اليسار لملك اليمين : أأكتب ؟ فيقول : لا ، لعله يستغفر ويتوب ، فإذا مضى ست ساعات فللكية من غير توبة قال له : اكتب أراحنا الله منه ، وهذا دعاء عليه بالموت ليتحولاً عن مشاهدة المعصية ، لأنهما يتأذيان بذلك .

[٥٥١] وفي بعض الآثار أن كتب المباحات على القول به لكتاب السيئات ، وقد اعتمد بعضهم أن المباح لا يكتب ، وهذه الكتابة مما يجب الإيمان بها فيكفر منكرها لتكذيبه القرآن . قال تعالى : ﴿ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۖ يَغْمُرُونَ مَا فَعَلُوا ۖ ﴾ [الانفطار : ١١]

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤/٤٨ ، إلى ابن جرير .

(٢) هو : عبد الحق بن غالب بن عطية أبو محمد فقيه نحوي لغوي أديب توفي سنة ٥٤٢ هـ من مصنفاته

تفسير القرآن الكريم المحرر الوجيز . (انظر : الأعلام ٣/٢٨٢) .

لكنها ليست لحاجة دعت إليها ، وإنما فائدتها أن العبد إذا علم بها استحيا وترك المعصية .
[٥٥٢] والكتب حقيقي بآلة وقرطاس ومداد يعلمها الله سبحانه وتعالى حملاً
للنصوص على ظواهرها خلافاً لمن قال : إنه كناية عن الحفظ والعلم .

[٥٥٣] وفي بعض الأحاديث أن لسانه قلمهما وريقه مدادهما ^(١) ، والتفويض
أولى . واختلف في محلها من الشخص فقليل : ناجذاه ، أي : آخر أضراره الأيمن
والأيسر . وقيل : عاتقه . وقيل : ذقنه . وقيل : شفتاه . وقيل : عنقته .

[٥٥٤] وروى عن مجاهد ^(٢) أنه إن قعد كان أحدهما عن يمينه والآخر عن
يساره ، وإن مشى كان أحدهما أمامه والآخر وراءه ، وإن رقد كان أحدهما عند رأسه
والآخر عند رجله ، ويجمع بين هذه الأقاويل بأنهما لا يلزمان محلاً واحداً والأسلم في
أمثال ذلك الوقف .

[٥٥٥] قوله : (لن يهملوا من أمره شيئاً فعل) أي لن يتركوا من شأنه وحاله شيئاً
فعله بلا كتابة بل يكتبونه قولاً أو غيره ، فليست الكتابة مختصة بالأقوال وإن كان قوله
تعالى : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] في خصوص الأقوال ، وكذلك
حديث ابن عباس رضي الله تعالى ^(٣) عنهما في تفسير الآية المذكورة ، فإنه قال : يكتب
كل ما يتكلم به من خير أو شر ، حتى إنه ليكتب قوله : أكلت ، شربت ، ذهبت ،
جئت ، رأيت حتى إذا كان يوم الخميس ويوم الاثنين عرض قوله وعمله فأقر منه ما كان
خيراً أو شراً وألغى سائر أي باقيه وهو المباح والمكروه فلتتقمه حيتان البحر فتموت منه
لنتنه فيخرج منه دود يأكل الزرع ، وهذا صريح في كتب المباحات ، فيؤيد القول
بكتابتها ، لكن تقدم أن بعضهم اعتمد عدم كتابتها ، وظواهر الآثار أن الحسنات تكتب
مميزة عن السيئات ، فقليل : إن سيئات المؤمن أول كتابه ، وآخره : هذه ذنوبك قد سترتها
وغفرتها . وحسنات الكافر أول كتابه ، وآخره : هذه حسناتك قد رددتها عليك وما قبلتها .

[٥٥٦] قوله : (ولو ذهل) أي ولو غفل ونسي ، فالذهول عن الشيء نسيانه
والغفلة عنه ، فيكتب ما فعله نسياناً وإن كان لا يؤاخذ به لأنه ليس الغرض من الكتابة

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٦) عن أبي نعيم وقال السيوطي في مقدمة الجامع الكبير : ضعيف .

(٢) هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي . مولى بني مخزوم تابعي مفسر من أهل مكة توفي سنة ١٠٤ هـ
من مصنفاته : كتاب في التفسير يتيقنه المفسرون . (انظر : الأعلام ٢٧١/٥) .

(٣) أخرجه السيوطي في الدر المنثور (١٠٣/٦) عن ابن جرير وابن أبي حاتم .

والمعاقبة ولا الإثابة .

[٥٥٧] وقوله : (حتى الأنين في المرض) أي حتى يكتبون الأنين الصادر منه في المرض . والأنين مصدر أن الرجل يئن إذا صوّت ، وينبغي للمريض أن يقول « آه » ^(١) لأنه ورد أنه من أسمائه تعالى ، ولا يقول « أخ » لأنه اسم من أسماء الشيطان .

[٥٥٨] وقوله : (كما نقل) أي كما نقله أئمة الدين وعلماء المسلمين ومن أعظمهم الإمام مالك رحمته الله ، فإنه قال : يكتبون على العبد كل شيء حتى أنينه في مرضه ، وتمسكوا بقوله تعالى : ﴿ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق : ١٨] لأن وقوع « قول » في سياق النفي يقتضي العموم .

(١) لم يثبت في طريق صحيح أن (آه) اسم من أسماء الله تعالى .

٨٧ - فَحَاسِبِ النَّفْسَ وَقَلِّلِ الْأَمَلَا قُرْبَ مَنْ جَدَّ لِأَمْرِ وَصَلَا [٥٥٩ - ٥٦٤]

[٥٥٩] قوله : (فحاسب النفس) أي : إذا علمت أن عليك من يحفظ أعمالك محاسبة النفس ويكتبها فحاسب نفسك كل صباح على جميع ما عملته ليلاً وكل مساء على جميع ما عملته نهاراً ، فما وجدت من حسنة حمدت الله عليها ، أو من سيئة استغفرت الله منها ، وأقرب من ذلك إلى السلامة أن تحاسبها على كل فعل قبل الإقدام عليه حتى لا تتلبس به إلا بعد معرفة حكم الله فيه ، فما كان خيراً فعلته ، وما كان غير ذلك أمسكت عنه لتريح الملائكة من التعب ، ولأن من حاسب نفسه في الدنيا هان عليه عذاب الآخرة .

[٥٦٠] وفي الحديث « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » (١) .

[٥٦١] وقوله : (وقلل الأملا) بفتح القاف وتشديد اللام الأولى وتسكين الثانية ، ودرج همزة « الأملا » الثانية بنقل حركتها للامة : أي قصر الأمل : وهو رجاء ما تحبه النفس كطول عمر وزيادة غنى ، وهو مذموم إلا من العلماء حيث أملوا طول عمرهم لنفع المسلمين فيثابون على نيأتهم في ذلك .

[٥٦٢] والأصل فيما ذكر قوله ﷺ : « كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور » (٢) .

[٥٦٣] ومن كلام بعضهم : من قصر أمله قل همه وتنور قلبه ورضي بالقليل ، وبضدها تتميز الأشياء .

[٥٦٤] وقوله : (قرب من جد لأمر وصل) مرتبط بمحذوف يؤخذ من قوله : « وقلل الأملا » والتقدير : وجد في مطلوبك قرب من جد ... إلخ : أي لأنه رب من اجتهد بتوفيق الله له لتحصيل أمر من أمور الدنيا أو الآخرة ، وصل إلى ذلك بتقدير الله في الأزل وصوله إليه .

(١) لم نقف عليه مرفوعاً بل هو أثر عن عمر بن الخطاب أوردته ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٦٤١٦) ، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب .

٨٨ - وَوَاجِبٌ إِيمَانُنَا بِالْمَوْتِ وَيُقْبَضُ الرُّوحُ رَسُولُ الْمَوْتِ [٥٦٥ - ٥٧٢]

[٥٦٥] قوله : (وواجب إيماننا بالموت) (واجب) خبر مقدم ، و (إيماننا) الإيمان بالموت ، و (بالموت) متعلق بإيماننا ، والمعنى : أن تصديقنا بالموت واجب ، فيجب التصديق بعموم فناء الكل خلافاً للدهرية في قولهم : إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع .

[٥٦٦] ويجب التصديق أيضاً بأنه على الوجه المعهود شرعاً من فراغ الآجال المقدره خلافاً للحكماء في قولهم بأنه بمجرد اختلال نظام الطبيعة فمراد المصنف بذلك الرد على من ذكر . [٥٦٧] وأما أصل وقوع الموت فلا حاجة للنص عليه لأنه لا يشك فيه عاقل لكونه مشاهداً ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠] وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥] والأحاديث فيه كثيرة .

[٥٦٨] وقد اختلف في الموت ، هل هو وجودي أو عدمي ، فذهب الأشعري رحمه الله تعالى إلى الأول ، وعرفه بأنه : كيفية أي صفة وجودية تضاد الحياة ، فالتقابل بينهما تقابل التضاد . وذهب الإسفراييني والزمخشري إلى الثاني ، وعرفاه بأنه عدم الحياة عما من شأنه أن يكون حياً ، فالتقابل بينهما تقابل العدم والملكة ويدل للأول قوله تعالى : ﴿ أَلَلَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ ﴾ [الملك : ٢] وتأويل الخلق بالتقدير كما قاله من ذهب إلى أنه عدمي خلاف الظاهر .

[٥٦٩] وفي بعض الأحاديث أن الله خلق الموت في صورة كبش لا يمر بشيء إلا مات كما أن في بعض الأحاديث أن الحياة خلقها الله على صورة فرس لا تمر بشيء (١) إلا حيي ، وهذا إنما هو باعتبار التمثيل ، وإلا فالموت صفة للميت ، كما أن الحياة صفة للحي ، والأولى التفويض في أمثال هذه المقامات .

[٥٧٠] قوله : (ويقبض الروح رسول الموت) أي يخرجها من مقرها الملك الموكل بالموت وهو عزرائيل عليه السلام ، ومعناه عبد الجبار ، وهو ملك عظيم هائل المنظر مفرع جدّاً ، رأسه في السماء العليا ورجلاه في تخوم الأرض السفلى : أي منتهاها ، ووجهه مقابل اللوح المحفوظ ، والخلق بين عينيه ، وله أعوان بعدد من يموت ، يترفق بالمؤمن ويأتيه في صورة حسنة دون غيره .

(١) ذكره السيوطي في « رفع الصوت بذبح الموت » وعزاه للكبي ومقاتل في تفسيرهما . (انظر : الحواوي للفتاوى ٩٩/٢ ، وأيضاً الدر المنثور ٢٤٧/٦) .

[٥٧١] وفي حديث ابن مسعود (١) وابن عباس أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال : يا ملك الموت ، أرني كيف تقبض أنفاس الكفار ؟ قال : يا إبراهيم لا تطيق ذلك . قال : بلى . قال : أعرض ، فأعرض ثم نظر فإذا هو برجل أسود ينال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار ، فغشي على إبراهيم ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى ، وقال : يا ملك الموت ، لو لم يلق الكافر من البلاء والحزن إلا صورتك هذه لكفاه ، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين ، قال : أعرض ، فأعرض ثم التفت فإذا برجل شاب أحسن الناس وجهًا وأطيبهم ريحًا في ثياب بيض ، فقال : يا ملك الموت لو لم ير المؤمن عند الموت من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه (٢) .

[٥٧٢] وفي النظم إفادة جوهرية الروح ، وإلا لم تقبض . ومذهب أهل السنة من المتكلمين والمحدثين والفقهاء والصوفية : أنها جسم لطيف مشتبك بالبدن كاشتباك الماء بالعود الأخضر وبهذا جزم النووي ، ومذهب جماعة من الصوفية والمعتزلة أنها ليست بجسم ولا عرض ، بل جوهر مجرد متعلق بالبدن للتدبير غير داخل فيه ولا خارج عنه ، و« أل » في الروح للاستغراق ، فهي دالة على العموم ، والمراد جميع أرواح الثقلين ولو أرواح الشهداء برًّا

الروح :
تعريفها :
كيف
تقبض
الأرواح

وبحرًا ، وأرواح الملائكة حتى روح نفسه على أحد القولين . وقيل القابض لروحه هو الله ﷻ وأرواح البهائم والطيور وغيرهم ولو بعوضة كما ذهب إليه أهل الحق ، خلافًا للمعتزلة حيث ذهبوا إلى أنه لا يقبض أرواح غير الثقلين من الملائكة والطيور وغيرهم ، وللمبتدعة حيث ذهبوا أنه لا يقبض أرواح البهائم ، بل يقبضها أعوانه ، وقد أشار المصنف للرد على الجميع بآل الدالة على العموم ، ولمباشرة ملك الموت لذلك أسند إليه التوفي كما في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ﴾ [السجدة : ١١] كنسبته إلى أعوانه لمعالجتهم نزعها من العصب والعظم والعروق في قوله تعالى : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ [الأنعام : ٦١] وأما إسناد التوفي إليه تعالى في قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ [الزمر : ٤٢] فلأنه الخالق لذلك حقيقة الموجد له .

(١) هو : عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب ، الإمام الخبر ، فقيه الأمة أبو عبد الرحمن الهذلي المكي كان من السابقين الأولين ومن النجباء العاملين شهد بدرًا وهاجر الهجرتين ، أول من جهر بالقرآن ، ومناقبه غزيرة روى علمًا كثيرًا . توفي سنة اثنتين وثلاثين . (انظر : الإصابة ٢٠٩/٧ ، الزركلي في الأعلام ٣/ ٢٩٠) .
(٢) الحديث عزاه السيوطي في شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور ص ٤٥ ، لابن أبي الدنيا من حديث ابن مسعود وابن عباس .

٨٩ - وَمَيِّتٌ يَعْمُرُهُ مَنْ يُقْتَلُ وَغَيْرُ هَذَا بَاطِلٌ لَا يَقْبَلُ [٥٧٣-٥٧٨]

[٥٧٣] (فائدة) مجيء الموت والعبد على عمل صالح يسهل الموت ، وكذلك السواك فيما ذكره جماعة . ومما يسهل الموت وجميع ما بعده من الأحوال ما ذكره السنوسي وغيره من صلاة ركعتين ليلة الجمعة بعد المغرب يقرأ بعد الفاتحة الزلزلة خمس عشرة مرة ، وروى أن سورتها تعدل نصف القرآن .

[٥٧٤] قوله : (وميت بعمره من يقتل) « ميت » خبر مقدم ، و« من يقتل » مبتدأ مؤخر : أي كل ذي روح يفعل به ما يزهق روحه ميت بانقضاء عمره ، ففي عبارة المصنف حذف مضاف ، ولو عبر بالأجل لم يحتج لتقدير المضاف ، لأن الأجل يطلق على آخر العمر كما يطلق على مدة العمر بتمامها ، لكن المصنف عبر بالعمر لأجل النظم ، فاحتجج لتقدير المضاف .

[٥٧٥] وما ذكره الناظم هو مذهب أهل الحق ، فالأجل عندهم واحد لا يقبل الزيادة والنقصان . قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴾ [الأعراف : ٣٤] وقد دلت الأحاديث على أن كل هالك يستوفي أجله من غير تقدم عليه ولا تأخر عنه ، ولا يعارض هذه القواطع ما ورد أن بعض الطاعات كصلة الرحم يزيد في العمر ^(١) لأنه خبر آحاد ، أو أن الزيادة فيه بحسب الخير والبركة ، أو بالنسبة لما ثبت في صحف الملائكة ، فقد ثبت الشيء فيها مطلقاً وهو في علم الله تعالى مقيد ^(٢) كأن يكون في صحف الملائكة : إن عمر زيد خمسون مثلاً مطلقاً ، وهو في علم الله تعالى مقيد بأن لا يفعل كذا من الطاعات ، وإن فعلها فله ستون ، فإن سبق في علمه تعالى أنه يفعلها فلا يتخلف عن فعلها وكان عمره ستين ، فالزيادة بحسب الظاهر على ما في صحف الملائكة ، وإلا فلا بد من تحقق ما في علمه تعالى كما يشير له قوله تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٩] أي أصل اللوح المحفوظ وهو علمه تعالى الذي لا محو فيه ولا إثبات .

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سره أن يسقط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » أخرجه البخاري (٣٠٦٧) ومسلم (٢٥٥٧) .

(٢) بيان ذلك أن الله تعالى يعلم أزلاً أن زيداً يطيع وأن له بسبب ذلك من العمر ستين سنة ، ويعلم أيضاً أنه لو لم يطيع لكان عمره خمسين سنة ، وهذا هو معنى كون ما في صحف الملائكة مقيداً في علم الله بأن لا يفعل كذا من الطاعات ، وليس المراد من التقييد التعليق ، بل المراد منه ما تقدم من أنه يعلم أنه لو لم يطيع لكان عمره خمسين سنة مثلاً ، وبحمل التقييد على هذا المعنى اندفع ما يترأى من العبارة من أن علم الله مشوب بالتردد .

[٥٧٦] وأما اللوح المحفوظ فالحق قبول ما فيه للمحو والإثبات كصحف الملائكة ،
 أجل وبعضهم فسر أم الكتاب باللوح المحفوظ ، لأنه ما من كائن إلا وهو
 المقتول مكتوب فيه ، والراجح الأول ، وبالجمله فمختار أهل السنة أن كل مقتول
 ميت بانقضاء عمره وحضور أجله في الوقت الذي علم الله حصول موته فيه أولاً بخلقه
 تعالى من غير مدخلية للقاتل فيه ، وإنما وجب عليه القصاص نظراً للكسب فقط ، وعند
 أهل السنة أنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت وأن لا يموت فيه لأنه لا اطلاع
 لنا على ما في علم الله ، فيحتمل أنه لو لم يقتل أن يموت في ذلك الوقت إن لم يكن
 عمره في علم الله أكثر من ذلك ، ويحتمل أن لا يموت فيه إن كان عمره في علم الله
 أكثر من ذلك ، وهذا التجويز ذاتي على فرض عدم قتله كما هو ظاهر ، وإلا فقد بان
 بقتله أن الله علم موته في ذلك الوقت فلا خلف .

[٥٧٧] قوله : (وغير هذا باطل لا يقبل) أي وغير ما ذكر من مذاهب المخالفين
 لأهل السنة غير مطابق للواقع لا يقبل عند العقلاء المتمسكين بالحق .

[٥٧٨] وأشار المصنف بذلك للرد على أهل الاعتزال ، فإن لهم مذاهب ثلاثة .
 الأول مذهب الكعبي : وهو أن المقتول ليس بميت ، لأن القتل فعل العبد ، والموت فعله
 تعالى ، واستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٨]
 فإن العطف يقتضي المغايرة ، وأهل السنة يقولون المعنى : ولكن متم من غير سبب أو قتلتم
 بأن متم بسبب ، فعند الكعبي أن المقتول له أجلان : أجل بالقتل ، وأجل بالموت ، فلو لم
 يقتل لعاش إلى أجله بالموت .

والثاني : مذهب جمهورهم وهو أن القاتل قطع على المقتول أجله ، فعندهم أن
 المقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي علم الله موته فيه لولا القتل ، فلو لم يقتل لعاش
 إليه قطعاً .

والثالث : مذهب أبي الهذيل^(١) وهو أن المقتول أجله في ذلك الوقت فقط ، فعنده أن
 المقتول له أجل واحد وهو الوقت الذي قتل فيه ، فلو لم يقتل لمات بدل القتل قطعاً ، وبهذا
 التقرير ظهر الفرق بين مذاهب المعتزلة ومذهب أهل السنة فتدبر .

(١) هو : محمد بن الهذيل بن عبد الله . شيخ المعتزلة توفي سنة ٢٣٥ هـ (انظر الأعلام ١٣١/٧) .

٩٠ - وَفِي فَنَّا النَّفْسِ لَدَى النَّفْخِ اخْتِلَافٌ وَاسْتَظْهَرَ السَّبْكَ بِقَائِمَا اللَّذَّعْرِفِ [٥٧٩ - ٥٨١]

[٥٧٩] قوله : (وفي فنا النفس لدى النفخ اختلاف) أي وفي ذهاب صورة النفس التي هي الروح عند نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى اختلاف العلماء ، فذهبت طائفة إلى الحكم بقائها عند ذلك لظاهر قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا كَانَ ﴾ [الرحمن : ٢٦] وذهبت طائفة أخرى إلى الحكم بعدم قائها عند ذلك ، وأما قبل نفخ إسرافيل في الصور النفخة الأولى فلا خلاف بين المسلمين في بقائها ولو بعد فناء الجسم ، وتكون منعمة إن كانت من أهل الخير ، ومعذبة إن كانت من أهل الشر .

[٥٨٠] وتسمى النفخة الأولى : نفخة الفناء ، ولا يبقى عندها حي إلا مات إن لم يكن مات قبل ذلك ، وإلا غشي عليه إن كان مات قبل ذلك كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، إلا من شاء الله من الملائكة الأربعة الرؤساء والحرور العين وموسى عليه الصلاة والسلام لأنه صعد في الدنيا مرة فجوزي بها ، فجميع الأنبياء بعد الموت تعود إليهم أرواحهم ثم يغشى عليهم عند النفخة الأولى إلا موسى لما حصل له في الدنيا ، ثم ينفخ إسرافيل في الصور النفخة الثانية وتسمى نفخة البعث فيجمع الله الأرواح في الصور عند النفخة الثانية وفيه ثقب بعددها ، فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها ، فلا تخطئ روح جسدها ، وبين النفختين أربعون ^(١) عامًا على ما في بعض الطرق .

[٥٨١] قوله : (واستظهر السبكي بقاها للذعرف) بتخفيف الياء وتسهيل الهمزة وتسكين الذال لغة في « الذي » أي اختار الإمام تقي الدين السبكي في تفسيره المسمى بالدر النظيم من هذا الاختلاف - القول ببقائها الذي عهد سابقاً لأنهم اتفقوا على بقائها بعد الموت لسؤالها في القبر وتنعيمها أو تعذيبها فيه ، والأصل في كل باق استمراره حتى يظهر ما يصرف عنه ، فالدليل على بقائها الاستصحاب ، فتكون من المستثنى بقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [النمل : ٨٧] وما قاله السبكي هو المختار عند أهل الحق ، وإنما خصه المصنف بالذكر لتبحره في الفنون حتى أحاط بالمعقول والمنقول .

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٤) ومسلم (٢٩٥٥) عن أبي هريرة .

٩١ - عَجِبُ الذَّنْبِ كَالرُّوحِ لَكِنْ صَحَّحَا الْمَزْنِيُّ لِلْبَلَى وَوَضَّحَا [٥٨٢ - ٥٨٦]

[٥٨٢] قوله : (عجب الذنب كالروح) (العجب) بفتح العين وسكون الجيم وآخره بقاء الروح وعجب الذنب وإضافته للذنب من إضافة المماثل لمماثلة ، فقولهم عجب الذنب : معناه

عجب شبيه بالذنب : وهو عظم كالخردلة في آخر سلسلة الظهر في العصب مخصص بالإنسان كمغرز الذنب للدابة ، وهو بكسر الراء من باب ضرب ، وتشبيهه بالروح في جريان الاختلاف في الفناء على قولين ، والمشهور منهما أنه لا يفنى لكن لا يقيد بوقت النفخ وإن كان الخلاف في المشبه به مقيداً به كما صرح به المصنف في قوله : « وفي فنا النفس لدى النفخ اختلف » .

[٥٨٣] وقوله : (لكن صححا المزني للبلَى) أي لكن صحح الإمام إسماعيل بن يحيى المزني ^(١) - وهو منسوب لمزينة اسم قبيلة - القول بأن عجب الذنب يلى ويفنى تمسكاً بظاهر قوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن - ٢٦] وفناء الكل يستلزم فناء الجزء . وقوله : (ووضحا) أي بين صحة ما ذهب إليه وواقفه ابن قتيبة ^(٢) وقال : إنه آخر ما يلى من الميت والأقوى في النظر أنه لا يلى .

[٥٨٤] وحديث الصحيحين : « ليس من الإنسان شيء إلا يلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب منه خلق الخلق يوم القيامة » ^(٣) .

[٥٨٥] ولحديث مسلم « كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب » ^(٤) . [٥٨٦] وفي حديثه الآخر « إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً » ^(٥) واختلف هل بقاءه تعبدى أو معلل ، والأرجح أنه تعبدى لضعف ما علل به القائل بأنه معلل ، فإنه علله بجواز كونه جعل علامة للملائكة الموكلين بالإعادة على إحياء كل إنسان بجواهره التي كانت في الدنيا ، ووجه ضعفه أن الملائكة لا يخفى عليهم هذا الأمر مع أنهم يعيدون كل إنسان بجواهره بأمر الله على أنه يجوز اللبس فيه نفسه .

(١) هو : إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل . أبو إبراهيم المزني صاحب الإمام الشافعي ، كان زاهداً عالماً مجتهداً قوي الحجّة ويعد من أئمة الشافعية . توفي سنة ٢٦٤ من كتبه : المختصر المشهور في الفقه ، الترغيب في العلم ، الجامع الكبير . (انظر : الأعلام ١/ ٣٢٩) .

(٢) هو : عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . أبو محمد من أئمة الأدب صاحب التصانيف قليل الرواية توفي سنة ٢٧٦ هـ من كتبه : أدب الكاتب ، عيون الأخبار . (انظر : الأعلام ٤/ ١٣٧) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٨١٤) ، ومسلم (٢٩٥٥) ، من حديث أبي هريرة .

(٤) مسلم (٢٩٥٥) من حديث أبي هريرة . (٥) مسلم (٢٩٥٥) رقم خاص (١٤٣) .

٩٢ - وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ قَدْ خَصَّصُوا غُمُومَهُ فَاطْلُبْ لِمَا قَدْ لُحِصُوا [٥٨٧ - ٥٨٨]

[٥٨٧] وقوله : (وكل شيء هالك قد خصصوا عمومته) لما كان القول ببقاء الروح وعجب الذنب هو الراجح ، وأشار المصنف إلى الجواب عما يرد عليه كقوله تعالى : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] إذ مقتضاه أن كل ما سواه تعالى محكوم عليه بالهلاك وحاصل الجواب أن العلماء قصروا عموم ذلك على غير الأمور التي وردت الأحاديث باستثناءها : كالروح ، وعجب الذنب ، وأجساد الأنبياء والشهداء ، والعرش ، والكرسي ، والجنة ، والنار ، والخور العين ، ونحو ذلك . وقد نظم الجلال السيوطي ثمانية منها بقوله :

ثمانية تحكّم البقاء يعمّها من الخلق والباقون في حيز العدم
هي العرش ، والكرسي ، نار ، وجنة ، وعجب ، وأرواح ، كذا اللوح ، والقلم
وعلى هذا فتكون الآية من قبيل العام المخصوص ، والعام : لفظ يستغرق الصالح له
بغير حصر ، والتخصيص : قصر العام على بعض أفراد ، وهذا الجواب لجماعة كابن
عباس ، وذهب محققو المتأخرين إلى أنه لا استثناء ولا تخصيص وقالوا : معنى « هالك »
قابل للهلاك كما هو معنى « فان » أيضًا .

[٥٨٨] وقوله : (فاطلب لما قد لخصوا) أي : فتوجّه لما قد لخصه العلماء من
الأمور التي وردت الأحاديث باستثناءها ، وقد تقدم بيانها .

٩٣ - وَلَا نَخْضُ فِي الرُّوحِ إِذْ مَا وَرَدَا نَصَ عَنِ الشَّارِعِ لَكِنْ وَجَدَا [٥٨٩-٥٩٢]

قوله : (وَلَا نَخْضُ فِي الرُّوحِ) أي وَلَا نَخْضُ نَحْنُ مَعَاشِرَ جَمْهُورِ | [٥٨٩] الروح، عدم الخوض في حقيقتها المحققين في بيان حقيقة الروح ، هكذا في شرح المصنف ، ومقتضى هذا أن المتن يقرأ بالنون ، والشائع قراءته بالتاء التي للمخاطب ، وحمل الشارح النهي على الكراهة حيث قال : فالخوض في بيان حقيقتها مكروه لعدم

التوقيف في ذلك ، لكن كلام الجنيد يدل على الحرمة حيث قال : الروح شيء استأثر الله بعلمه فلم يطلع عليه أحد من خلقه ، فلا يجوز لعباده البحث عنها بأكثر من أنها موجودة قال تعالى : ﴿ وَشَئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] وفي ذلك إظهار لعجز المرء حيث لم يعلم حقيقة نفسه التي بين جنبيه مع القطع بوجودها ، ولم يخرج النبي ﷺ من الدنيا حتى أطلعه الله تعالى على جميع ما أبهمه عنه من الروح وغيرها مما يمكن علم البشر به لا على جميع معلوماته تعالى ، وإلا لزم مساواة الحادث للقديم ، وما خالف ذلك نحو ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾ [الأنعام : ٥٠] محمول على أنه كان قبل أن يكشف له عن ذلك . وما ذكره عن عدم الخوض في الروح هو المختار ولذلك صدر الناظم به فتمسك عن بيان حقيقتها وبيان مقرها من الجسد ، والمشهور عدم تعدد الروح في كل جسد .

[٥٩٠] وصرح العز بن عبد السلام بأن في كل جسد روحين إحداهما : روح اليقظة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان الإنسان مستيقظاً فإذا خرجت منه نام . ورأت تلك الروح المنامات ، والأخرى : روح الحياة التي أجرى الله العادة بأنها إذا كانت في الجسد كان حياً ، فإذا فارقه مات ، وهاتان الروحان في باطن الإنسان لا يعرف مقرهما إلا من أطلعه الله على ذلك ، وقد كان بعض الأرواح يوم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] مقبلاً على بعض بالوجه ، وبعضها مولياً ظهره لبعض ، وبعضها جاعلاً جنبه لبعض فالإقبال بالوجه غاية في المودة وعكسه بالظهر وبالجنب بين ذلك كما في اليواقيت ، ويكشف لكثير عن ذلك كسهل بن عبد الله ^(١) حتى إنهم يعرفون تلامذتهم إذ ذاك .

[٥٩١] وفي الحديث « الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » ^(٢) .

(١) هو : سهل بن عبد الله بن يونس أبو محمد أحد أئمة الصوفية وعلمائهم ، متكلم في علوم الإخلاص والرياضيات ، توفي سنة ٢٨٣ هـ من مصنفاته : تفسير القرآن ، رقائق الحبين . (انظر : الأعلام ١٤٣/٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٣٦) عن عائشة رضي الله عنها .

[٥٩٢] قوله : (إذ ما وردا نص عن الشارع) أي لأنه لم يرد دليل عن الله تعالى ببيانها وكل ما هو كذلك فالأولى عدم الخوض فيه ، وهذا تعليل للنهي عن الخوض في الروح على الطريقة المختارة .

٩٤ - لِمَالِكِ هِيَ صُورَةُ كَالْجَسَدِ فَحَسْبُكَ النَّصُّ بِهَذَا السَّنَدِ [٥٩٣-٥٩٧]

[٥٩٣] قوله : (لكن وجدنا لما لك هي صورة كالجسد) بسكون الياء لغة في هي الروح : بفتحها ، أي : لكن وجد لأهل مذهب مالك من خاض في بيان الروح : وصفها هي جسم ذو صورة كصورة الجسد في الشكل والهيئة ، فإن أصبغ^(١)

نقل عن ابن القاسم^(٢) عن عبد الرحيم بن خالد^(٣) قال : الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس ، تسل من الجسد سلاً ، وإنما نسبته المصنف لما لك لاستنادهم إليه في ذلك ، وما ذكر من الخوض في الروح هو غير المختار^(٤) .

[٥٩٤] قال النووي : وأصح ما قيل فيها على هذه الطريقة ما قاله إمام الحرمين : إنها جسم لطيف شفاف مشتبك بالجسم كاشتباك الماء بالعود الأخضر ، فتكون سارية في جميع البدن . وقيل : مقرها البطن . وقيل : القلب .

وقيل : بقرب القلب ، والصواب ما قاله : إمام الحرمين ، وهذا في حالة الحياة ، وأما بعد الموت فأرواح السعداء بأفنية القبور على الصحيح . وقيل عند آدم عليه السلام في سماء الدنيا لكن لا دائماً ، فلا ينافي أنها تسرح حيث شاءت ، وأما أرواح الكفار ففي سجين في الأرض السابعة السفلى محبوسة . وقيل : أرواح السعداء بالجانية في الشام ، وقيل : بيئر زمزم ، وأرواح الكفار بيئر برهوت في حضرموت التي هي مدينة في اليمن .

[٥٩٥] وقوله : (فحسبك النص بهذا السند) أي وإذا علمت النقل عن أهل مذهب مالك بالخوض في حقيقتها فيكفيك في الخوض النص عنهم حال كونه متلبساً بهذا القول المسند إليهم من ملابس العام للخاص فلا تخض بأكثر منه ، فالمراد بالسند : المسند إلى أهل مذهب مالك ، وإن كان في الأصل هو الطريق الموصلة للحديث ، وتلك الطريق هي الرجال الذين يروون الحديث .

[٥٩٦] فإن قيل : يرد على ذلك أنه إذا قُطع عضو حيوان لزم قطع نظيره من

(١) هو : أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع من كبار المالكية قال ابن الماجشون : ما أخرجت مصر مثل أصبغ كان كاتب ابن وهب وله تصانيف . (انظر : الأعلام ٣٢٣/١) .

(٢) هو : عبد الرحمن بن القاسم بن خالد المصري أبو عبد الله فقيه ، جمع بين الزهد والعلم توفي سنة ١٩١ بمصر من مصنفاته : المدونة وهي أجل كتب المالكية (انظر : الأعلام ٣٢٣/٣) .

(٣) هو : عبد الرحيم بن خالد بن يزيد مولى الجهنية المصري ، وأحد رواة الموطأ عن مالك ، توفي سنة ١٦٣ هـ .

(٤) انظر : ترتيب المدارك للقاضي عياض ٣١٠/١ . (انظر : التمهيد لابن عبد البر ٢٤٤/٥) .

الروح . أجيّب بأن لطافتها تقتضي سرعة انجذابها وانضمامها من ذلك العضو المقطوع قبل انفصاله أو سرعة الالتحام بعد القطع ، وهذا يقتضي انقطاع الروح ثم تلتحم سريعاً ، والأول يقتضي عدم انقطاعها ، فهو أولى ، لأن الأصل عدم الانقطاع .

[٥٩٧] فإن قيل : كيف يخوضون في الروح مع أن الآية دالة على عدم الخوض فيها ، حيث أمر فيها النبي ﷺ بأن يقول : ﴿ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾ [الإسراء : ٨٥] أجيّب بأنه إنما أمر عليه الصلاة والسلام بترك الجواب تصديقاً لما في كتب اليهود : من أن الإمساك عن ذلك من علامات نبوته وأدلة رسالته .

٩٥ - وَالْعَقْلُ كَالرُّوحِ وَلَكِنْ قَرَرُوا فِيهِ خِلَافًا فَانْظُرْ مَا فَسَّرُوا [٥٩٨ - ٦٠٥]

[٥٩٨] قوله : (والعقل كالروح) مبتدأ وخبر : أي والعقل مثل الروح من حيث الخوض في بيان الحقيقة والوقف عن ذلك . واختلف كلام المصنف في الترجيح : فرجح في « هداية المرید » طريق الخوض ، ورجح في « الكبير » طريق الوقف ، وهو المختار لأنه من الغيبات وكل ما هو كذلك ، فالأولى الكف عن الخوض فيه ، وهو لغة : المنع من عقل البعير إذا منعه بالعقل ، وسمي بذلك لمنعه صاحبه من العدول عن سواء السبيل .

[٥٩٩] واعلم أن العقل على خمسة أنواع :
العقل : الأول : غريزي ، وهو غريزة يتهيأ بها لدرك العلوم النظرية كما قاله شيخ
أنواعه : الإسلام .


والثاني : كسبي ، وهو ما يكتسبه الإنسان من معايشة العقلاء .
والثالث : عطائي ، وهو ما يعطيه الله للمؤمنين ليهتدوا به إلى الإيمان ،
والرابع : عقل الزهاد ، وهو الذي يكون به الزهد .

والخامس : شرفي ، وهو عقل نبينا ﷺ لأنه أشرف العقول . وقد اختلف في تفضيل العقل على العلم أو العكس ، والراجح تفضيل العلم على العقل ، لأن العلم من صفاته تعالى . وما يروى في فضل العقل فهو موضوع لا أصل له كما صرح به الجلال السيوطي .
[٦٠٠] قوله : (ولكن قرروا فيه خلافاً) أي لكن قرر العلماء في العقل خلافاً ، ولا محل لهذا الاستدراك ، لأنهم قرروا في الروح خلافاً أيضاً ، فلعل « لكن » مجرد التأكيد ، ثم رأيت المصنف في شرحه قال : « ولكن ... إلخ » استدراك على طريقة الخائضين ، فأشار إلى أنهم لم يتفقوا على حقيقة معينة ، بل اختلفوا في بيانها اهـ . فالاستدراك يشعر بانتشار الخلاف وكثرته .

[٦٠١] وقول : (فانظر ما فسروا) أي فانظر التفاسير التي ذكرها القوم في
العقل : كتبهام لا في هذه المقدمة لصغر حجمها ، وأقوال أهل السنة متطابقة على
تعريفه : عرضيته ، فبعضهم قال : إنه من قبيل العلوم ، وعرفه بأنه العلم ببعض العلوم الضرورية كالعلم بوجوب تحيز الجرم ، واستحالة غرؤه عن الحركة والسكون ، وجواز إحراق النار وغير ذلك ، وهذا القول لإمام الحرمين وجماعة ، وبعضهم قال : إنه ليس من قبيل العلوم ، وعرفه بأنه غريزة أي طبيعة مغروزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلات .

[٦٠٢] وعرفه الشيرازي ^(١) بأنه صفة يميز بها بين الحسن والقيح .
 [٦٠٣] وأحسن ما قيل فيه : أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية .

[٦٠٤] وقال بعضهم : إن هناك لطيفة ربانية لا يعلمها إلا الله تعالى ، فمن حيث تنكرها تسمى عقلاً ، ومن حيث حياة الجسد بها تسمى روحاً ، ومن حيث شهوتها تسمى نفساً فالثلاثة متحدة بالذات مختلفة بالاعتبار .

[٦٠٥] وقالت المعتزلة والخوارج والحكماء بجوهرية ، وفسره بعضهم بأنه جوهر العقل ؛ يدرك به الغائبات بالوسائط ، والمحسوسات بالمشاهدة ، ومنهم من فسره محله بغير ذلك . وفي كلام الغزالي أنه جوهر مجرد . واختلف في محله ، والصحيح أنه محله القلب وله نور متصل بالدماغ كما ذهب إليه الإمام الشافعي ، والإمام مالك  وجمهور المتكلمين .

وقالت الحكماء وبعض الفقهاء بأن محله الدماغ لفساده بفساد الدماغ ، وهذا لا يدل على ما ذكره ، لجواز أن تكون سلامة الدماغ شرطاً لاستمراره وإن كان محله القلب .

(١) هو : إبراهيم بن علي بن يوسف أبو إسحاق شيخ الفقهاء في عصره ، توفي سنة ٤٧٦ هـ ، من مصنفاته : المهذب ، التبصرة ، اللمع . (انظر : الأعلام ٥١/١) .

٩٦ - سُؤْلُنَا ثُمَّ عَذَابُ الْقَبْرِ نَعِيْمُهُ وَاجِبُ كَبْعَتِ الْحَشْرِ [٦٠٦-٦٢٣]

قوله : (سؤالنا) أي : سؤال منكر و نكير إيانا معاشر أمة الدعوة المؤمنين والمنافقين والكافرين ، خلافاً لابن عبد البر حيث قال في تمهيده : الكافر لا يسئل ، وإنما يسئل المؤمن والمنافق لانتسابه للإسلام في الظاهر . اهـ والجمهور على خلافه ، وإنما سمي هذان الملكان بذلك لأنهما يأتيان الميت بصورة منكرة ، فإن صفتها كما في الحديث أنهما أسودان أزرقان

[٦٠٦]
السؤال
في القبر
وعذاب
القبر

أعينهما كقدور النحاس . وفي رواية : كالبرق ، وأصواتهما كالرعد ، إذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار ، بيد كل واحد منهما مطراق من حديد لو ضرب به الجبال لذابت . وفي رواية : بيد أحدهما مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى ما أفلوها ، وهما للمؤمن الطائع وغيره على الصحيح ، لكن يترققان بالمؤمن ويقولان له إذا وفق للجواب : نعم نومة العروس ، ويتنهان المنافق والكافر . وقيل : المؤمن الموفق له مبشر وبشير ، وأما الكافر والمؤمن العاصي فلهما منكر ونكير . قيل : ومعهما ملك آخر يقال له ناكور . وما قيل من أنه يجيء قبلهما ملك يقال له رومان ، فحديثه موضوع . وقيل : فيه لين .

[٦٠٧] ويكون السؤال بعد تمام الدفن وعند انصراف الناس . وفي الحديث كما في شرح المصنف : وإنه ليسمع قرع نعالهم ^(١) فيعيد الله تعالى الروح إلى جميع البدن كما ذهب إليه الجمهور ، وهو ظاهر الأحاديث . وقال ابن حجر : إلى نصفه الأعلى فقط . وغلط من قال : يسئل البدن بلا روح كمن قال : تسئل الروح بلا بدن ، لكن وإن عادت الروح لا ينتفي إطلاق اسم الميت عليه ، لأن حياته حينئذ ليست حياة كاملة ، بل أمر متوسط بين الموت والحياة كتوسط النوم بينهما ، ويرد إليه من الحواس والعقل والعلم ما يتوقف عليه فهم الخطاب ويتأتى معه رد الجواب حتى يسئل ، وأحوال المسئولين مختلفة فمنهم من يسأله الملكان جميعاً تشديداً عليه . ومنهم من يسأله أحدهما تخفيفاً عليه ، ووجد بطرقة ^(٢) المؤلف أن أحدهما يكون تحت رجله والآخر عند رأسه ويسئل مرة واحدة ، وفي حديث أسماء ^(٣) : أنه يسئل ^(٤) ثلاثاً .

(١) أخرجه البخاري (١٣٧٤) ومسلم (٢٨٧٠) عن أنس رضي الله عنه . (٢) طرقة المؤلف : أي حاشيته .

(٣) هي : أسماء بنت أبي بكر الصديق ، ذات النطاقين أم عبد الله بن الزبير من الصحابيات الفضليات ، شهدت اليرموك مع ابنها عبد الله ، وزوجها ، عاشت مائة سنة ، وهي محتفظة بعقلها وهي آخر المهاجرات وفاة ، توفيت رضي الله عنه سنة ٧٣ هـ . (انظر : حلية الأولياء ٥٥/٢ ، والأعلام ٣٠٥/١) .

(٤) أخرجه البخاري (٨٦) ، ومسلم (٩٠٥) ، من حديث أسماء رضي الله عنها .

[٦٠٨] وعن الجلال : أن المؤمن يستل سبعة أيام ، والكافر أربعين صباحاً ، ويسألان كل أحد بلسانه على الصحيح ، خلافاً لمن قال بالسرياني . ولذلك قال بعضهم : من عجب ما ترى العينان أن سؤال القبر بالسرياني أفتى بهذا شيخنا البلقيني ولم أره لغيره بعيني [٦٠٩] ويسأل الميت ولو تمزقت أعضاؤه أو أكلته السباع في أجوافها ، إذا لا يعد أن الله يعيد له الروح في أعضائه ولو كانت متفرقة لأن قدرة الله صالحة لذلك ، ويحتمل أن يعيده كما كان .

وإذا مات جماعة في وقت واحد بأقاليم مختلفة ، قال القرطبي : جاز أن تعظم جثتهما ويخاطبان الخلق الكثير مخاطبة واحدة . وقال الحافظ السيوطي : ويحتمل تعدد الملائكة المعدة لذلك ، ثم رأيت الحلبي ذهب إليه فقال في منهاجه : والذي يشبه أن يكون ملائكة السؤال جماعة كثيرة ، ويسمى بعضهم منكراً ، وبعضهم نكيراً ، فيبعث إلى كل ميت اثنان منهم والله أعلم . واختلفت الأحاديث كما قاله القرطبي في كيفية السؤال والجواب ، فمنهم من يسأل عن بعض اعتقاداته ، ومنهم من يسأل عن كلها . [٦١٠] قال ابن عباس رضي الله عنه : يسألون عن الشهادتين .

[٦١١] وقال عكرمة ^(١) : يسألون عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمر التوحيد ، وقد ورد أنهما يقولان : ما تقول في هذا الرجل ، وإنما يقولان ذلك من غير تعظيم وتفخيم ليميز الصادق في الإيمان من المرتاب ، فيجيب الأول ، ويقول الثانس : لا أدري فيشقى شقاء الأبد ، وهذا السؤال خاص بهذه الأمة ، وقيل : كل نبي مع أمته كذلك ، وهذا السؤال هو عين فتنة القبر ، وقيل : هي التلجلج في الجواب ، وقيل : هي ما ورد من حضور إبليس في زاوية من زوايا القبر مشيراً إلى نفسه بأن أنا عند قول الملك للميت ، من ربك ، مستدعياً منه جوابه بهذا ربي ، ولم يثبت حضور النبي صلى الله عليه وسلم ولا رؤية الميت له عند السؤال ، ويستثنى من عموم قول الناظم «سؤالنا» من ورد الأثر بعدم سؤاله كالأنبياء ، فالحق أنهم لا يسألون ، وقيل : يسألون عن جبريل والوحي الذي أنزل عليهم ، ولا ينبغي أن يكون سيدهم الأعظم محل خلاف ، وكالصديقين ، والشهداء ،

(١) هو : عكرمة بن عبد الله البربري المدني أبو عبد الله مولى عبد الله بن عباس . كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي مات في يوم واحد مع كثير غزاة سنة ١٠٥ هـ فقيل : مات أعلم الناس وأشعر الناس . (انظر : الأعلام ٢٤٤/٤) .

والمرايطين ، والملازمين لقراءة تبارك (١) الملك كل ليلة من حين بلوغ الخبر لهم ، والمراد بالملازمة : الإتيان بها في غالب الأوقات ، فلا يضر الترك مرة بعدر ، سواء قرأها عند النوم أو قبل ذلك ، وهكذا سورة السجدة فيما ذكره بعضهم ، وكذا من قرأ في مرض موته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] ومريض البطن ، والميت بالطاعون أو بغيره في زمنه صابراً محتسباً ، والميت ليلة الجمعة أو يومها إلى غير ذلك .

[٦١٢] والراجح أن غير الأنبياء وشهداء المعركة يسألون سؤالاً خفيفاً ، وبعضهم أخذ بظاهر ذلك ، والظاهر كما جزم به الجلال السيوطي وغيره اختصاص السؤال بمن يكون مكلفاً ، بخلاف الأطفال ، والظاهر أيضاً عدم سؤال الملائكة . وأما الجن فجزم الجلال بسؤالهم لتكليفهم وعموم أدلة السؤال لهم . وحكمة السؤال : إظهار ما كتبه العباد في الدنيا من إيمان أو كفر أو طاعة أو عصيان ، فالمؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة ، وغيرهم يفضحون عند الملائكة .

[٦١٣] قوله : (ثم عذاب القبر) عطف على قوله « سؤالنا » لمشاركته له في حكمه الآتي وهو الوجوب ، وإنما أضيف إلى القبر لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب ، قُبِرَ أو لم يقبر ولو صلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً وذرى في الريح ، ولا يمنع من

الإيمان
بعذاب
القبر

ذلك كون الميت تفرقت أجزاؤه ، والمعذب البدن والروح جميعاً باتفاق أهل الحق . وخالف محمد بن جرير الطبري (٢) وعبد الله بن كرام (٣) وطائفة وقالوا : المعذب البدن فقط ، ويخلق الله فيه إدراكاً بحيث يسمع ويعلم ويلتذ ويتألم ويكون للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ، ويدوم على الأولين وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين وهو من خفت جرائمهم من العصاة فإنهم يعذبون بحسبها ، وقد يرفع عنهم بدعاء أو صدقة أو غير ذلك كما قاله ابن القيم ، وكل من كان لا يستل في قبره لا يعذب فيه أيضاً .

(١) وقوله : « الملازمين لقراءة تبارك الملك ... » فقد جاء في حديث عن عبد الله بن عباس ؓ أخرجه الترمذي (٢٨٩٠) وقال : هذا حديث حسن .

(٢) هو : محمد بن جرير بن يزيد الطبري ، أبو جعفر الإمام المفسر المؤرخ ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، عرض عليه القضاء فأبى من مصنفاته : أخبار الرسل والملوك ، / ويعرف بتاريخ الطبري ، وجامع البيان في تفسير القرآن ، قال ابن الأثير : أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ . (انظر : تذكرة الحفاظ ٣٥١/٢ ، الأعلام ٦٩/٦) .

(٣) هو : أبو عبد الله محمد بن كرام بن عراق السنجري ، إمام الكرامية ، من فرق الابتداع في الإسلام ، توفي سنة ٢٥٥ هـ . (انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١٨٥/١ ، والأعلام ١٤/٧) .

[٦١٤] ومن عذاب القبر : ما أخرجه ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يسلم الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى تقوم الساعة ، لو أن تنيناً منها نفخ على الأرض ما نبتت خضراء » والتنين - بكسر المثناة الفوقية وتشديد النون - وهو أكبر الثعابين ، قيل : وحكمة هذا العدد أنه كفر بأسماء الله الحسنى ، وهي تسعة وتسعون ومن عذابه أيضاً ضغطته . وهي التقاء حافتيه ، وورد أن الأرض تضمه حتى تختلف أضلاعه ولا ينجو منها أحد ولو صغيراً ، سواء كان صالحاً أو طالحاً إلا الأنبياء ، وإلا فاطمة بنت أسد ^(١) ، وإلا من قرأ سورة الإخلاص في مرضه ، ولو نجا منها أحد لنجا منها سعد بن معاذ الذي اهتر عرش الرحمن لموته ^(٢) .

[٦١٥] قوله : (نعيمه) أى : ونعيم القبر ، فهو معطوف على ما تقدم بإسقاط حرف العطف ويكون للمؤمنين ، لما ورد في ذلك من النصوص البالغة مبلغ التواتر ، وإنما أضيف إلى القبر لأنه الغالب ، وإلا فلا يختص بالقبور ولا يختص بمؤمني هذه الأمة ولا بالمكلفين .

ومن نعيمه توسيعه سبعين ذراعاً عرضاً وكذا طولاً . ومنه أيضاً فتح طاقة فيه من الجنة ، وامتلاؤه بالريحان ، وجعله روضة من رياض الجنة ، وجعل قنديل - بفتح القاف - فيه فينور له قبره كالقمر ليلة البدر .	الإيمان بنعيم القبر
--	---------------------------

[٦١٦] وقد ورد أن الله تعالى أوحى إلى موسى : « تعلم الخير وعلمه للناس فإنني منور لمعلم العلم ومتعلمه قبورهم حتى لا يستوحشوا لمكانهم » ^(٣) .

[٦١٧] وعن عمر مرفوعاً « من نور في مساجد الله نور الله له في قبره » وكل هذا محمول على حقيقته عند العلماء .

[٦١٨] قوله : (واجب) بسكون الباء للوزن ، وهو خبر قوله « سؤالنا » وما عطف عليه ، فكل واحد من الثلاثة المذكورة واجب سمعاً لأنه أمر ممكن أخير به الصادق ، وكل ما هو كذلك فهو واجب وهذا ما عليه أهل السنة وجمهور المعتزلة . وأنكرت الملحدة كلاً من هذه الثلاثة .

(١) هي : فاطمة بنت أسد بن هاشم الهاشمية أول هاشمية ولدت خليفة وهي أم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وإخوته أسلمت بعد وفاة أبي طالب ، ثم هاجرت إلى المدينة مع أبنائهم ، توفت السنة الخامسة من الهجرة وكفنها النبي ﷺ بقميصه واضطجع في قبرها ، (انظر : الأعلام ١٣٠/٥) .

(٢) وأما قراءة سورة الإخلاص في مرض الموت وكونها سبباً للنجاة من ضمة القبر فخرجوا الله أن يكون ذلك صحيحاً عند الله وأن يكرمنا بالقرآن كله آمين .

(٣) أخرجه أحمد في الزهد ص ٦٨ ، وابن عبد البر في جامع بيان العلم ٧٣/١ عن كعب .

[٦١٩] قوله : (كبعث الحشر) أي بعث الناس للحشر ، فالإضافة على معنى الإيمان بالبحر ، والتشبيه في الوجوب والبعث عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ، ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك كالظفر .

[٦٢٠] والحشر عبارة عن سوقهم جميعاً إلى الموقف ، وهو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس المبدلة التي لم يعص الله عليها لفصل القضاء بينهم ، ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والملك ، وبين من لا يجازى كالبهائم والوحوش على ما ذهب إليه المحققون ، وصححه النووي ، وذهبت طائفة إلى أنه لا يحشر إلا من يجازى ، وهذا ظاهر في الكامل . وأما السقط وهو الذي لم تتم له ستة أشهر ، فإن ألقى بعد نفخ الروح فيه أعيد بروحه ، ويصير عند دخول الجنة كأهلها في الجمال والطول ، وإن ألقى قبل نفخ الروح فيه كان كسائر الأجسام التي لا روح فيها كالحجر ، فيحشر ثم يصير تراباً .

[٦٢١] وأول من تنشق عنه الأرض نبينا ﷺ فهو أول من يبعث وأول وارد المحشر ، كما أنه أول داخل الجنة ، وبعده سيدنا نوح كما ورد ، لكن ورد أن بعده ﷺ أبا بكر ، وحمل على أنه بعد الأنبياء .

[٦٢٢] ومراتب الناس في الحشر متفاوتة ، فمنهم الراكب وهو المتقى ، ومنهم الماشى على رجليه وهو قليل العمل ، ومنهم الماشى على وجهه وهو الكافر .

[٦٢٣] وهذا الحشر المذكور هنا هو أحد أنواع الحشر من حيث هو . ثانيها : أنوع الحشر : صرف الناس من الموقف إلى الجنة أو النار ، وهذان النوعان في الآخرة . ثالثها : إخراج اليهود من جزيرة العرب إلى الشام وهو المذكور في قوله

تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ﴾ [الحشر : ٢] رابعها : سوق النار التي تخرج من أرض عدن اليمن للكفار وغيرهم من كل حي قرب قيام الساعة إلى المحشر فتبيت معهم حيث باتوا ، وتقبل معهم حيث قالوا ، فتدور الدنيا كلها وتطير ولها دوى كدوى الرعد القاصف ، وحكمتها الامتحان والاختبار ، فمن علم أنها مرسلة من عند الله وانساق معها سلم منها ، ومن لم يكن كذلك أحرقته وأكلته ، وبعد سوقها لهم إلى المحشر يموتون بالنفخة الأولى بعد مدة ، وهذا النوعان في الدنيا ، فأنوع الحشر أربعة ، وجعلها الشيخ محي الدين كثيرة جداً ، وعد منها حشر الذر يوم ﴿ آتَتْ بِرَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] وغير ذلك . انظر : اليواقيت للشعراني (١) .

- ٩٧ - وَقُلْ يُعَادُ الْجِسْمُ بِالْتَحْقِيقِ عَنْ عَدَمٍ وَقِيلَ عَنْ تَفْرِيقِ [٦٢٤-٦٢٨]
- [٦٢٤] قوله : (وقل) أي قولاً نفسياً أو عقلياً كما قاله في كبيره . وقال الشارح : قولاً مطابقاً لاعتقاده . ويعني عنه ما تقدم ، فالمراد بالقول هنا : الاعتقاد .
- [٦٢٥] وقوله : (يعاد الجسم) أي يعيده الله تعالى بعينه ، فالجسم الثاني المعاد هو الجسم الأول بعينه لا مثله ، وإلا لزم أن المثاب أو المعذب غير الجسم الذي أطاع أو عصي ، وهو باطل بالإجماع .
- [٦٢٦] وقوله : (بالتحقيق) متعلق « بقل » أو « يعاد » فالمعنى على الأول قولاً ملتبساً بالتحقيق الذي هو إثبات الحكم بالدليل في أشهر إطلاقاته ، ففيه إشارة إلى أن هذا القول عن دليل لا من قبيل الرأي ، والمعنى على الثاني : إعادة ملتبسة بالتحقيق أي إعادة محققة لا مشكوكاً فيها .
- [٦٢٧] وقوله : (عن عدم) أي بعد عدم ، فـ « عن » بمعنى « بعد » وقال الشارح : إعادة ناشئة عن عدم ، لكن لا معنى لكون الإعادة ناشئة عن عدم فيصير الجسم معدوماً بالكلية إلا عجب الذنب ، ثم يعيده الله تعالى كما أوجده أولاً . قال تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف : ٢٩] .
- [٦٢٨] وقوله : (وقيل عن تفريق) أي بعد تفريق ، فـ « عن » بمعنى « بعد » كما تقدم ، فعلى القول الأول يذهب الله العين والأثر جميعاً ثم يعيد الجسم كما كان ، وعلى القول الثاني يفرق الله أجزاء الجسم بحيث لا يبقى فيه جوهران فردان على الاتصال ، والصحيح القول الأول ، ولذا قدمه المصنف جازماً به ، وحكى مقابله بصيغة التمريض .

٩٨ - مُحْضِينَ لَكِنْ ذَا الْخِلَافِ خُصًّا بِالْأَنْبِيَاءِ وَمَنْ عَلَيْهِمْ نُصًّا [٦٢٩ - ٦٣٢]

[٦٢٩] وقوله : (محضين) صفة « عدم ، وتفريق » أي عدم محض وتفريق محض ، فمعنى محضية العدم : خلوصه من شائبة الوجود لجزء ما ، ومعنى محضية التفريق : خلوصه من شائبة الاتصال في أجزائه . ودفع المصنف بذلك توهم أن المراد بالعدم عند القائلين به العدم العرفي الصادق بوجود جزء ما من أجزائه ، وأن المراد التفريق عند القائلين به التفريق العرفي الصادق باتصال بعض أجزائه .

[٦٣٠] قوله : (لكن ذا الخلاف خصا) بألف الإطلاق ، وهذا استدراك على إطلاق الخلاف السابق ، وفي التعبير بالتخصيص تسمح ، لأن التخصيص من عوارض العموم ، والتقيد من عوارض الإطلاق ، فالمعنى لكن هذا الخلاف قيد العلماء إطلاقه .

[٦٣١] وقوله : (بالأنبياء) أي بسبب إخراج الأنبياء منه ، فإن الأرض لا تأكل أجسامهم ولا تبلى أبدانهم اتفاقاً فالخلاف في غيرهم وغير من ألحق بهم ممن سيأتي .

[٦٣٢] وقوله : (ومن عليهم نصا) بألف الإطلاق : أي ومن نص الشارع على أن الأرض لا تأكل أجسامهم كالشهداء ، والمراد بهم : كل مقتول على الحق ولو لم يكن من شهداء المعركة وكالمؤذنين احتساباً : أي ادخاراً لثواب ذلك عند الله تعالى لا لأجرة ، وكالعلماء العاملين ، وحملة القرآن الملازمين لتلاوته العاملين بما فيه المعظمين له بضبط لسانهم وطهارتهم وآدابهم ، إلى غير ذلك مما نقل عن الشارح فإن المسألة توقيفية .

٩٩ - وفي إعادة العرض قولان وَرُجِّحَتْ إِعَادَةُ الْأَعْيَانِ [٦٣٣-٦٣٥]

قوله : (وفي إعادة العرض قولان) لما اختلف القائلون بإعادة الجسم في إعادة العرض الذي كان قائماً به في الدنيا أشار إلى ذلك الاختلاف بقوله : « وفي إعادة العرض قولان » فالقول الأول : هو مذهب الأكثرين وإليه مال إمامنا الأشعري إنه يعاد حين إعادة الجسم ، لا فرق في ذلك بين

[٦٣٣]
إعادة
الأجسام
للمحساب

العرض الذي يطول بقاؤه كالبياض ، وبين غيره كالصوت . ولا فرق في ذلك أيضاً بين ما هو مقدور للعبد كالضرب ، وبين غيره كالعلم ، ولا يلزم أن تكون إعادته بالتلبس به كما كان في الدنيا ، بل ما كان من الأعراض الملازمة للذات من بياض ونحوه وطول ونحوه ، فإنه يعاد متعلقاً بها وما كان من غير ذلك كضرب وكفر وبقية المعاصي وصلاة وصوم وبقية الطاعات فإنه يعاد مصوراً بصورة جسمية ، لكن الحسنات في صورة حسنة والسيئات في صورة قبيحة ، هذا هو الظاهر ، والتفويض في مثل هذه المواطن أحسن .

[٦٣٤] فإن قيل : يلزم على ذلك اجتماع المتنافيات كالطول والقصر والكبر والصغر . أجيب بأن إعادة العرض ليست دفعية بل على التدرج حسبما كانت في الدنيا ، لكن يمر عليه جميع الأعراض كلمح البصر ، وربك على كل شيء قدير . والقول الثاني : امتناع إعادته مطلقاً ، فيوجد الجسم بعرض آخر فإنه لا ينفك عقلاً عن عرض ، وإلى هذا ذهب بعض أصحابنا أيضاً .

[٦٣٥] قوله : (ورجحت إعادة الأعيان) أي ورجح جماعة من العلماء إعادة الأعراض بأعيانها . أي بأشخاصها وأنفسها فالمراد بالأعيان : الأشخاص والأنفس : أي شخص العرض ونفسه ، فيعاد العرض الذي كان في الدنيا لا عرض آخر مغاير له ، بل يعاد بعينه .

١٠٠ - وَفِي الزَّمَنِ قَوْلَانِ وَالْحِسَابُ حَقٌّ وَمَا فِي حَقِّ إِنْتَابٍ [٦٣٦-٦٣٩]

[٦٣٦] قوله : (وفي الزمن قولان) أي : وفي إعادة الزمن قولان ، أحدهما : وهو الخلاف الأرجح أنه يعاد جميع أزمنة الأجسام التي مرت عليها في الدنيا لتشهد للإنسان وعليه بما وقع فيها من الطاعات والآثام . وثانيهما : امتناع إعادته الزمن في إعادة الاجتماع المتنافيات كالماضي والحال والاستقبال . وأجاب عن ذلك

القائلون بالقول الأول بأن إعادته ليست دفعية بل على التدريج حسبما كانت عليه في الدنيا ، لكن في أسرع وقت .

[٦٣٧] قوله : (والحساب حق) أي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع ، ففي الإيمان الكتاب ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [البقرة : ٢٠٢] وفي السنة « حاسبوا أنفسكم بالحساب قبل أن تماسبوا » ^(١) . وأجمع المسلمون عليه ، وهو لغة : العدد ،

واصطلاحاً توقيف الله الناس على أعمالهم خيراً كانت أو شراً ، قولاً كانت أو فعلاً تفصيلاً بعد أخذهم كتبها ، ويكون للمؤمن والكافر إنشأ وجناً إلا من استثنى منهم ففي الحديث « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً ليس عليهم حساب » فقليل : هلا استزدت ربك ، فقال : « استزدته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفاً سبعين ألفاً » فقليل له : هلا استزدت ربك ، فقال : « استزدته فزادني ثلاث حثيات بيده الكريمة ^(٢) » أو كما ورد ، والثلاث حثيات : ثلاث دفعات من غير عدد ، فهؤلاء يدخلون الجنة بغير حساب ، وإذا كان من المؤمنين من يكون أدنى إلى الرحمة فيدخل الجنة من غير حساب ، كان من الكافرين من يكون أدنى إلى الغضب فيدخل النار من غير حساب ، فطائفة تدخل الجنة بلا حساب ، وطائفة تدخل النار بلا حساب ، وطائفة توقف للحساب ، فلا تنافي بين النصوص في مثل ذلك .

[٦٣٨] وقد اختلف في المراد بتوقيف الله الناس على أعمالهم : فقليل المراد به أن يخلق الله في قلوبهم علوماً ضرورية بمقادير أعمالهم من الثواب والعقاب ، وهذا قول الفخر . وقيل : المراد به أن يوقفهم بين يديه ويؤتيهم كتب أعمالهم فيها سيئاتهم وحسناتهم ، فيقول : هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها ، وهذه حسناتكم وقد ضاعفتها لكم ، وهذا القول نقل عن ابن عباس وفيه قصور ؛ لأن الحساب غير قاصر على هذا

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٣٧) عن أبي أمامة الباهلي وقال : حسن غريب .

المقدار . وقد ورد أن الكافر ينكر فتشهد جوارحه ^(١) . وقيل : المراد به أن يكلمهم في شأن أعمالهم وكيفية ما لها من الثواب وما عليها من العقاب فيسمعهم كلامه القديم ، وهذا هو الذي تشهد له الأحاديث الصحيحة ، ولا يشغله تعالى محاسبة أحد عن أحد بل يحاسب الناس جميعًا معًا حتى إن كل أحد يرى أنه المحاسب وحده .

وكيفيته مختلفة : فمنه اليسير ، والعسير ، والسر ، والجر ، والتويخ ، والفضل ، والعدل . وحكمته : إظهار تفاوت المراتب في الكمال ، وفضائح أهل النقص ، ففيه ترغيب في الحسنات وزجر عن السيئات .

[٦٣٩] قوله : (وما في حق ارتياب) أي وليس في وقوع حق شك ، أي لا ينبغي أن يقع فيه ذلك .

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩) عن أنس بن مالك .

١٠١ - فَالْسَيِّئَاتُ عِنْدَهُ بِالمَثَلِ وَالْحَسَنَاتُ ضُرْعَتْ بِالْفَضْلِ [٦٤٠ - ٦٤٣]

[٦٤٠] قوله : (فالسيئات عنده بالمثل) أي جزاؤها عنده تعالى مقدر بمثلها إن جازاه عليها ، وله أن يعفو إن لم تكن كفرًا ، وإلا تُخْلَدُ في النار .

[٦٤١] والسيئات : جمع سيئة : وهي ما يذم فاعله شرعًا ، صغيرة كانت أو كبيرة ، وسميت سيئة ؛ لأن فاعلها يساء عند المقابلة عليها يوم القيامة ، وتعريفها | والمراد التي عملها العبد حقيقة أو حكمًا بأن طرحت عليه لظلامة الغير بعد نفاذ حسناته فإنه يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى للمظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم ثم قذف بالظالم في النار .

[٦٤٢] وقوله : (والحسنات ضوعفت بالفضل) أي : ضاعفها الله تعالى بفضله لا وجوبًا عليه .

الحسنة : | والحسنات : جمع حسنة : وهي ما يمدح فاعله شرعًا ، وسميت حسنة تعريفها | لحسن وجه صاحبها عند رؤيتها يوم القيامة . والمراد : الحسنات المقبولة الأصلية المعمولة للعبد ، أو ما في حكمها بأن عملها عنه غيره كما إذا تصدق غيرك عنك بصدقة لا المأخوذة في نظير ظلامة ، فخرج بالمقبولة : المردودة بنحو رياء فلا ثواب فيها أصلًا ، وبالأصلية : الحاصلة بالتضعيف فلا تضاعف ثانيا ، وبالمعمولة أو ما في حكمها : الحسنة التي هم بها فتكتب واحدة من غير تضعيف ، وكذلك من إذا صمم على المعصية ثم تركها فله حسنة من غير مضاعفة .

وبقولنا : « لا المأخوذة في نظير ظلامة » الحسنة التي يأخذها المظلوم من ظالمه فلا تضاعف .

[٦٤٣] والتضعيف من خصائص هذه الأمة . وأما غيرها من الأمم فكانت حستهم بواحدة ، وأقل مراتب التضعيف عشرة ، وقد تضاعف إلى سبعين إلى سبعمائة أو أكثر من غير انتهاء إلى حد تقف عنده ، وتفاوت مراتب التضعيف بحسب ما يقترن بالحسنة من الإخلاص وحسن النية .

والتضعيف
من خصائص
الأمة
المحمدية

١٠٢ - وَاجْتَنَابَ لِلْكِبَائِرِ تَغْفَرُ صَغَائِرَ وَجَا الْوُضُو يُكَفِّرُ [٦٤٤-٦٥٧]

[٦٤٤] قوله : (واجتناب للكبائر) يسكون الراء لأنه رجز ، والمراد باجتنب الكبائر : ما يعم التوبة منها بعد فعلها ، لا ما يخص عدم ارتكابها بالمرة ، بخلاف التلبس بها من غير توبة ، والكبائر : هي الذنوب العظيمة من حيث المؤاخذة بها .

[٦٤٥] وقوله : (تغفر صغائر) أي تكفر الذنوب الصغائر قال تعالى : ﴿ إِنَّ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] أي الصغائر .

[٦٤٦] وقال ﷺ : « ما من عبد يؤدي الصلوات الخمس ويصوم رمضان مكفرات الذنوب ويجتنب الكبائر السبع إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يوم القيامة حتى إنها لتصفق - أي يضرب بعضها بعضاً من خلوها - فلا يدخلها أحد حتى يدخلها » (١) .

[٦٤٧] والسبع ليست بقيد بل غيرها كذلك ، والمراد بها الموبقات السبع وهي : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات .

[٦٤٨] وفي حديث آخر « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » (٢) .

[٦٤٩] وقد اتفقوا على ترتب التكفير على الاجتناب ثم اختلفوا : هل هو قطعي أو ظني ، فذهب جماعة من الفقهاء والمحدثين والمعتزلة إلى الأول ، وذهب أئمة الكلام إلى الثاني وهو الحق .

[٦٥٠] واعلم أن غفر الذنب العفو عنه : أي عدم المؤاخذة به إما بستره عن أعين الملائكة مع بقاءه في الصحيفة ، وإما بمحوه من صحف الملائكة . وحكى بعضهم أن الأول هو الصحيح عند المحققين .

[٦٥١] قوله : (وجا الوضو) بالقصر للوزن .

[٦٥٢] وقوله : (يكفر) أي الصغائر ومراد المصنف أنه جاء في السنة أن الوضوء يكفر الذنوب ، ففي الحديث عن عثمان بن عفان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يسبغ أحد الوضوء إلا غفر له ما تقدم من ذنبه وما

(١) أخرجه النسائي (٨/٥) عن أبي سعيد الخدري . (٢) أخرجه مسلم (٢٣٣) عن أبي هريرة ؓ .

تأخر» (١) .

[٦٥٣] وفي الحديث أيضًا « من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين لا يحدث فيهما نفسه - يعني بسوء - غفر له ما تقدم من ذنبه » (٢) وفي رواية « لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء فيصللي صلاة إلا غفر له ما بينها وبين الصلاة التي تليها » وذكر الصلاة في هذين الحديثين للترغيب في سنة الوضوء ليزيد ثوابه ، وإلا فالتكفير لا يتوقف على الصلاة ، كما أخرجه أحمد مرفوعاً « الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة » .

[٦٥٤] وأشار المصنف بذلك إلى أنه لا ينحصر تكفير الصغائر في اجتناب الكبائر ، بل الوضوء يكفرها أيضًا ، وكذلك الصلوات الخمس ، وكذلك صوم رمضان ، وكذلك الحج المبرور .

[٦٥٥] فإن قيل : إذا كفر الوضوء لم يجد الصوم ما يكفره وهكذا أجيب بأن الذنوب كالأفراط والطاعات كالأدوية ، فكما أن لكل نوع من أنواع الأمراض نوعاً من أنواع الأدوية لا ينفع فيه غيره ، كذلك الطاعات مع الذنوب ، ويدل له حديث « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها صوم ولا صلاة ولا جهاد وإنما يكفرها السعي على العيال » (٣) .

[٦٥٦] وهذا كله في الذنوب المتعلقة بحقوق الله تعالى . وأما المتعلقة بحقوق العتاقة
الآدميين فلا بد فيها من المقاصة بأن يؤخذ من حسنات الظالم ويعطى
للمظلوم ، فإذا نفدت حسنات الظالم طرح عليه من سيئات المظلوم لكن
قد أخرج البزار عن أنس بن مالك مرفوعاً « من تلا قل هو الله أحد مائة ألف مرة فقد
اشتري نفسه من الله ، ونادى منادٍ من قبل الله تعالى في سماواته وفي أرضه (٤) : « ألا
إن فلاناً عتيق الله فمن له قبله تباعة فليأخذها من الله ﷻ » وظاهر ذلك تكفير الكبائر
بهذا أيضًا ، وهذه هي العتاقة الكبرى .

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٧/١ ، والمنذري في الترغيب والترهيب ١٥٣/١ ، وقال الهيثمي :
رواه البزار ورجاله موثقون والحديث حسن إن شاء الله .

(٢) ذكره أبو داود في السنن كتاب الطهارة باب صفة وضوء النبي ﷺ ٢٦/١ رقم ١٠٦ ، والنسائي في
السنن الكبرى كتاب الطهارة باب غسل الكفين قبل الوضوء ٨٢/١ رقم ٩١ عن عثمان بن عفان بلفظ « من
توضأ مثل وضوئي هذا .. » الحديث .

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٦٤/٤ - ٦٥ والعجلوني في كشف الخفاء ٢٩٧/١ عن أبي هريرة ؓ ،
رواه الطبراني في الأوسط في إسناده ضعف .

(٤) ذكره المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٢٩٤/٣ ، بلفظ : « من قرأ قل هو الله أحد ألف مرة فقد =

[٦٥٧] ومن جملة مكفريات الكبائر : الحج المبرور لحديث « الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة » ^(١) ومن جملتها أيضا . الجهاد ، فقد ورد أن الغزو في البر يكفرها إلا التبعات ، وفي البحر يكفرها حتى التبعات ^(٢) .

= اشترى نفسه من الله « وعزاه للرافعي في تاريخ قزوين ، وذكره أيضًا حديث أنس : « من قرأها ألف مرة لم يمت حتى يرى مكانه من الجنة » .

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣) ، ومسلم (١٣٤٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص لابن أبي عاصم في الجهاد (٢٧٩) .

١٠٣ - وَالْيَوْمَ الْآخِرُ ثُمَّ هَؤُلَ الْمَوْقِفِ حَقٌّ فَخَفَّفَ يَارَجِيمُ وَأَشْعِفَ [٦٥٨ - ٦٦٤]

[٦٥٨] قوله : (واليوم الآخر) بدرج الهمزة وتسكين الراء ، و« اليوم » مبتدأ ،
والإيمان والآخر « صفته و« حق » خبره . واليوم الآخر : هو يوم القيامة ، وأوله
باليوم من وقت الحشر إلى ما لا يتناهى على الصحيح . وقيل : إلى أن يدخل أهل
الجنة الجنة وأهل النار النار ، وسمي باليوم الآخر ، لأنه آخر أيام الدنيا ،

بمعنى أنه متصل بآخر أيام الدنيا ، لأنه ليس منها حتى يكون آخرها ، وسمي بيوم القيامة
لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم ، وله
نحو ثلاثمائة اسم .

[٦٥٩] وقوله : (ثم هول الموقف) أي : الهول الحاصل في الموقف ، فهو من إضافة
الشيء إلى مكانه ، والمراد بهول الموقف : ما ينال الناس فيه من الشدائد لطول الوقوف .
قيل : ألف سنة كما في آية السجدة ، وقيل : خمسين ألف سنة ، كما في آية ﴿ سَأَلْ ﴾
[المعارج : ١] ولا تنافي لأن العدد لا مفهوم له وهو مختلف باختلاف أحوال الناس ،
فيطول على الكفار ، ويتوسط على الفساق ، ويخفف على الطائعين حتى يكون كصلاة
ركعتين ، وكإلجام الناس بالعرق الذي هو أنتن من الجيفة حتى يبلغ أذانهم ويذهب في
الأرض سبعين ذراعاً والناس يكونون فيه على قدر أعمالهم .

[٦٦٠] ففي حديث مسلم « تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم
كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق : فمنهم من يكون إلى كعبه ، ومنهم
من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إجماعاً ، وأشار
عليه الصلاة والسلام إلى فيه » (١) وفسر الميل بمرود المكحلة ، وبالمساحة المخصوصة .

[٦٦١] قال سليم بن عامر (٢) فوالله ما أدري ما يعني بالميل : أمسافة الأرض أو
الميل الذي يكتحل به ، والأول أقرب . وحقويه : تثنية حقو ، وهو الكشح الذي بين
الخاصرة إلى الضلع الخلف ، وكسؤال الملائكة لهم عن أعمالهم وتفريطهم فيها . قال
تعالى : ﴿ وَفَوْقَهُمْ مِّنْهُمْ مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصفافات : ٢٤] وكشهادة الألسنة والأيدي والأرجل

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب الجنة وصفة نعيمها ٢١٩٦/٤ حديث رقم ٢٨٦٤/٦٢ بلفظ : « تدني
الشمس يوم القيامة » الحديث عن المقداد بن الأسود .

(٢) هو : سليم بن عامر الجبائري أبو يحيى الحمصي ، تابعي مشهور قيل : إنه أدرك النبي ﷺ وكان ثقة
وقيل : توفي سنة ٣٠ هـ ، وقيل : غيرها . (انظر : الإصابة ١٨٥/٣) .

والسمع والبصر والجلد والأرض والليل والنهار والحفظ الكرام ، ولا ينال شيء مما ذكر الأنبياء والأولياء ولا سائر الصالحاء لقوله تعالى : ﴿ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ﴾ [الأنبياء : ١٠٣] فهم آمنون من عذاب الله ، لكنهم يخافون ربهم خوف إجلال وإعظام . [٦٦٢] قوله : (حق) أي ثابت لا محالة ، فيجب الإيمان به لوروده في الكتاب والسنة وإجماع المسلمين عليه ، وكذا يجب الإيمان بعلاماته المتواترة .

[٦٦٣]	فمن علاماته الصغرى ما قد وقع ومنها ما لم يقع ، وعلاماته الكبرى عشرة ، أولها : ظهور المهدي . ثم خروج الدجال . ثم نزول عيسى ابن مريم . ثم خروج يأجوج ومأجوج . وخروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمناً فيضيه وجهه ، وبين عيني الكافر كافراً فيسود وجهه .
علامات الساعة الكبرى	

وطلوع الشمس من مغربها . وظهور الدخان يمكث في الأرض أربعين يوماً يخرج من أنف الكافر وعينيه وأذنيه وديره حتى يصير كالسكران ، ويصيب المؤمن منه كهشة الزكام . وخراب الكعبة على أيدي الحبشة بعد موت عيسى . ورفع القرآن من المصاحف والصدور . ورجوع أهل الأرض كلهم كفاراً .

[٦٦٤]	وقوله : (فخفف يا رحيم واسعف) بوصل الهمزة للضرورة فإنها همزة قطع : أي فخفف يا رحيم هؤله وأعنا عليه . ومن أسباب تخفيفه والإعانة عليه : قضاء الحوائج للمسلمين وتفريج الكرب عنهم ، وإشباع الجائع ، وإيواء ابن السبيل .
ما يخفف هول القيامة	

١٠٤ - وَوَاجِبٌ أَخَذَ الْعِبَادَ الصُّحُفَا . كَمَا مِنَ الْقُرْآنِ نَصًّا غُرْفًا [٦٦٥ - ٦٦٩]

[٦٦٥] قوله : (وواجب أخذ العباد الصحف) « واجب » خبر مقدم و« أخذ العباد » مبتدأ مؤخر ، والأصل : وأخذ العباد الصحف واجب : أي سمعا للصحف لوروده كتابًا وسنة ، ولانعقاد الإجماع عليه ، فيجب الإيمان به ، ومن

أنكره كفر ، والمراد من الصحف : الكتب التي كتبت فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا .

[٦٦٦] والأحاديث صريحة الظواهر في أن كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة مع أنها كانت متعددة في الدنيا كما يدل عليه حديث « ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة ، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة ، وإذا طويت وفيها استغفار طويت ولها نور يتلأأ » ^(١) وقد اختلف فقيل : توصل صحف الأيام والليالي ، وقيل : ينسخ ما في جميعها في صحيفة واحدة .

[٦٦٧] فإن قيل : إذا كان كل مكلف له صحيفة واحدة يوم القيامة ، فلم جمعها المصنف ؟ أجيب بأنه جمعها في مقابلة جمع العباد ، فهو من مقابلة الجمع بالجمع ، فتقسم الآحاد على الآحاد ، وظواهر الآيات والأحاديث شاهدة بعمومه لجميع الأمم ، نعم الأنبياء لا يأخذون صحفًا ، وكذا الملائكة لعصمتهم ، ومن يدخل الجنة بغير حساب ورئيسهم أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ، ولم يذكر المصنف من يدفع الصحف للعباد ، وقد ورد أن الريح تطيرها ^(٢) من خزانة تحت العرش فلا تخطئ صحيفة عنق صاحبها ، وورد أيضا أن كل أحد يدعى فيعطى كتابه ، فحصل التعارض بين الروايتين ، وجمع بينهما بأن الريح تطيرها أولاً من الخزانة فتتعلق كل صحيفة بعنق صاحبها ، ثم تناديهم الملائكة فتأخذها من أعناقهم وتعطيها لهم في أيديهم ، فالمؤمن المطيع يأخذ كتابه يمينه ، والكافر يأخذه بشماله من وراء ظهره . وأما المؤمن الفاسق فجزم الماوردي ^(٣) بأنه يأخذه يمينه . قال : وهو المشهور ، ثم حكى قولاً بالوقف . قال : ولا قائل إنه يأخذه

(١) لم نجده والله أعلم .

(٢) جاء عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : « الكتب كلها تحت العرش فإذا كان الموقف بعث الله ريحاً فنطيرها بالإيمان والشمال أول خط فيها » اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً « أخرجه الإمام الترمذي ، قاله السيوطي في البدور السافرة في أحوال الآخرة ص ١٠٨ .

(٣) هو : علي بن محمد بن حبيب أبو الحسن الماوردي . من كبار فقهاء الشافعية ، أقضى قضاء عصره من العلماء الباحثين توفي سنة ٤٥٠ هـ . من مصنفاته : أدب الدنيا والدين ، الأحكام السلطانية ، والحاوي في فقه الشافعية . (انظر : الأعلام ٣٢٧/٤) .

بشماله . وفي كلام بعضهم : أن هناك قولاً بأنه يأخذه بشماله . واختلف : فقيل : يأخذه قبل دخول النار ، وقيل : بعد خروجه منها . وأول من يعطى كتابه يمينه مطلقاً عمر بن الخطاب - رضي الله تعالى عنه - وبعده أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ^(١) .

وأول من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد لأنه أول من بادر النبي ﷺ بالحرب يوم بدر . وقد روي أنه يمد يده ليأخذه يمينه فيجذبه ملك فيخلع يده ، فيأخذه بشماله من راء ظهره .

[٦٦٨] قوله : (كما من القرآن نصّاً عرفاً) أي كالأخذ الذي عرف من القرآن حال

كونه منصوباً ، فـ « نصاً » بمعنى منصوباً ، حال من ضمير « عرفاً » المبني للمفعول ، وهو صلة الموصول ، و « من القرآن » متعلق به قدم عليه لاستقامة الوزن ، وذلك كقوله تعالى :

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِي ۖ إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكِي حِسَابِي ۖ ﴾ [الحاقة : ١٩ - ٢٠]

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَقُولُ يَلْبَسُنِي لَرُّ أَوْتٍ كِتَابِي ۖ وَلَرُّ أَذْرٍ مَا حِسَابِي ۖ يَلْبَسُنَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ ﴾ [الحاقة : ٢٥ - ٢٧] فيقول الأول لأهل المحشر فرحاً

﴿ هَؤُلَاءِ ۖ ﴾ [الحاقة : ١٩] أي خذوا ، فهو اسم فعل لجماعة الذكور ﴿ أَقْرَبُوا كِتَابِي ۖ ﴾ [الحاقة : ٢٠]

﴿ يَلْبَسُنِي لَرُّ أَوْتٍ كِتَابِي ۖ ﴾ [الحاقة : ٢٠] ويقول

الثاني لما يرى من سوء عاقبته : ﴿ يَلْبَسُنِي لَرُّ أَوْتٍ كِتَابِي ۖ وَلَرُّ أَذْرٍ مَا حِسَابِي ۖ يَلْبَسُنَا ۖ ﴾ أي

الموتة التي ماتها ﴿ كَانَتْ الْقَاضِيَةَ ۖ ﴾ أي القاطعة لأمره فلم يبعث بعدها ، وكقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا

مَنْ أُوْقِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۖ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۖ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ۖ ﴾ [الحاقة : ٢٠]

﴿ كِتَابَهُ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ ۖ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ۖ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۖ ﴾ [الانشقاق : ٧ - ١٢] وظاهر كلامهم أن

القراءة حقيقة وهو الراجح ، وقيل : مجاز عن علم كل أحد بما له وعليه ، ويقرأ كل واحد

كتابه ولو كان أمياً ، لكن من الآخذين من لم يقرأ كتابه ذهولاً ودهشة لاشتماله على القبائح .

[٦٦٩] والمؤمن يأتيه كتابه أبيض بكتابة بيضاء ويأخذه يمينه فيقرأه فيبيض

وجهه ، والكافر يأتيه كتابه أسود بكتابة سوداء فيقرأه فيسود وجهه كما ذكره المصنف

في كبيره ، والذي ذكره الشيخ عبد السلام أن أول سطر من صحيفة المؤمن أبيض فإذا

قرأه أبيض وجهه والكافر بضد ذلك . اهـ .

ويمكن ترجيع كلامه لكلام والده بأن يقال : لا مفهوم لقوله أول سطر ، بل مثله

الباقي فتأمل .

(١) هو : عبد الله بن أسد بن هلال يكنى أبا سلمة ، وهو ابن عمه الرسول ﷺ وأخوه من الرضاعة ، أسلم

بعد عشرة أنفس وهو أول من هاجر من قريش إلى المدينة توفي سنة ٢ هـ بعد وقعة بدر وقيل : بعد وقعة أحد

(انظر : أسد الغابة ٤١٤/٣) .

١٠٥ - وَمِثْلُ هَذَا الْوِزْنُ وَالْمِيزَانُ فَتَوَزَنُ الْكُتُبُ أَوِ الْأَعْيَانُ [٦٧٠-٦٧٣]

[٦٧٠] وقوله : (مثل هذا الوزن والميزان) أي : ومثل أخذ العباد الصحف في الإيمان | الوجوب السمعي : وزن أفعال العباد والميزان وهو ميزان واحد على بالميزان | الراجح له قصبة وعمود وكفتان كل واحدة منهما أوسع من طباق السماء والأرض ، وجبريل أخذ بعموده ناظر إلى لسانه وميكائيل أمين عليه ، ومحلّه بعد الحساب وقيل : لكل عامل موازين يوزن بكل منها صنف من عمله ويدل على الوزن قوله تعالى : ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ﴾ [الأعراف : ٨] وعلى الميزان قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] وقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف : ٨] وخفة الموزون وثقله على صورته في الدنيا ، وقيل على عكس صورته في الدنيا ، فالثقل يصعد إلى أعلى ، والخفيف ينزل إلى أسفل ، لقوله تعالى : ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [فاطر : ١٠] والجمع فيما ذكر للتعظيم ، على المشهور من أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال ، وقد بلغت أحاديثه مبلغ التواتر ، فيجب الإيمان به ونمسك عن تعيين حقيقته ، ولا يكون الوزن في حق كل أحد ، لأنه لا يكون للأنبياء والملائكة ومن يدخل الجنة بغير حساب فإنه فرع عن الحساب ، ولا مانع من وزن سيئات الكفار ليجازوا عليها بالعقاب فقوله تعالى : ﴿ فَلَا تُقِيمُ هُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴾ [الكهف : ١٠٥] معناه لا نقيم لهم يوم القيامة وزناً نافعا .

[٦٧١] فإن قيل : وزن أعمال المؤمنين وجهه ظاهر ؛ إذ لهم من الحسنات ما يقابل السيئات ، وأما الكفار فليس لهم حسنات حتى تقابل بها سيئاتهم أوجب بأنه يكون منهم صلة الرحم ومواساة الناس وعنت الممالك ونحوها من الأعمال التي لا تتوقف صحتها على نية فتجعل هذه الأمور إن صدرت منهم في مقابلة سيئاتهم غير الكفر ، أما هو فلا فائدة في وزنه ، لأن عذابه دائم ، وفي كلام القرطبي ما يصرح بوزنه حيث قال : فتجمع له هذه الأمور وتوضع في ميزانه يعني الكافر فيرجح الكفر بها .

[٦٧٢] وقوله : (فتوزن الكتب أو الأعيان) أشار بذلك إلى اختلاف العلماء في الموزون فذهب جمهور المفسرين إلى أن الموزون الكتب التي اشتملت على أعمال العباد بناء على أن الحسنات مميزة بكتاب والسيئات بآخر ، ويشهد له حديث البطاقة ^(١) بكسر

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال : حسن غريب .

الموحدة وهي : ورقة صغيرة . وحديثها : ما روي عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشَر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر ثم يقول : أتتكر من هذا شيئاً ، أظلمك كتبتي الحافظون ، فيقول : لا يا رب ، فيقول : ألك عذر ؟ فيقول : لا يا رب ، ألك حسنة ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا لحسنة وإنه لا ظلم عليك ؛ فتخرج له بطاقة كالأتملة فيها « أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله » فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ، فيقال : إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة ، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ، ولا يثقل مع اسم الله شيء اهـ .

وهذا ليس لكل عبد بل لعبد أراد الله به خيراً .

[٦٧٣] وذهب بعضهم إلى أن الموزون أعيان الأعمال ، فتصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية ، ثم تطرح في كفة النور وهي اليمنى المعدة للحسنات فتثقل بفضل الله سبحانه وتعالى ، وتصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية ثم تطرح في كفة الظلمة وهي الشمال المعدة للسيئات فتخف ، وهذا في المؤمن . وأما الكافر فتخف حسناته وتثقل سيئاته بغدل الله سبحانه وتعالى ، ولا يرد أن في ذلك قلب الحقائق ، وهو ممتنع ؛ لأن امتناع قلب الحقائق مختص بأقسام الحكم العقلي ، فلا ينقلب الواجب جائزاً مثلاً . وأما انقلاب المعنى جرماً فلا يمتنع . وقيل : يخلق الله أجساماً على عدد تلك الأعمال من غير قلب لها ، وقيل : وقد يوزن الشخص نفسه لحديث ابن مسعود : رجله في الميزان أثقل من جبل أحد ^(١) وفائدة الوزن : جعله علامة لأهل السعادة والشقاوة ، وتعريف العباد مالهم ، وما عليهم من الخير والشر ، وإقامة الحجة عليهم ^(٢) .

(١) أخرجه أحمد (٤٢١/١) والطبراني (٨٤٥٢)

(٢) قال أبو الحسن الأشعري : أجمعوا على أن الله ينصب الموازين لوزن أعمال العباد ، فمن ثقلت موازينه أفلح ، ومن خفت موازينه خاب وخسر ، وأن كفة السيئات تهوى إلى جهنم ، وأن كفة الحسنات تهوى عند زيادتها إلى الجنة .

وأن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم ، فمن أوتي كتابه يمينه حوسب حساباً يسيراً ، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً . (انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ١٦١ ، ١٦٢) .

١٠٦ - كَذَا الصِّرَاطُ فَأَلْبِثْهُ مُخْتَلِفٌ مُزَوَّرُهُمْ فَسَالِمٌ وَمُتَّخِلٌ [٦٧٨ - ٦٧٤]

[٦٧٤] قوله : (كذا الصراط) كذا : خبر مقدم ، والصراط : مبتدأ مؤخر : أي الصراط مثل المذكور من أخذ العباد الصحف والوزن والميزان في الوجوب السمعي ، وهو بالصاد أو بالسين أو بالزاي المحضة أو بالإشمام ، وقرئ في

السبع بما عدا الزاي المحضة ومعناه لغة : الطريق الصحيح مأخوذ من صرطه يصرطه إذا ابتلعه ؛ لأنه يتلع المارة . وشرعاً : جسر ممدود على متن جهنم يرده الأولون والأخرون حتى الكفار ^(١) ، خلافاً للحليمي حيث ذهب إلى أنهم لا يمرون عليه ، ولعله أراد الطائفة التي ترمى في جهنم من الموقف بلا صراط ، وشمل ما ذكر : النبيين والصدّيقين ومن يدخل الجنة بغير حساب ، وكلهم ساكتون إلا الأنبياء فيقولون : اللهم سلم سلم كما في الصحيح ^(٢) . وبعض الروايات : إنه أدق من الشعرة وأحد من السيف وهو المشهور ، ونازع في ذلك العز بن عبد السلام والشيخ القرافي وغيرهما كالبدري ^(٣) والزركشي ^(٤) قالوا : وعلى فرض صحة ذلك فهو محمول على غير ظاهره بأن يؤول بأنه كناية عن شدة المشقة ، وحينئذ فلا ينافي ما ورد من الأحاديث الدالة على قيام الملائكة على جنبه وكون الكلايب فيه ، زاد القرافي : والصحيح أنه عريض وفيه طريقان يمين ويسرى ، فأهل السعادة يسلك بهم ذات اليمين وأهل الشقاوة يسلك بهم ذات الشمال ، وفيه طاقات كل طاقة تنفذ إلى طبقة من طبقات جهنم .

[٦٧٥] وقال بعضهم : إنه يدق ويتسع بحسب ضيق النور وانتشاره ، فعرض صراط كل واحد بقدر انتشار نوره ، فإن نور كل إنسان لا يتعداه إلى غيره ، فلا يمشي أحد في نور أحد ، ومن هنا كان دقيقاً في حق قوم وعريضاً في حق آخرين ، وطوله ثلاثة آلاف سنة :

(١) أجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم ، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك . انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (١٦٣) .

(٢) البخاري (٨٠٦) ، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة .

(٣) هو : محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكتاني الحموي الشافعي ، أبو عبد الله بدر الدين ، من كبار فقهاء الشافعية تولى القضاء بمصر والشام ، محدث مشارك في كافة العلوم وله تصانيف منها : المنهل الروي في الحديث النبوي ، وتذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم توفي سنة ٧٣٣ هـ . (انظر : الأعلام ٢٩٧/٥ - ٢٩٨) .

(٤) هو : محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين عالم بفقهاء الشافعية والأصول توفي سنة ٧٩٤ هـ ، له تصانيف أهمها : البحر المحيط ، عقود الجمان (انظر : الأعلام ٦٠/٦) .

ألف صعود ، وألف هبوط ، وألف استواء . وفي كلام الشيخ الأكبر ما يفيد عدم التعويل على ظاهر هذه الآلاف ، مع أن مآله الامتداد للعلو حتى يوصل للجنة فإنها عالية جدًا . [٦٧٦] وأفاد الشعراني أنه لا يوصل لها حقيقة ، بل يوصل لمرجها الذي فيه الدرج الموصل لها . قال : يوضع لهم هناك مائدة . قال : ويقوم أحدهم فيتناول مما تدلى هناك من ثمار الجنة .

وقد ورد به الكتاب : قال تعالى : ﴿ فَاسْتَبِقُوا الصِّرَاطَ ﴾ [يس : ٦٦] والسنة : قال : « يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجوزه » ^(١) واتفقت الكلمة عليه في الجملة أي : بقطع النظر عن إبقائه على ظاهره كما هو مذهب أهل السنة ، وصرفه عنه كما هو مذهب كثير من المعتزلة ، فإنهم ذهبوا إلى أن المراد به طريق الجنة وطريق النار . وقيل : المراد به الأدلة الواضحة ، وجبريل في أوله وميكائيل في وسطه يسألان الناس عن عمرهم فيما أفنوه وعن شبابهم فيما أبلوه وعن علمهم ماذا عملوا به ، وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة تأخذ من أمرت به .

[٦٧٧] قوله : (فالعباد مختلف مرورهم) أي : إذا علمت أن الصراط واجب ، فاعلم أن العباد متفاوت مرورهم عليه في سرعة النجاة وعدمها فليسوا في المرور عليه على حد سواء .

[٦٧٨] وقوله : (فسالم ومتلف) أي : فمنهم فريق سالم من الوقوع في نار جهنم ، ومنهم فريق متلف بالوقوع فيها ، إما على الدوام والتأيد كالكفار والمنافقين ، وإما إلى مدة يريد الله تعالى ، ثم ينجو كبعض عصاة المؤمنين ممن قضى الله عليهم بالعذاب ، والفريق الأول هم السالمون من السيئات وأهل رجحان الأعمال الصالحة ممن خصهم الله بسابقة الحسنى وهؤلاء يجوزون كطرف العين ، وبعدهم الذين يجوزون كالبرق الخاطف ، وبعدهم الذين يجوزون كالريح العاصف ، وبعدهم الذين يجوزون سعيًا كالطير ، وبعدهم الذين يجوزون كالجواد السابق ، وبعدهم الذين يجوزون سعيًا ومشيًا ، وبعدهم الذين يجوزون حبوا ، وتفاوتهم في المرور بحسب تفاوتهم في الإعراض عن حرمان الله تعالى ، فمن كان منهم أسرع إعراضًا عما حرم الله كان أسرع مرورًا في ذلك اليوم . والحكمة في مرورهم على الصراط ظهور النجاة من النار ، وأن يتحسر الكفار بفوز المؤمنين بعد اشتراكهم في المرور .

١٠٧ - وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ ثُمَّ الْقَلَمُ وَالْكَاتِبُونَ اللَّوْحُ كُلُّ جُزْءٍ [٦٧٩-٦٨٤]

[٦٧٩] قوله : (والعرش) وهو جسم عظيم نوراني علوي قيل : من نور وقيل : الإيمان من زبرجدة خضراء . وقيل : من ياقوتة حمراء ، والأولى الإمساك عن بالعرش القطع بتعيين حقيقته لعدم العلم بها ، والتحقيق أنه ليس كرويًا بل هو قبة فوق العالم ذات أعمدة أربعة تحملها الملائكة ؛ في الدنيا أربعة ، وفي الآخرة ثمان لزيادة الجلال والعظمة في الآخرة ، رؤوسهم عند العرش في السماء السابعة ، وأقدامهم في الأرض السفلى ، وقرونهم كقرون الوعل أي : البقر الوحشي ، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام ، وقيل : إنه كروي محيط بجميع الأجسام ، وهذا خلاف التحقيق .

[٦٨٠] قوله : (والكرسي) معطوف على العرش ، وهو جسم عظيم نوراني تحت العرش ملتصق به فوق السماء السابعة بينه وبينها مسيرة خمسمائة عام كما نقل عن ابن عباس ، والأولى أن تمسك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم بها وهو غير العرش خلافاً للحسن البصري .

[٦٨١] وقوله : (ثم القلم) معطوف على الكرسي وهو جسم عظيم نوراني خلقه الله وأمره بكتب ما كان وما يكون إلى يوم القيامة . قيل : هو من اليراع وهو القصب ، والأولى أن تمسك عن الجزم بتعيين حقيقته .

[٦٨٢] وقوله : (والكتابون) معطوف على القلم ، وأقسامهم ثلاثة : الكتابون على العباد أعمالهم في الدنيا ، والكتابون من اللوح المحفوظ ما في صحف الملائكة الموكلين بالتصرف في العالم كل عام ، والكتابون من صحف الملائكة كتاباً يوضع تحت العرش .

[٦٨٣] قوله : (اللوح) معطوف على ما قبله بتقدير حرف العطف ، فهو مرفوع الإيمان وليس معمولاً للكتابين كما قد يتوهم ، لأن الملائكة لم تكتب فيه ، بل بالقلم يكتب فيه بمجرد القدرة وهو جسم نوراني كتب فيه القلم بإذن الله ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، وهو يكتب فيه الآن على التحقيق من أنه يقبل المحو والتغيير ، وتمسك عن الجزم بحقيقته ، وفي بعض الآثار « إن لله لوحاً أحد وجهيه ياقوتة حمراء والوجه الثاني زمردة خضراء » ^(١) كما في شرح المصنف .

(١) أورده ابن الجوزي في الموضوعات .

[٦٨٤] وقوله : (كل حكم) أي : كل من هذه المذكورات ذو حكم ، فكل واحد منها لحكم يعلمها الله سبحانه وتعالى وإن قصرت عقولنا عن الوقوف عليها ، وبعضهم لم يلتزم الحكمة ، لأن الله تعالى يتصرف بما يشاء ﴿ لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] والحكمة هي الأمر الصائب ، وهو سر الفعل وفائدته المترتبة عليه .

١٠٨ - لا لاحتياج وبها الإيمان . يَجِبُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ [٦٨٥ - ٦٨٦]

١٠٩ - وَالنَّارُ حَقٌّ أَوْجَدَتْ كَالْجَنَّةِ فَلَا تَمِلْ لِجَانِبِ ذِي جَنَّةٍ [٦٨٧ - ٦٩٢]

[٦٨٥] قوله : (لا لاحتياج) أي : كل مخلوق لا لاحتياجه تعالى إلى شيء منها ، فلم يخلق العرش للاتقاء ، ولا الكرسي للجلوس ، ولا القلم لاستحضار ما غاب عن علمه تعالى ، ولا الكاتبتين ولا اللوح لضبط ما يخاف نسيانه .

[٦٨٦] وقوله : (وبها الإيمان يجب عليك أيها الإنسان) أي : بهذه المذكورات كغيرها من كل ما ثبت بصحيح الأحاديث كالحجب والأنوار ، والتصديق يجب عليك أيها الإنسان المكلف ، فيجب الإيمان بوجودها شرعاً حسبما علم ، تفصيلاً أو إجمالاً ، وغاية الأمر أن الإيمان بها تعبدى .

[٦٨٧] قوله : (والنار حق أوجدت كالجنة) أي : والنار التي هي دار العذاب ثابتة بالكتاب والسنة واتفاق علماء الأمة ، أوجدتها الله فيما مضى ، كالجنة التي هي دار الثواب في كونها حقاً وأنها أوجدت فيما مضى ، ورد المصنف بحقيقتهم على منكرهما بالمرّة كالفلاسفة ، وبإيجادهما فيما

مضى على منكر وجودهما فيما مضى ، وأنهما إنما يوجدان يوم القيامة كأبي هاشم وعبد الجبار المعتزلين ، ويدل لنا قصة آدم وحواء عليهما السلام على ما جاء به القرآن والسنة وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالف ، فلذلك يدل على ثبوت الجنة ، ولا قائل بشبوتها دون النار فهي ثابتة أيضاً ، والآيات صريحة في ذلك وقد أجمع العلماء على أن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين ، كما قيل : آدم كان رجلاً في جنة أي : بستان له ، على رهوة أي : محل مرتفع ، فعصى ربه فأنزله لبطن الوادى ، ولم يرد نص صريح في تعيين مكان الجنة والنار كما في شرح المقاصد ، والأكثر على أن الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش ، وأن النار تحت الأرضين السبع ، والحق تفويض علم ذلك إلى اللطيف الخبير كما في شرح المصنف .

[٦٨٨] وطبقات النار السبع : أعلاها جهنم وهي لمن يعذب على قدر ذنبه من المؤمنين ، وتصير خراباً بخروجهم منها ، وتحتها لظى وهي لليهود ، ثم الحطمة وهي للنصارى ، ثم السعير وهي للصائبين وهم فرقة من اليهود ، ثم سقر وهي للمجوس ، ثم الجحيم وهي لعبدة الأصنام ، ثم الهاوية وهي للمنافقين .

[٦٨٩] وذكر ابن العربي أن هذه النار التي في الدنيا ما أخرجها الله إلى الناس من

جهنم حتى غمست في البحر مرتين ، ولولا ذلك لم ينتفع بها أحد من حرها وكفى بها زاجراً ، وبعد أخذ نار الدنيا منها أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ، ثم ألف سنة حتى احمرت ، ثم ألف سنة حتى اسودت ، فهي سوداء مظلمة ، وحرها هواء محرق ولا جمر لها سوى بني آدم والأحجار المتخذة آلهة من دون الله قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًى أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحریم : ٦] .

[٦٩٠] واختلف في الجنة هل هي سبع جنات متجاورة أفضلها وأوسطها الفردوس وهي أعلاها والمجاورة لا تنافي العلو وفوقها عرش الرحمن ، ومنها تتفجر أنهار الجنة ، ويليهما في الأفضلية جنة عدن ، ثم جنة الخلد ، ثم جنة النعيم ، ثم جنة المأوى ، ودار السلام ، ودار الجلال . والجنان كلها متصلة بمقام الوسيلة ليتنعم أهل الجنة بمشاهدته ﷺ لظهوره ﷺ لهم منها لأنها تشرق على أهل الجنة ، كما أن الشمس تشرق على أهل الدنيا ، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس ، أو أربع ورجحه جماعة لقوله تعالى : ﴿ وَلِمَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن : ٤٦] جنة النعيم وجنة المأوى ، ثم قال : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّاتٌ ﴾ [الرحمن : ٦٢] جنة عدن وجنة الفردوس كما قاله بعض المفسرين ، وهذا ما ذهب إليه الجمهور ، أو جنة واحدة وهذه الأسماء كلها جارية عليها لتحقق معانيها فيها ، إذ صدق على الجميع جنة عدن أي : إقامة ، وجنة المأوى أي : مأوى المؤمنين . وجنة الخلد ودار السلام ، لأن جميعها للخلود والسلامة من كل خوف وحزن ، وجنة النعيم ؛ لأنها كلها مشحونة بأصنافه .

[٦٩١] قوله : (فلا تمل لجاحد) أي : فلا تصغ لقول منكر لهما بالمرّة لكفره كالفلاسفة أو منكر لوجودهما فيما مضى لبدعته كأبي هاشم وعبد الجبار المعتزلين . [٦٩٢] وقوله : (ذي جنة) أي : صاحب جنون : لأن إنكارهما لا يكاد يصدر عن ذي عقل فإنه يؤدي إلى إحالة ما علم من الدين بالضرورة .

١١٠ - دَارَا خُلُودٍ لِلسَّعِيدِ وَالشَّقِيِّ مُعَذَّبٌ مُنْتَعَمٌ مَهْمَا بَقِيَ [٦٩٣-٦٩٨]

[٦٩٣] قوله : (دارا خلود) أي : دار إقامة مؤبدة ورد المصنف بذلك على الجهمية وهم منسوبون لجهنم^(١) اسم رجل يقولون بفنائهما وفناء أهلها وهم كفار ، لمخالفتهم للكتاب والسنة .

[٦٩٤] وقوله : (للسعيد والشقي) أي : فالجنة دار خلود للسعيد ، وهو من مات على الإسلام وإن تقدم منه كفر ، ودخل في السعيد عصاة المؤمنين فدار خلودهم الجنة فلا يخلدون في النار إن دخلوها ، بل لا يدوم عذابهم فيها مدة بقائهم ، لأنهم يموتون بعد الدخول بلحظة ما يعلم إلا الله مقدارها فلا يحيون حتى يخرجوا منها ، والمراد بموتهم أنهم يفقدون إحساس ألم العذاب لا أنهم يموتون موتاً حقيقياً بخروج الروح ، وبعضهم اختار أنهم يموتون حقيقة .

[٦٩٥] والنار دار خلود للشقي : وهو من مات على الكفر وإن عاش طول عمره على الإيمان ، ودخل في الشقي : الكافر الجاهل ، والمعاند ، ومن بالغ في النظر فلم يصل إلى الحق وترك التقليد الواجب عليه ولا يدخل فيه أطفال المشركين ، بل هم في الجنة على الصحيح من أقوال كثيرة فمنها : أنهم في النار ، وقيل : على الأعراف إلى غير ذلك من الأقوال .

وأما أطفال المؤمنين ففي الجنة عند الجمهور ، ومقابله أنهم في المشيئة ، وأنكر ذلك القول ، وهذا في غير أولاد الأنبياء ، وأما أولاد الأنبياء ففي الجنة إجماعاً ، ولا فرق في السعيد والشقي بين الإنس والجن . ويدل على ما ذكر من أن الجنة دار خلود للسعيد ، والنار دار خلود للشقي قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴾ الآية [هود : ١٠٥] والمراد بالسموات والأرض في هذه الآية سقف النار وأرضها ، وسقف الجنة وأرضها لا سماء الدنيا وأرضها لتبديلهما .

[٦٩٦] وقوله : (معذب منعم) أي : فداخل النار معذب فيها بأنواع العذاب كالزمهير والحيات والعقارب وغير ذلك ، وداخل الجنة منعم فيها بأنواع النعيم وأعلاه رؤية وجه الله الكريم .

[٦٩٧] وقوله : (مهما بقي) أي : مدة بقاء كل من الفريقين في إحدى الدارين .

(١) هو : جهنم بن صفوان السمرقندي أبو محرز من موالي بني راسب . وكان على رأس الجهمية . وقتل سنة ١٢٨ هـ (انظر : الأعلام ١/٢٤١) .

وما يقال بتمرّن أهل النار بالعذاب حتى لو ألقوا في الجنة لتألموا : مدسوس على القوم ، فكيف وقد قال الله تعالى : ﴿ فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾ [النبأ : ٣٠] .

[٦٩٨] (فائدة) : الناس يكونون في الموقف على حالتهم التي ماتوا عليها ، ثم يدخل المؤمنون الجنة جرّداً مردّاً أبناء ثلاث وثلاثين سنة طول كل واحد منهم ستون ذراعاً وعرضه سبعة أذرع ، ثم لا يزيدون ولا ينقصون . وأما أجسام الكفار فمختلفة المقادير ، حتى ورد أن ضرس الكافر في النار مثل أحد ^(١) ، وفخذه مثل ورقان وهما جبلان بالمدينة كما في شرح المصنف .

١١١ - إِيْمَانُنَا بِحَوْضِ خَيْرِ الرِّسْلِ حَتَّمْ كَمَا قَدْ جَاءَنَا فِي النَّقْلِ [٦٩٩-٧٠٥]

[٦٩٩] قوله : (إِيْمَانُنَا بِحَوْضِ خَيْرِ الرِّسْلِ حَتَّمْ) أي : تصديقنا بالحوض الذي يعطاه في الآخرة أفضل المرسلين وهو نبينا محمد ﷺ واجب ، ولكن لا يكفر من أنكره وإنما يفسق ، وقد نفته المعتزلة ولذلك أشار المصنف للرد

الإيمان
بالحوض

عليهم بما ذكر . وهو جسم مخصوص كبير متسع الجوانب يكون على الأرض المبدلة وهي الأرض البيضاء كالفضة ، من شرب منه لا يظمأ أبداً ، ترده هذه الأمة .

[٧٠٠] وقد ورد أن لكل نبي حوضاً ترده أمته ، فعن الحسن مرفوعاً « أن لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه وعصا بيده يدعو من عرفه من أمته ، ألا وإنهم يتباهون أيهم أكثر تبعاً ، وإني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعاً » (١) .

[٧٠١] وفي أثر أن حوضه ﷺ أعرض الحيضان وأكثرها وارداً ، وتخصيص حوض نبينا بالذكر لوروده بالأحاديث البالغة مبلغ التواتر ، بخلاف غيره لوروده بالآحاد .

[٧٠٢] وقوله : (كما قد جاءنا في النقل) أي : للنص الذي قد ورد إلينا في المنقول عنه ﷺ ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « حوضي مسيرة شهر ، وزواياه سواء ، مأؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه أكثر من نجوم السماء من شرب منه فلا يظمأ أبداً » (٢) .

[٧٠٣] وقد ورد تحديده بجهات مختلفة ، ففي رواية لأحمد (٣) أن الحوض كما بين عدن وعمان وذلك نحو شهر . وفي رواية الصحيحين « ما بين صنعاء والمدينة » (٤) وذلك نحو شهرين وفي رواية « ما بين مكة وآيلة » وذلك نحو شهر كالأولى . وفي رواية لابن ماجه « ما بين المدينة إلى بيت المقدس » (٥) وهو كالذي قبله .

[٧٠٤] فقد تحدث المصطفى بحديث الحوض مرات وذكر فيه الألفاظ المختلفة . فكان يخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها ، ولا تنافي من حيث تقدير المسافة بنحو شهر في بعض الروايات وبنحو شهرين في بعض آخر ، لأن الله سبحانه وتعالى تفضل

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٤٣) ، من حديث سمرة بن جندب وقال : حديث غريب .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب في الحوض ٤٦٣/١١ رقم ٦٥٧٩ عن عبد الله بن عمرو .

(٣) مسند أحمد ٢٥٠/٥ ، من حديث أبي أمامة .

(٤) البخاري (٦٥٩٢) من حديث حارثة بن وهب .

(٥) سنن ابن ماجه (٤٣٠١) من حديث أبي سعيد الخدري .

عليه باتساعه شيئاً فشيئاً ، فأخبر ﷺ بالمسافة القصيرة أولاً ثم أخبر بالمسافة الطويلة ، والاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة كما أشار إليه النووي ، وفيما أوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام من صفة نبينا ﷺ له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس ، فيه آنية مثل عدد نجوم السماء ، وله لون كل شراب الجنة وطعم كل ثمارها « وقوله في هذه الرواية » مثل عدد نجوم السماء « لا ينافي قوله في الرواية السابقة » أكثر من نجوم السماء « لا احتمال أنه أخبر أولاً بأنها مثل ، ثم أخبر ثانياً بأنها أكثر . ومعنى كونه له لون كل شراب الجنة بأن بعضه لونه أحمر وبعضه لونه أبيض وهكذا ، فلا يرد أن فيه الجمع بين الأضداد ، وهو ممتنع . ومعنى كونه له طعم كل ثمارها : أن له طعم الخوخ والموز والمشمش وغيرها ، فمن يشرب منه يجد طعم ثمار الجنة .

[٧٠٥] واختلف في محله فقليل : قبل الصراط وهو قول الجمهور وصححه
 مكان بعضهم ، لأن الناس يخرجون من قبورهم عطاشاً فيردون الحوض للشرب
 الحوض منه . وقيل : بعده وصححه بعضهم ، لأنه ينصب فيه الماء من الكوثر وهو
 النهر الذي في داخل الجنة ، فيكون الحوض بعد الصراط بجانب الجنة ، ولو كان قبله
 لحالت النار بينه وبين الماء الذي ينصب فيه من الكوثر ، وأورد عليه أن الحوض إذا كان
 عند الجنة لم يحتج للشرب منه ، وأجيب بأنهم يجلسون هناك لأجل المظالم التي بينهم
 حتى يتحللوا منها ، وهو المسمى بموقف القصاص . وقيل : له ﷺ حوضان حوض قبل
 الصراط وحوض بعده ، وصححه القرطبي ، وهذا كله لا يجب اعتقاده ، وإنما يجب
 اعتقاده أنه ﷺ له حوض ولا يضر الجهل بكونه قبل الصراط أو بعده .

١١٢ - يَنَالُ شَرْبًا مِنْهُ أَقْوَامٌ وَفَوَّا يَعْهَدُهُمْ وَقُلْ يَنَادُ مَنْ طَغَوَا [٧٠٦-٧٠٨]

[٧٠٦] قوله : (ينال شربًا منه أقوام) أي : يتعاطى الشرب من ذلك الحوض أقوام ، المراد بهم ما يشمل الذكور والإناث ، وأحوالهم في الشرب مختلفة فمنهم من يشرب لدفع العطش ، ومنهم من يشرب للتلذذ ، ومنهم من يشرب لتعجيل المسرة ، وأطفال المسلمين ذكورهم وإناثهم حول الحوض وعليهم أقيية الدياج ومناديل من نور وبأيديهم أباريق الفضة وأقداح الذهب يسقون آباءهم وأمهاتهم إلا من سخط في فقدهم فلا يؤذن لهم أن يسقوه .

[٧٠٧] وقوله : (وفوا بعهدهم) وصف لأقوام : أي وفوا الله تعالى بعهدهم وهو الميثاق الذي أخذه عليهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم : ألسنت بربكم ، قالوا بلى : أي : أنت ربنا ، وأول من قال : بلى النبي ﷺ .

ومعنى وفائهم بعهدهم : أنهم لم يغيروه ولم يبدلوه حتى ماتوا ، وهذا الوصف وإن شمل جميع مؤمني الأمم السابقة لكنه خلاف ظاهر الأحاديث من أنه لا يرده إلا مؤمنو هذه الأمة ، لأن كل أمة إنما ترد حوض نبيها .

[٧٠٨] قوله : (وقل يناد من طغوا) أي : وقل قولًا باطنيًا وهو الاعتقاد يطرد عنه أقوام ظلموا أنفسهم بأن غيروا بدلوا عهدهم الذي أخذه الله عليهم ، فالمرتد من المطرودين ، ومن أحدث في الدين ما لا يرضاه الله تعالى ، ومن خالف جماعة المسلمين كالخوارج والروافض والمعتزلة على اختلاف فرقهم ، والظلمة الجائرون ، والمعلن بالكبائر المسخف بالمعاصي ، وأهل الزيغ والبدع ، لكن المبدل بالارتداد مخلص في النار ، والمبدل بالمعاصي في المشيئة ، فإن شاء الله عفا عنه وإن شاء عاقبه . وظاهر ذلك أن جميع من ذكر لا يشرب منه أبدًا ، والذي عليه المحققون أن المطرودين عن الحوض قسمان : قسم يطرد حرمانًا وهم الكفار فلا يشربون منه أبدًا ، وقسم يطرد عقوبةً له ثم يشرب وهم عصاة المؤمنين فيشربون قبل دخولهم النار على الصحيح .

١١٣ - وَوَاجِبُ شَفَاعَةِ الْمَشْفَعِ مُحَمَّدٌ مُقَدِّمًا لَا تَمْنَعُ [٧٠٩ - ٧١٤]

[٧٠٩] قوله : (وواجب شفاعته المشفع) أي : وواجب سمعا عند أهل الحق شفاعته المشفع بفتح الفاء وهو الذي تقبل شفاعته ، وأما بكسرهما فهو الذي يقبل شفاعته غيره . [٧١٠] والشفاعة لغة : الوسيلة والطلب ، وعرفاً : سؤال الخير من الغير للغير . وشفاعة المولى : عبارة عن عفوه ، فإنه تعالى يشفع فيمن قال : لا إله إلا الله وأثبت الرسالة للرسول الذي أرسل إليه ولم يعمل خيراً قط ليتفضل الله تعالى عليه بعدم دخوله النار بلا شفاعة أحد .

[٧١١] وقوله : (محمد) بدل من المشفع ، دفع به إيهامه .

[٧١٢] وقوله : (مقدماً) أي : حال كونه مقدماً على غيره من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ، فهو الذي يفتح باب الشفاعة لغيره كما قاله ابن العربي ^(١) .

[٧١٣] وفي الصحيحين « أنا أول شافع وأول مشفع » ^(٢) وفي كلام المصنف شفاعة النبي ﷺ إشارة إلى واجبات ثلاثة ، فالأول : كونه ﷺ شافعاً . والثاني : كونه مشفعاً أي : مقبول الشفاعة . والثالث : كونه مقدماً على غيره ، فانه حين

يشهد الهول ويتمنى الناس الانصراف ولو للنار يلهمون أن الأنبياء هم الواسطة بين الله وخلقه ، فيذهبون إلى آدم فيقولون له : أنت أبو البشر اشفع لنا فيقول : لست لها لست لها ، نفسي نفسي ، لا أسأل اليوم غيرها ، ويعتذر بالأكل من الشجرة ، فيذهبون إلى نوح ويسألونه الشفاعة ، فيعتذر لهم ، وهكذا ، وبين كل نبي ونبي ألف سنة ، فلما يذهبون إلى سيدنا محمد ، ويسألونه الشفاعة فيقول : أنا لها أنا لها ، أمتي أمتي ، فيسجد تحت العرش فينادي من قبل الله : يا محمد ارفع رأسك ، واشفع تشفع ، فيرفع رأسه ويشفع في فصل القضاء ، وحينئذ يفتح باب الشفاعة لغيره ، وهذه هي الشفاعة العظمى ، وهي مختصة به ، قطعاً ، وهي أول المقام المحمود المذكور في قوله تعالى : ﴿ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴾ [الإسراء : ٧٩] أي : يحمذك فيه الأولون والآخرون ، وآخر استقرار أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار . وله ﷺ شفاعات

(١) أجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً ، فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل .

انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب (١٦٤) .

(٢) أخرجه البخاري (٤٧١٢) ، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة .

آخر منها : شفاعته في إدخال قوم الجنة بغير حساب . ومنها شفاعته في عدم دخول النار لقوم استحقوا دخولها ، ومنها شفاعته في إخراج الموحدين من النار . ومنها شفاعته في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها ، ومنها غير ذلك كما ذكره السيوطي ^(١) وغيره .

[٧١٤] قوله : (لا تمنع) أي : لا تعتقد امتناع شفاعته ﷺ في أهل الكبائر وغيرهم ، لا قبل دخولهم النار ولا بعده . وقصد المصنف بذلك الرد على المعتزلة ومن وافقهم في إنكارهم شفاعته ﷺ في من استحق النار أن لا يدخلها وفيمن دخلها أن يخرج منها . وأما الشفاعة العظمى فلا ينكرونها ، وكذا الشفاعة في زيادة الدرجات وحديث « لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي » موضوع باتفاق ، وبتقدير صحته فهو محمول على من ارتد منهم .

(١) انظر : البدور السافرة في أمور الآخرة من ص ٢٦٠ إلى ص ٢٦٦ .

١١٤ - وَغَيْرِهِ مِنْ مُرْتَضَى الْأَخْيَارِ يَشْفَعُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ

١١٥ - إِذْ جَائِزٌ غُفْرَانُ غَيْرِ الْكُفْرِ فَلَا نُكْفِرُ مُؤْمِنًا بِالْوَزْرِ

١١٦ - وَمَنْ يَمُتْ وَلَمْ يَثْبُتْ مِنْ ذَنْبِهِ فَأَمْرُهُ مُقَوَّضٌ لِرَبِّهِ [٧١٥ - ٧٢٣]

[٧١٥] قوله : (وغيره من مرتضى الأخيار يشفع) بسكون العين للوزن : أي شفاعته
شفاعته وغيره ، ممن ارتضاه الله من الأخيار كالأنبياء والمرسلين والملائكة
غير النبي والصحابة والشهداء والعلماء العاملين والأولياء يشفع في أرباب الكبائر
على قدر مقامه عند الله تعالى ، وشفاعة الملائكة على الترتيب ، فأولهم في الشفاعاة
جبريل ، وآخرهم فيها التسعة عشر الذين على النار .

[٧١٦] وقوله : (كما قد جاء في الأخيار) أي : للنص الذي قد جاء في الأخيار
الدالة على ذلك كما أجمع عليه أهل السنة ، ولا يشفع أحد ممن ذكر إلا بعد انتهاء مدة
المؤاخاة .

[٧١٧] فإن قيل : لا فائدة في الشفاعاة حيثئذ . أجيب بأن فائدتها إظهار مزية
الشافع على غيره ، على أنه لولا الشفاعاة لجوزنا البقاء وعدمه بحسب الظاهر لنا ،
وبالجملة فذلك من باب القضاء المعلق .

[٧١٨] قوله : (إذ جائز غفران غير الكفر) هذا تعليل للشفاعة ، فكأنه قال : لأنه
يجوز عقلاً وسمعاً غفران غير الكفر من الذنوب بلا شفاعاة ، فبالشفاعة أولى وأما غفران
الكفر فهو وإن جاز عقلاً ممتنع سمعاً . قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا
دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ [النساء : ٤٨] وعلم مما تقرر أن المراد بالجواز في كلام المصنف الجواز
العقلي والسمعي معاً ، ولذلك قيد بغير الكفر لأن غفران الكفر ممتنع سمعاً وإن جاز عقلاً .

[٧١٩] والحكمة في غفران الذنوب دون الكفر أنها لا تنفك عن خوف عقاب
ورجاء عفو ورحمة بخلاف الكفر ، وذلك أن صاحب الذنوب مسلم يعتقد نقص نفسه
فيخاف العقاب ويرجو العفو والرحمة ، بخلاف صاحب الكفر فإنه لا يعتقد نقص
نفسه فلا يخاف العقاب ولا يرجو العفو والرحمة . ولا يخفى أن هذا التعليل الذي
ذكره المصنف فيه قصور ، لأن الشفاعاة شاملة للشفاعة في فصل القضاء وللشفاعة في
غفران الذنوب ، وهذا التعليل خاص بالشفاعة في غفران الذنوب فتأمل .

[٧٢٠] قوله : (فلا نكفر مؤمناً بالوزر) مفرع على ما ذكر ، أي : فلا نكفر
بالتون : أي : معاشر أهل السنة أو بالتاء : أي : أيها المخاطب أحداً من المؤمنين بارتكاب

الذنب صغيرة كان الذنب أو كبيرة ، عالماً كان مرتكبه أو جاهلاً ، بشرط ألا يكون ذلك الذنب من المكفرات كإنكاره علمه تعالى بالجزئيات ، وإلا كفر مرتكبه قطعاً ، وبشرط أن لا يكون مستحلاً له ، وهو معلوم من الدين بالضرورة كالزنا ، وإلا كفر باستحلاله لذلك .

[٧٢١] وخالفت الخوارج فكفروا مرتكب الذنوب ، وجعلوا جميع الذنوب كبائر كما سيأتي ، ولم يكفروا بتكفير مرتكب الذنوب ، مع أن من كفر مؤمناً كفر ، لأنهم قالوا ذلك بتأويل واجتهاد .

[٧٢٢] وأما المعتزلة فأخرجوا مرتكب الكبيرة من الإيمان ، ولم يدخلوه في الكفر إلا باستحلال ، فجعلوه منزلة بين المنزلتين فمرتكب الكبيرة مخلد عند الفريقين في النار ، ويعذب عند الخوارج عذاب الكفار ، وعند المعتزلة عذاب الفساق .

[٧٢٣] قوله : (ومن) اسم شرط جازم مبتدأ ، و « يمت » فعل الشرط مجزوم بالسكون ، وجملة فعل الشرط في محل رفع خبر المبتدأ على الراجح (و لم يتب من ذنبه) جملة حالية مرتبطة بالواو ، وجملة « فأمره مفوض لربه » في محل جزم جواب الشرط : أي : ومن يمت بعد أن ارتكب ذنباً من الكبائر غير المكفرة بلا استحلال والحال أنه لم يتب من ذنبه إلى الله تعالى فأمره وشأنه مفوض وموكول إلى ربه فلا نقطع بالعفو عنه لئلا تكون الذنوب في حكم المباحة ولا بالعقوبة ، لأنه تعالى يجوز عليه أن يغفر ماعدا الكفر ، وعلى تقدير وقوع العقاب نقطع له بعدم الخلود في النار ، كما أشار إليه بقوله الآتي : « ثم الخلود مجتنب » وهذا هو مذهب أهل الحق واستدلوا عليه بالآيات والأحاديث الدالة على أن المؤمنين يدخلون الجنة البتة ، كقوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧] وقوله ، : « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » ^(١) ولا يصح أن يدخل الجنة ثم يدخل النار ، لأن من دخل الجنة لا يخرج منها . قال تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] فتعين أن يكون دخوله الجنة بدون دخول النار بالمرة ، وهذا هو العفو التام . أو بعد دخول النار بقدر ذنبه ، وهذا هو عدم الخلود في النار .

(١) أخرجه البخاري (١٢٣٧) ، ومسلم (٩٤) من حديث أبي ذر .

١١٧ - وَوَجِبَ تَعْذِيبُ بَعْضِ ارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ ثُمَّ الْخُلُودُ مُجْتَنَّبٌ [٧٢٤-٧٢٦]

[٧٢٤] قوله : (وواجب تعذيب بعض ارتكاب كبيرة) وواجب : خبر مقدم ، وتعذيب : مبتدأ مؤخر : أي : وتعذيب بعض غير معين من عصاة هذه الأمة ارتكاب كبيرة من غير تأويل يعذر به ومات بلا توبة واجب ، أي : ثابت وواقع شرعاً ، بخلاف من ارتكب صغيرة أو ارتكب كبيرة بتأويل كما يقع من البغاة المتأولين ، أو ارتكبتها من غير تأويل ، لكن مات بعد التوبة .

[٧٢٥] وهل المراد بهذه الأمة أمة الدعوة فتشمل الكفار فيجوز أن يكون البعض المعذب على الكبائر غير الكفر بعض الكفار ، وعلى هذا طلب المغفرة لجميع المسلمين ، أو أمة الإجابة ، فلا تشمل الكفار فلا يجوز أن يكون البعض المعذب على الكبائر بعض الكفار ، بل لابد أن يكون من المسلمين ، قولان ، جرى الشيخ عبد السلام على الأول ، والمعتمد الثاني ، والمراد بالبعض المذكور : طائفة ولو واحداً من كل صنف من العصاة كالزناة ، وقتلة النفس ، وشربة الخمر ، وهكذا فلا بد من نفوذ الوعيد في طائفة من كل صنف أقلها واحد ، لكن هذه المسألة مبنية على طريقة الماتريدية : من أنه لا يجوز تخلف الوعيد ، و أما على طريقة الأشاعرة من أنه يجوز تخلف الوعيد لأنه على تقدير المشيئة كما هو عادة الكريم ، فإنه إذا قال : إذا فعل زيد كذا أعاقبه كان المراد : أعاقبه إن شئت ، فلا يجب تعذيب بعض العصاة لجواز تخلف الوعيد ، نعم قد ورد تعذيب بعض الموحدين والشفاعة فيهم لكن لا يعم الأنواع كلها .

[٧٢٦] قوله : (ثم الخلود مجتنب) أي : ثم خلود من أراد الله تعذيبه من عصاة المؤمنين مجتنب وقوعه ، فلا نقول به . والحاصل أن الناس على قسمين : مؤمن ، وكافر ، فالكافر مخلد في النار إجماعاً ، والمؤمن على قسمين : طائع ، وعاص ، فالطائع في الجنة إجماعاً ، والعاصي على قسمين : تائب ، وغير تائب . فالتائب في الجنة إجماعاً ، وغير التائب في المشيئة ، وعلى تقدير عذابه لا يخلد في النار .

١١٨ - وَصِفْ شَهِيدَ الْحَرْبِ بِالْحَيَاةِ وَرُزْقِهِ مِنْ مُشْتَهَى الْجَنَّاتِ [٧٢٧ - ٧٣٢]

[٧٢٧] قوله : (وصف شهيد الحرب بالحياة) أي : اعتقد وجوباً اتصاف شهيد الحياة بالحياة الكاملة وإن كانت كيفيتها غير معلومة لنا ، والموتى وإن كانوا كلهم أحياء لاتصال أرواحهم بأجسامهم ، لكن الشهداء أكمل حياة

من غيرهم ، والأنبياء أكمل حياة من الشهداء ، وهي ثابتة للذات والروح جميعاً فهي حياة حقيقية . ولا يلزم من كونها حقيقة أن تكون بالأبدان معها كما كانت في الدنيا من الاحتياج للطعام والشراب وغيرهما من صفات الأجسام التي نشاهدها في الدنيا ، بل يكون لها حكم آخر ، فأكلهم وشربهم للتلذذ لا للاحتياج .

[٧٢٨] فإن قيل : كيف تعقل حياتهم مع ما ورد من أن أرواحهم في حواصل طيور خضر ؟ أجيب بأن أرواحهم متصلة بأجسامهم اتصالاً قوياً وإن كان مقرها حواصل الطيور ، على أنها أمور خارقة للعادة فلا يقاس عليها غيرها .

[٧٢٩] وقوله : (ورزقه) بفتح الراء : مصدر مضاف لمفعوله بعد حذف الفاعل ، أي رزق الله إياه أي : شهيد الحرب .

[٧٣٠] وقوله : (من مشتهى الجنات) أي : من محبوب نعيم الجنات من مأكول ومشروب وملبوس وغيرها . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران : ١٦٩] ولا يرد على كونهم مرزوقين متنعمين ما ورد أن أرواحهم في حواصل طيور (١) خضر كما مر ، مع أن في هذا ضرراً عليهم وحسناً لهم ، لأن أجواف الطيور شفاة لا تمنجها فلا تتضرر بها ، أو أنه كناية عن سرعة قطع المسافة البعيدة كالطير .

[٧٣١] والمراد بشهيد الحرب شهيد الدنيا والآخرة ، وهو الذي قاتل لإعلاء كلمة الله تعالى ، بخلاف شهيد الدنيا الذي قاتل لأجل الغنيمة فإنه ليس له الثواب الكامل وإن جرت عليه أحكام الشهداء في الدنيا . وأما شهيد الآخرة فقط كالمطعون والمبطون ونحوهما ، فهو كأول في الثواب ، لكنه دونه في الحياة والرزق ، ولا تجري عليه أحكام الشهداء في الدنيا فإنه يغسل ويصلى عليه .

[٧٣٢] فظهر أن الشهداء ثلاثة : شهيد الدنيا والآخرة ، وشهيد الدنيا فقط . أنشأع الشهداء في آخر عبارته من أن المراد الأولان ، فإنه خلاف ما صرح به أولاً من

(١) أخرجه مسلم (١٨٨٧) .

التخصيص بالأول ، وهو الموافق للنصوص ، وسمي شهيداً لأن الله وملائكته يشهدون له بالجنة ، فهو فعيل بمعنى مفعول ، ولأن روحه شهدت دار السلام ، فهو أيضاً فعيل بمعنى فاعل ، بخلاف غيره فإنه لم يشهدا إلا يوم القيامة واستشكل بأن أرواح المسلمين تدخل الجنة الآن كما دلت عليه الأحاديث وأجيب بأن غير الشهيد وإن دخلت روحه الجنة لا يكون كالشهيد في الحياة والرزق ، بل لا يأكل فيها ولا يتمتع . كما قاله النسفي (١) .

(١) هو : نجم الدين عمرو بن محمد بن أحمد أبو جعفر النسفي ولد سنة ٤٦١ هـ من فقهاء الحنفية ، عالم بالتفسير والأدب والتاريخ ، من مصنفاته : نظم الجامع الصغير في فقه الحنفية ، والعقائد المشهورة بالعقائد النسفية توفي ٥٣٧ هـ . انظر الأعلام ٦٠/٥ .

١١٩ - وَالرِّزْقُ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا بِهِ انْتَفَعُ وَقِيلَ لَا بَلْ مَا مِثْلُكَ وَمَا اتَّبِعُ

١٢٠ - فَيَرْزُقُ اللَّهُ الْحَلَالَ فَأَعْلَمَا وَيَرْزُقُ الْمَكْرُوهَ وَالْحَرَمَ [٧٣٣ - ٧٤١]

[٧٣٣] قوله : (والرزق عند القوم ما به انتفع) أي : والرزق - بكسر الراء بمعنى
تعريف الشيء المرزوق عند أهل السنة : ما ساقه الله إلى الحيوان فانتفع به بالفعل ،
الرزق ولا يرد قوله تعالى : ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] فإنه

يقتضي أنه لا يعتبر في الرزق الانتفاع بالفعل ، لأن المراد به المعنى اللغوي ، فالمعنى ومما
أعطيناهم ينفقون ، أو المراد به ما هُئِيَ لكونه رزقاً ، ودخل في الرزق على هذا التعريف
رزق الإنسان والدواب وغيرهما ، وشمل المأكول وغيره مما انتفع به ، وخرج ما لم ينتفع
به بالفعل ، فمن ملك شيئاً وتمكن من الانتفاع به ولم ينتفع به بالفعل فليس ذلك الشيء
رزقاً له ، وإنما يكون رزقاً لمن ينتفع به بالفعل ؛ وبهذا ظهر قول أكابر أهل السنة أن كل
أحد يستوفي رزقه وأنه لا يأكل أحد رزق غيره ولا يأكل غيره رزقه .

[٧٣٤] وفي الخبر عن ابن مسعود مرفوعاً « إن روح القدس نفث في روعي : لن
تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم
استبطاء الرزق أن يطلبه بمعصية الله فإن الله تعالى لن ينال ما عنده إلا بطاعته » ^(١) أي :
أن جبريل ألقى في قلبي لن تموت نفس .. الخ .

[٧٣٥] (فائدة) الأرزاق نوعان : ظاهرة للأبدان كالأقوات ، وباطنة للقلوب
أنواع الرزق كالعلوم والمعارف .

[٧٣٦] وقوله : (وقيل لا بل ما ملك) أي : وقال جماعة من المعتزلة : ليس الرزق ما
انتفع به بل هو ما ملك ، فلا يعتبر فيه الانتفاع ، ويعتبر فيه المملوكية انتفع به أم لا ، ويلزم
على هذا أن الشخص قد لا يستوفي رزقه وأنه قد يأكل رزق غيره ويأكل غيره رزقه .

[٧٣٧] وقوله : (وما اتبع) أي : ولم يتبع هذا القول أئمتنا لفساده طرداً وهو
التلازم في الثبوت ، وعكساً وهو التلازم في النفي ، أما الأول فلأن الله تعالى مالك
لجميع الأشياء ولا يسمى ملكه رزقاً اتفاقاً ، وإلا لكان الله تعالى مرزوقاً ، وأما الثاني
فلخروج رزق الدواب والعبيد والإماء عند بعض الأئمة كالإمام الشافعي ، فإنه يقول :
لا ملك للعبيد والإماء أصلاً ، وقال الإمام مالك : يملكون ملكاً غير تام .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٢) ، من حديث جابر ، وصححه على شرط الشيخين وأقره الذهبي .

[٧٣٨] قوله : (فيرزق الله الحلال) مفرع على مذهب أهل السنة ، والحلال : ما
تعريف كان مباحاً بنص أو إجماع أو قياس جلي : ولا ينبغي اليوم أن يسأل عن
الحلال أصل الشيء ، لأن الحلال ما جهل أصله ، والأصول قد فسدت واستحكم
فسادها ، فأخذ الشيء على ظاهر الشرع أولى من السؤال عن شيء يتبين تحريمه .

[٧٣٩] قال القزويني : ومن قال إن الحلال ليس بوجود ، فقد طعن في الشريعة ،
وهو أحق حصل له ذلك من جهله ، فإن الله لم يكلف الخلق عين الحلال في علم الله
تعالى ، بل كلفهم أن يصيبوا الحلال في اعتقادهم وظنهم .

[٧٤٠] وقوله : (فاعلما) بنون التوكيد الخفيفة المنقلبة ألفاً وكان حقه التأخير عن
قوله : (ويرزق المكروه والمحرم) لكنه قدمه للضرورة ، ونبه به على أنه تعالى يرزق كل
أحد من الأقسام الثلاثة اجتماعاً وانفراداً ، كذا قال الشارح تبعاً لوالده ، وفيه خفاء ،
لأن ذلك لا يشعر به قوله « فاعلما » وإنما يستفاد ذلك من ذكره الأقسام الثلاثة مع
جعل الواو بمعنى (أو) التي لمنع الخلو .

[٧٤١] وقوله : (ويرزق المكروه والمحرم) فالأول ما نهى عنه نهياً غير تأكيد
كما في خبر ابن عمر : وهو أنه ﷺ نهى عن : أكل الجلالة وشرب لبنها حتى تelf
أربعين ليلة ^(١) ، والثاني . ما نهى عنه نهياً أكيداً ، ورد المصنف بذلك على المعتزلة
القائلين بأن الحرام لا يكون رزقاً ، بناء على التحسين والتقيح العقليين .

(١) أخرجه الترمذي (١٨٢٤) عن عبد الله بن عمر وقال : حديث حسن غريب ، ولكن لفظة « أربعين »
ليس لها أصل .

١٢١ - في الاكتساب والتوكل اختلف والراجح التفصيل حسبما عرفت [٧٤٢-٧٤٨]

[٧٤٢] قوله : (في الاكتساب والتوكل اختلف) أي : في أفضلية الاكتساب والتفاضل بين أفضلية التوكل اختلف العلماء ، فالخلاف إنما هو في الأفضلية ، فرجح قوم الاكتساب وهو مباشرة الأسباب بالاختيار كالبيع والشرء لأجل الربح ، ومثله تعاطي الدواء لأجل الصحة ونحو ذلك ؛ وإنما رجحوه لما فيه من

كف النفس عن التطلع لما في أيدي الناس ، ومنعها من الخضوع لهم والتذلل بين أيديهم ، مع حيازة منصب التوسعة على عباد الله ومواساة المحتاجين وصلة الأرحام بتوفيق الله تعالى ورجح قوم التوكل وهو الاعتماد عليه تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع التمكن منها ، وإنما رجحوه لما فيه من ترك ما يشغل عن الله تعالى والاتصاف بالرغبة إلى الله تعالى والثوق بما عنده مع حيازة مقام السلامة من فتنة المال والمحاسبة عليه .

[٧٤٣] وقد أخرج القضاعي « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ، ومن انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » ^(١) .

[٧٤٤] وقال سليمان الخواص ^(٢) : لو أن رجلاً توكل على الله بصدق النية لاحتاج إليه الأمراء ومن دونهم ، وكيف يحتاج هو إلى أحد ومولاه هو الغني الحميد ؟ [٧٤٥] وفي شرح المصنف ترجيح تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر .

[٧٤٦] وقوله : (والراجح التفصيل حسبما عرف) أي : و الراجح القول بالتفصيل حسبما عرف من كتب القوم كالإحياء ^(٣) للغزالي ، والرسالة للقشيري ^(٤) .

[٧٤٧] وحاصل التفصيل أنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس ، فمن يصبر عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد فالتوكل في حقه أرجح لما فيه من مجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها ، ومن لم يكن كذلك

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٩٦/٧) وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٣/١٠) إلى الطبراني في الأوسط ، وقال فيه إبراهيم بن الأشعث صاحب الفضيل وهو ضعيف .

(٢) هو : سليمان الخواص من العابدين الكبار بالشام ، من طبقة الأوزاعي ترجم له الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣/٨ ، وكذا أبو نعيم في الحلية ٢٧٦/٨ ، وساقا طرقاً من أخباره ولم يذكروا وفاته .

(٣) الإحياء : لأبي حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥) واسم الكتاب : « إحياء علوم الدين » وهو من أجل كتب المواعظ وأعظمها حتى قيل فيه : إنه لو ذهبت كتب الإسلام وبقي الإحياء لأغنى عما ذهبت . (انظر : كشف الظنون ، طبعة بيروت ١٤١٣ هـ ٢٣/١ .

(٤) الرسالة للإمام أبي القاسم القشيري المتوفى سنة ٥١٤ هـ ، المعروفة « بالرسالة القشيرية في علم التصوف » .

فالإكتساب في حقه أرجح حذرًا من التسخط وعدم الصبر ، بل ربما وجب الإكتساب في حقه ، وهذا كله إنما يتمشى على أن التوكل ينافي الكسب كما هو طريقة أبي جعفر الطبري ومن وافقه ، بخلافه على طريقة الجمهور : وهو أن التوكل لا ينافي الكسب ، فقد يكون متوكلًا وهو يكتسب : لأن حقيقة التوكل على هذه الطريقة الثقة بالله تعالى والاعتماد عليه واعتقاد أن الأمر منه وإليه ولو مع مباشرة الأسباب كما كان يفعل عليه السلام .

[٧٤٨] فائدة قال الغزالي : أخذ الزاد في السفر بنية عون المسلم أفضل ، والأفضل تركه لمنفرد قوي القلب يشغله الزاد عن عبادة الله . وقد كان المصطفى ، وأصحابه والسلف الصالح يحملون الزاد بنيات الخير لا لميل قلوبهم إلى الزاد عن الله تعالى ، والمعتبر القصد ، فكم حامل زاد وقلبه مع الله ، وكم تارك زاد وقلبه مع الزاد ، والدخول في البوادي بلا زاد توكلًا بدعة لم تنقل عن أحد من السلف ، لأنه مخاطرة بالروح ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] .

١٢٢ - وَعِنْدَنَا الشَّيْءُ هُوَ الْمَوْجُودُ وَثَابِتٌ فِي الْخَارِجِ الْمَوْجُودُ [٧٤٩ - ٧٥٠]

[٧٤٩] قوله : (وعندنا الشيء هو الموجود) أي : وعندنا معاشر أهل الحق من الأشاعرة وغيرهم الشيء هو الموجود فإن الأمر باعتبار تحققه في نفسه يقال له شيء وباعتبار تحققه في الخارج ، يقال له موجود ، فهما متساويان ما صدقا ، فكل ما صدق عليه الشيء صدق عليه الموجود وبالعكس ، فكل شيء موجود ، وكل موجود شيء ، والمعدوم ليس بشيء سواء كان ممكنا أو ممتنعا ، لأن الأمور قبل وجودها لا ثبوت لها في نفس الأمر خلافاً للمعتزلة ، فالمعدوم عندهم شيء ؛ لأن الأشياء قبل وجودها ثابتة في نفسها ، إلا أنها مستترة كاستتار الثوب في الصندوق ، ولذلك يقولون : إن الحقائق ليست بجعل جاعل لم تتعلق القدرة إلا بظهورها لاستتارها قبل ذلك . وأما أهل السنة فيقولون إنها بجعل جاعل تعلق القدرة بوجودها لعدم ثبوتها قبل ذلك . وهذا كله إنما هو في الشيء اصطلاحاً ، وأما لغة : فالشيء هو الأمر مطلقاً موجوداً أو معدوماً .

[٧٥٠] وقوله : (وثابت في الخارج الموجود) جملة من مبتدأ وخبر ، ف « ثابت في الخارج » ، خبر مقدم ، و « الموجود » مبتدأ مؤخر ، يعني أن الثابت في الخارج بحيث تصح رؤيته هو الموجود ، وغرضه بذلك ، الرد على السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الأشياء ويزعمون أنها خيالات ، ولذلك قال في أول العقائد : حقائق الأشياء ثابتة والعلم بها متحقق خلافاً للسوفسطائية ، وقد حكى أن سوفسطائياً أتى على بغلة إلى الإمام أبي حنيفة لينظره ، فأمر الإمام بعض تلامذته أن يذهب بالبغلة ، فلما خرج السوفسطائي لم يجدها فطلبها ، فقال له الإمام : أنت تزعم أنه لم يكن لبغلتك حقيقة فلا تطلبها ، فرجع عن معتقده وردت إليه بغلته .

١٢٣ - وَجُودُ شَيْءٍ غَيْبُهُ وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ خَادِتٌ عِنْدَنَا لَا يَنْكَرُ [٧٥١-٧٥٥]

[٧٥١] وقوله : (وجود شيء عينه) أي : أن وجود شيء من الموجودات عين حقيقته كما قاله الأشعري ومن تبعه .

[٧٥٢] وقال الإمام الرازي : وجود الشيء ليس عين حقيقته ، وفسره بأنه الحال الثابتة للذات ما دامت الذات ، وهذه الحال غير معللة بعلة ، ثم إن بعضهم أبقي عبارة الأشعري على ظاهرها ، وجعل في عد الوجود صفة تسامحا وأولها المحققون كالسعد بأن المراد أن وجود الشيء ليس زائدا في الخارج يرى كالقدرة والإرادة فلا ينافي أنه أمر اعتباري ، وهو ثبوت الشيء ، وهذا هو التحقيق وإن كان ظاهر عبارة المصنف يفيد أن الوجود عين الموجود حقيقة كما هو ظاهر عبارة الأشعري ، وقد تقدم توضيح ذلك .

[٧٥٣] قوله : (والجوهر الفرد حادث) بسكون المثلثة لضرورة الوزن : أي والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ ، بحيث لا يقبل القسمة أصلاً لا قطعاً ولا كسراً ولا وهماً ولا فرضاً مطابقاً للواقع ، وإلا فقد يفرض العقل المحال ومعنى كونه حادثاً أنه مسبوق بالعدم ، لأنه لا معنى للحادث إلا ما كان مسبوقاً بالعدم ، وجميع الأجسام متركبة منه فهي حادثات ، والعالم بجميع أجزائه حادث ، وهذا مذهب المسلمين .

[٧٥٤] وقالت الفلاسفة : جميع الأجسام متركبة من الهولي أي : المادة ، كالطين بالنسبة للإبريق ، ومن الصورة وهي عندهم جوهر حال في غيره كالإبريقية الحالة في الطين . وأما عندنا فهي عرض لا جوهر .

[٧٥٥] وقوله : (عندنا لا ينكر) أي : عندنا معاشر المسلمين لا ينكر ثبوته وتقرره في الوجود ، لأن الله تعالى قادر على تفريق الأجسام بحيث لا يبقى جزء على جزء ، وغرضه بذلك الرد على الفلاسفة المنكرين للجوهر الفرد ، ويترتب على الخلاف في ثبوته وعدمه القول بحدوث العالم وقدمه ، وإذا علمت ذلك علمت أن هذه المسألة ينبغي معرفتها والاعتناء بها فتفتن .

١٢٤ - ثُمَّ الذُّنُوبُ عِنْدَنَا قِسْمَانِ صَغِيرَةٌ كَبِيرَةٌ فَالْثَّانِي

١٢٥ - مِنْهُ الْمَتَابُ وَاجِبٌ فِي الْحَالِ وَلَا اِنتِقَاضُ اِنْ يَغْدُ لِلْحَالِ [٧٥٦ - ٧٦١]

[٧٥٦] قوله : (ثم الذنوب عندنا قسمان) أي : ثم الذنوب عند جمهور أهل تقسيم
السنة قسمان : صغائر وكبائر كما سيذكره ، خلافاً للمرجئة حيث ذهبوا
الذنوب إلى أنها كلها صغائر لا تضر مرتكبها مادام على الإسلام ، ولذلك قال
صغائر وكبائر شاعرهم :

مت مسلماً ومن الذنوب فلا تخف حاشا المهيمن أن يري تنكيذا

لو رام أن يصليكَ نار جهنم ما كان ألهم قلبك التوحيداً

وخلافاً للخوارج حيث ذهبوا إلى أنها كلها كبائر ، وأن كل كبيرة كفر ، وخلافاً لمن
ذهب إلى أنها كلها كبائر نظراً لعظمة من عصى بها ، ولكن لا يكفر مرتكبها إلا بما هو
كفر منها : كسجود لصنم ورمي مصحف في قاذورة ونحو ذلك .

[٧٥٧] (وقوله : صغيرة كبيرة) بدل من قوله (قسمان) للتفصيل ، وفيه حذف
علامات العاطف والأصل : صغيرة وكبيرة ، وليست الكبيرة منحصرة في عدد ،
الكبيرة وهي كما قال ابن الصلاح : كل ذنب كبير كبيراً يصح معه أن يطلق عليه

اسم الكبيرة ، ولها أمارات : منها إيجاب الحد ، ومنها الإيعاد عليها بالعقاب ، ومنها
وصف فاعلها بالفسق ، ومنها اللعن كلعن الله السارق ، وأكبرها الشرك بالله ، ثم قتل
النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وما سوى هذين منها كالزنا واللواط وعقوق الوالدين
والسحر والقذف والفرار يوم الزحف وأكل الربا وغير ذلك فمختلف أمره باختلاف
الأحوال والمفاسد المترتبة عليه ، فيقال لكل واحدة منه : هي من أكبر الكبائر ، وإن جاء في
موضع أنها أكبر الكبائر كان المراد منه أنها من أكبر الكبائر كما قاله النووي . ومن أكبر
الكبائر أيضاً : الكذب على رسول الله ﷺ بل قال الشيخ أبو محمد الجويني : إن من تعدد
الكذب عليه ﷺ يكفر كفراً يخرج به عن الملة ، وتبعه على ذلك طائفة وهو ضعيف .

[٧٥٨] وكل ما خرج عن حد الكبيرة وضابطها فهو صغيرة ، وقد تعطى حكم
الكبيرة لا أنها تنقلب كبيرة كما قاله ابن حجر في شرح الأربعين النووية وإن وقع في
عبارة بعضهم أنها تنقلب كبيرة بالإصرار عليها : وهو معاودة الذنب مع نية العود إليه
عند الفعل ، فإن عاوده من غير نية العود لم يكن إصراراً على الأصح . وقال بعضهم :
هو تكرير الذنب سواء عزم على العود أو لا ، وباللهاناء بها وهو الاستخفاف وعدم

المبالاة بها ، وبالفرح والافتخار بها وصدورها من عالم يقتدى به فيها .

[٧٥٩] قوله : (فالثاني منه المتاب واجب في الحال) أي إذا علمت أن الذنوب قسمان : صغائر وكبائر ، فاعلم أن الثاني وهو الكبائر منه المتاب واجب عينا في حال التلبس بالمعصية فوزا ، فتأخيرها ذنب آخر لكنه ذنب واحد ولو تراخى ، نعم يتفاوت في الكيف باعتبار طول الزمان وقصره خلافاً للمعتزلة القائلين بتعددته بتعدد الزمان ، حتى لو أخرها لحظة بعد لحظة

وجوب
التوبة من
الكبائر
والصغائر

الذنب فأربعة ذنوب : الذنب الأول ، وتأخير توبته في اللحظة الأولى ، وتأخير التوبة من هذين في الثانية ، وإن أخر لحظة أخرى فثمانية . وهكذا ، وإنما اقتصر المصنف على الثاني ، لأنه الأهم ، وإلا فالأول وهو الصغائر كذلك ، وعبرة النووي « واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور ولا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة » انتهت .

[٧٦٠] والمراد بالمتاب : التوبة ، فهو مصدر ميمي بمعنى التوبة : وهي لغة مطلق الرجوع . وشرعا : ما استجمع ثلاثة أركان : الإقلاع من الذنب فلا تصح توبة المكاس مثلاً إلا إذا أقلع عن المكاس . والندم على فعلها لوجه الله تعالى فلا تصح توبة من لم يندم أو ندم لغير وجه الله تعالى كأن ندم

التوبة :
تعريفها
وشروطها

لأجل مصيبة حصلت له والعزم على أن لا يعود إلى مثلها أبداً ، فلا تصح توبة من لم يعزم على عدم العود . وهذا إن لم تتعلق المعصية بالآدمي ، فإن تعلقت به فلها شرط رابع : وهو رد الظلامة إلى صاحبها أو تحصيل البراءة منه تفصيلاً عندنا معاشر الشافعية وأما عند المالكية فيكفي تحصيل البراءة إجمالاً ، وفيه فسحة ، فإن لم يقدر على ذلك بأن كان مستغرق الذم ، فالمطلوب منه الإخلاص وكثرة التضرع إلى الله لعله يرضى عنه خصمائه يوم القيامة . ومن شروطها أيضاً : صدورها قبل الغرغرة وهي حالة النزاع ، وقبل طلوع الشمس من مغربها ، ففي حالة الغرغرة لا تقبل توبة ولا غيرها ، وكذلك إذا طلعت الشمس من مغربها فإنه حيثئذ يغلق باب التوبة ويسمع له دوي ، فتمتنع التوبة على من لم يكن تاب قبل ذلك ، ولا فرق في عدم صحة التوبة في حال الغرغرة عند الأشاعرة بين الكافر والمؤمن العاصي ، وأما عند الماتريدية فلا تصح من الكافر في حال الغرغرة وتصح من المؤمن حيثئذ ، وبعضهم بعكس الماتريدية ، وعلى كل حال هو بعيد ، ولا خلاف في وجوب التوبة عينا ، وإنما الخلاف في دليل الوجوب ، فعندنا

دليله سمعي كقوله تعالى : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ [النور : ٣١]
وعند المعتزلة دليله عقلي ، لأن العقل يدرك حسنها ، وما أدرك العقل حسنه فهو واجب
بناء على مذهبهم الفاسد من أن الأحكام تابعة للتحسين والتقبيح العقليين .

[٧٦١] قوله : (ولا انتقاض إن يعد للحال) أي ولا انتقاض لتوبة التائب الشرعية
وإن يعد للحال التي كان عليها من التلبس بالذنب ، فلا يعود ذنبه الذي تاب منه بعوده
له ، خلافاً للمعتزلة في قولهم بانتقاض التوبة بعوده للذنب ، فيعود ذنبه الذي تاب منه
بعوده له ، لأن من شروط التوبة عندهم أن لا يعاود إلى الذنب بعد التوبة وعند الصوفية
معاودة الذنب بعد التوبة أقبح من سبعين ذنباً بلا توبة .

١٢٦ - لَكِنْ يُجَدِّدُ تَوْبَةً لِّمَا اقْتَرَفَ وَفِي الْقَبُولِ رَأْيُهُمْ قَدْ اخْتَلَفَ [٧٦٢ - ٧٦٥]

[٧٦٢] قوله : (لكن يجدد توبة لما اقترف) بسكون الدال لأنه رجز : أي لكن يجب عليه تجديد التوبة للذنوب الذي ارتكبه ثانيا ، فلا يضر إلا الإصرار على المعاصي ، بخلاف ما إذا كان كلما وقع في معصية تاب منها قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة : ٢٢٢] وهم الذين كلما أذنبوا تابوا .

[٧٦٣] وفي الحديث « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » (١) .

[٧٦٤] وقوله (وفي القبول رأيهم قد اختلف) أي : وفي قبول التوبة رأي العلماء قد اختلف ، فقال إمامنا أبو الحسن الأشعري بأنها تقبل قطعاً بدليل قطعي ، كما يدل له قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] والدعاء بقبولها لعدم الوثوق بشروطها .

[٧٦٥] وقال إمام الحرمين والقاضي بأنها تقبل ظناً بدليل ظني ، لكنه قريب من القطع ، إذ يحتمل أن معنى قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ﴾ [الشورى : ٢٥] أنه يقبلها إن شاء ، وهذا الخلاف في غير توبة الكافر ، وأما هي فمقبولة قطعاً بدليل قطعي اتفاقاً لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال : ٣٨] وهل توبة الكافر نفس إسلامه ، أو لابد مع ذلك من الندم على كفره ، فأوجه إمام الحرمين ، وقال غيره يكفيه إيمانه ، لأن كفره مُجْهِ بِإِيْمَانِهِ .

١٢٧- وَحِفْظُ دِينَ ثُمَّ نَفْسٍ مَالٍ نَسَبٌ وَمِثْلُهَا عَقْلٌ وَعَرَضٌ قَدْ وَجِبَ [٧٦٦-٧٧٥]

[٧٦٦] قوله : (وحفظ) .. إلخ هذا شروع في المسألة المعروفة عند القوم بالكلديات الخمس أو الست ، وهو الموافق للمتن حيث جعل العرض الخمس مستقلاً عن النسب ، فمن جعل العرض راجعاً للنسب عبر عنها بالكلديات

الخمس ، ومن جعله مستقلاً عن النسب عبر عنه بالكلديات الست ، وإنما سُميت بالكلديات لأنه يتفرع عليها أحكام كثيرة ، ولأنها وجبت في كل ملة فلم تبح في ملة من الملل .

[٧٦٧] فإن قيل : يرد عليه أن شرب الخمر كان جائزاً في صدر الإسلام بوحى وتكرر النسخ له . أجب بأن المراد أن المجموع لم يبح في ملة من الملل أو أنه باعتبار ما استقر عليه أمر ملتنا وأكد هذه الأمور الدين ، لأن حفظ غيره وسيلة لحفظه ، ثم النفس ، لأن قتل النفس يلي الكفر كما تقدم ، ثم النسب ثم العقل . وبعضهم قدم العقل على النسب ، والأول أولى ، لأن الزنا أشد تحريماً من شرب الخمر ، ثم المال وفي مرتبه العرض إن لم يؤد الطعن فيه إلى قطع نسب ، فإن أدى إلى ذلك كأن قذف زوجته بالزنا ونفى ولدها عنه فهو في مرتبة النسب ، ومنهم من يقدم العرض على المال .

[٧٦٨] قال السنوسي : والذي يظهر لو قيل به عكسه ، لأن العقوبة المترتبة على أخذ الأموال كما في السرقة وقطع الطريق ، أعظم من العقوبة المترتبة على الخوض في الأعراض كما في القذف .

[٧٦٩] وقوله : (دين) أي : ما شرعه الله تعالى لعباده من الأحكام ، والمراد بحفظه صيانه عن الكفر وانتهاك حرمة المحرمات ووجوب الواجبات ، فانتهاك حرمة المحرمات : أن يفعل المحرمات غير مبالٍ بحرمتها ، وانتهاك وجوب الواجبات : أن يترك الواجبات غير مبالٍ بوجوبها ، ولحفظ الدين شرع قتال الكفار الحريين وغيرهم كالمرتدين .

[٧٧٠] وقوله : (ثم نفس) أي : عاقلة ولو بحسب الشأن فيدخل الصغير والمجنون ، وتخرج البهيمة فيتصرف الشخص فيها بالوجه الشرعي كالذبح وغيره إن كانت له ، فإن كانت لغیره فهي داخلة في المال ، ولحفظ النفس شرع القصاص في النفس والطرف لأنه ربما أدى إلى النفس .

[٧٧١] وقوله : (مال) يقرأ بسكون اللام وحذف الألف : أي ومال فهو على حذف حرف العطف ، والمراد به : كل ما يحل تملكه شرعاً وإن قل ، ولحفظه شرع حد السرقة وخذ قطع الطريق .

[٧٧٢] وقوله : (نسب) أي : ونسب ، فهو على حذف حرف العطف ، والمراد الارتباط الذي يكون بين الوالد وولده ، ولحفظة شرع حد الزنا .

[٧٧٣] وقوله : (ومثلها عقل) أي : ومثل المذكورات عقل في وجوب الحفظ ، ولحفظة شرع حد شرب الخمر والدية ممن أذبه بجناية .

[٧٧٤] وقوله : (وعرض) أي : ومثلها عرض في وجوب الحفظ ، وهو بكسر العين : موضع المدح والذم من الإنسان ، وهو وصف اعتباري تقوي الأفعال الحميدة وتزري به الأفعال القبيحة ، ولحفظة شرع حد القذف للعفيف والتعزير لغيره ، فيحد من قذف عفيفاً ، ويعزر من قذف غير عفيف .

[٧٧٥] وقوله : (قد وجب) أي : حفظ الجميع ، وقد عرفت الآكد منها وإنما لم يرتبها الناظم على ترتيبها في الآكدية لضيق النظم .

١٢٨ - وَمَنْ لِمَعْلُومٍ ضَرُورَةٌ جَحَدٌ مِنْ دِينِنَا يُقْتَلُ كُفْرًا لَيْسَ حَدٌّ

١٢٩ - وَمِثْلُ هَذَا مِنْ نَفْيٍ لِمَجْمَعٍ أَوْ اسْتِبَاحٍ كَالزُّنَا فَلْتَسْمَعْ [٧٧٦ - ٧٧٩]

[٧٧٦] قوله : (ومن لمعلوم ضرورة جحد * من ديننا يقتل كفرًا ليس حد) (من)
المعلوم مبتدأ ، و (لمعلوم) معمول مقدم لجحد ، واللام زائدة لتقوية العامل فإنه
من الدين ضعف بالتأخير ، و (ضرورة) منصوب بنزع الخافض : أي بالضرورة ، أو

على التمييز : أي من جهة الضرورة ، و (جحد) صلة (من) و (من ديننا) متعلق
بـ (لمعلوم) وجملة (يقتل) ... خبر ، و (كفرًا) منصوب على أنه مفعول لأجله ،
و (ليس حد) معلوم مما قبله ، لكنه أتى به توضيحًا ، والمعنى : من جحد أمرًا معلومًا من
أدلة ديننا بشبه الضرورة بحيث يعرفه خواص المسلمين وعوامهم كوجوب الصلاة والصوم
وحرمه الزنا والخمر ونحوها ، يقتل لأجل كفره ، لأن جحده لذلك مستلزم لتكذيب
النبي ﷺ وليس قتله حدًا ولا كفارة لذنبه كما في سائر الحدود فإنها كفارات للذنوب .

[٧٧٧] قوله : (ومثل هذا من نفي لمجمع) أي : ومثل من جحد أمرًا معلومًا من
الدين بالضرورة : من نفي حكمًا مجمعًا عليه إجماعًا قطعيًا ، وهو ما اتفق المعتبرون
على كونه إجماعًا بخلاف الإجماع السكوتي فإنه ظني لا قطعي ، وظاهر كلام الناظم
أن من نفي مجمعًا عليه يكفر وإن لم يكن معلومًا من الدين بالضرورة كاستحقاق بنت
الابن السدس مع بنت الصلب ، وهو ضعيف وإن جزم به الناظم ، والراجح أنه لا يكفر
من نفي المجمع عليه إلا إذا كان معلومًا من الدين بالضرورة .

[٧٧٨] وقوله : (أو استباح كالزنا) أي : أو اعتقد إباحة محرم مجمع عليه معلوم
من الدين بالضرورة ولو صغيرة سواء كان تحريمه لعينه كالزنا وشرب الخمر ، أو لعارض
كصوم يوم العيد فإن تحريمه لعارض وهو الإعراض عن ضيافة الله تعالى ، خلافًا لبعض
الماتريدية حيث قال : من اعتقد حل محرم . فإن كان تحريمه لعينه كالزنا وشرب الخمر
كفر ، وإلا فلا ، كما إذا استحل صوم يوم العيد ولا يخفى أنه يلزم من استباحة المحرم
المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة أنه نفي مجمعًا عليه فهو داخل فيما قبله ، فما
ذكره المصنف صريحًا لا تبعًا للقوم وتنصيصًا على أعيان المسائل وزيادة في الإيضاح .

[٧٧٩] وقوله : (فلتسمع) تكملة .

١٣٠ - وَوَاجِبٌ نَصْبُ إِمَامٍ عَدْلٍ بِالشَّرْعِ فَاعْلَمْ لَا يَحْكُمُ الْعَقْلُ [٧٨٠ - ٧٨٤]

[٧٨٠] قوله : (وواجب نصب إمام عدل) (واجب) خبر مقدم و (نصب) مبتدأ مؤخر : أي ونصب إمام عدل واجب على الأمة عند عدم النص من الله أو رسوله على معين وعدم الاستخلاف من الإمام السابق بخلافه عند النص من الله كما في قوله تعالى : ﴿ يَنْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ ﴾ [ص : ٢٦] أو من رسوله أو الاستخلاف من الإمام السابق كما وقع من أبي بكر ، فإنه أوصى بالخلافة بعده لعمر رضي الله عنه .

[٧٨١] ولا فرق في وجوب نصب الإمام بين زمن الفتنة وغيره كما هو مذهب أهل السنة وأكثر المعتزلة . وقيل : يجب لتسكين الفتنة وقيل في غيرها لأنه زمن الطاعة . وقيل : لا يجب أصلاً .

[٧٨٢] والمراد بالعدل هنا : عدل الشهادة ولا يتحقق إلا بشروط خمسة : الإسلام ، لأن الكافر لا يراعي مصلحة المسلمين . والبلوغ والعقل ، لأن الصبي والمجنون لا يريان أمر نفسيهما فلا يريان أمر غيرهما . والحرية ، لأن الرقيق مشغول بخدمة سيده ولأنه مستحق في أعين الناس فلا يهاب ولا يمثل أمره . وعدم الفسق ، لأن الفاسق لا يوثق به في أمره ونهيه والمراد كونه عدلاً ولو ظاهراً ، لأنه الذي كلفنا به ، فلا يشترط العدالة الباطنة . ثم إن هذه الشروط إنما هي في الابتداء وحالة الاختيار ، وأما في الدوام فلا يشترط كما يعلم مما يأتي ، ولو تغلب عليها شخص قهراً وانعقدت له وإن لم يكن أهلاً كصبي وامرأة وفاسق ، وتجب طاعته فيما أمر به أو نهى عنه المستوفي للشروط .

[٧٨٣] قوله : (بالشرع فاعلم لا بحكم العقل) أي : أن وجوب نصب الإمام بالشرع عند أهل السنة فاعلم ذلك ، ورد بقوله : (لا بحكم العقل) على بعض المعتزلة كالجاحظ^(١) وغيره حيث ذهبوا إلى أن ذلك بالعقل لا بالشرع بناء على قاعدتهم من التحسين والتقيح العقليين ومن الوجوه الدالة على وجوبه بالشرع : أن الشارع أمر بإقامة الحدود وسد الثغور وتجهيز الجيوش وذلك لا يتم إلا بإمام يرجعون إليه في أمورهم .

(١) هو : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني أبو عثمان من أئمة الأدب العباسي والعربي ، زعيم الفرقة الجاحظية من المعتزلة توفي في البصرة سنة ٢٥٥ هـ من مصنفاته : الحيوان ، البخلاء ، تنبيه الملوك ، رسائل الجاحظ . (انظر : الأعلام ٧٤/٥) .

[٧٨٤] وقد أجمعت الصحابة عليه بعد مفارقتها الدنيا ﷺ واشتغلوا به عن دفنه ﷺ لأنه توفي يوم الاثنين عند الزوال فمكث ذلك اليوم وليلة الثلاثاء ودفن ﷺ في آخر ليلة الأربعاء ، وقال أبو بكر رضي الله عنه : ولا بد لهذا الأمر ممن يقوم به فانظروا وهاتوا آراءكم رحمكم الله تعالى ، فقالوا من كل جانب من المسجد : صدقت صدقت ، ولم يقل أحد منهم لا حاجة بنا إلى إمام واجتمع المهاجرون يتشاورون في شأن الخلافة فقالوا لأبي بكر : انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار ندخلهم معنا في أمر الخلافة فقال الأنصار : منا أمير ومنكم أمير فقال عمر : من ثبت له مثل هذه الفضائل التي لأبي بكر ، قال تعالى : ﴿ تَأْتِيكُمُ النَّبِيُّ إِذْ هُمْكَ فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ ﴾ [التوبة : ٤٠] فأثبت صحبته بذلك وأثبت له معية كمعية نبيه بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ ثم مد يده فبايع أبا بكر وبايعه الناس ، ثم أمرهم بجهاز رسول الله ﷺ فاختلفوا هل يغسل في ثيابه أو يجرد منها ، فألقى الله عليهم النوم وسمعوا من ناحية البيت قائلاً يقول : لا تغسلوه فإنه طاهر . فقال العباس : لا نترك سنة لصوت لا ندري ما هو ، فغشيهم النعاس وسمعوا قائلاً يقول : غسلوه وعليه ثيابه فإن ذلك إبليس وأنا الخضر ، فغسله علي وعليه قميصه والعباس وابنه الفضل ^(١) يعينانه ، وقثم ^(٢) وأسامة ^(٣) وشقران ^(٤) مولى المصطفى يصبون الماء وأعينهم معصوبة ، وكفن في ثلاثة أثواب بيض قطن ، ولم يكن في كفنه قميص ولا عمامة ، وصلوا عليه فرادى : يدخل جماعة ويخرج جماعة واختلفوا في الموضع الذي يدفن فيه فقال أبو بكر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا يدفن نبي إلا حيث قبض » . فدفن في بيت عائشة ^(٥) . ذكره الشنواني في حاشيته .

(١) هو : الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ، ابن عم رسول الله ﷺ من شجعان الصحابة ، وكان جميلاً ، توفي سنة ١٣ هـ ، (انظر : الأعلام ١٤٩/٥ ، والإصابة ترجمة رقم ٧٠٠٥) .

(٢) هو : قثم بن العباس بن عبد المطلب ، الهاشمي ، ابن عم رسول الله ﷺ أدرك صدر الإسلام ، ولاء علي ابن أبي طالب على المدينة فاستمر فيها إلى أن قتل علي رضي الله عنه فخرج إلى سمرقند في أيام معاوية واستشهد بها سنة ٥٧ هـ . (انظر : تهذيب التهذيب ٣٦١/٨ ، والأعلام ٢٩١/١) .

(٣) هو : أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي أبو محمد وأبو زيد ، الصحابي الجليل ، حب رسول الله ﷺ وابن حبه ، أقره النبي ﷺ على جيش فيهم أبو بكر وعمر وشهد مؤتة ، قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : من كان يحب رسول الله ﷺ فليحب أسامة ، توفي سنة ٥٤ هـ . (انظر : طبقات ابن سعد ٤٢/٤ ، والأعلام ١٩٠/٥) .

(٤) هو : شقران الحبشي مولى رسول الله ﷺ وقيل اسمه : صالح ، شهد بدرًا وهو مملوك ، ثم عتق ، قال ابن حجر : أظنه مات في خلافة عثمان . (انظر : تهذيب التهذيب رقم ٢٨١٤) .

(٥) انظر : سيرة ابن هشام (٦٦٣/٢) .

١٣١ - فَلَيْسَ رُكْنًا يُعْتَقَدُ فِي الدِّينِ وَلَا تَزُغُ عَنْ أَمْرِهِ الْمُبِينِ

١٣٢ - إِلَّا بِكُفْرٍ فَأَنْبَذَ عَهْدَهُ فَالِلَهُ يَكْفِينَا أَذَاهُ وَحْدَهُ

١٣٣ - بَغِيرَ هَذَا لَا يَبَاحُ صَرْفُهُ وَلَيْسَ يُعْزَلُ إِنْ أُزِيلَ وَصَفُهُ [٧٨٥ - ٧٩٠]

[٧٨٥] قوله : (فليس ركنًا يعتقد في الدين) أي : فليس نصب الإمام ركنًا يعتقد في قواعد الدين اجمع عليها المعلومة بالتواتر بحيث يكفر منكرها كالشهادتين والزكاة والصلاة وصوم رمضان والحج ، لأنه ليس معلومًا من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره .

وقوله : (ولا تزغ عن أمره المبين) أي : ولا تخرج عن امتثال أمره الواضح الجاري على قواعد الشريعة وفي كلامه حذف الواو مع ما عطفت ، والتقدير : عن أمره ونهيه كما أشار إليه الشارح ، ولو حمل الأمر في النظم على الشأن لعم الأمرين جميعًا فتجب طاعته على جميع الرعايا ظاهرًا وباطنًا لقوله تعالى : [٧٨٦]

﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] وهم العلماء والأمراء ولقوله ﷺ : « من أطاع أميري فقد أطاعني ومن عصى أميري فقد عصاني » ^(١) لكن لا يطاع في الحرام والمكروه ، وأما المباح فإن كان فيه مصلحة عامة للمسلمين وجبت طاعته فيه ، وإلا فلا ، فلو نادى بعدم شرب الدخان المعروف الآن وجبت عليهم طاعته ، لأن في إبطاله مصلحة عامة إذ في تعاطيه خسة لذوي الهيئات ووجوه الناس ، خصوصًا إذا كان في القهواوي ، وقد وقع أنه أمر بترك الدخان في الأسواق والقهواوي فيحرم الآن .

[٧٨٧] قوله : (إلا بكفر فانبذ عهده) أي : إلا إذا أمر بكفر فاطرح بيعته جهزًا ، فإن لم تقدر على الجهر بذلك فاطرحها سرًا .

[٧٨٨] وقوله : (فالله يكفينا أذاه وحده) أي : فالله تعالى يكفينا أذى الإما الذي أمر بالكفر وحده إذ هو الذي ناصبته بقدرته .

[٧٨٩] قوله : (بغير هذا لا يباح صرفه) أي : بغير هذا الكفر من جميع المعاصي لا يجوز خلعه عن الإمامة لا جهزًا ولا سرًا .

[٧٩٠] وقوله : (وليس يعزل إن أزيل وصفه) بسكون اللام من « يعزل » للوزن أي وليس يعزل إذا ولي مستكملًا للشروط ثم أزيل وصفه السابق وهو العدالة بطرو الفسق خلًا لطائفة ذهبوا إلى أنه يعزل بذلك .

(١) أخرجه البخاري (٧١٣٧) ، ومسلم (١٨٣٥) عن أبي هريرة .

١٣٤ - وَأَمْرٌ بِعُزْفٍ وَاجْتِنَابِ نَيْمَةٍ وَغِيَّةٍ وَخَصْلَةٍ ذَمِيمَةٍ [٧٩١-٨١٣]

قوله : (وأمر بعزف) أي وأنه عن منكر ، ففيه حذف الواو مع ما عطف ، وإنما ترك المصنف النهي عن المنكر لاستلزامه الأمر له . والعرف بضم العين : لغة في المعروف ، وهو ما عرفه الشرع وهو الواجب والمندوب . والمنكر : ما أنكره الشرع وهو الحرام والمكروه ، فيندب الأمر بالمندوب والنهي عن المكروه ويجب الأمر بالواجب والنهي عن الحرام وجوباً كفاً ، فإذا قام به

[٧٩١] وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

البعض سقط الطلب عن الباقي ، وهو فوري إجماعاً ، ولا يختص وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمن لا يرتكب مثله ، بل من رأى منكراً وهو يرتكب مثله فعليه أن ينهي عنه ، ولهذا قال إمام الحرمين : يجب على متعاطي الكأس أن ينكر على الجلاس .

[٧٩٢] وقال الغزالي : يجب على من زنى بامرأة أمرها بستر وجهها عنه .

[٧٩٣] والدليل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : الكتاب و السنة والإجماع . أما الكتاب فكقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

[٧٩٤] وأما السنة فكحديث أبي سعيد الخدري ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ^(١) أي أقل ثمراته ^(٢) لدلالته على عدم انتظامه ، وإلا فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها .

[٧٩٥] فمراتب الإنكار ثلاث أقواها :

ممراتب الإنكار أن يغيره بيده ، ويلبها التغيير بالقول ، وأضعفها الإنكار بالقلب ، بأن يكرهه بقلبه ولا يرضى به .

[٧٩٦] وأما الإجماع ، فلأن المسلمين في الصدر الأول وبعده كانوا يتواصون بذلك ويوبخون تاركه مع الاقتدار عليه ، ولا يشكل على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا أَهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة : ١٠٥] لأن المعنى إذا فعلتم ما كلفتم به ومنه الأمر بالمعروف

(١) مسلم (٤٩) .

(٢) قوله : « أي أقل ثمراته » عبارة الشيخ الأمير : المراد هنا : الأعمال كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَإِلَهِ يَضِيعَ إِيْمَنُكُمْ ﴾ ومعنى ضعف الإنكار بالقلب : دلالة على غرابة الإسلام وعدم انتظامه وهي أظهر من هذه العبارة .

والنهي عن المنكر لا يضركم فعل غيركم للمعصية ، فصارت الآية دالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ^(١) .

[٧٩٧] قال ابن مسعود : إن من أكبر الذنوب عند الله أن يقال للعبد : اتق الله فيقول : عليك بنفسك .

[٧٩٨] وفي الحديث « من قيل له اتق الله ، فغضب وقف يوم القيامة فلم يبق ملك إلا مر به وقيل له : أنت الذي قيل لك اتق الله فغضبت » ^(٢) يعني يوبخونه .

[٧٩٩] واعلم أن لوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً ، أحدها : أن يكون المتولي لذلك عالماً بما يأمر به وينهى عنه ، فالجاهل بالحكم لا يحل له الأمر ولا النهي فليس للعوام أمر ولا نهى فيما يجهلون ، وأما الذي استوى في معرفته العام والخاص فقيه للعالم وغيره الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وثانيها : أن يأمن أن يؤدي إنكاره إلى منكر أكبر منه ، كأن ينهى عن شرب الخمر فيؤدي نهيته عنه إلى قتل النفس أو نحوه فعدم هذين الشرطين يوجب التحريم .

وثالثها : أن يغلب على ظنه أن أمره بالمعروف مؤثر في تحصيله وأن نهيته عن المنكر مزيل له ، وعدم هذا الشرط يسقط الوجوب ويبقى الجواز إذا قطع بعدم الإفادة ، والندب إذا شك فيها . قاله القرافي وغيره .

[٨٠٠] وقال السعد والآمدي : بالوجوب فيما لو ظن عدم الإفادة أو شك فيها بخلاف ما إذا قطع بعدم الإفادة . ولفظ السعد : ومن الشروط تجويز التأثير بأن لا يعد قطعاً عدم التأثير ، لئلا يكون عبثاً واشتغالاً بما لا يعني اهـ .

ونحوه قول الآمدي : من شروط الوجوب أن لا يبأس من إجابته اهـ .

وقال أكثر العلماء كالشافعية : لا يشترط هذا الشرط ، لأن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول ، كما قال تعالى : ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ ﴾ [المائدة : ٩٩] وقال تعالى : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ نَفْعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات : ٥٥] ولذلك قال النووي : قال العلماء : ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب

(١) أجمعوا على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليهم بأيديهم وألستهم إن استطاعوا ذلك ولا فيقلوبهم . (انظر : رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب ١٦٨) .

(٢) حديث « من قيل له اتق الله ... » لم نجده والله أعلم .

عليه فعله . اهـ . ملخصاً من شرح المصنف ومن حاشية الشنواني .
 قوله : (واجتنب نيمه) أي : انفر منها وتباعد عنها ، والأمر في ذلك
 للنميمة : تعريفها
 وللجوب العيني والنميمة : نقل كلام الناس بعضهم إلى بعض على وجه
 الإفساد بينهم كقوله : فلان يقول فيك كذا ، لكن قال أبو حامد الغزالي :
 وليست النميمة مختصة بذلك ، بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء
 كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو الرمز أو نحوها ، وسواء كان المنقول
 من الأعمال أو من الأحوال ، وسواء كان عيياً أو غيره .

[٨٠٢] قال النووي : فحقيقة النميمة إفشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه .
 [٨٠٣] قال : وكل من حملت إليه نيمه لزمه ستة أمور :
 الأول : أن لا يصدقه لأن النمام فاسق والفاسق مردود الخبر .
 الثاني : أن ينهيه عن ذلك وينصحه .

الثالث : أن يغضه فإنه بغيض عند الله ويجب بغض من أبغضه الله تعالى .
 الرابع : أن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقوله تعالى : ﴿ أَجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ
 الظَّنِّ إِثْرٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

الخامس : أن لا يحمل ما حكى له على التجسس والبحث عن تحقيق ذلك قال الله
 تعالى : ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ [الحجرات : ١٢] .

السادس : أن لا يحكي نيمه عنه فيقول : فلان حكى لي كذا ، فيصير بذلك نماماً
 والنميمة محرمة بالإجماع ، والمذاهب متفقة على أنها كبيرة ؛ لحديث الصحيحين « لا
 يدخل الجنة نمام » وفي رواية لمسلم « قتات » بتاءين أولاهما مشددة أي نمام ، من قتت
 الحديث : نمه ، والمراد : لا يدخلها مع السابقين إلا إن غُفر له ، وكل ذلك ما لم تدع
 الحاجة إليها ، وإلا جازت ، لأنها حيثئذ ليست نيمه بل نصيحة ، كما إذا أخبرك
 شخص بأن فلاناً يريد البطش بمالك أو بأهلك أو نحو ذلك لتكون على حذر ، فليس
 ذلك بحرام لما فيه من دفع المفسد ، وقد يكون بعضه واجباً كما إذا تيقن وقوع ذلك لو
 لم يخبرك بهذا الخبر ، وقد يكون بعضه مستحباً كما إذا شك في ذلك ذكره النووي .
 أفاده المصنف في شرحه .

[٨٠٤] قوله : (وغيبة) أي واجتنب غيبة ، والأمر فيه للوجوب العيني كما في سابقه . والغيبة بكسر الغين : ذُكِرَ أخاك بما يكره ولو بما فيه ولو بحضوره ، لكن ظاهر المادة يؤيد ما قيل من أن ما في الحضور لا يسمى غيبة بل بهتاناً ، وإذا ذكره بما ليس فيه فقد زاد إثم الكذب . ومن الضلال قول بعض العامة : ليس هذا غيبة إنما هو إخبار بالواقع ، فرمى جره ذلك لكفر الاستحلال والعياذ بالله .

الغيبة :
تعريفها ،
حدوثها
ووجوب
اجتنابها

وليست الغيبة مختصة بالذكر ، بل ضابطها كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم بلفظك أو كتابتك ، أو أشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك ، سواء كان ذلك في بدنه أو دينه أو دنياه أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو حرفته أو لونه أو مركوبه أو عمامته أو ثوبه أو غير ذلك مما تتعلق به ، ومن ذلك قول المصنفين في كتبهم : « قال فلان كذا ، وهو غلط أو خطأ » أو نحو ذلك ، فهو حرام إلا إن أرادوا بيان غلظه أو خطئه لغلا يقلد ، لأن ذلك نصيحة لا غيبة .

وقولهم : قال مصنف ، أو قال قوم أو جماعة كذا وهو غلط أو خطأ ، أو نحو ذلك ليس غيبة ، لأن الغيبة لا تكون إلا في إنسان معين أو جماعة معينين . وقولك : فعل كذا بعض الناس أو بعض الفقهاء أو من يدعي العلم أو بعض المفتين أو نحو ذلك : غيبة محرمة إذا كان المخاطب يفهمه بعينه . وقضية ذلك أنك إذا ذكرت شخصاً تعرفه أنت دون المخاطب لا يكون غيبة ، ويشكل عليه حرمة الغيبة في الخلوة دون حضور أحد ، وكذا بالقلب فقط فإنها بالقلب محرمة كهي باللسان ، ومحل ذلك في غير من شاهد . وأما من شاهد فيعذر في الاعتقاد حيثئذ ، نعم ينبغي أن يحمله على أنه تاب . وذكر بعضهم أنه إن كان معيناً عند الذاكر والسامع حرمت ، وإن كان مبهمًا عندهما جازت ، وإن كان مبهمًا عند السامع دون الذاكر حرمت على الذاكر دون السامع ، وذكر الأخ في التعريف السابق لذكره في بعض الأحاديث ، وقد أخذ به جمع وقالوا : لا غيبة في الكافر . والحق أنه إن كان حريثاً فلا غيبة فيه ، وإن كان ذميًا حرمت غيبته ، وتخصيص المسلم بالذكر في الأحاديث لشرفه . وحكم الغيبة التحريم بالإجماع وفي الكتاب العزيز ﴿ أَيُّبُّ أَمَلُّكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [الحجرات الآية : ١٢] وفي هذه الآية تفسير شديد ، لأنها اشتملت على خمسة أمور وهي كونه لحمًا وميتًا نيئًا ومن آدمي وأخ .

[٨٠٥] وفي سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قلت للنبي

عليه السلام : « حسبك من صفية كذا وكذا » ^(١) تعني قصيرة ، فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » قال النووي : معنى مزجته : خالطته بحيث يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة تنها وقبحها . وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة وأعمها .

[٨٠٦] وقد اختلف العلماء في مرتبتها من التحريم ، فقال القرطبي من المالكية : إنها كبيرة بلا خلاف يعني في المذهب ، وإليه ذهب كثير من الشافعية ، وذكر صاحب العدة ^(٢) أنها صغيرة وأقره عليها الرافعي ^(٣) ومن تبعه لعموم البلوى بها ، فقل من يسلم منها ، وفي التعليل نظر لا يخفى ، لأن ذلك لا يقتضي كونها من الصغائر والذي جزم به ابن حجر الهيتمي ^(٤) في شرح الشمائل ^(٥) أن غيبة العالم وحامل القرآن كبيرة ، وغيبة غيرهما صغيرة وهو المعتمد ، و كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة يحرم على السامع استماعها وإقرارها ، فيجب على كل من سمع إنسانا يذكر غيبة محرمة أن ينهأ إن لم يخف ضرراً ظاهراً .

[٨٠٧] وقد ورد « من رد غيبة مسلم رد الله عن وجهه النار يوم القيامة » ^(٦) فإن لم يستطع باليد ولا باللسان فارق ذلك المجلس ، ولا يخلص الإنكار بحسب الظاهر . فإن قال بلسانه : أسكت ، وهو يشتهي بقلبه استمراره ، فذلك نفاق ، كما قاله الغزالي

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٢) ، والترمذي (٢٥٠٢) ، عن عائشة رضي الله عنها .

(٢) صاحب العدة لعلة : أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسين ، فقيه شافعي كان يدعى إمام الحرمين ، جاور بمكة ثلاثين عامًا ، توفي سنة ٤٩٨ هـ وقيل : ٤٩٥ له كتاب العدة في خمسة أجزاء ضخمة . (انظر : طبقات الإسنوي ٥٦٧/١ ، شذرات الذهب ٤٠٨/٣) .

(٣) هو : عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم أبو القاسم القزويني . من كبار فقهاء الشافعية ، الصالح الزاهد وكان ذا أحوال وكرامات توفي سنة ٦٢٣ هـ وقيل غيرها . من مصنفاته : فتح العزيز في شرح الوجيز للغزالي ، شرح مسند الشافعي . (انظر : الأعلام ٥٥/٤) .

(٤) هو : أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ، الأنصاري ، الشافعي شهاب الدين ، أبو العباس فقيه مشارك في أنواع من العلوم . ولد في محلة أبي الهيثم من إقليم الغرية بمصر في رجب سنة ٩٠٩ هـ وتوفي بمكة سنة ٩٧٣ هـ ، من تصانيفه : تحفة المحتاج لشرح المنهاج ، وأشرف المسائل إلى فهم الشمائل ، وغيرهما . (انظر : شذرات الذهب ٣٧٠/٨ ، معجم المؤلفين ٢٩٣/١) .

(٥) شرح الشمائل : للشيخ عبد الرؤوف المنيأوي وهو شرح مزوج مجلد وله شمائل أهل الفضائل في الحديث والقديم إلخ ، ذكر فيه أن ممن تصدى لشرحه مولانا عاصم الدين الإسفراييني الشافعي وتلاه الفقيه الشهيد الشهاب الدين بن حجر الهيتمي ، ثم شرح شرحاً متوسطاً وفرغ من تعليقه في آخر أيام التشريق سنة ٩٩٩ هـ . (انظر : كشف الظنون ١٠٤١/٢) .

(٦) جاء مثله في الترمذي ولكن بلفظ « من رد عن عرض أخيه ... » وقال : حديث حسن .

فلا بد من كراهته بقلبه ، وربما ألحق مجلس الغيبة بمظان الإجابة فيقول : الله يلفظ بنا وبفلان فعل كذا وكذا ، ومن ذلك غيبة المتفقيين والمتعبدين فيقال لأحدهم : كيف حال فلان ؟ فيقول : الله يصلحنا ، الله يغفر لنا ، الله يصلحه ، نسأل الله العافية ، الله يتوب علينا ، وما أشبه ذلك مما يفهم منه تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة وكذلك إذا قال : فلان ماله حيلة كلنا نفعل ذلك .

[٨٠٨] واعلم أن العلماء ذكروا أن الغيبة تباح في أحوال للمصلحة ، بل وربما وجبت ، وتلك الأحوال ستة نظمها الجوزي ^(١) بجيمين على الصواب في قوله :

لَيْسَتْ غَيْبَةً كَرَّرَ وَخَذَهَا مِنْظَمَةً كَأَمْثَالِ الْجَوَاهِرِ
تَظَلَّمْ وَاسْتَعْنِ وَاسْتَفْتِ حَدَّرْ وَعَرَّفْ وَادَّكَّرْ فِشَقِ الْمَجَاهِرِ
فالأول : التظلم كأن يقول المظلوم لمن له الولاية كالقاضي : فلان ظلمني مثلاً .
والثانية : الاستعانة على تغيير المنكر ، كأن يقول لمن يرجو قدرته على إزالة المنكر : و فلان يعمل كذا فأعني على منعه ، بشرط أن يكون قصده التوصل إلى إزالة المنكر ، فإن لم يقصد ذلك كان حراماً .
والثالثة : الاستفتاء ، كأن يقول للمفتي : ظلمني فلان فهل له ذلك ؟ وما طريقي في الخلاص منه .

والرابعة : التحذير ، كأن تذكر عيوب شخص لمن يريد الاجتماع عليه إذا لم ينكف بدون ذكرها وإلا حرم .

والخامسة : التعريف ، كأن يقول فلان الأعمش أو الأعرج ، أو نحو ذلك فيمن كان معروفاً بذلك ، بشرط أن يكون بنية التعريف ، فإن كان بقصد التنقيص حرم .
والسادسة : أن يكون مجاهراً بفسقه كالمجاهر بشرب الخمر وأخذ المكس وغير ذلك ، فيجوز ذكره بما فسق به لا بغيره من العيوب ، بشرط أن يقصد أن تبلغه لينزجر .
وحدیث « لا غيبة في فاسق » ^(٢) غير ثابت الصحة عند أهل العلم ، ولو سلمت صحته وجب تقييده بما إذا اغتابه بما فسق به بعد مجاهرته به بالشروط المذكورة .

(١) هو : محمد بن عبد المنعم بن محمد شمس الدين ، من فقهاء الشافعية بمصر توفي سنة ٨٨٩ هـ ، من مصنفاته : شرح الإرشاد ، شرح شلوات الذهب (انظر : الأعلام ٢٥١/٦) .

(٢) في إسناده ضعف ، انظر : المقاصد الحسنة للسخاوي ص ٣٥٤ .

[٨٠٩] والتوبة تنفع في الغيبة من حيث الإقدام عليها . وأما من حيث الوقوع في حرمة من هي له فلا بد فيها مع التوبة من طلب عفو صاحبها عنه إذا بلغته ، وإذا لم تبلغه كفى الاستغفار له ، وإن بلغته بعد ذلك بلغته ممحوّة ، ولا يصح إبراء صاحبها مع الجهل بما قاله ، كأن يقول له : أنا قلت في حقك كلاماً فسامحني منه ، بل لابد من التعيين على الأصح من وجهين عندنا معاشر الشافعية ، كأن يقول له قلت في حقك كذا وكذا عند فلان وفلان فسامحني منه ، ويكفي الإبراء مع الجهل عند المالكية كما هو ثاني الوجهين عندنا ، ومما يعين على ترك الغيبة شهود أن ضررها عائد على النفس ، فإنه ورد أنه تؤخذ حسنات المغتاب لمن اغتابه وتطرح عليه سيئاته .

[٨١٠] وعن ابن المبارك ^(١) : لو كنت مغتاباً لا غتبت والديّ لأنهما أحقّ بحسناتي .

[٨١١] فالعاقل من اشتغل بعيوب نفسه . فإن قال : لا أعلم لي عيباً فهذا أعظم عيب . ومما يرجي بركته الاستغفار لأرباب الحقوق ، ومن أوراد سيدي أحمد زروق ^(٢) « استغفر الله العظيم لي ولوالديّ ولأصحاب الحقوق علي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات » خمس مرات بعد كل فريضة أهـ ملخصاً من شرح المصنف بزيادة .

[٨١٢] قوله : (وخصلة ذميمة) أي واجتنب كل خصلة ذميمة شرعاً . وإنما
اجتناب
الخصال
الذميمة
الخص المصنف ما ذكره بعد اهتماماً بعيوب النفس ، فإن بقاءها مع إصلاح
الظاهر كلبس ثياب حسنة على جسم ملطخ بالقاذورات ، وقد أدخلت
الكاف ما بقي من أفراد الخصلة الذميمة كالظلم والبغي وقطع الطريق
والغش ، كأن يخلط الرديء بالجيد .

[٨١٣] وقد روي أن النبي ﷺ مر برجل يبيع طعاماً فأعجبه ، فأدخل يده فرأى بللاً فقال له : ما هذا ؟ فقال : أصابته السماء ، فقال : « هلا جعلته من فوق الطعام »

(١) هو : عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي المروزي أبو عبد الرحمن ، الإمام الزاهد الورع ، جمع الحديث والفقه والعربية ، توفي سنة ١٨١ هـ . من مصنفاته : الجهاد ، والرقائق . (انظر : الأعلام ١١٥/٤) .
(٢) هو : أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى القاسي الشهير بزروق الشيخ الكامل الولي العارف بالله الصالح الزاهد الفاضل العالم العامل شيخ الطريقة وإمام الحقيقة . أخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب منهم المشدالي والرصاص وغيرهما . له تأليف محررة معروفة من وقف عليها عرف قدره في العلوم . مولده سنة ٨٤٦ هـ ، وتوفي في صفر سنة ٨٩٩ هـ بمسراطة من عمل طرابلس وقبره متبرك به . (انظر : شجرة النور .)

حتى يراه الناس ، من غشنا فليس منا » (١) أي فليس على طريقتنا الكاملة .
وكالكذب لغير مصلحة شرعية ، فإن كان لمصلحة شرعية جاز كالكذب للزوجة
تطيباً لنفسها بل قد يجب كالكذب لإنقاذ مسلم أو لإصلاح ذات البين ، وكعقوق
الوالدين ، وترك الصلاة ، ومنع الزكاة والمداينة ، إن كان فيها إفساد الدين كأن يشكر
ظالماً على ظلمه أو مبطلاً على باطله فتحرم حينئذ ، وقد تجب كما إذا توقف عليها دفع
محرم ، وتندب بأن كانت وسيلة لمندوب ، وتكره إن كانت وسيلة لمكروه ، وإن خلت
عن ذلك أبيحت ، فتعثر بها الأحكام الخمسة .

(١) رواه مسلم (١٠٢) ، والترمذي (١٣١٥) ، وأبو داود (٣٤٤٦) ، وابن ماجه (٢٢٢٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

١٣٥ - كَالْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَذَاءِ الْحَسَدِ وَكَالْمَرَاءِ وَالْجَدَلِ فَاعْتَمِدْ [٨١٤ - ٨٣٣]

[٨١٤] قوله (كالعجب) هو رؤية العبادة واستعظامها كما يعجب العابد بعبادته
 ذم
 العجب
 العالم بعلمه ، فهذا حرام غير مفسد للطاعة وكذلك الرياء ، فهو حرام
 غير مفسد للطاعة ، خلافاً لمن قال : بأنه يفسدها ، فإن الذي صرح به
 بعض المحققين أنه محبط للثواب فقط مع وقوع العمل صحيحاً ، وإنما حرم العجب لأنه
 سوء أدب مع الله تعالى ، إذ لا ينبغي للعبد أن يستعظم ما يتقرب به لسيده بل يستصغره
 بالنسبة إلى عظمة سيده ، لاسيما عظمته سبحانه وتعالى . قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ [الأنعام : ٩١] أي ما عظموه حق عظمتهم .

[٨١٥] وما يعين على دفع العجب أن الصادق المصدوق أخبر بأنه يفسد العمل
 أي ييطل ثوابه ، فإذا أرادت نفسك العجب قتل : عوضك الله في العمل خيراً . ولا
 معنى للعجب بما لم يعلم أقيل أو لم يقبل ، على أنه حيث شهد أن كل شيء من الله
 تعالى لم يبق له شيء يعجب به .

[٨١٦] قوله : (والكبر) هو بطر الحق وغمص الخلق بالصاد أو و غمط الخلق
 ذم
 الكبر
 بالطاء كما فسر به عليه السلام في حديث مسلم وهو « لن يدخل الجنة من كان
 في قلبه مثقال ذرة من الكبر » فقالوا : يا رسول الله إن أحدنا يحب أن
 يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، فقال : « إن الله جميل يحب الجمال لكن الكبر بطر
 الحق وغمص - أو غمط - الناس » ^(١) بالصاد أو بالطاء . فقوله « لن يدخل الجنة ...
 إلخ » أي مع السابقين ، أو المحمول على المستحيل ، وقد قيل لأول متكبر وهو إبليس
 ﴿ فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٣] .

[٨١٧] وقوله « إن الله جميل يحب الجمال » أي إن الله متصف بصفات الجمال
 وهي صفات الكمال يثيب على التجمل بالملابس ونحوها إظهاراً لنعمته تعالى ، فالتجمل
 بالملابس ونحوها ليس كبراً بل يكون مندوباً في الصلوات والجماعات ونحوها ، وفي
 حق المرأة لزوجها ، وفي حق العلماء لتعظيم العلم في نفوس الناس ، ويكون واجباً في حق
 ولاية الأمور وغيرهم إذا توقف عليه تنفيذ الواجب ، فإن الهيئة المزرية لا تصلح معها
 مصالح العامة في العصور المتأخرة ، لما طبعت عليه النفوس الآن من التعظيم بالصور ،

(١) أخرجه مسلم (٩١) ، وأحمد في المسند (١٣٣/٤) ، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٨) عن
 عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

عكس ما كان عليه السلف الصالح من التعظيم بالدين والتقوى . ويكون حراماً إذا كان وسيلة لمحرم ، ومكروهاً إذا كان وسيلة لمكروه ، ومباحاً إذا خلا عن هذه الأسباب .

[٨١٨] قال العلماء : بطر الحق : رده على قائله ، أي عدم قبوله منه ، وغمص أو وغمط الناس : احتقارهم ، أي انتقاصهم والتهاون بهم ، وقد عمت البلوى بالكبر حتى قيل : آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة وهو معصية إبليس ، فإنه تكبر حين أمر بالسجود لآدم فامتنع واستقبح أمر الله له بالسجود فلذلك كفر .

[٨١٩] وله دواء عقلي وشرعي وعادي ، أما العقلي فأن يعلم بأن التأثير لله ، وأنه لا يملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضرراً ، فلا ينبغي لعاقل أن يتكبر ، فإنه قد استوى القوي والضعيف والرفيع والوضيع في الذل الذاتي ، وقد قيل

لسيد الكائنات : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٨] وأما الشرعي فهو الوعيد الوارد فيه لكونه صفة الرب من نازعه فيها أهلكه وغارت عليه جميع الكائنات لخروجه على سيدها فيستقل ظاهراً وباطناً كما هو مشاهد .

وأما العادي فإنه ينظر لأصله ومآله وتقلباته ، فإن أصله نقطة قدرة أصلها من دم ، وأقام مدة وسط القاذورات من دم حيض وغيره ، ومدة يبول على نفسه ويتغوط ، ثم هو الآن محشو بقاذورات لا تحصى ويياشر العذرة بيده كذا كذا مرة يغسلها عن جسمه ، ومآله جيفة متنتنة . فمن تأمل صفات نفسه عرف مقداره .

[٨٢٠] والمتواضع : من عرف الحق ، ورأى جميع ما معه من فضل الله ، ولا يحقر شيئاً في مملكة سيده ، ويسأله دوام ما تفضل به عليه ، ومحل كون الكبر حراماً إذا كان على عباد الله الصالحين وأئمة المسلمين وهو حيثئذ من الكبائر ومن أعظم الذنوب القلبية . وأما إذا كان على أعداء الله فهو مطلوب شرعاً حسن عقلاً . والمراد بالكبر عليهم : احتقارهم لأجل كفرهم ومعصيتهم لاحتقار ذاتهم .

[٨٢١] قوله : (وداء الحسد) أي : داء هو الحسد ، فالإضافة للبيان ، هذا إن أريد الحسد الداء المعنوي ، فإن أريد الداء الحسي كان من إضافة المشبه به للمشبه . أي الحسد الشبيه بالداء : وهو تمنّي زوال نعمة الغير ، سواء تمنّاها لنفسه أو لا ، بأن تمنّي انتقالها عن غيره لغيره ، وهذا أخس الأخساء ، لأنه باع آخرته بدنياه غيره ، بخلاف ما إذا تمنّي مثل نعمة الغير فإنه غبطة محمودة في الخير كما ورد « لا حسد إلا في اثنتين .. » ^(١) الحديث .

(١) أخرجه البخاري ٧٣ ، ومسلم ٨١٦ عن عبد الله بن مسعود .

[٨٢٢] ودليل تحريمه الكتاب والسنة والإجماع . قال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ [الفلق : ٥] وشره كثير ، فمنه ما هو غير مكتسب وهو إصابة العين ومنه ما هو مكتسب كسعيه في تعطيل الخير عنه وتنقيصه عند الناس ، وربما دعا عليه أو بطش به إلى غير ذلك .

[٨٢٣] وقال ﷺ : « إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب - أو العشب » (١) .

[٨٢٤] ودواء الحسد النظر للوعيد مع أنه إساءة أدب مع الله تعالى كأنه لا يسلم دواء الحسد له حكمه ، ولذلك قال بعضهم :

ألا قل لمن بات لي حاسدا أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله كأنك لم ترض لي ماوهب
فكان جزاؤك أن حصني وسد عليك طريق الطلب
[٨٢٥] ومن الحكمة : الحسود لا يسود : أي كثير الحسد لا تحصل له سيادة .

[٨٢٦] ومن كلام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظا بما يجد
أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدرا منها ولا أرد

[٨٢٧] ويروى أن إبليس قال لسيدنا نوح - عليه الصلاة والسلام - : خذ مني خمسا ، قال : لا أصدقك ، فأوحى الله إليه أن صدقه ، فقال : قل ، فقال : إياك والكبر فإني إنما وقعت فيما وقعت فيه بالكبر ، وإياك والحسد فإن قاييل قتل أخاه هابيل بالحسد ، وإياك والطمع فإن آدم ما أورثه الله ما أورثه إلا بالطمع ، وإياك والحرص فإن حواء ما وقعت فيما وقعت فيه إلا بالحرص ، وإياك وطول الأمل فإنهما ما وقعا فيما وقعا فيه إلا بطول الأمل .

[٨٢٨] قوله : (وكالمراء) هو لغة : الاستخراج ، يقال : ماري فلان فلانا : إذا المراء استخرج ما عنده ، وعرفا : منازعة الغير فيما يدعى صوابه ، ومحل كونه مذموما إذا كان لتحقير غيرك وإظهار مزيتك عليه .

(١) أخرجه أبو داود ٤٩٠٣ وسنده ضعيف .

[٨٢٩] وقد ورد في الحديث (هلك المتقطعون ...) ثلاثا ^(١) أي المتعمقون في البحث .

[٨٣٠] وأخرج الطبراني عن ثوبان مرفوعا « سيكون في أمتي أقوام يغلطون فقهاءهم بعضل المسائل - بضم العين وفتح الضاد : أي صعابها - أولئك شرار أمتي » وأما إذا كان لإحقاق حق وإبطال باطل : أي لإظهار حقيقة الحق وإظهار بطلان الباطل فممدوح شرعا ولو من ولد لوالده ، فيكون عقوقا محمودا .

[٨٣١] قوله : (والجدل) بسكون آخره للوزن : وهو دفع الشخص خصمه عن إفساد قوله بحجة قاصداً به تصحيح كلامه ، كذا عرفه الشارح ، وعليه فالفرق بينه وبين المراء : أن الجدال يكون من قبل صاحب القول يدفع عن قوله الإفساد . والمراء يكون من قبل الخصم ، وإذا حققت النظر وجدتهما بمعنى واحد ، وحينئذ فتقول في تعريفهما : مقابلة الحجة بالحجة . ومحل حرمة إذا كان لإفساد قول الغير ، بخلاف ما إذا كان لإحقاق حق أو إبطال باطل .

[٨٣٢] قال الإمام الشافعي : ما ذكرت أحدا وقصدت إفحامه ، وإنما أذاكره لإظهار الحق من حيث هو حق .

[٨٣٣] قوله : (فاعتمد) المقصود منه التكملة ، وأشار به المصنف إلى انقضاء فن العقائد ، أي فاعتمد في العقائد على ما ذكرته لأنه مذهب أهل السنة والجماعة .

١٣٦ - وَكُنْ كَمَا كَانَ خِيَارُ الْخَلْقِ حليف جِلْمٍ تَابِعًا لِلْحَقِّ [٨٣٤ - ٨٤٦]

[٨٣٤] قوله : (وكن ...) إلخ هذا من باب التخلص من التخلية - بالخاء المعجمة - أي : التخلي من الرذائل التي أشار إليها بقوله (واجتنب .. إلخ) إلى التخلية - بالخاء المهملة - أي التخلي بالفضائل التي أشار إليها بقوله (وكن إلخ) .

[٨٣٥] وقد ذكر المصنف شيئًا من فن التصوف ومنه مباحث النعمة وما بعدها من المهلكات ، فهي تصوف وعرفوه بأنه : علم بأصول يعرف بها إصلاح القلب وسائر الخواص . وفائدته : صلاح أحوال الإنسان لما فيه من الحث على تصفية الاعتقاد وكمال الأعمال بالسداد .

[٨٣٦] وقال الغزالي : هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه : أي تخلص القلب لله تعالى ، واعتقاد أن ما سواه لا ينفع ولا يضر ؛ فلا يعول إلا على الله ، فالمراد باحتقار ما سواه : اعتقاد أنه لا يضر ولا ينفع ، وليس المراد به الازدراء والتنقيص .

[٨٣٧] والحق أن التصوف ثمرة جميع علوم الشريعة وليس قواعد مخصوصة مدونة ، وسمي بالتصوف لغلبة لبس الصوف على أهله كالمرقعات ، وحكمتها - كما قاله الشيخ الشعراني : أنهم لا يجدون ثوبًا كاملاً من الحلال بل قطعًا قطعًا . وقيل : لتشبههم بأهل الصفة ، وقيل للصفاء .

[٨٣٨] قال سهل بن عبد الله ^(١) : الصوفي من صفا من الكدر ، وامتلأ من العبر ، وانقطع إلى الله عن البشر ، وتساوى عنده الذهب والمدر .

[٨٣٩] وينسب لسيدي عبد الغني النابلسي ^(٢) :

يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي وعارفي لا تغالط أنت معروفني
إن الفتى من بعده في الأزل يوفي صافي فصوفي لهذا سمي الصوفي

(١) سهل بن عبد الله : هو سهل بن عبد الله بن يونس شيخ العارفين أبو محمد التستري الصوفي الزاهد له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وقد راسخ في الطريق . ومن كلام سهل : لا معين إلا الله ولا دليل إلا رسول الله ﷺ ولا زاد إلا التقوى ولا عمل إلا الصبر عليه . توفي سنة ثلاث وثمانين ومائتين ، ويقال : عاش ثمانين سنة أو أكثر . سير أعلام النبلاء ١٠/٦٤٧ .

(٢) عبد الغني النابلسي هو : عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني النابلسي : شاعر عالم بالدين والأدب مكث من التصنيف متصوف مات بدمشق سنة ١١٤٣ هـ من مصنفاته : الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية تعطير الأنام في تعطير المنام (انظر الأعلام ٤/٣٢) .

[٨٤٠] وما أحسن ما أنشده الشيخ ابن الحاج (١) في كتابه المدخل :
 ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكأوك إن غنى المغنونا
 ولا صياح ولا رقص ولا طرب ولا اختباط كأن قد صرت مجنونا
 بل التصوف أن تصفو بلا كدر وتتبع الحق والقرآن والدينا
 وأن ترى خاشعاً لله مكتئباً على ذنوبك طول الدهر محزوناً

[٨٤١] قوله : (كما كان خيار الخلق) أي كن متصفاً بأخلاق مثل الأخلاق التي كان عليها خيار الخلق ، فالكاف للتمثيل والتشبيه ، ويحتمل أن تكون بمعنى الباء : أي كن متصفاً بالأخلاق التي كان عليها خيار الخلق .

[٨٤٢] والمراد من خيار الخلق نبينا ﷺ ، لأنه جمع ماتفرق في غيره من الخصال الحميدة فهو الخيار المطلق . ويحتمل أن المراد به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ لأنهم خيار الخلق .

[٨٤٣] والأولى أن يراد به كل من ثبت له الخيرية ولو بالنسبة لمن دونه ، فيشملة صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ويشمل الأنبياء والعلماء والشهداء والأولياء والزهاد والعباد ، ويكون الكلام موزعاً باعتبار الأشخاص وأنواع الخير ، فمن الناس من له قدرة على صورة مجاهدته ﷺ ، ومنهم من له قدرة على صورة مجاهدة غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومنهم من له قدرة على صورة مجاهدة العلماء وهلم جرا ، وإذا كانت المجاهدة على يد شيخ من العارفين كانت أنفع لقلوبهم : حال رجل في ألف رجل أنفع من وعظ ألف رجل في رجل ، فينبغي للشخص أن يلزم شيخاً عارفاً على الكتاب والسنة بأن يزنه قبل الأخذ عنه ، فإن وجدته على الكتاب والسنة لازمه وتأدب معه ، فعساه يكتسب من حاله ما يكون به صفاء باطنه والله يتولى هداه .

[٨٤٤] قوله : (حليف حلم) أي وكن حليف حلم ، فهو خير ثان ، لكن في قوله : (وكن كما كان خيار الخلق) والحليف بمعنى المحالف والملازم فهو فعيل بمعنى مفاعل .

[٨٤٥] والحلم بمعنى تحمل مشاق عباد الله بحيث لا يستفرك الشيطان ولا الهوى ولا يحركك الغضب ، فالشجاع ليس بالصرعة وإنما الشجاع الذي يملك نفسه عند

(١) ابن الحاج هو : محمد بن محمد بن محمد بن الحاج . أبو عبد الله العبدري المالكي الفقيه من رجال المذهب المالكي توفي في القاهرة سنة ٧٣٧هـ من كتبه : مدخل الشرع الشريف - بلوغ القصد والمتى في خواص أسماء الله الحسنى . (انظر الأعلام ٣٥/٧) .

الغضب ، وإنما خص الناظم الحلم بالذكر مع دخوله في عموم ما كان عليه خيار الخلق اهتماماً به ، ولأنه وصف جامع لأوصاف الخير ، لكن الحلم فيما يغضب الله مذموم .

[٨٤٦] قوله : (تابعا للحق) أي : وكن تابعا للحق ، فهو خير ثالث (لكن) المتقدمة ، والمراد بالحق : الله تعالى ، لأن الحق اسم من أسمائه . وفي الكلام حذف مضاف : أي لدين الحق ، ويحتمل أن المراد به الأحكام الحقة ، وحينئذ فلا حاجة لتقدير المضاف . ولا يخفى عليك أيها الموفق أنك لا تكون تابعا للحق إلا إذا كنت متمسكا به ممثلا لأوامره مجتنباً لنواهيه . قال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر : ٧] فزن جميع أقوالك وأفعالك واعتقاداتك بميزان الشريعة ، وعليك بحفظ الحواس وضبط الأنفاس .

١٣٧- فَكُلُّ خَيْرٍ فِي اتِّبَاعٍ مِّنْ سَلَفٍ وَكُلُّ شَرٍّ فِي ابتِدَاعٍ مِّنْ خَلْفٍ [٨٤٧- ٨٤٩]

[٨٤٧] قوله : (فكل خير في اتباع من سلف) هذا علة للأمر السابق في قوله « وكن كما كان خير الخلق .. إلخ » فالمعنى : لأن كل خير حاصل في اتباع من سلف ، فالفاء بمعنى لام التعليل ، والمراد بمن سلف : من تقدم من الأنبياء والصحابة والتابعين وتابعيهم ، خصوصاً الأئمة الأربعة المجتهدون الذي انعقد الجماع على امتناع الخروج عن مذاهبهم في الإفتاء والحكم . وأما عمل الشخص في نفسه فيجوز تقليد غيرهم فيه . [٨٤٨] قوله : (وكل شر في ابتداع من خلف) هذا علة لما تضمنه الأمر السابق من النهي ، والتقدير : ولا تكن كما كان عليه شرار الخلق ، لأن كل شر حاصل في ابتداع من خلف أي من تأخر من الخلف السيئ الذين أضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات .

[٨٤٩] واعلم أن البدعة تعترئها الأحكام ^(١) الخمسة فتارة تكون واجبة كضبط المصاحف والشرائع إذا خيف عليها الضياع ، وتارة تكون محرمة كالمكوس وسائر المحدثات المنافية للقواعد الشرعية ، وتارة تكون مندوبة كصلاة التراويح ^(٢) جماعة ولذلك قال سيدنا عمر رضي الله عنه في التراويح : « نعمت البدعة هي » . وتارة تكون مكروهة كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف ، وتارة تكون مباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ، ففي الآثار : إن أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذ المناخل وإنما كانت مباحة لأن لين العيش وإصلاحه من المباحات فوسائله مباحة .

(١) قوله « البدعة تعترئها الأحكام ... إلخ » كلامه في البدعة اللغوية ، أما البدعة في الشرع فهي منهي عنها لقول رسول الله : « كل بدعة ضلالة » فتدبر الفرق بينهما .
(٢) وقوله : « كصلاة التراويح جماعة » : اعلم أن صلاة التراويح جماعة سنة قد ثبت أن النبي ﷺ صلاها في جماعة .

١٣٨ - وَكُلُّ هَذِي لِلنَّبِيِّ قَدْ رَجَحَ فَمَا أُبَيِّحُ أَفْعَلُ وَدَعُ مَا لَمْ يَبَحِ

١٣٩ - فَتَابِعِ الصَّالِحِ مِنْ سَلَفًا وَجَانِبِ الْبِدْعَةِ مَنْ خَلَقًا

١٤٠ - هَذَا وَأَرْجُو اللَّهَ فِي الْإِخْلَاصِ مِنْ الرِّيَاءِ ثُمَّ فِي الْخُلَاصِ [٨٥٠-٨٧٣]

[٨٥٠] قوله : (وكل هدى للنبي قد رجح) أي : وكل هدي منسوب للنبي ﷺ قد رجح على ما لم ينسب له ﷺ من الأقوال والأفعال والاعتقادات فأفضل الأحوال أحواله ﷺ التي لم تنسخ ، وليس المقصود بها مجرد بيان الجواز ، ولا ما قام الدليل على اختصاصه به ﷺ ، بخلاف ما نسخ كقيام الليل كله ، وما قصد به مجرد بيان الجواز كوضوئه ﷺ مرة مرة ، وما كان مختصاً به - عليه الصلاة والسلام - كتزوجه أكثر من أربع .

[٨٥١] قوله : (فما أبيع افعل) أي : فما لم ينه عنه ولو تنزيها افعل ، فالمراد بما أبيع : ما لم ينه عنه فيشمل الواجب والمندوب والمباح - وهو ما استوى طرفاه - أي فعله وتركه .

[٨٥٢] وقوله : (ودع ما لم يبيع) أي : واترك ما لم ييح لك فعله وهو المنهي عنه بأن كان محرماً أو مكروهاً أو خلاف الأولى .

[٨٥٣] قوله : (فتابع الصالح من سلفاً) أي : فتابع في عقائدك وأقوالك وأفعالك الفريق الصالح من سلف كقوله - عليه الصلاة والسلام - : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » ^(١) وهذا كناية عن شدة التمسك بها .

[٨٥٤] والصالح : هو القائم بحقوق الله وحقوق العباد ، وهذا أندر من الكبريت الأحمر ، ويطلق الصالح على النبي كما يطلق على الولي إلا أن الصلاح في الأنبياء أكمل منه في الأولياء .

[٨٥٥] قوله : (وجانب البدعة من خلفاً) أي : واترك البدعة المذمومة ممن جاء بعد خواص الصحابة وعلمائهم . وقد علمت أن البدعة تعريضها الأحكام الخمسة . والحاصل أن كل ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع أو القياس فهو سنة . وما خرج عن ذلك فهو بدعة مذمومة .

[٨٥٦] قوله : (هذا) مفعول لمحذوف أي افهم هذا أو مبتدأ والخبر محذوف ،

(١) أخرجه الترمذي ٢٦٧٦ عن العرياض بن سارية وقال : حسن صحيح .

والتقدير . هذا الذي ذكرته لك في هذه المنظومة مذهب أهل السنة ، أو نحو ذلك ، وهذا من باب التخلص وهو الانتقال من غرض - وهو هنا الأمر بمتابعة السلف الصالح ومجانبة البدعة ممن خلف - إلى غرض آخر - وهو هنا رجاء الإخلاص وما ذكر بعده ، وبين الغرضين تناسب .

[٨٥٧] قوله : (وأرجو الله) الرجاء بالمدة : هو تعلق القلب بمغروب فيه مع الأخذ في الأسباب ، وإلا فهو طمع مذموم .

[٨٥٨] قال ابن الجوزي : مثل الراجي مع الإصرار على المعصية كمثّل من رجا حصادا وما زرع أو ولدا وما نكح .

[٨٥٩] وقال عبد الله بن المبارك :

ما بال دينك ترضى أن تدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس

ترجو النجاة ولم تسلك طريقها إن السفينة لا تجري على اليبس

[٨٦٠] وفي الحديث القدسي « ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ، كيف أجود برحمتي علي من بخل بطاعتي » .

[٨٦١] قوله : (في الإخلاص) أي : في اتصافي به وهو قصد الله بالعبادة وحده ، وهو سبب للخلاص من أهوال يوم القيامة ، وهو واجب عيني على كل مكلف في جميع الطاعات . قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة : ٥] .

[٨٦٢] وقال ﷺ : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وما ابتغي به وجهه » (١) .

[٨٦٣] وفي حديث أنس رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة فارقها والله عنه راض » (٢) .

[٨٦٤] وعن ثوبان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « طوبى للمخلصين أولئك مصاييح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء » (٣) وفي رواية « قتماء » وهي بمعنى ظلماء .

(١) أخرجه النسائي ٢٥/٥ عن أبي أمامة الباهلي .

(٢) أخرجه الحاكم ٣٣٢/٢ عن أنس بن مالك .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٦/١ عن ثوبان .

[٨٦٥] وما يعين على الإخلاص استحضر أن ما سوى الله لا شيء بيده ، وأن كل شيء بيد الله تعالى ، والصادق في إخلاصه لا يحب اطلاع الناس على حسن عمله ، ولا يكره أن يطلع الناس على سيئ عمله ، ولا يبالي بخروج قدره من قلوب الخلق .

[٨٦٦] ورئي بعضهم في المنام بعد الموت يقول : « الجنة أرضها الإيمان ، وشجرها الأعمال وثمرها الإخلاص » .

[٨٦٧] قوله : (من الرياء) بالمد : أي بدله ، ف (من) للبدل على حد قوله تعالى : ﴿ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَوَةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ﴾ [التوبة : ٣٨] أي بدلها ، والتحذير منه وليست للتعدي ، لأنه لم يعبر بالإخلاص أو الخلوص بل عبر بالإخلاص .

[٨٦٨] و (الرياء) : أن يعمل القربة ليراه الناس . وأما التسميع : فهو أن يعمل العمل وحده ثم يخبر به الناس لأجل تعظيمهم له أو لجلب خير منهم ، وكل من الرياء والتسميع محبط للثواب مع صحة العمل ، خلافاً لما نص عليه السادة المالكية من أنه مبطل للعبادة .

[٨٦٩] وقول الحسن : من أعطى غيره شيئاً حياء منه له فيه أجر . وقول ابن سيرين ^(١) : من تبع جنازة حياء من أهلها له أجر : كل منهما محمول على ما إذا قصد جبر خاطر من أعطاه وأهل الجنازة لله ، وإلا فهو رياء .

[٨٧٠] وفي الحديث القدسي : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته لشركي » ^(٢) وقال تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۚ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ [الماعون : ٤] .

[٨٧١] والرياء قسمان : جلبي ، وخفي .
أقسام الرياء : فالأول : أن يفعل الطاعة بحضرة الناس لا غير ، فإن خلا بنفسه لا يفعل شيئاً . والثاني : أن يفعلها مطلقاً حضر الناس أو لا ، لكن يفرح عند حضورهم .

[٨٧٢] قال الفضيل بن عياض : العمل لأجل الناس شرك ، وترك العمل لأجل الناس هو رياء والإخلاص أن يعافيك الله منهما ، فمن عزم على عبادة فتركها خوف

(١) هو : محمد بن سريين البصري الأنصاري أبو بكر ، الإمام المحدث . إمام عصره في علوم الدين بالبصرة ، اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا توفي سنة ١١٠ هـ ، من مصنفاته : منتخب الكلام في تفسير الأحلام ، تعبیر الرؤيا .
(٢) أخرجه مسلم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة .
انظر : الأعلام ١٥٤/٦ .

الناس فهو مراء ، إلا إن تركها ليفعلها في الخلوة فهو مستحب .
[٨٧٣] قوله : (ثم في الخلاص ..) إلخ أي وأرجو الله في الخلاص من هذه
الأمور ، فـ (ثم) هنا وفيما بعد بمعنى الواو ، كما يدل عليه تعبير الناظم بالواو في قوله :
(والهوى) وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى :

إني بُليت بأربع ترمينني	بالتبلي قد نصبوا علي شراكا
إبليس والدنيا ونفسي والهوى	من أين أرجو بينهم فكاكا
يا رب ساعدني بعفوك إنني	أصبحت لا أرجو لهن سواكا

١٤١ - مِنَ الرَّجِيمِ ثُمَّ نَفْسِي وَالْهَوَى فَمَنْ يَمِلْ لَهُؤَلَاءِ قَدْ غَوَى [٨٧٤ - ٨٧٩]

[٨٧٤] قوله : (من الرجيم) أي من الوقوع في مكاييد الشيطان . والرجيم بمعنى المرجوم ، أي المطرود عن رحمة الله تعالى ، أو بمعنى الراجم للناس بوسوسته ، فـ (رجيم) فعيل بمعنى مفعول أو فاعل .

[٨٧٥] والمراد بالشيطان الرجيم : ما يشمل إبليس وأعوانه وهم أولاده من ظهره ، فإنه لما أهبط من الجنة لاط بنفسه لكونه لا زوجة له فباض خمس بيضات فكانت أصل ذريته ، فهو أول من لاط ، كما روي عنه ﷺ وهو أبو الشياطين ، كما أن آدم أبو الإنس ، والعداوة بين الثقلين - أعني الجن والإنس - فرع العداوة بين الأبوين . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر : ٦] أي في عقائدكم وأقوالكم وأفعالكم ، وكونوا على حذر منه في جميع أحوالكم .

[٨٧٦] قوله : (ثم نفسي) أي وأرجو الله في الخلاص من مكاييد نفسي التي هي أشد من الشيطان في الكيد ، ولذلك قال بعضهم :

توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس أخبث من سبعين شيطانا

[٨٧٧] والمراد بالنفس هنا : الأمانة ، وهي التي تأمر بالسوء ولا تأمر بالخير إلا نادراً ، بخلاف اللوامة : وهي التي تغلب صاحبها ثم ترجع عليه باللوم **احوال النفس** على ما وقع منه لكونها أذعنت للحق بسبب المجاهدة ، والملمة : وهي

التي ألهمت فجورها وتقواها بسبب المجاهدة ، والمطمئة : وهي التي اطمأنت إلى مكارم الأخلاق ، والراضية : وهي التي رضيت بالله رباً من غير منازعة باطنية بسبب المجاهدة ، والمرضية : وهي التي تجلّى الله عليها بالرضا والعفو عما مضى ، والكاملة : وهي التي صارت الكمالات لها طبعاً وسجية ، ومع ذلك تترقى في الكمال ، ثم بعد كمال النفس لا يجوز للشخص أن يتصدى للإرشاد إلا بإذن صريح ، لكن الوقت قد تأخر فقل من يتنبه من غفلته ويصدق في رغبته . فعلى العاقل الجد والاجتهاد حتى يسير في طريق الرشاد .

[٨٧٨] قوله : (والهوى) أي وأرجو الله في الخلاص من الهوى ، وهو بالقصر : ميل النفس إلى مرغوبها ولو كان فيه هلاكها ، وإذا أطلق انصرف إلى الميل إلى خلاف الحق غالباً ، نحو ﴿ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى ﴾ [ص : ٢٦] . وقد يستعمل في الميل للحق كما في قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها : « لا أرى ربك إلا يسارع في هواك » (١)

تخاطبه ﷺ لما نزل قوله تعالى : ﴿ تَرْجَىٰ مَن تَشَاءُ ... ﴾ [الأحزاب : ٥١] وسمى الأول هوى ، لأنه يهوى بصاحبه إلى النار ، وأما الهواء - بالمد - فهو ما بين السماء والأرض من الريح الذي تسير به السفن . قال الشاعر :

جمع الهواء مع الهوى في أضلعي فتكاملت في مهجتي ناران
فقصرت بالممدود عن نيل المنى ودرجت بالمقصور في أكفاني

ومعنى كلامه أنه اجتمع فيه الممدود والمقصور فبالممدود قصر عن نيل مناه لكونه ألف الريح اللينة وأحب الراحة ففاته خير كثير ، وبالمقصور مات ودرج في أكفانه لأنه تبع هوى نفسه فتمكن منه العشق فقتله .

[٨٧٩] قوله : (فمن يمل لهؤلاء قد غوى) أي لأن كل مكلف يميل لأحد هذه الثلاثة التي هي منشأ كل فتنة ، فقد فارق الرشد وخرج عن الاستقامة ، فهذا تعليل لقوله « ثم في الخلاص ... إلخ » .

- ١٤٢ - هذا وَأَرْجُو اللَّهَ أَنْ يَمُنَّحَنَا عِنْدَ السُّؤَالِ مُطْلَقًا حُجَّتَنَا [٨٨٥ - ٨٨٠]
- [٨٨٠] قوله : (هذا) مبتدأ والخبر محذوف أو بالعكس : أي هذا مطلوبى ، أو المطلوب هذا ، أو مفعول محذوف : أي أسأل هذا أو نحو ذلك ، وهذا من باب التخلص كما مر في نظيره .
- [٨٨١] قوله : (وأرجو الله) لا يخفى أن التعبير بالمضارع يشعر بالتجدد ، فالمعنى : وأرجو الله رجاء متجددًا بتجدد الأحوال ، والأزمنة والأمكنة .
- [٨٨٢] وقوله : (أن يمنحنا) أي يعطينا . يقال : منحه إذا أعطاه ، والمنحة : العطية ، و (نا) هو المفعول الأول ، و (حجتنا) هو الثاني ، لأن هذا الفعل يتعدى لمفعولين ، والأولى بمقام الدعاء أن يكون المراد بالضمير الذي هو المفعول الأول معاشر المسلمين أو أهل العلم ، لحديث « إذا دعوتكم الله فأجمعوا فلعل فيمن تجمعون من تنالون بركته » ويحتمل أن المراد به خصوص الناظم ، ويكون تعبيره بضمير العظمة حيث قال (يمنحنا) ولم يقل (يمنحني) لإظهار سبب العظمة وهو تأهيل الله إياه لطلب الدعاء أو لطلب العلم متحدًا بالنعمة قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى : ١١] وهذا لا ينافي أنه متذلل متخاضع لمولاه ، فلا يرد أن مقام الدعاء مقام ذلة وخضوع والعظمة تنافي ذلك .
- [٨٨٣] وقوله : (عند السؤال مطلقًا) أي : عند ورود السؤال علينا من الغير حال كون السؤال مطلقًا أي في الدنيا وفي القبر وفي القيامة كما يفهم ذلك من المقام وإن لم يفسر الإطلاق هنا سابق ولا لاحق وقول العلماء : « الإطلاق يفسره سابق أو لاحق » أمر أغلبي كما قاله بعض المحققين .
- [٨٨٤] وقوله : (حجتنا) أي ما نحتج به على جواب ذلك السؤال احتجاجًا صحيحًا شرعيًا بحيث لا طعن فيه ولا امتناع من قبوله .
- [٨٨٥] قال بعض العارفين : من أُلطف منح الله الحجة للإنسان عند السؤال قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٦] فإنه ألهمه الحجة بأن يقول : غرني كرمك يا رب .

١٤٣ - ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الدَّائِمُ عَلَى نَبِيِّ دَأْبِهِ الْمَرَّاحِمُ [٨٨٦ - ٨٩٢]

[٨٨٦] قوله : (ثم الصلاة والسلام) (ثم) للاستئناف لا للعطف ، وقد تقدمت مباحث الصلاة والسلام في أول الكتاب ، وإنما أتى المصنف بهما في أول كتابه وفي آخره رجاء لقبول ما بينهما ؛ لأن الصلاة على النبي ﷺ مقبولة لا مردودة ، والله أكرم من أن يقبل الصلاتين ويرد ما بينهما .

[٨٨٧] وقد ورد في الحديث « الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد » ^(١) ويقاس على الدعاء نحو التأليف .

[٨٨٨] واعلم أنه إذا أورد الإنسان الصلاة والسلام في آخر عمله لا ينبغي أن يريد بها الإعلام بتمامه بل ينبغي له أن لا يقصد إلا تحصيل فضيلتهما وإلا وقع في الكراهة ، وكذا قولهم « والله أعلم » عند التمام ، فينبغي أن لا يقصدوا بذلك الإعلام بالانتهاء ، بل ينبغي أن يقصدوا به تفويض العلم إليه تعالى .

[٨٨٩] قوله : (الدائم) أي : كل منهما ، ويحتمل أن يكون صفة للسلام ويكون المصنف حذف من الصلاة نظيره ، والتقدير : ثم الصلاة الدائمة والسلام الدائم ، فيكون في كلامه الحذف من الأول لدلالة الثاني وإن كان خلاف الغالب وهو الحذف من الثاني لدلالة الأول ، ولا يخفى أن الدوام باعتبار فضلهما وثمرتهما لا باعتبار لفظهما ، لأنهما عرضان يتقضيان بمجرد النطق بهما .

[٨٩٠] قوله : (على نبي) أي كائنان على نبي .

[٨٩١] وقوله : (دأبه المراحم) جملة من مبتدأ وخبر صفة لنبي : أي على نبي موصوف بأن دأبه المراحم .

[٨٩٢] ومعنى الدأب : العادة ، والمراحم جمع مرحمة بمعنى الرحمة ، فالمعنى : عادته المستمرة الرحمة للعالمين ، ففيه تلميح لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

(١) حديث « الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد » لم نجده بهذا اللفظ ، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء ٣٠٩/١ ، لم أجده مرفوعاً بل هو موقوف على أبي الدرداء ، وروى أبو داود (١٤٨١) من حديث فضالة ابن عبيد عن النبي ﷺ « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه ﷻ والثناء عليه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما شاء » .

١٤٤ - مُحَمَّدٌ وَآلِهِ وَعِثْرَتُهُ وَتَابِعٌ لِنَهْجِهِ مِنْ أُمَّتِهِ [٨٩٣-٨٩٨]

[٨٩٣] وقوله : (محمد) بدل من (نبي) أو عطف بيان عليه زاده الله تشریفاً وتكريماً لديه ، وإنما ترك الناظم وصفه ﷺ بالسيادة لضرورة النظم ، وإلا فيستحب وصفه بالسيادة استعمالاً للأدب كما قاله الجلال المحلي في الصلاة وغيرها ، وأما حديث « لا تسيدوني في صلاتكم » فقال السيوطي : لا أصل له .

[٨٩٤] قوله : (وآله) أي والصلاة والسلام الدائم على آله ، وقد تقدم الكلام على الآل في أول هذه الكتابة .

[٨٩٥] وقوله : (وعترته) بالثناة الفوقية هم أهل بيته وقيل : زوجاته ، وقيل : نسله ورهطه الأدنون .

[٨٩٦] وقوله : (وتابع لنهجه) أي : وكل متبع لطريقته ﷺ ولو في الإيمان فقط ، فدخل عصاة المؤمنين والقصد بهذا : التعميم في الدعاء لأنه أفضل .

[٨٩٧] وقوله : (من أمة) أي : أمة إجابته ﷺ وهذا القيد لبيان الواقع لا للاحتراز عن المتبع لطريقته ﷺ وليس من أمة لأن المتبع لشريعته لا يكون إلا من أمة لعموم بعثته ، لا يقال : قد يكون المتبع لشريعته ﷺ من غير أمة كما في سيدنا عيسى حين ينزل آخر الزمان ، لأننا نقول : هو حينئذ من أمة ﷺ وفائدة القيد المذكور التنصيص على العموم ، لئلا يتوهم إرادة خصوص القرون الثلاثة نظير ما قالوه في قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ يُحْنِئُ إِلَّا أُمَّمٌ أَنْتَ لَكُمْ مَا قَرَّبْنَا فِي الْأَلْبَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] كما أفاده السعد والله أعلم .

[٨٩٨] وهذا آخر ما يسره الله تعالى من غير حشو ولا تعقيد على « جوهرة التوحيد » .

والله أسأل وبنييه أتوسل أن يجعل هذه الكتابة خالصة لوجهه الكريم ، وأن ينفع بها النفع العميم ، والمرجو من صاحب العقل السليم والخلق القويم أن يقبل عثراتي ويستر هفواتي ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله وسلم وشرف وكرم على النبي الرؤوف الرحيم وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . وقد وافق الكمال ليلة الخميس المبارك من أوائل شهر صفر المبارك من شهور سنة ألف ومائتين وأربعة وثلاثين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية ، على يد جامعها « إبراهيم البيجوري » ذي التقصير ، غفر له ولوالديه وللمسلمين الخبير البصير ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون . آمين .

الفهارس وتشمل

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار والأقوال
- ٣ - فهرس الأعلام
- ٤ - فهرس الكتب
- ٥ - فهرس الغزوات
- ٦ - فهرس الحيوانات
- ٧ - فهرس الأماكن
- ٨ - فهرس الأشعار
- ٩ - فهرس الفرق
- ١٠ - فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	رقم الفقرة
٢ - سورة البقرة		
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ	٣	٧٣٣
ذَهَبَ اللَّهُ يَسْوِيهِمْ	١٧	١٤٩
إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٢٠	٤٨٠
أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ	٣٠	٤٦٥
وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ	٤٣	١٩٣
قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ	١٤٤	٤٧٦
يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ	١٤٦	١١٤
أُولَئِكَ عَلَىٰ صَلَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةً	١٥٧	٢٠
وَالَّذِينَ لِلَّهِ حِزْبٌ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ	١٦٣	١٥٢
إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ	١٦٤	١٠٠
كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ		
خَيْرًا أَوْصِيَهُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ	١٨٠	٤٧٦
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ	١٨٣	١٢١
وَلَكُمْ عِدَاؤُ اللَّهِ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُكُمْ	١٨٥	١٦
وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ	١٨٦	٥٤٣
وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	١٩٥	٧٤٨
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ	٢٠٢	٦٣٧
إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَّيِّينَ	٢٢٢	٧٦٢
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا	٢٣٤	٤٧٦
وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ	٢٤٠	٤٧٦
اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْقَيُّومُ	٢٥٥	١٩٢
أُولَئِكَ تَقْوِينَ	٢٦٠	١٣٤
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	٢٨٤	٢٢٨

٣ - سورة آل عمران

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ دَرَجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَاءُ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا	٧	٢٦١
شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْكَافُكَةُ رَأُولُوا الْبِرِّ	١٨	٦٧
وَيَعِزُّكُمْ اللَّهُ تَسْلِمًا	٢٨	١٤٩
وَالْبَيْتَ بَنَّاكُمْ حَسَنًا	٣٧	٥٣٠

٤٧٣	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا
٢٩	٨٥	وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ
١٢٧	٩٧	وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
		وَلِكُلِّ يَسْكُنُ أَتَمُّ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
٧٩٣	١٠٤	وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
٥٢٢	١١٠	كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ إِنْ كُنْتُمْ مُدْعَوْنَ لِلْقِتَالِ
٨١٩	١٢٨	لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ
٥٧٨	١٥٨	وَلَكِنْ مَتَى أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ
٧٣٠	١٦٩	وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَوِّقُونَ
٥٦٧	١٨٥	كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ
١٠٤	١٩٠	إِنَّا فِي خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَالتَّخْلُفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

٤ - سورة النساء

٦٣٨	٣١	إِنْ تَحْتَسِبُوا كَيْدًا بِمَا كَفَرْنَا عَنْهُ فُتِنَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ
٧١٨، ٣٠٤	٤٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيُغَيِّرُ مَا دُونَهُ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ
٧٨٦	٥٩	أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
٢٩٣	٧٨	قُلْ كُلٌّ عِنْدَ اللَّهِ
٢٩٣	٧٩	مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ فِرَاسُكَ
١٩٩	١٦٤	وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا

٥ - سورة المائدة

٢٢٠	٧٣	لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ
٨٠٠	٩٩	مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ
٧٩٦	١٠٥	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أَعْتَدْتُمْ
١٤٩	١١٦	تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ

٦ - الأنعام

٤٨٠	٣٨	مَا قَرَّلْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
		وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلْمٍ يَظْلِمُ يَجْزِيهِ إِلَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ
٨٩٧	٣٨	مَا قَرَّلْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ
٥٤٤	٤١	فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ
٥٨٩	٥٠	وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ
١٤٩	٥٤	كُتِبَ عَلَيْكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ
٥٧٢	٦١	وَقَفَّيْتُمْ رُسُلَنَا
٢٣٣	٧٣	عَلَيْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
٤١٠	٧٦	فَلَمَّا جَاءَ عَلَيْهِ أَيْدِي
٤١٠	٨٢	وَهُمْ مُنْهَدَرُونَ

١٢١	٨٢	الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
٤١٠	٨٣	وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ
٥١٤	٩١	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ
١٢٠	١٠٣	لَا تَذَرِكُ الْإِصْبَرُ
٢٣	١٣٠	يَسْمَعُ الْخَبْرَ وَالْإِصْبَرُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ

٧ - سورة الأعراف

٦٧٠	٨	وَالْوَزْنُ يَوْمَ الْحَقِّ فَمَنْ تَقَلَّتْ مُوزِنُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ
٨١٦	١٣	فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ
٦٢٧	٢٩	كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ
٥٧٥	٣٤	فَإِذَا جَاءَ أَمْرُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ
٢٠١	٥٥	ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
٣٧٩	١٤٣	رَبِّ أَوْفَى نُظُرِ الْإِنْسَانِ قَالَ لَنْ تَرِنِي
٦٢٣، ٥٩٠	١٧٢	أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ

٨ - سورة الأنفال

١٣٥	٢	وَإِذَا ثَلَيْتَ عَلَيْهِمْ يَاسِينَ
٤٦٩	٢٥	وَاتَّقُوا يَوْمَهُ لَا تَصِيحُّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ غَاغِيَةً
٧٦٥	٣٨	قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ
٥٣٧	٥٨	فَأَنذِرْهُمْ
٤٧٧	٦٥	يَأْتِيهَا النَّارُ حَرًّا مِنَ الْمُزَيْنِ عَلَى الْقَتَالِ
٤٧٧	٦٦	الَّذِينَ خَفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ خُمُومًا

٩ - سورة التوبة

٨٦٧	٣٨	أَرْبَعِينَ بِالْحَمْدِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ
٧٨٤	٤٠	إِنَّ اللَّهَ مَنَّ
٧٨٤	٤٠	فَأَنْتَ أَتَيْنِ إِذْ هُمْ فِي الْفَسَادِ
٢٥٠	٤٠	وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا
٥٠٤	١٠٠	وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
١٣٥	١٢٤	فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَّادَتْهُمْ إِيمَانًا

١٠ - سورة يونس

٣٦٠	٢٦	لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَى وَرَبَّادَةً
-----	----	--

١١ - سورة هود

٣٣٩	٦	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا
٤١٠	٣٢	قَالُوا يَنْشُخْ قَدْ جَدَلْنَاكَ فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا
٦٩٥	١٠٥	فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ

١٢ - سورة يوسف

١١٦	١٧	وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا
١٢١	١٠٦	وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ

١٤ - سورة الرعد

٢٨٣	٩	الْكَبِيرُ السَّمَاءِ
٥٤٦	١١	لَمْ يُؤْخَذْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ مِثْلُ شَيْءٍ يُحْضَرُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
٣٤٤	١٣	وَهُوَ مُنِيرُ الْعَالَمِ
٥٤٠	١٤	وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ
١٢١	٢٩	الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
٣٠٢	٣١	إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُقُ السَّيِّئَاتِ
٥٧٥	٣٩	يَسْأَلُ اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَرُبِّيْتُ وَمِنْهُ أُمُّ الْكَافِرِينَ

١٥ - سورة الحجر

٢٧٤	٩	إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ
٧٢٣	٤٨	وَمَا هُمْ مِنْهَا بِشُرَكَاءَ

١٦ - سورة النحل

٢٧	١	أَلَمْ أَمُرْ اللَّهَ
٥٢٤	٤٣	فَتَنَزَّلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ
٢٦١	٥٠	يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
٤٣	٨١	سَرَّيْلُ تَقِيكُمْ الْحَرَّ
٤٤٧	١٠٣	إِنَّمَا يَمْلِكُهُ بِشَرِّ
٤١٠	١٢٥	وَيَحْدِلْهُمْ يَالْتِي هِيَ أَحْسَنُ

١٧ - سورة الإسراء

٤٦٩	١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا
٧١٣	٧٩	حَتَّى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَشْهُودًا
٥٩٧، ٥٨٩	٨٥	وَيَسْأَلُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلُوبُ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ
٤٨١	٨٨	قُلْ لِيِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ

١٨ - سورة الكهف

١٨٣	١٢	ثُمَّ بَدَّلْنَاهُمْ لِمَعْلَمٍ أَنْ لَوْ هَدَيْنَاهُمْ لَإِتَّخَذُوا آلِهَةً مِمَّا دُونَهُ
٤٢٥	٦٣	وَمَا أَسْتَدِينُ إِلَّا اللَّهَ
٤٢٥	٦٤	ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ
١١٥	٦٥	عَبَدُوا مِنْ دُونِهِ
٢٩٣	٧٩	فَأَرَدْتُ أَنْ أَمِيتَهُمْ

٢٩٣	٨٢	فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا
٦٧٠	١٠٥	فَلَا تُؤْمِنُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَذُنَا

١٩ - سورة مريم

٢٧	١٢	وَمَا أَتَيْنَهُ الْمُلُكُ مِنْ قَبْلِهِ
١٢٩	٢٦	إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا
٢٧	٣٠	مَا تَنفَى الْكُتُبُ وَجَعَلْنِي بُيَا
١٩٣	٨٨	وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا

٢٠ - سورة طه

٢٦١	٥	الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
٤٥٠	١١٥	وَلَمْ يَجِدْ لَهُ مِزَامًا

٢١ - الأنبياء

١٥٤	٢٢	لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
٦٧٧، ٤٥٦، ١٧٤	٢٣	لَا يُشْعِلُ عَمَّا يُفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَكْبَرُونَ
٦٨٤، ٤٦٢، ٢٩٣		
٦٧٠	٤٧	وَضَعُوكَ الْيَمِينَ الْيُسْطَى يُؤْمِرُ الْفَيْحَةَ
٦٦١	١٠٣	لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرْجُ الْأَكْبَرُ
٨٩٢	١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

٢٢ - سورة الحج

٣٠٢	٤٧	وَلَنْ يَخْلَفَ اللَّهُ وَعْدَهُ
٢٣	٧٥	اللَّهُ يَسْطُلُ فِي سَكَبٍ مِّنَ السَّمَاءِ رُسُلًا

٢٣ - سورة المؤمنون

١٠٢	١٢	وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ
١٠٢	١٣	ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَقَةً
١٥٤	٩١	إِنَّا لَنَعْبُ كُلَّ إِنْسَانٍ إِنَّمَا خَلَقَ وَفَلَا يَتَذَكَّرُ أَلَّا بَشَرًا مَّخْلُوقًا

٢٤ - سورة النور

٤٨٤	١١	إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ
٤٨٤	٢٢	وَلَا يَأْتَلِ أُولَئِ الْفُضُلِ مَكْرًا وَلَا تَتَّبِعُوا
٤٨٤	٢٦	أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ مَكْرُومَتٌ وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرَبُّكَ كَرِيمٌ
٧٦٠	٣١	وَقُورُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ
٢٣٣	٣٥	وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٢٥ - سورة الفرقان

٢٢٨	٢	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدْرًا قَدِيرًا
-----	---	--

٢٦ - الشعراء

٢٩٣	٨٠،٧٩،٧٨	أَلَيْ خَلَقِي فَهوَ يَهْدِينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْمِئِنُّ وَيَسْئَلُ
٧٢	٢١٩	وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَتَقَلُّكَ فِي السَّجْدِينَ

٢٧ - سورة النمل

٥٨١	٨٧	إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
-----	----	---------------------------

٢٨ - سورة القصص

١٩٢	٧٦	إِنَّ نَافِلَةَ كَانَتْ مِنْ قَوْمِ ثَمُودَ
٥٨٧	٨٨	كُلُّ شَيْءٍ مَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ

٢٩ - سورة العنكبوت

٢٥٠،١٢٨	٤٥	إِنَّ الْمَثَلَةَ نَتْنٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ
---------	----	--

٣٠ - سورة الروم

٨٨	٣٠	فَطَرَتِ اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلِيًّا
٤٧	٣٢	كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ

٣١ - سورة لقمان

٣٢٣	١٨	إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَالٍ فَخَرٍ
-----	----	--

٣٢ - سورة السجدة

٥٧٢	١١	قُلْ يَتُوبُ إِلَيْكُمْ تِلْكَ الْبَرَّةُ الَّتِي وَكَّلَ بِكُمْ
-----	----	--

٣٣ - سورة الأحزاب

٤١٤	٣٧	وَلَا تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ
٢٩٦	٣٨	وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا
١٠٧	٤٠	مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ
٤٦٧،٤٣٩	٤٠	وَعَاثَرَ النَّبِيَّ
٨٧٨	٥١	فَرِحَ مِنْ نَفْسِهِ
٢٢،٩	٥٦	إِنَّ اللَّهَ وَلِلْكَافِرِينَ أَعْدَاءٌ مُبِينُونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأْتِيهِمُ الْبَرَّةُ الْمَأْتُورُ مَسَلُوا عَلَيْهِ وَسَلِمُوا تَسْلِيمًا

٣٤ - سورة سبا

٤٤٧	٨	أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جُنَّةٌ
٤٦٩	٢٨	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ

٢٥ - سورة فاطر

٨٧٥	٦	إِنَّ السَّيِّئِينَ لَكَرُّوا عَدُوًّا مُّخْتَلِفًا عَدُوًّا
٦٧٠	١٠	وَالْمَلَأَ السَّيِّئِينَ بِرَفْعِهِمْ
٢٣	١٢	وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ

٣٦ - سورة يس

٦٧٦	٦٦	فَأَسْبَقُوا الصِّرَاطَ
٢٣٠	٨٢	إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ

٣٧ - سورة الصافات

٦٦١	٢٤	وَيَقُولُونَ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْلِمُونَ
٢٩١، ٢٩٠	٩٦	وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ
٤٦	١٢٣	وَلَنْ يَلِيَّاسَ لِيَنَّ الْمُرْسَلِينَ

٢٨ - سورة ص

٨٧٨، ٧٨٠، ٤٠١	٢٦	يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ
---------------	----	---

٢٩ - سورة الزمر

١٢٥	٢٢	أَقْنِ سَرَّحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
٥٦٧	٣٠	إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمَاتٌ
٥٧٢	٤٢	اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنفُسَ الَّتِي مَاتَتْ
٣٠٤	٥٣	إِنَّ اللَّهَ يَتَوَقَّى الذُّنُوبَ جَمِيعًا

٤٠ - سورة غافر

٥٤٣، ٥٤١	٦٠	وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ
٢٤	٧٨	وَيُنْفِرُ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَيُنْفِرُ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ

٤١ - سورة فصلت

١٦٥	١٩	وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاهُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ
٤٧٥	٤٢	لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ

٤٢ - سورة الشورى

٢٠١، ١٦٦	١١	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
٧٦٥، ٧٦٤	٢٥	وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ
٢٩٣	٣٠	وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ

٤٣ - سورة الزخرف

٤٥٧	١٩	وَجَعَلُوا لِلطَّاغُوتِ الَّذِينَ هُمْ عِنْدَ الرَّحْمَنِ
-----	----	---

٤٤ - سورة الدخان

دُخَانُ الْمُنَافِقِ أَسْفُودٌ ٤٩ ١٢٠

٤٥ - سورة محمد

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٩ ٥١

٤٦ - سورة الفتح

لِيَزِيدُوا إِيْمَانَكُمْ بِرُسُلِهِمْ ٤ ١٣٥
يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ١٠ ٢٦٥
لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ١٨ ٥٠٣

٤٧ - سورة الحجرات

اجْتَنِبُوا كَبِيرَ مِنَ الظُّلُمِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْكُمْ ١٢ ٨٠٤، ٨٠٣

٤٨ - سورة ق

مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ١٨ ٥٥٨، ٥٥٥
مَا يَنْتَدِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ ٢٩ ٣٠٤

٤٩ - سورة الذاريات

وَقَدْ أَنشِئْتُمُ أَفْلاكُمْ بَعْرُونَ ٢١ ١٠٢
وَذَكَرْ فَإِنَّ الْوُكُوفَ نَفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥ ٨٠٠

٥٠ - سورة القمر

سَمِعْتُمُ الْمُنْتَجِعَ وَيُؤْوِي الدُّبُرَ ٤٥ ٤٩٩

٥١ - سورة الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ٢٦ ٥٨٣، ٥٧٩
وَبَيْنَ يَدَيْ رَبِّكَ ذُرِّيُّ الْمَلَكِ وَالْإِكْرَامِ ٢٧ ٢٦٥
كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْوٍ ٢٩ ٢١٦
وَلَمَنْ شَاءَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ٤٦ ٦٩٠
وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ ٦٢ ٦٩٠

٥٢ - سورة المجادلة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ ١٢ ٤٧٧
أُولَئِكَ كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ ٢٢ ١٢٠

٥٣ - سورة الحشر

هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ ٢ ٦٢٣
وَمَا مَالَكُمْ أَنْ تَتُوبَ إِلَى اللَّهِ فَبَشِّرُوهُمْ وَأَنبَشِّرُوهُمْ ٧ ٨٤٦

٥٤ - سورة التحريم

٦٨٩	٦	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ
		٥٥ - سورة الملك

٥٦٨	٢	الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
-----	---	---------------------------------------

٥٦ - سورة القلم

٣٧٧	٤٢	يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ
-----	----	----------------------------

٥٧ - سورة الحاقة

٤٥٩، ٦١	١٧	وَالَّذِي خَلَقَ أَزْوَاجَهُمْ رَجُلًا مِّنْ نَّحْسٍ فَوْقَهُمْ سِتْرٌ مِّنْ نَّحْسٍ فَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ يَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُونَ كِتَابِي
٦٦٨	٢٠، ١٩	إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْقٍ حِسَابِي
		وَأَمَّا مَنْ أُوثِقَ كِتَابُهُ شِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا بَلِيغِي لَرَأَيْتُ كِتَابِي
٦٦٨	٢٥ - ٢٧	وَلَرَأَيْتُ مَا جَسَّابِي يَلْتَبِثُهَا كَانَتْ الْقَائِمِيَّةُ
٤٤٧	٤٠	إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ

٥٨ - سورة المعارج

٦٥٩	١	سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ
-----	---	----------------------------------

٥٩ - سورة المذثر

١٣٥	٣١	وَرَزَّادَ الَّذِينَ آمَنُوا لِيُنَاقَا
-----	----	---

٦٠ - سورة القيامة

٣٦٢، ٣٦٠	٢٣، ٢٢	وَهُمْ يُجَنَّبُونَ فَانْتَرُوا ۖ إِلَىٰ رَبِّكَ نَاقِرَةٌ
----------	--------	--

٦١ - سورة النبا

٦٩٧	٣٠	فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا
-----	----	------------------------------------

٦٢ - سورة التکویر

٢٢٥	١٤	جَعَلَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْصَرَتْ
٤٤٧	٢٢	وَمَا صَاحِبُكُمْ يَمْلِكُونَ

٦٣ - سورة الانفطار

٨٨٥	٦	يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ
٥٥١	١٢، ١١	كِرَامًا كَثِيرِينَ ۖ يَكْمُلُونَ مَا قَدَّمُوا

٦٤ - سورة المطففين

٣٧٥، ٣٦١	١٥	كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّحَجُونَ
٣٦٠	٢٣	عَلَى الْأَرْوَاحِ يُنْظَرُونَ

٦٥ - سورة الانشقاق		
٦٦٨	٧	فَأَنَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْبَ بِيَمِينِهِ
٦٦٨	٨	فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَّسِيرًا
٦٦ - سورة الفجر		
٢٦٤	٢٢	وَجَاءَ رُبُّكَ
٦٧ - سورة الضحى		
٨٨٢	١١	وَأَنَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ
٦٨ - سورة العلق		
٢٧٠٣	١	اقْرَأْ
٦٩ - سورة القدر		
٢٧٧٠٢٧٤	١	إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ
٧٠ - سورة البينة		
٨٦١	٥	وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رِجَالًا يَعْبُدُونَا اللَّهُ عَالِمُ الْغُيُوبِ لَهُ الَّذِينَ
٧١ - سورة الزلزلة		
٧٢٣	٧	فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ
٧٢ - سورة الماعون		
٨٧٠	٦٠٥٤	قَوِيلٌ لِّلْمُتَّبِلِينَ ① الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ② الَّذِينَ هُمْ يُرَاكِبُونَ
٧٣ - سورة الكوثر		
٤٨١	١	إِنَّا أَنْطَقْنَاهُ الْكُوثَرَ
٧٤ - سورة الإخلاص		
٦١١	١	قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ
١٦٦	٢	اللَّهُ الصَّمَدُ
١٦٦	٣	لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
١٦٦	٤	وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ
٧٥ - سورة الفلق		
٢	٥	وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ

فهرس الأحاديث والآثار والأقوال

الحديث	رقم الفقرة	الحديث	رقم الفقرة
حرف الألف		من الثقلين	٢٦
آخر أيام الدنيا هو اليوم الآخر	٦٥٨	أرسلت إلى الناس كافة	٤٦٩
آخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرئاسة	٨١٨	الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء	٦٣٢، ٦٣١
الإبصار هو إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر	١٠١	الأرض لا تأكل أجساد الشهداء	٦٣٢، ٦٣١
إبليس هو أول من لاط	٨٧٥	ارفع رأسك يا محمد	٧١٣، ٧٠٦
أبو بكر الصديق في الجنة	٤٩٦	أرني أنظر إليك	٣٨٠، ٣٧٩
أبو عبيدة بن الجراح في الجنة	٤٩٦	أرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين	٥٧١
اتخاذ المناخل أول شيء أحدثه الناس بعد		الأرواح جنود مجنونة	٥٩١
رسول الله ﷺ	٨٤٩	أرواح السعداء بعد موتهم بالحياة بالشام	٥٩٤
اتق الله فيقول العبد عليك بنفسك	٧٩٧	أرواح السعداء بعد موتهم في بحر زمزم	٥٩٤
اتقوا الله وأكملوا في الطلب	٧٣٤	أرواح الشهداء في حواصل طير خضر	٧٢٨
أجمعوا إذا دعوتهم فلعل فيمن تجمعون من		أرواح الشهداء متصلة بأجسادهم اتصالاً وثيقاً	٧٢٨
تتالون بركته	٨٨٢	أرواح الكفار بعد موتهم في بحر برهوت	٥٩٤
أحب الأعمال إلى الله أحمرها	٤٥٤	أرواح الكفار بعد موتهم في سجين	٥٩٤
احتجب الله عن البصائر كما احتجب عن الأبصار	٩٨	الأزلي هو مالا أول له	١٤٢
احموا ظهورنا واثبتوا مكانكم	٥٠٢	استردته فزادني ثلاث حيات بيده الكريمة	٦٣٧
إذا دعوتهم الله فأجمعوا فلعل فيمن تجمعون		استردته فزادني مع كل واحد من السبعين ألفاً	
من تتالون بركته	٨٨٢	سبعين ألفاً	٦٣٧
إذا طويت الصحيفة وفيها استغفار طويت ولها نور يتلأل	٦٦٦	استشهاد حمزة بن عبد المطلب	٥٠٢
إذا طويت الصحيفة وليس فيها استغفار طويت		أستغفر الله العظيم لي ولوالدي ولأصحاب	
وهي سوداء مظلمة	٦٦٦	الحقوق علي	٨١١
إذا قاتل أحدكم أخاه فليجنب الوجه	٢٦٥	اشفع تشفع	٧١٣
إذا كان يوم القيامة تنادى كل أمة لتأرم معبودها	٣٧٧	اشفع لنا	٧١٣
إذا كانت نفس المؤمن محبوسة عن مكانها في الجنة	٥١٦	أشفقوا على أنفسكم في الدعاء	٢٠١
أربعوا على أنفسكم في الدعاء فإنكم لا تدعون أصم	٢٠١	أطفال المسلمين حول الحوض	٧٠٦
أرسل الله رسول الله ﷺ إلى جميع المكلفين		أظلمك كنياتي الحافظون ؟	٦٧٢

- ٥٢ افترقت الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة
 ٥٢ افترقت الأمم السابقة على اثنتين وسبعين فرقة
 ١٣٩ افتقار العالم الحادث إلى محدث
 ٤٥٣ أفضل الملائكة جبريل وميكائيل
 الأفعال والأقوال والاعتقادات المنسوبة إلى
 رسول الله ﷺ ترجع على غيرها ٨٥٠
 أقسمت عليك بالله إلا أمطرت ٥٣٣
 أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ ٤٠٨
 أقوى الإنكار للمنكر ٧٩٥
 أكبر الذنوب عند الله ٧٩٧
 اكتب أراحنا الله منه ٥٥٠
 أكل الحلال شرط من شروط قبول الدعاء ٥٤٢
 إجماع الناس بالمرق يوم الموقف ٦٦٠
 ألتست بركم ٧٠٧
 ألم أقل لكم إن صلته مستناه ١٢٨
 الذي حملت إليه النعمة عليه ستة ٨٠٣
 الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه ٤٨٠
 الذي يجازي على يسر الطاعات كثير الدرجات ٢٥٤
 الذي يشتري نفسه من الله ٦٥٦
 الله في أصحابي ٥١٣، ٤٨٥
 الدنيا سجن المؤمن ٣٣٨
 الله جميل يحب الجمال ٨١٧، ٨١٦
 الله خالق العباد وأفعالهم ٢٩٢
 الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ٨٦٢
 الله يكفيني أذى الإمام الذي أمر بالكفر وحده ٧٨٨
 اللهم اغفر لجميع المؤمنين جميع ذنوبهم ٣٠٥
 اللهم اقضني إليك غير مفتون ٢٦٨
 اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد في الأرض ٤٩٩
- اللهم إن ظهوروا على هذه العصابة ظهر الشرك ٤٩٩
 اللهم إنا نسألك العصمة ٤٦٥
 اللهم إني أنشدك أني من المنظرين ٤٩٩
 اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ٤٩٩
 اللهم ثبت قلبي على دينك ١٢٠
 اللهم سلم سلم ٦٧٤
 اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد ٤٥
 اللهم في قتادة كما وفي وجه نبيك ٤٨٠
 أمة محمد يدخل منها الجنة سبعون ألفاً بلا حساب ٦٣٧
 إن الله احتجب عن البصائر كما احتجب
 عن الأبصار ٩٨
 إن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ٣١٠
 إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين ٤٨٥
 إن الله بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى ٤٩٩
 إن الله جميل يحب الجمال ٨١٧، ٨١٦
 إن الله خلق آدم على صورته ٢٦٥
 إن الله خلق الموت في صورة كبش ٥٦٩
 إن الله لم يفرض شيئاً أفضل من التوحيد والصلاة ٢٨
 إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً ٨٦٢
 إن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ٧٣٤
 إن الله يستخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق
 يوم القيامة ٦٧٢
 إن الجنة جزاء جميل وعطاء جليل ٤٨٠
 إن الخوض كما بين عدن وعمان ٧٠٣
 إن رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة
 في الدنيا ٣٦٣
 إن روح آدم التقت مع روح موسى عليه السلام ٣٥٦
 إن روح القدس نفث في روعي ٧٣٤

- ٧٩٨ أنت الذي قيل لك اتق الله ففضبت
 ٧٦٩ انتهاك حرمة المحرمات
 ٧٦٩ انتهاك وجوب الواجبات
 ٤٩٩ أنشدك عهدك ووعدك
 ٧٧٦ انشقاق القمر على عهد رسول الله ﷺ
 ٧٨٤ انطلق بنا إلى إخواننا الأنصار
 ٣٩٠ انعكس بصري في بصيرتي فصرت كلي بصيرًا
 ٥٩٦ انقطاع جزء من الروح مع انقطاع جزء من الجسد
 ٧٥٥ إنكار الفلاسفة لجوهر الفرد
 ٣٦٠ إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر
 ٦٧٤ إنه أدق من الشعرة وأحد من السيف (الصراط)
 ٥٩٣ إني أنشدك أنني من المتظرين
 ٤٩٩ إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون
 ١٩ إني لأخوفكم من الله
 ٧٠٠ إني لأرجو أن أكون أكثرهم تبعًا
 ٥٠٨، ٥٠٧ أهل بدر
 ٦٧٤ أهل السعادة يسلكون ذات اليمين على الصراط
 ٦٧٤ أهل الشقاوة يسلكون ذات اليسار على الصراط
 ٦٢١ أول داخل للجنة النبي ﷺ
 ٧١٥ أول الملائكة في الشفاعة جبريل
 ٦٢١ أول من تشق عنه الأرض النبي ﷺ
 ٨٧٥ أول من لاط إبليس
 ٦٦٧ أول من يأخذه بشماله أخوه الأسود بن عبد الأسد
 ٦٢١ أول من يعث النبي ﷺ
 ٦٦٧ أول من يعطى كتابه يمينه مطلقًا عمر بن الخطاب
 ٦٢١ أول وارد للمحشر النبي ﷺ
 ٦٩٥ أولاد الأنبياء في الجنة
 ٥٣٤ الأولياء هم المرابطون على الطاعة
- ٤٨٠ إن شئت أردك إلى الحائط
 ٤٨٠ إن شئت صبرت ولك الجنة
 ١٢٨ إن صلاته ستنهاه يومًا ما
 ٥٨٦ إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا
 إن قلوب بني آدم كلها كقلب واحد بين إصبعين
 ٢٦٥ من أصابع الرحمن
 ٣٤٨ إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك
 ٤٨٤ إن كان من إخواننا الخرج أمرتنا ففعلنا أمرك
 ٤٨٤ إن كان من الأوس ضربت عنقه
 ٦٧٢ إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك
 ٧٠٠ إن لكل نبي حوضًا وهو قائم على حوضه
 ٣٧٦ إن لله خواص من عباده
 ٦٨٣ إن لله لوحًا أحد وجهيه ياقوتة حمراء
 إن من الذنوب ذنوبًا لا يكفرها صوم ولا صلاة
 ٦٥٥ ولا جهاد وإنما يكفرها السعي على العيال
 ٥٦٥ إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع
 ٤٨٤ أنا أعزرك يا رسول الله
 ٨٧٠ أنا أغني الشركاء عن الشرك
 ٤٤٧ أنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر
 ٧١٣ أنا أول شافع وأول مشفع
 ٤٩٢ أنا أول الملوك
 ٤٢ أنا العاقب فلا نبي بعدي
 ٧١٣ أنا لها أنا لها أمتي أمتي
 ٦٦٧ الأنبياء لا يأخذون صحفًا
 ٧١٣ أنت أول البشر اشفع لنا
 أنت أبر البشر الذي كنت سببًا لإخراج أولادك
 ٣٥٦ من الجنة
 ٣٥٦ أنت الذي اصطفاك الله بكلامه

٢٤٣ البصر حسن العين	٨٢٧ إياك والحرص
٦١٩ البعث إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم	٨٢٧ إياك والحسد
٤٦٩ بعثت إلى الناس كافة	٨٢٧ إياك والطمع
٣٢٦ بكل عبد حافظون وكلوا	٨٢٧ إياك وطول الأمل
٤٨٠ بل تفرسني في الجنة فيأكل مني أولياء الله	٨٢٧ إياك والكبر
٤٢٩ بني الإسلام على خمس	٨٢٣ إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات
حرف التاء	أحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا ٧٠٤
٧٦٣ التائب من الذنب كمن لا ذنب له	٨٦٦ الإيمان أرض الجنة
٦٦٠ تدنو الشمس يوم القيامة	١٣٦ الإيمان اعتقاد
٣١ ترك المنهي عنه من أمور الدين	١٣٥ إيمان الأمة إنشأ وجئًا
٤٩٩ تزعمون أنكم على الحق وفيكم نبي الله	٣٥٩ الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله
٤٨٠ تسيح الحصى في كف رسول الله ﷺ	١٣٥ إيمان الأنبياء لا ينقص
٤٦٩ تسخير الجن لسليمان	١٣٧ الإيمان الباطني لا يزيد ولا ينقص
٨٩٣ تسيد الرسول في الصلاة للأدب	١٣٨ إيمان الصديقين
٦٧٣ تصور الأعمال السيئة بصورة قبيحة ظلمانية	١٣٦ الإيمان عمل
٦٧٣ تصور الأعمال الصالحة بصورة حسنة نورانية	١٣٧ الإيمان عمل يزيد وينقص
٨٣٧ التصوف ثمرة جميع علوم الشريعة	١٣٥ إيمان الفساق ينقص ولا يزيد
التصوف علم بأصول يعرف بها إصلاح القلب	١٣٦ الإيمان الكامل
٨٣٥ وسائل الخواص	١٣٥ إيمان الملائكة لا يزيد ولا ينقص
٨٣٦ التصوف هو تجريد القلب لله تعالى واحتقار ما سواه	١٣٨ الإيمان هو الصديق
٤٨٠ تطلق هذه الظنية	١٣٦ الإيمان لا يزيد ولا ينقص
تفتح أبواب الجنة للذي يؤدي الصلوات الخمس	١٣٦ الإيمان يزيد ولا ينقص
٦٤٤ ويصوم رمضان ويحسب الكبائر السبع	١٣٤، ١٣٢ الإيمان يزيد وينقص
٦٦٤ تفرج الكرب عن المسلمين	١٣٨، ١٣٥
٧٤٥ تفضيل الغني الشاكر على الفقير الصابر	١٣٥ الإيمان ينقص حتى يدخل صاحبه النار
٩٨ تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق	٧١ أين أبي
تكتب للملائكة على العبد كل شيء حتى أتت به مرضه	حرف الباء
٣٨٩ تلاوة كلامي يتقرب به المتقربون إلي	بشر أحمد بالجنة على بلوى تصيبه في خلق القرآن

الجنة يدخلها سبعون ألفاً من أمة محمد بدون حساب	٦٣٧	تلزم كل أمة بمعبودها يوم القيامة	٣٧٧
الجهاد لم يشرع بغور الإرسال بل بعد الهجرة بسنة	٣٣	التوبة لا تصلح بعد علامات	٧٦٠
جهنم أعلى طبقات النار	٦٨٨	التوبة يضرها الإصرار على المعاصي	٧٦٢
جوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتجزأ	٧٥٣	التوحيد هو العلم بأن الشيء واحد	٣٢، ٢٨
حرف الحاء		التوحيد هو الفن المدون	٢٨
حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا	٦٣٧، ٥٦٠	توسيع القبر للمؤمن	٦١٥
حج آدم موسى	٣٥٦	التوكل على الله بصدق النية	٧٤٤
الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة	٦٥٧	التوكل لا ينافي الكسب	٧٤٧
حسبك من صفية كذا وكذا	٨٠٥	حرف الشاء	
الحسد يأكل الحسنات	٨٢٣	ثاني من يأخذ كتابه يمينه هو أبو سلمة عبد الله	
الحسنة تحسن وجه صاحبها يوم القيامة	٦٤٢	ابن عبد الأسد	٦٦٧
الحسود لا يسود	٨٢٥	ثبات إيمان الملائكة	١٣٥
الحشر عبارة عن سوق الخلق جميعاً إلى الموقف	٦٢٠	ثبت قلبي على دينك	١٢٠
الحطمة من طبقات جهنم	٦٨٨	الثقلين هما الإنس والجن	٢٦
الحقظة يلزمون العبد أبناً	٥٤٦	الثناء هو الإتيان بما يدل على التعظيم	١١
الحق هو الحكم الذي طابق الواقع	٤٠	حرف الجيم	
حكمة قتال الملائكة مع المسلمين	٥٠٠	جاءه جبريل بعد القتال على فرس أحمر عليه درعه	٤٩٩
الحكمة هي الأمر الصائب	٦٨٤	جبريل وميكائيل أفضل الملائكة	٤٥٣
الحلم بحيث لا يستفزك الشيطان ولا الهوى	٨٤٥	الجحيم من طبقات جهنم	٦٨٨
الحوض بين صنعاء والمدينة	٧٠٣	جزاء الحج المبرور الجنة	٦٥٧
الحوض كما بين عدن وعمان	٧٣٠	الجزم بقبول التوبة أم لا ؟	٧٦٥
حوضي مسيرة شهر	٧٠٢	الجسد به روحان	٥٩٠
الحياة القدیمة صفة أزلية تقتضي صحة العلم	١٨٦	الجن لا ثواب لهم	٣٢٧
حرف الخاء		الجن يكونون في رضى الجنة	٣٢٧
خاتم الأنبياء والرسول	٤٦٨، ٤٦٧	الجنة أرضها الإيمان	٨٦٦
خدمة إبليس للشيخ	٥٢١	الجنة أعدت للمتقين	٤٢٥
خراب الكعبة على أيدي الحبشة بعد موت عيسى	٦٦٣	الجنة فوق السموات السبع وتحت العرش	٦٨٧
		جنة الكافر هي الدنيا	٣٣٨

- الذنوب تنقلب إلى كبيرة بالإصرار عليها ٧٥٨
الذنوب الكبيرة ٧٥٧، ٧٥٦
ذو الفقار أحد سيوف النبي ﷺ ٣٨

حرف الراء

- رؤية الله جعلت تقوية للمعرفة الحاصلة في الدنيا ٣٦٣
رؤية النبي ﷺ لربه ٣٨٢
الراجي مع الإصرار على المعصية ٨٥٨
رتبة أهل بدر ٤٩٧
رتبة التاهين تلي رتبة الصحابة ٤٨٨
الرجاء تعلق القلب بمرغوب فيه ٨٥٧
رجله في الميزان أثقل من جبل أحد ٦٧٣
رجوع أهل الأرض كلهم كفارًا ٦٦٣
رسول رب العالمين وخاتم الأنبياء ٤٨٠
رفع القرآن من المصاحف والصدور ٦٦٣
رمي عائشة بالإفك ٥٩٤
الروح بعد الموت على أفنية القبور ٥٩٤
الروح جسم لطيف مشتبك بالبدن ٥٩٤، ٥٨٦
روح الحياة وهي تلك التي تفارق الجسد إذا مات ٥٩٠
الروح ذو جسم ويدين ورجلين وعينين ورأس ٥٩٣
روح البقطة وهي الخاصة بالاستيقاظ والنوم ٥٩٠
الرياء هو ترك العمل لأجل الناس ٨٧٢
الرياء والتسميع محبط للثواب مع صحة العمل ٨٦٨
ريحة (الحوض) أطيب من المسك ٧٠٢

حرف الزاي

- زادني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفًا ٦٣٧
الزبير بن العوام في الجنة ٤٩٦

حرف السين

- سؤال الجن في القبر ٦١٢

خروج الدابة التي تكتب بين عيني المؤمن مؤمنًا

- فيضيء وجهه ٦٦٣
خروج الدجال ٦٦٣
خروج يأجوج ومأجوج ٦٦٣
الخضر يموت عند رفع القرآن ٤٦
الخلافة بعدي ثلاثون ثم تصير ملكًا عضوًا ٤٩١
خلق آدم على صورته ٢٦٥
خلق الله الموت في صورة كبش ٥٦٩
الخلق هم الثقلين ٣٤
خمس رضعات معلومات يحرم ٤٧٦
خير أمتي القرن الذين يلونني ٤٩٠
الخير بيدك والشر ليس إليك ٣٤٩
خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ٤٩٣

حرف الدال

- الداخلون الجنة بغير حساب ٦٦٧
دار الثواب هي الجنة ٦٨٧
دار الجلال من طبقات الجنة ٦٩٠
دار خلود السعيد ٦٩٤
دار خلود الشقي ٦٩٥
دار السلام من طبقات الجنة ٦٩٠
دار العذاب هي النار ٦٨٧
الدعاء بين الصلاتين لا يرد ٨٨٧
الدعاء يتفع بما نزل وما لم ينزل ٥٤١
دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافرًا ٥٤٠
الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ٣٣٨

حرف الذال

- ذكرك أخاك بما يكره هو الغيبة ٨٠٤

السنة كل ما وافق الكتاب والسنة أو الإجماع	٦١١	السؤال عن الإيمان بمحمد ﷺ	٦١١
أو القياس	٨٥٥	سؤال فتنه القبر	٦١١
السؤال يسهل الموت على العبد	٥٧٣	السؤال في القبر	٦٠٧
سورة الزلزلة تعادل نصف القرآن	٥٧٣	سؤال الكافر في القبر صباحا	٦٠٨
سيدنا نوح لم يرسل إلى الجن	٤٦٩	سؤال القبر بلسان عربي	٦٠٨
السيف هو الذي جاء بمشروعية مقاتلة أعداء الله به	٣٧	سؤال المؤمن في القبر سبعة أيام	٦٠٨
سيكون في أمتي أقوام يفلطون فقآءهم بعض		سؤال الميت عن الشهادتين	٦١٠
المسائل	٨٣٠	سؤال الميت ولو تفرقت أعضاؤه	٦٠٩
حرف الشين		سأل رسول الله ﷺ ربه أن يحيي له أبويه فأحياهما	
شئون يديها ولا يتديها	٢١٦	فأما ثم أماتهما	٧٢
الشاهد منكم يبلغ الغائب	٣٤	السائل لك الخضر	٢١٦
الشجاع من يملك نفسه عند الغضب	٨٤٥	السابقون هم أهل بدر	٥٠٧
شدائد الدنيا بما يلزم العبد الشكر عليها	٣٤٢	السابقون هم أهل بيعة الرضوان	٥٠٨
الشمس تدنو من الخلق يوم القيامة	٦٦٠	السابقون هم الذين صلوا إلى القبلتين	٥٠٦
الشمس تطلع من المغرب	٦٦٣	ستنهاء صلاته يوما ما	١٢٨
شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	٦٧٢	سجن المؤمن هو الدنيا	٣٣٨
شهادة الضب بنبوة رسول الله	٤٨٠	سرعة مرور العباد على الصراط متفاوتة	٦٧٧
الشهداء أكمل حياة من غيرهم	٧٢٧	سعد بن أبي وقاص في الجنة	٤٩٦
الشهداء ثلاثة	٧٣٢	سعيد بن زيد في الجنة	٤٩٦
الشهداء لا تأكل الأرض أجسادهم	٦٣٢	السمر من طبقات جهنم	٦٨٨
شهيد الآخرة	٧٣٢، ٧٣١	سقر من طبقات جهنم	٦٨٨
شهيد الحرب شهيد الدنيا والآخرة	٧٣١	السقط يدخل الجنة إذا مات بعد نفخ الروح فيه	٦٢٠
شهيد الدنيا	٧٣٢	السقط يصير ترابا إذا مات قبل نفخ الروح فيه	٦٢٠
الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة	٤٧٦	سلام الله هو تحيته اللائقة به ﷺ بحسب ما	
الشیطان لا يمثل به تعالى	٣٨٦	عنده تعالى	١٩
حرف الصاد		السلام عليك يا رسول الله (حديث تسليم	
الصاحب هو من طالت عشرتك به	٤٦	الحجر عليه ﷺ)	٤٨٠
صادني هذا الأعراي	٤٨٠	السمع حسن الأذن	٢٤٣

حرف الظاء

- ٦٦٣ ظهور الدخان
٦٦٣ ظهور المهدي

حرف العين

- ٤٢ العاقب هو خاتم الرسل
٨١١ العاقل من اشتغل بعبود نفسه
٨٢٠، ٨١٩ العاقل لا يتكبر

العالم حادث وكل حادث لابد له من صانع

- ١٣٩-١٠٤ حكيم متحدث
١٠٤ العالم السفلي هو ما نزل عن الفلكيات
١٠٣ العالم العلوي هو ما ارتفع عن الفلكيات
٥١٤ عالم قريش يملأ طياق الأرض علما
١٠١ العالم متغير وكل متغير حادث
٤٩٦ عبد الرحمن بن عوف في الجنة
٤٩٩ عتاد أهل بدر
٥٠٢ عتبة بن أبي وقاص يكسر رباعية رسول الله ﷺ
٦٥٦ عتقاء الله
٤٩٦ عثمان بن عفان في الجنة
٨١٤ العجب سوء أدب مع الله تعالى

- ٣٥٣ العجز عن الإدراك إدراك
٨١٥ العجب يفسد ثواب العمل

عرفته حين رأيته كما أعرف ابني (الرسول) ... ١١٤

- ٤٨٦ عشر رضعات معلومات يحرم
٤٩٦ علي بن أبي طالب في الجنة
٨٥٣ عليكم هستي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي
٤٩٦ عمر بن الخطاب في الجنة
٥٧٣ العمل الصالح يسهل الموت على العبد
٨٧٢ العمل لأجل الناس شرك خفي

صام رسول الله ﷺ تسع رمضان ١٢٩

صحة المقدم من أمور الدين ٣١

صدق عبدي في كل ما بلغ عني ٤٦٢، ٤٠٩

الصدق هو الحكم الذي طابق الواقع ٤٠

صدقت صدقت ٧٨٤

صعود الرسول إلى السموات السبع ٤٨٢

صف لنا ربك ١٦٦

صل على من علمك ٢١٦

الصلوة على رسول الله في آخر العمل ليس لحتم

العمل وإنما لنيل كرامتها ٨٨٨

الصلوة على رسول الله مقبولة لا مردودة ٨٨٦

صلاته ستهناه يوما ما ١٢٨

الصلاح أعم من الأصالح ٣٣٤

الصلة هي العطية ١٧

الصلوات الخمس تكفر الذنوب ٦٥٤

الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى

رمضان مكفرات لما بينهن إذا اجتنب الكبائر ... ٦٤٨

صوم رمضان يكفر الذنوب ٦٥٤

حرف الضاد

ضرس الكافر في النار مثل أحد ٦٩٨

ضغطة القبر لا ينجو منها أحد ٦١٤

حرف الطاء

طاعة الأمير من طاعة رسول الله ﷺ ٧٨٦

الطامع في الجنة بغير عمل ٨٦٠، ٦١

طلحة في الجنة ٤٩٦

طلوع الشمس من مغربها ٦٦٣

طوبى للمخلصين ٨٦٤

طول الصراط ثلاثة آلاف سنة ٦٧٥

- قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن ٢٦٥
 قوم فصلوا إذا فصلوا ٤٥٩
 قومي فاشكروني لرسول الله ﷺ ٤٨٤

حرف الكاف

- الكاتبون على العباد أعمالهم في الدنيا ٦٨٢
 الكاتبون من صف الملائكة كتابا يوضع تحت العرش ٦٨٢
 الكافر لا يستل إنما يستل المؤمن والمنافق ٦٠٦
 كان رسول الله ﷺ يرسل الناس أولا بالقرآن
 والدعوة للإسلام ٣٩
 كان في من الأنصار يصلي الصلوات مع
 رسول الله ١٢٨
 كان موسى عليه السلام يسد أذنيه عند قدومه
 من المناجاة لئلا يسمع كلام الخلق ٢٠١
 كتاب الكافر أسود ٦٦٩
 كتاب المؤمن أبيض ٦٦٩
 الكعبة يفارقون العبد في ثلاث مواضع ٥٤٦
 كذبت لا تقدر على قتله ٤٨٤
 الكرامة هي الأمر المخارق ٥٣٦
 الكرسي جسم عظيم نوراني تحت العرش ٦٨٠
 كفالك تناشد ربك فإنه سينجز لك ما وعدك ٤٩٩
 كفن الرسول عليه الصلاة والسلام في ثلاث أثواب
 بيض قطن ٧٨٤
 كل آدمي يوكل به عشرين ملكًا حتى يموت ٥٤٨
 كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله ٣
 كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بيسم الله الرحمن الرحيم
 فهو أتم ٣
 كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ٨٥
 كل حرف (من القرآن) خير من محمد

- العمل من كمال الإيمان ١٣٢
 العوام مؤمنون عارفون بربهم ٨٩
 عودة الذنب بنقض التوبة ٧٦٠

حرف الغين

- الغرة هي بياض فوق جبهة الفرس فوق الدرهم ٤٧٩
 غرني كرمك يارب ٨٨٥
 غسلوه وعليه ثيابه ٧٨٤
 غفران الذنوب للمؤمنين ٧٢٠
 غلب أصحابكم فما تنتظرون ٥٠٢
 غمست نار الدنيا في البحر مرتين ٦٨٩

حرف الفاء

- فاطمة بنت أسد تنجو من ضغطة القبر ٦١٤
 فخذ الكافر مثل ورقان ٦٩٨
 الفردوس طبقة من طبقات الجنة ٦٩٠

حرف القاف

- القائم بحقوق الله وحقوق العباد ٨٥٤
 القبر روضة من رياض الجنة ٦١٥
 قتل من جحد أمرًا معلومًا من أدلة ديننا ٧٧٦
 قد أوجب طلحة ٥٠٢
 قد رأيته حين رأيته كما أعرف ابني (الرسول) .. ١١٤
 القدرة متعلقة بجميع الكائنات ٢٢٥
 قدموا إلى الجنة عرضها السموات والأرض ٤٩٩
 القرن يقرن أمة بأمة وعالم بعالم ٤٨٦
 القضيب أحد سيوف رسول الله ﷺ ٢٨
 القطع بقبول التوبة أم لا ؟ ٧٦٤
 القلم جسم عظيم نوراني ٨١
 القلم جسم نوراني ٨٣
 القلم يكتب في اللوح بدون الملائكة ٨٣

٢٧٠	وآل محمد
٤٠٨	كل ذلك لم يكن (حديث ذي اليمين في نسيانه
٥٨٠	في الصلاة)
١٤٢	كل شيء يموت بعد النفخة الأولى
١٤٤	كل قديم أزلي وليس كل أزلي قديم
٧٤٩	كل قديم فهو باق
٨٥٥	كل ما صدق عليه الشيء صدق عليه الموجود ..
٦٨٥	كل ما وافق الكتاب والسنة والإجماع أو القياس فهو سنة ...
٦١٣	كل مخلوق خلق لحكمة وليس لحاجة الله إليه ...
٨٨	كل من لا يستل في القبر لا يعذب
٧٠٠	كل مولود يولد على الفطرة
٥٦٢	كل نبي له حوض وهو قائم على حوضه
٤٩٣	كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل
٤٧٦	كنا نقول ورسول الله ﷺ يسمع [حديث
٧٠٢	تفضيل الأربعة]
٨٦٠، ٦١	كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
٢٦٣	كيزانه (الخوض) أكثر من نجوم السماء
٤٨٠	كيف أجود برحمتي على من بخل علي بطاعتي ..
٨٧٨	كيف يليق بعبوديتك أن تصفه تعالى
٧٨٤	حرف اللام
٤٤٧	لا آمنت به إلا أن يؤمن هذا الضب
٥٤٧	لا أرى ربك إلا يسارع في هواك
٥١٣	لا بد لهذا الأمر من يقوم به
٨٩٣	لا تخيروني على موسى
٧٨٤	لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس
٧٨٤	لا تسبوا أصحابي
٧٨٤	لا تسيدوني في صلاتكم
٧٨٤	لا تغسلوه فإنه طاهر
٤٤٧	لا تفضلوني على الأنبياء
٤٤٧	لا تفضلوني عن يونس بن متى
٧١٤	لا تنال شفاعتي أهل الكبائر من أمتي
٨٢١	لا حسد إلا في اثنتين
٤٩٩	لا غالب لكم اليوم من الناس
٨٠٨	لا غيبة في فاسق
٥٠٣	لا نبرح حتى نناجزهم الحرب
٧٨٤	لا ترك سنة لصوت
٤٨٤	لا والله لا أشكر إلا الله
٤٧٦	لا وصية لوارث
٣٥٩	لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربعة
٤	لا يبدأ الشعر بالبسملة
٦٥٣	لا يتوضأ رجل مسلم فيحسن الوضوء إلا غفر له
٤٣٩	لا نبي بعدي
٨٠٣	لا يدخل الجنة نمام
٥٠٣	لا يدخل مكة هذا العام
٧٨٤	لا يدفن نبي إلا حيث قبض
٦٥٢	لا يسبغ أحد الوضوء إلا غفر له
٥٤١	لا يقني حنر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما لم ينزل
٧١٣	ليبك وسعديك يا زين من وافى القيامة
٦٨٨	لست لها لست لها
٥٥٠	لظي ثاني طبقة علوية من النار
٤٨٤	لعله يستغفر ويتوب
١١٤	لقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً
٨٠٥	لقد عرفته حين رأيته كما أعرف ابني (الرسول)
٥٤٨	لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته
٧٠٠	لكل آدمي عشرة بالليل وعشرة بالنهار
٧٠٠	لكل نبي حوضاً وهو قائم على حوضه

- المؤمنون توزن أعمالهم ٦٧١
 المؤمنون الطائعون يباهي الله بهم الملائكة ٦١٢
 ما احتلم نبي قط ٤٢٢
 ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ٤٠١
 ما أقرب ما يتقرب به المتقربون ٣٨٩
 ما أتل حياء من يطعم في جتي بغير عمل ٨٦٠، ٦١
 ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى ١٩١
 ما تقول في هذا الرجل ٦١١
 ما ذكرت أحدا وقصدت إفحامه ٨٣٢
 ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ٣٤٩
 ما من عيد يؤدي الصلوات الخمس ٦٤٦
 ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة ٦٦٦
 ما من يوم إلا والذي بعده شر منه ٤٨٨
 ماء الحوض أبيض من اللبن ٧٠٢
 للتواضع من عرف الحق ٨٢٠
 مثل هذه الأمة لا يدري أوله خير أو آخره ٤٨٨
 محمد أفضل من كل مخلوق ٢٧٠
 محمد خير الخلق ٤٦٦
 مري ميكائيل وعلى جناحه أثر الغبار ٤٩٩
 مراتب الناس في الحشر متفاوتة ٦٢٢
 مرور العباد على الصراط متفاوت ٦٧٧
 للمصيب بأجرين والخطي بأجر ٥١١
 معرفتي لحمد أشد ١١٤
 معصية الأمير معصيته لرسول الله ﷺ ٧٨٦
 للملائكة تحضر كل قتال من قتال الكفار ٥٠٠
 للملائكة على جانبي الصراط ٦٧٤
 للملائكة لا تدخل بيتا فيه جرس ٥٤٧
 للملائكة لا حفظة عليهم ٥٤٦
- اللطيفة الربانية من حيث التفكير تسمى عقلا ٦٠٤
 لله خواص من عباده ٣٧٦
 لله لوحا أحد وجهيه ياقوتة حمراء والوجه الثاني
 زمردة خضراء ٦٨٣
 لم أزل أنتقل من الأصلاب الطاهرات إلى الأرحام
 الذكيات ٧٢
 لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر ٥٠٠
 لم يحتلم نبي قط ٤٢٢
 لم يقرض الله شيئا أفضل من التوحيد والصلاة ٢٨
 لم تزال هذه الأمة قائمة على أمر الله ٤٧٢
 لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ٧٣٤
 لن يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ٨١٦
 له حوض أبعد من مكة إلى مطلع الشمس ٧٠٤
 لو تركتموها لصلحت فتركوها فشاصت (حديث
 تأخير النخل) ٤٠٩
 لو سلمنا أنك رسول الله ما خاصمتك ٥٠٣
 لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس ٥١٤
 لو لم يقتل المقتول في هذا الوقت لجاز أن يموت ٥٧٦
 لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة ١٣٥
 لولا الشفاعة لجوزنا البقاء ٧١٧
 ليبلغ الشاهد منكم الغائب ٣٤
 ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وتعرض على العبد
 يوم القيامة ٥١٥
 ليس في الإمكان أبدع مما كان ١٠٦
 ليس كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه .. ١٢١
 ليس من الإنسان شيء إلا يلى إلا عظما واحدا ٥٨٤
- حرف الميم**
- المأثور هو أول سيف ملكه رسول الله ﷺ ٣٨

٧٩٨ من قيل له اتق الله فغضب	٦٦٧ الملائكة لا يأخذون صحفا
٦١٧ من نور في مساجد الله نور الله في قبره	٥١٣ من آذاني فقد آذى الله
٣٠٤ من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له	٥١٣ من آذاهم فقد آذاني
٢٦ من يدعوني فأستجيب له	٢٥٤ من آذى مسلما فقد آذاني
٢٦٠ من يسألني فأعطيه	٥١٣ من آذى الله يوشك أن يأخذه
٢٦٤ من يستغفري فأغفر له	٨٧٦ من أطاع أميره فقد أطاعني
٤٨٤ من يعلنني من رجل قد بلغني آذاه في أهل بيتي	٨٦٩ من أعطى غيره شيئا حياء فيه له فيه أجر
٧٨٤ منا أمير ومنكم أمير	٧٤٣ من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة
٨٤٩ المناخل أول شيء أحدثه الناس بعد الرسول	٧٤٣ من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها
٥٥٤ موضع الملكان من العبد	٣٠٤ من أوعده على عمل عقابا فهو بالخيار
حرف النون	
٢٠٠ ناجى الله موسى بمائة ألف وأربعين كلمة	٨٦٩ من تبع جنازة حياء من أهلها له أجر
٦٨٧ النار تحت الأرضين السبع	٦٥٦ من تلا قل هو الله أحد مائة ألف مرة
٦٨٩ نار الدنيا غمست في البحر مرتين	٦٥٣ من توضأ نحو وضوئي هذا ثم قام فركع ركعتين
٤٣٨، ٤٣٧ النبوة ليست مكتوبة	٧٨٤ من ثبت له مثل هذه الفضائل التي لأبي بكر
١٣٤ نحن أحق بالشك من إبراهيم	٥٠٣ من جاء منهم فسيجعل الله له مخرجنا
٤٧٧ النسخ لا يكون إلا إلى بدل	٥٠٣ من ذهب إليهم فأبعده الله
١٠١ النظر هو إدراك الشيء بحاسة البصر والفكر	٦١١ من ربك
٤٨٠ نعم عذبي الله عذاب العشار	٧٩٤ من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
١٣٥ نعم يزيد الإيمان حتى يدخل صاحبه الجنة	٨٠٧ من رد غيبة مسلم رد الله عن وجهه النار
٨٤٩ نعمت البدعة هي (التراويح)	٥١٣ من سب أصحابي فعليه لعنة الله
٣٧٧ نعوذ بالله منك لست ربنا	٧٠٢ من شرب منه فلا يظلم أبدا (الحوض)
٧١٣ نفسي نفسي لا أسأل اليوم غيرها	١٠٢ من عرف نفسه عرف ربه
١٣٤ نقص الإيمان بسبب نقص الطاعة	٧٨٦ من عصي أميري فقد عصاني
٦٠٦ ثم نومة العروس	٨١٣ من غشنا فليس منا
٨٠٢ النسيمة إفشاء السر وهتك الستر	٨٦٣ من فارق الدنيا على الإخلاص لله
٨٠٢ النسيمة نقل كلام الناس	٧٢٣ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة
٧٤١ نهى الرسول عن أكل الجلالة	٤٤٤ من قتل قتيلا فله سلبه
	٥٦٣ من قصر أمله قل همه

- ٤٨٠ يا عباد الله الحشبة نحن إلى رسول الله ﷺ
 ٧١٣ يا محمد ارفع رأسك
 ٤٩٩ يا محمد إن الله بعثني إليك وأمرني ألا أفارقك
 ٤٨٤ يا معشر المسلمين من يعذرني
 ٥٧١ يا ملك الموت أرني كيف تقبض أنفاس الكفار
 ٣٥٦ يا موسى أنت الذي اصطفاك الله بكلامه
 ٤٩٩ يا نبي الله كفك تناشد ربك
 ٦١٢ يا حي الله ملائكتك بالمؤمنين الطائعين
 ٦٣٧ يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب
 ٦٣٧ يدخل الجنة إذا مات بعد نفخ الروح
 ٦١٢ يرفع أقدامنا ويخفض آخرين
 ١٣٥ يزيد الإيمان حتى يدخل صاحبه الجنة
 ٩ يستحب الحمد في ابتداء الكتب المصنفة
 ٦٧٢ يستخلص الله رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق
 ٦١٤ يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تيناً
 ٧١٠ يشفع الله فيمن قال لا إله إلا الله
 ٣٥٩ يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله
 ٦٧٦ يضرب الصراط بين ظهرائي جهنم
 ٣١٠ يعمل أحدكم بعمل أهل النار حتى لا يكون
 ٥٤٦ يفارق الكتبة المبد في ثلاث مواضع
 ٣٧٧ ينادى إذا كان يوم القيامة لتلزم كل أمة معبودها
 ٢٦٤ ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا
 ١٣٥ ينقص الإيمان حتى يدخل صاحبه النار
 ٦١٦ ينور الله قلب معلم العلم ومتعلمه
- ٢٦٥ نهى الرسول عن ضرب الرجل لعبد
 ٤٦٩ نوح لم يرسل إلى الجن
 حروف الهاء
 ٤٩٩ هذا مصرع فلان
 ٣٧٧ هذا مكاننا حتى يأتيانا ربنا
 ٤٧٢ هذه الأمة لن تزال قائمة على أمر الله
 ٦٣٨ هذه سيئاتكم وقد تجاوزت عنها
 ٤٨٠ هذه الظبية أطلقها
 ٨١٣ هلا جعلته من فوق الطعام حتى يراه الناس
 ٨٢٩ هلك المنتطمعون
 ١٢١ هو كما قال لقمان لابنه : يا بني لا تشرك بالله
 حروف الواو
 ٥٠٢ والله لتأتين الناس ونصيب من الغنيمة
 ٦٥٤، ٦٥٢ الوضوء يكفر الذنوب
 ٦٥٣ الوضوء يكفر ما قبله ثم تصير الصلاة نافلة
 ٣١ الوفاء بالعهد من أمور الدين
 ٥٣١ الولي لا تظهر له خوارق
 حروف الياء
 ٣٥٩ يؤمن بالبعث
 ٣٥٩ يؤمن بالقدر خيره وشره
 ٥٧١ يا إبراهيم لا تطيق
 ٣٨٩ يا أحمد بفهم وبغير فهم
 ٥٣٢ يا سارية الجبل

٣ - فهرس الأعلام

العلم	رقم الفقرة
آدم عليه السلام	٤٠٦، ٣٩١، ١٦٢، ٧٠، ٢٨
آسية بنت مزاحم	٧١٣، ٧٠٧، ٦٨٧، ٥٩٤، ٤٥٠
آصف	٢٣
الأمدي = علي بن أبي علي	٥٣١
إبراهيم عليه السلام	٨٠٠، ٥٢٤، ٨٧
إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني	٤٦٣، ٤٦١، ٤٥٠، ٢٩٣، ١٣٤
إبراهيم بن خالد أبو ثور	٤٤٦، ٢٩٤، ١٦٨، ١٣٤، ٢
إبراهيم الدسوقي = إبراهيم بن أبي المجد بن قريش	٥١٧
إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي	٣١٩
إبراهيم اللقاني = إبراهيم بن حسن	٦٠٢
إبراهيم بن أبي المجد الدسوقي	٤٤٦، ٢٩٤، ١٦٨، ١٣٤، ٢
إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الإسفرائيني	٣١٩
إبراهيم بن محمد البيجوري	٥٦٨، ١٧٢، ٩٩، ٥٥
إبليس لعنه الله	٨٩٨، ٢
أبي بن خلف الأبي = محمد بن خلف	٥٢١، ٥٠٢، ٤٩٩، ٣٤٨، ١٧٠
الأجهوري = عبد البر الأجهوري	٨٢٧، ٨١٨، ٧٨٤، ٦١١
أحمد بن محمد السجاعي	٥٠٢
أحمد بن أحمد بن عيسى زروق	٣٥٨، ١٣٤
أحمد بن إدريس القرافي	٤٤
أحمد بن حنبل = أحمد بن محمد بن حنبل	٨١١
أحمد زروق = أحمد بن محمد بن عيسى	٧٩٩، ٦٧٤، ١٩٣
أحمد بن سليمان بن كمال باشا	٢٣٨٩، ٢٦٨، ١٩٧
أحمد عبد الفتاح بن يوسف الملوي	٦٥٣، ٥١٧، ٥١٥
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني	٨١١
أحمد بن غنيم بن سالم النفراوي	١٢٧
أحمد بن محمد بن حنبل	١٨٣، ٧١، ٦٢، ٣٤، ٣٣
أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي	٢٤٦، ١٩٣
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	٣٣٨
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	٢٥١
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	٦٥٣، ٥١٧، ٥١٥، ٣٨٩، ٢٦٨، ١٩٧
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	٦٠٧، ٤٤٦، ١١٧، ٨٨، ٢٦
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	٨٠٦، ٧٥٨
أحمد بن محمد بن علي الغنيمي	١٥٠

٢٥٧	أحمد بن محمد الشمني
٢٥١	أحمد النفراوي = أحمد بن غنيم بن سالم
٣٥٥، ٥٦	أحمد بن موسى الخيالي
١٨٩	الأخطل = غياث بن غوث
١٧٠، ١١٥	إدريس <small>عليه السلام</small>
٢١٤	أسامة بن زيد
٥٠٨، ١٧٢، ٩٩، ٥٥	أبو إسحاق الإسفراييني = إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
٥١	إسحاق بن راهويه
٥٧، ١١٥	إسرافيل <small>عليه السلام</small>
٥٦، ١٧٢، ٩٩، ٥٥	الإسفراييني = إبراهيم بن محمد بن إبراهيم
٣٧٦	إسماعيل <small>عليه السلام</small>
١٧٢	إسماعيل بن عباد بن العباس
٥٨٣	إسماعيل بن يحيى المزني
٦٦٧	الأسود بن عبد الأسد
٢٩٥، ٦٩، ١٤٠، ٩٩، ٢٨	الأشعري = علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري
٥٦٨، ٢٣، ٥١٥، ٣٨٤، ٣٣٦	
٧٦٤، ٧	٢، ٧٥١، ٦٣٣
٤٩	الأشعموني
٥٩٣	أصبغ بن الفرج
٤٦، ٤٢	إلياس <small>عليه السلام</small>
٣٤٢، ٥٥، ١٣٧، ٩٩، ٧٩	إمام الحرمين = عبد الملك بن عبد الله بن يوسف
٧٩١، ١٠٥، ٦٠١، ٥٩٤، ٥١٥، ٣٥١	
٢٨٥، ٢٠٢، ٢٥٠، ٢٤٧، ١٤٤	الأمير = محمد بن أحمد بن أحمد الأمير
٤٩٩	أمية بن خلف
٨٦٣، ٦٠٦، ٥٤٠، ٤٨٠	أنس بن مالك
٥١٥	الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمر الأوزاعي
٤٨٩	أويس القرني
٤٢٣، ٢٣	أيوب <small>عليه السلام</small>
٧٦٥، ٢٠٢، ٢٠٥، ٩٩	الباقلاني = محمد بن الطيب
٢٦٨	البخاري = محمد بن إسماعيل البخاري
٦١	البدر = محمد بن إبراهيم بن جماعة
٢٢٤	البراوي = عيسى بن أحمد بن عيسى
٦٠٦	بشير الملائكة (من الملائكة)
٧٦٥، ٢٠٢، ٢٠٥، ٩٩	أبو بكر الباقلاني = محمد بن الطيب
٣	أبو بكر التونسي

- ابن الحاجب = عثمان بن عمر بن أبي بكر ٥٢٤
- ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٣٨
- ابن حجر الهيتمي = أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي ٦٠٧، ٤٤٦، ١١٧، ٨٨، ٢٦
- ٨٠٦، ٧٥٨
- ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد ٥١٥، ١٧٠
- الحسن البصري ٨٦٩، ٧٠٠، ٦٨٠، ٣٧٦
- الحسن بن علي بن أبي طالب ٤٩٢
- الحسن بن مسعود البوسي ٢٤٠، ١٤٤، ٨٦، ٢٩
- الحسين بن الحسن بن محمد الحلبي ٦٧٤، ٦٠٩، ٥٣٧، ٤٥٤
- الحسين بن علي بن أبي طالب ٤٩٦
- الحسين بن محمد بن عبد الله النجار الرازي ١٧١
- الحسين بن منصور الحلاج ١٤٠
- حفصة بنت سيرين ٤٨٩
- الحلاج = الحسين بن منصور ١٤٠
- الجلي = علي بن إبراهيم الحلبي ٣٣، ٢٠
- الحليمي = الحسين بن الحسن بن محمد ٦٧٤، ٦٠٩، ٥٣٧، ٤٥٤
- حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي ١٣٦
- ابن حنبل = أحمد بن محمد بن حنبل ٥١٧، ٥١٥، ٣٨٩، ٢٦٨، ١٩١
- ٦٥٣
- أبو حنيفة = النعمان بن ثابت ٥١٥، ٣١١، ١٣٦، ١٢٢، ٧٢
- ٨٢٦، ٥١٦
- حواء ٦٨٧، ٢٣
- الخدري = سعيد بن مالك أبو سعيد الخدري ٧٩٤، ٦١٤، ٢٨
- الخضر ^{عليه السلام} ٧٨٤، ٢٩٣، ١١٥، ٤٦، ٤٢
- ابن خطاب الأسدي = عزيز بن عبد الملك بن محمد ٤٩٤
- الخطيب = محمد بن أحمد ١٥٤
- الخيالي = أحمد بن موسى الخيالي ٣٥٥، ٥٦
- داود بن علي بن خلف الظاهري ٥١٥
- ذو القرنين ١١٥
- ذو النورين = عثمان بن عفان ٤٩٦، ٤٩٤، ٤٩٢، ٤٨٠
- ٦٥١، ٥٤١، ٥٠٨، ٥٠٣
- ذو اليدين ٤٠٨
- الرازي = محمد بن عمر بن الحسن ٧٥٢، ١٥١، ١٤١، ١٣٧
- الرافعي = عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم ٨٠٨
- بن راهويه = إسحاق بن راهويه ٥١٥

١١٥	رضوان خازن الجنة
١١٥	رقيب
٥٠٩،٥٠٨	رقية بنت رسول الله ﷺ
١٣٤	رمضان بن عبد الحق العكاري
٦٠٦	الرملي = محمد بن أحمد بن حمزة رومان
٤٩٩،٤٩٦	الزبير بن العوام
٦٧٤	الزركشي = محمد بن بهادر بن عبد الله
٥٣٠	زكريا <small>عليه السلام</small>
٥٩٩،٦٦٠،٣٢٠،٢٧٠،٢١	زكريا الأنصاري شيخ الإسلام
٥٦٨،٤٤٧،٣٦٧،٢٦٣،٤١٠،١١	الزخشري = محمد بن عمر بن محمد
٤٩٦	الزهراء = فاطمة الزهراء
١١٧	الزيادي = علي بن يحيى الزيادي
٤١٤	زيد بن حارثة
٤١٤	زين العابدين = علي بن الحسين
٤١٤	زينب بنت جحش
٤٤	السجاعي = أحمد بن أحمد بن محمد
٢٢٢،١٩٧،١٩٥،١٥٤،١١٤	السعد = مسعود بن عمر التفتازاني
٤٦٣،٤٥٥،٣٦٣،٣٥٥،٢٤٠	
٨٩٧،٨٠٠،٧٥٢،٤٩٤	
٤٨٤	سعد بن عبادة
٧٩٤،٦١٤،٢٨	سعيد بن مالك أبو سعيد الخدري
٦١٤،٤٩٩،٤٨٤	سعد بن معاذ
٤٩٦	سعد بن أبي وقاص
٧٩٤،٦١٤،٢٨	أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك
٤٩٦	سعيد بن زيد
٥٠١	أبو سفيان = صخر بن حرب
٥١٥	سفيان الثوري
٥١٥	سفيان بن عيينة
١٦٨	السكتاني = عيسى بن عبد الرحمن
٦٦٧	أبو سلمة بن عبد الأسد = عبد الله بن عبد الأسد
٥٠٢،٤٨٣	ابن سلول = عبد الله بن أبي بن سلول
٦٦١	سليم بن عامر
٦٥٤	سليم بن عامر
٥٣١،٤٦٩	سليمان <small>عليه السلام</small>
٧٧٤	سليمان الخواص

- ٣٣١ سليمان بن علي بن عفيف الدين التلمساني
 ٣٩٥،٢١٩ السمرقندي = محمد بن عبد الحميد
 ١٧٠،١١٠،٨٥،٨٢،٥١،١٩ السنوسي = محمد بن يوسف بن عمر
 ١٩٦،١٩٤،١٩٢،١٨٦،١٧٨
 ٢٨٩،٢٨٣،٢٤٠،٢٢٢،٢٠٩
 ٧٦٨،٥٧٣،٤٣١،٤١٤،٢٩٣
 ٢٣١ أبو سهل الصعلوكي = محمد بن سليمان الصعلوكي
 ٨٣٨،٥٩٠ سهل بن عبد الله التستري
 ٧٢ السهيلي = عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد
 ٨٦٩،١٦٩ ابن سيرين = محمد بن سيرين
 ٣٧٦،٣٧٥،٣٢٧،٩٩،٧٢،٤٩ السيوطي = عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
 ٦١٢،٦٠٩،٥٩٩،٥٨٧،٤٩٢
 ٨٩٣،٧١٣
 ٤٤٦،٢٩٤،١٦٨،١٣٤،٢ شارح الوسطى = إبراهيم بن إبراهيم اللقاني
 ٤ الشاطبي = القاسم بن فيرة الشاطبي
 ٣٤٨،٣١١،٢٦٩،٢٦٨،٢١٦ الشافعي = محمد بن إدريس الشافعي
 ٥١٥،٥١٤،٤٧٧،٣٦٢،٣٥٤
 ٨٣٢،٧٣٧،٥٢٤،٥١٧
 ١٢٧ الشبراملسي = علي بن علي
 ٢١٦ ابن الشجري = هبة الله بن علي
 ١٠٢ الشريف المقدسي = عبد السلام بن أحمد بن غاثم
 ٥٠٨،٢٦٨ الشعبي = عامر بن شراحيل
 ٦٢٣،٥٢٩،٤٤٥،١٦٩،٥٩ الشعراتي = عبد الوهاب بن محمد
 ٨٣٧،٦٧٦
 ٤٢٣،١٥ شعيب ^{عليه السلام}
 ٤٠٦ شعيب بن الحسن
 ٧٨٤ شقران مولي النبي ^{صلى الله عليه وسلم}
 ٣٩٥،٢١٩ الشمس السمرقندي = محمد بن عبد الحميد
 ٢٤٧ الشمتي = أحمد بن محمد بن أحمد
 ٢٣٢،٢٢٤،١١٣،٥٥،٢٧ الشنواني = معمر بن علي بن منصور
 ٨٠٠،٧٨٤،٢٨٥
 ٥٩٩،٦٦،٣٢،٢٧،٢١ شيخ الإسلام = زكريا بن محمد الأنصاري
 ٥٢٧،١٦٩ شيخنا = محمد بن شافعي الفضالي
 ٦٠٢ الشيرازي = إبراهيم بن علي بن يوسف
 ٢٥١ صاحب بدء الأمالي = علي بن عثمان الأوش الفرغاني

حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ٣٨٥

١٧٢	الصاحب بن عباد = إسماعيل بن عباد
٨٠٦	صاحب العدة
٣٧٦، ١١٥	صالح ^(عليه السلام)
١١١	الصالحى المعتزلى أبو الحسين
٣٥٩	الصبان = محمد بن على أبو العرفان
٥٠١	صخر بن حرب أبو سفيان
٤٨٤، ٤٨٠، ٤٥٩، ٣٥٠، ٣٥	الصدىق الأكبر = عبد الله بن عثمان أبو بكر الصدىق
٦٦٧، ٦٢١، ٤٩٣، ٤٩٢	
٧٨٤، ٧٨٠، ٦٨٤	
٤٨٤	صفوان بن المعطل
٧٥٣، ٤٨٩	ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن
١٧١	ضرار بن عمرو المعتزلى
٤٩٦	طلحة بن عبيد الله
٣٧٦، ٣٦٤	طيفور بن عيسى أبو يزيد البسطامى
٤٨٣، ٤٠١، ٣٨٣، ١٩١، ٧٢	عائشة أم المؤمنين
٨٧٨، ٨٠٥، ٤٨٤	
٤٩٦	عامر بن الجراح أبو عبيدة
٥٠٨، ٢٦٨	عامر بن شراحيل الشعمى
١٧٢	ابن عباد = إسماعيل بن عباد بن العباس
٥٥٥، ٥٤٦، ٥١٤، ٤٩٤، ٣٨٣	ابن عباس = عبد الله بن عباس
٦٩٠، ٦٣٨، ٦١٠، ٥٨٧، ٥٧١	
٧٨٤، ٤٩٤	العباس بن عبد المطلب
٥٠٢، ٤٨٣	عبد الله بن أبي ابن سلول
٥٧٨، ١٧٥، ١٧١	عبد الله بن أحمد الكعمى
٥٠٢	عبد الله بن جبير
٤٦	عبد الله بن خطل
٤٦	عبد الله بن أبي سرح
١١٤	عبد الله بن سلام
٥٣٣	عبد الله بن شقيق
٥٥٥، ٥٤٦، ٥١٤، ٤٩٤، ٣٨٣	عبد الله بن عباس
٦٩٠، ٦٣٨، ٦١٠، ٥٨٧، ٥٧١	
٦٦٧	عبد الله بن الأسد أبو سلمة
٤٨٤، ٤٨٠، ٤٥٩، ٣٥٠، ١٣٥	عبد الله بن عثمان أبو بكر الصدىق
٦٨٤، ٦٦٧، ٦٢١، ٤٩٣، ٤٩٢	
٧٨٤، ٧٨٠	

٧٤١،٤٩٣،١٣٥	عبد الله بن عمر
٧٠٢،٦٧٢	عبد الله بن عمرو بن العاص
٥٠٦	عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري
٦١٣	عبد الله بن كرام
٨٥٩،٨١٠	عبد الله بن المبارك
٧٩٧،٧٣٤،٦٧٣،٥٧١،٤٨٠	عبد الله بن مسعود
٥٨٣	عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٤٦	عبد الله بن أم مكتوم
٢١	عبد الله بن يوسف أحمد بن هشام
٧٤٩،٤٥	عبد الله بن يوسف بن محمد
٣٥٨،١٣٤	عبد الله الأجهوري
٦٠٦،٢٧	ابن عبد البر = يوسف بن عبد الله بن محمد
٦٩١،٦٨٧،١٧٢	عبد الجبار القاضي
٥٤٨	عبد الحق بن غالب بن عطية
٤٩٢،٣٧٦،٣٢٧،٧٢،٤٩	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي
٤٦١٢،٦٠٩،٦٠٨،٥٩٩،٥٨٧	
٨٩٣،٧١٣	
٧٢	عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي
٨٥٨	عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
٥١٥	عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي
٤٩٦	عبد الرحمن بن عرف
٥٩٣	عبد الرحمن بن القاسم
٥٩٣	عبد الرحيم بن خالد
٧٤٦	عبد الرحيم بن عبد الكريم
٤٤٧	عبد الرزاق
٢١٠،١٤٧،٨٥،٧٣،٥٦،٢	عبد السلام بن إبراهيم اللقاني
٧٢٥،٦٦٩،٢٣٣	
١٠٢	عبد السلام بن أحمد بن غانم المقدسي
٣٦٠،٣٣٦،١٧١،٩٩،٨٧	عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي
٦٩١،٦٨٧	
٨٣٩	عبد الغني النابلسي
٨٠٦	عبد الكريم بن محمد الرافعي
١٥٤	عبد اللطيف الكرمانلي
٤٥	عبد المطلب بن هاشم
٣٥١،٣٤٢،١٣٧،٩٩،٧٩	عبد الملك بن عبد الله الجويني

حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد ٣٨٧

- ٧٩١،٧٦٥،٦٠١،٥٩٤،٥١٥
 عبد الوهاب بن أحمد الشعراني ٥٢٩،٤٤٧،٢٦٥،١٦٩،٥٩
 ٨٣٧،٦٧٦،٦٢٣
 عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ٥٨١،٥٢٤،٤٥٦،٤٤٥،٩٠،٢٦
 أبو عبيد بن الجراح = عامر بن الجراح ٤٩٦
 عتبة بن ربيعة ٤٩٩
 عتبة بن أبي وقاص ٥٠٢
 عتيد ١١٥
 عثمان بن عبد الرحمن ٧٤٩،٤٨٩
 عثمان بن عفان ٤٩٦،٤٩٤،٤٩٣،٤٩٢،٤٨٠
 ٦٥١،٥٤٨،٥٠٩،٥٠٨،٥٠٣
 عثمان بن عمر بن بكر الحاجب ٥٢٤
 العدوي = علي بن أحمد بن مكرم ١٤٧
 ابن العربي = محمد بن عبد الله ٢٤٦
 ابن عرفة المالكي = محمد بن محمد بن عرفة الورعني ١١٧
 عروة بن الزبير ٧٢
 العز بن عبد السلام ٦٦٩،٤٣
 عزرائيل ^{عليه السلام} ٥٧٠،١١٥
 عزيز ^{عليه السلام} ١١٥
 عزيز بن عبد الملك بن محمد الأمدي ٤٩٤
 ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن عطية ٥٤٨
 العسقلاني = أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٣٨
 عفيف الدين الزاهد = سليمان بن علي بن عبد الله ٣٣١
 العكاري = رمضان بن عبد الحق ١٣٤
 عكاشة بن محصن ٣٨
 عكرمة مولى بن عباس ٦١١
 علاء الدين تلميذ السعد = محمد بن محمد بن محمد ١٥٤
 علي بن إبراهيم الحلبي ٣٣،٢٠
 علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ٥١٥،١٧٠
 علي بن أحمد بن مكرم العدوي ١٤٧
 علي بن إسماعيل أبو الحسن الأشعري ٢٩٥،١٦٩،١٤١،١٤٠،٩٩،٢٨
 ٥٦٨،٥٢٣،٥١٥،٣٨٤،٣٣٦
 ٧٦٤،٧٥٢،٧٥١،٦٣٣
 علي بن الحسين زين العابدين ٤١٤
 علي الخواص ٢٦٦،٢٧

علي بن أبي طالب	٤٩٦،٤٩٤،٤٩٣،٤٩٢،٣٥٩
٧٨٤،٥٠٨،٥٠٣	
علي بن عثمان الأوش صاحب بدء الأمالي	٢٥١
علي بن أبي علي الأمدى	٨٠٠،٥٢٤،٨٧
علي بن علي الشبراملسي	١٢٧
علي بن محمد بن حبيب الماوردي	٦٦٧
علي وفا	٣٨٣،٢٥٠،١٣٤
علي بن يحيى الزياتي	١١٧
ابن عمر = عبد الله بن عمر	٧٤١،٤٩٣،١٣٥
عمر بن الخطاب	٤٩٤،٤٩٣،٤٩٢،٤٨٠،٤٥٩
٦٦٧،٦١٧،٥٣٢،٥٠٨،٤٩٦	
٨٤٩،٧٨٤،٧٨٠	
عمر بن رسلان البلقيني	٤٢٣
عمر بن علي بن مرشد	٦٩٧،٣٨٥
عمر بن محمد النسفي	٧٣٢
عمرو بن بحر محبوب الجاحظ	٧٨٣
عمرو بن هشام أبو جهل	٤٩٩،٢٢٦،١٢
عياض القاضي	٤٨١،٣٨٦
عيسى بن دينار	٢٦٨
عيسى بن عبد الرحمن السكتاني	١٦٨
عيسى ابن مريم	٤٥٠،١٦٢،٤٦٤،٤٢٤،٢٧
٧٠٤،٦٦٣،٥٣٠،٤٦٧،٤٦١	
٨٩٧	
الغزالي = محمد بن محمد بن محمد الغزالي	٤٢٣،٢٦٣،٢٥٢،١٠٦
٧٤٦،٦٠٥	
الغنيمي = أحمد بن محمد بن علي	١٥٠
غياث بن عوف الأخطل	١٨٩
ابن الفارض = عمر بن علي بن مرشد	٣٨٥،٢٩٧
فاطمة الزهراء	٤٩٦
فاطمة بنت أمد	٦١٤
فرعون	١٩٠،٧٢
الفضالي = محمد شافعي الشافعي	٥٢٧،١٦٩
الفضل بن عباس	٧٨٤
الفضيل بن عياض	٨٧٢
الفهري	١٤٤

٣٨٩ حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد

٥٩٣	ابن القاسم = عبد الرحمن بن القاسم
٤	القاسم بن فيرة الشاطبي
٤٨٠	قتادة الصحابي
٥٨٣	ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم بن قتيبة
٧٨٤	قثم بن عباس
٧٩٩، ٦٧٤، ١٩٣	القرافي = أحمد بن إدريس
٧٤٦	القشيري = عبد الرحيم بن عبد الكريم
٢٠٠	القضاعي
٣٨٥	القنوي
٦١٣، ١٣٤	ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب
٦١٣	ابن كرام = عبد الله بن كرام
٤٢٦	الكرخي = معروف الكرخي
٥٧٨، ١٧٥، ١٧١	الكمبي = عبد الله بن أحمد
٥٠٩	أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ
١٢٧	ابن الكمال = أحمد بن سليمان
٤٤٦، ٢٩٤، ١٦٨، ١٣٤، ٢	اللقاني = إبراهيم بن إبراهيم بن حسن
١٢١، ١١٥، ٢٣	لقمان الحكيم
٥١٥	الليث بن سعد
٤٦٥	ماروت
٤٨٦	المازني = بكر بن محمد
٨١، ٦٢	ابن مالك = محمد عبد الله بن مالك
٥١٤، ٤٩٤، ٣٦١، ٣١١، ٢٦٢	مالك بن أنس
٦٠٥، ٥٩٥، ٥٥٨، ٥٢٣	
١١٥	مالك خازن النار
٦٦٧	الماوردي = علي بن محمد بن حبيب
٨٥٩، ٨١٠	ابن المبارك = عبد الله بن المبارك
٦٠٦	مبشر
٥٥٤	مجاهد بن جبر
٢٢٢	محمد بن إبراهيم بن سعد
٦١	محمد بن أحمد الخطيب
١٥٤	محمد بن أحمد بن رشد
٣٤٨، ٣١١، ٢٦٩، ٢٦٨، ٢١٦	محمد بن إدريس الشافعي
٥١٤، ٥١٥، ٤٧٧، ٣٦٢، ٣٥٤	
٨٣٢، ٧٣٧، ٥٢٤، ٥١٧	
٢٦٨	محمد بن إسماعيل البخاري

٦١٣، ١٣٤	محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية
٢٧٢	محمد البلخي
٦٧٤	محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي
٣٥١، ٣٤٢، ٢٠٥، ١٣٧، ٩٩، ٧٩	أبو محمد الجويني = عبد الله بن يوسف بن محمد
٧٩١، ٧٦٥، ٦٠١، ٥٩٤، ٥١٥	
٥٤٨، ١١٧، ٧١	محمد بن خلفه الأبي
٢٣١	محمد بن سليمان الصعلوكي
٨٦٩	محمد بن سيرين
٥٢٧، ١٦٩	محمد بن شافعي الفضالي
٧٦٥، ٢٥٢، ٢٠٥، ٩٩	محمد بن الطيب أبو بكر الباقلائي
٢٤٦	محمد بن عبد الله العربي
٨١، ٦٢	محمد بن عبد الله بن مالك
٨٠٨	محمد بن عبد المنعم الجوري
٣٥٩	محمد بن علي الصبان
٢٣٣، ٢٢٤، ١١٣، ٥٥، ٢٧	محمد بن منصور الشنواني
٨٠٠، ٧٨٤	
٧٥٢، ١٥١، ١٤١، ١٣٧	محمد بن عمر بن الحسن الرازي
٥٠٧	محمد بن كعب القرظي
٢٨٥، ٢٧٠، ٢٥٠، ٢٤٧، ١٤٤	محمد بن محمد بن أحمد الأمير
١١٧	محمد بن محمد بن عرفة
٦٠٥، ٤٢٣، ٢٦٣، ٢٥٢، ١٠٦	محمد بن محمد الغزالي
٨٠٧، ٨٠١، ٧٩٢، ٧٤٨، ٧٤٦	
٨٣٦	
٨٤٠	محمد بن محمد بن محمد بن الحاج
١٥٤	محمد بن محمد بن محمد علاء الدين تلميذ السعد
٣٦٨	محمد بن محمد بن محمد بن الحسن البليدي
٥١٥، ٨٩، ٢٨	محمد بن محمد بن محمود الماتريدي
٥٧٨	محمد بن الهذيل بن عبد الله
١٧٨، ١٧٠، ١١٠، ٨٥، ٥١، ١٩	محمد بن يوسف بن عمر السنوسي
٢٠٩، ١٩٦، ١٩٤، ١٩٢، ١٨٦	
٢٩٣، ٢٨٩، ٢٨٣، ٢٤٠، ٢٢٢	
٧٦٨، ٥٧٣، ٤٣١، ٤١٤	
٥٦٨، ٤٤٧، ٣٦٧، ٢٦٣، ٤١، ١١	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري
٢٤٦	محيي الدين = ابن العربي
٤٠٦	أبو مدين = شعيب بن الحسن

حاشية البيجوري على جوهره التوحيد ٣٩١

٥٣٠،٢٣	مريم <small>عليها السلام</small>
٤٨٤	مسطح بن أثانة
٧٩٧،٧٣٤،٧٦٣،٥٧١،٤٨٠	ابن مسعود = عبد الله بن مسعود
٢٢٢،١٩٧،١٩٥،١٥٤،١٤٠	مسعود بن عمر التفتازاني
٤٦٣،٤٥٥،٣٦٣،٣٥٥،٢٤٠	
٨٩٧،٨٠٠،٧٥٢،٤٩٤	
٤٦٣	مسيلمة الكذاب
٢٠٨	مظفر بن عبد الله بن علي المقترح
٥١١،٤٨٦	معاوية بن أبي سفيان
٤٢٦	معروف الكرخي
٣٨٣	معمر بن راشد
٢٠٨	المقترح = مظفر بن عبد الله بن علي
٤٩٩	المقداد بن الأسود
١٠٢	المقدسي = عبد السلام بن أحمد بن غاتم المقدسي
٤٦	ابن أم مكتوم = عبد الله بن أم مكتوم
١٨٣،١٤٩،٧١،٦٢،٣٤،٣٣	الملوي = أحمد بن عبد الفتاح بن يوسف
٢٤٦،١٩٣	
٥١٥،٨٩،٢٨	أبو منصور الماتريدي = محمد بن محمد بن محمود
٦٠٩،٦٠٦،١١٥	منكر
٣٧٩،٢٠١،٢٠٠،١٩٩،١٩٥	موسى <small>عليه السلام</small>
٦١٦،٥٨٠،٤٦١،٤٤٧	
٢٣	أم موسى النبي = يوحاند
٥٠٦	أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس
٤٧٥	أبو موسى الأصفهاني
٤٨٢،٤٦١،٤٥٩،٤٥٢،١١٥	ميكائيل <small>عليه السلام</small>
٦٧٦،٦٧٠،٤٩٩	
٦٠٦	ناكور
٧٣٢	النسفي = عمر بن محمد
٥١٥،٣١١،٣٦،١٢٢،٧٢	النعمان بن ثابت أبو حنيفة
٨٢٦،٥١٦	
٦٠٩،٦٠٦،١١٥	نكير
٦٢١،٤٦٩،٤٦١،٤٤٧،٤١٠	نوح <small>عليه السلام</small>
٨٢٧،٧١٣	
٤٢٢،٢٨٤،١١٧،٧١،٣١،٩٤٧	النوي (يحيى بن شرف)
٨٠٠،٧٥٧،٥٩٤،٥٧٢،٤٨٩	

٨٠٥،٨٠٣،٨٠٢	هاروت
٤٦٥	أبو هاشم الجبائي = عبد السلام بن محمد بن عبد الرهاب
٣٦٠،٣٣٦،١٧١،٩٩،٨٧	٦٩١،٦٨٧
٢١٦	هبة الله بن علي بن الشجري
٥٧٨	أبو الهذيل = محمد بن الهذيل بن عبد الله
٢١	ابن هشام = عبد الله بن يوسف بن أحمد
٢١	هشام بن عبد الملك
١١٥	هود عليه السلام
٥٠٢	وحشي قاتل حمزة
١١٧	ابن وفا = علي وفا
٤٦٨	يافث بن نوح
٢٧	يحيى عليه السلام
١٦٨،١٥٢،١٤٩	يحيى الشاوي
٣٧٦،٣٦٤	أبو يزيد البسطامي = طيفور بن عيسى
٤١٧،٢٣	يعقوب عليه السلام
٢٣	يوحاند أم موسى النبي
٤٠٦	يوسف عليه السلام
٦٠٦،٢٧	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر
٢٤٠،١٤٤،٨٦،٢٩	البوسي = الحسن بن مسعود
٤٢٥،١١٥	يوشع بن نون

٤ - فهرس الكتب

الكتاب	رقم الفقرة	الكتاب	رقم الفقرة
الإتقان للسيوطي	٩٩	شرح الصغرى للسنوسي	٢٠٩، ١٧٠
إحياء علوم الدين للغزالي	٧٤٦	الشرح الصغير	٣٩٤، ٢٥٢، ٢١٩
الإنجيل	٢٦٨	شرح ابن عبد السلام حاشية الشنواني	٢٣٣
أوراد سيدي أحمد زروق	٨١١	شرح الكبرى للسنوسي	٨٥٤، ٥١
بدء الأمالي للأوش	٢٥١	شرح مسلم	٧١
التمهيد لابن عبد البر	٦٠٦	شرح المنهاج	٢٦
تفسير الخطيب	٦١	صحيح البخاري	٣
التوراة	٢٦٨	العدة	٨٠٦
جمع الجوامع لعبد السلام	٧٣	عروس الأفراح للسبكي	٤٤٥
جوهرة التوحيد	٢	الفتوحات لابن عربي	٤٤٧
حاشية الشنواني	٨٠٠، ٧٨٤، ٢٣٣	الفقه الأكبر لأبي حنيفة	٧٢
حواشي البيضاوي	٢٧	الكبرى للمكاري	١٤٣
الخرزجية	٢١	الكبير	٥٩٨
الدرر النظيم للسبكي	٥٨١	الكشاف للزمخشري	٣٦٧
رسالة الشيخ الفضالي المسماة بكتابة العلوم	١٦٩	المدخل لابن الحاج	٨٤٠
الرسالة للقشيري	٧٤٦	مغني ابن هشام	٢١
رسالة للشيخ الفضالي شيخ المصنف في التقليد	٥٢٧	مفاتيح الخزان العلمية	١٣٤
الزبور	٢٦٨	مفاتيح الكنوز وحل الرموز للشراف المقدسي	١٠٢
السيرة للحلي	٣٣، ٢٠	منظومة الصبان	٣٥٩
شرح الأربعين النووية لابن حجر	٧٥٨	الموضوعات لابن الجوزي	٢٧
شرح البخاري	٣٧٨	هداية المريد	٥٩٨
شرح الجزائرية لعبد السلام اللقاني	١٩	ممع الهوامع للسيوطي	٤٩
شرح الرسالة القشيرية	٦٦	اليواقيت للشعراني	٧٢٣، ٤٠٦، ٢٥٠، ١٨٣، ١٦٩
شرح الشمائل لابن حجر الهيتمي	٨٠٦		

٥ فهرس الغزوات

رقم الفقرة	الغزوة
٥٠٢، ٤٨٠	غزوة أحد
٤٩٧	غزوة بدر
٤٨٤	غزوة المريسيع
٤٨٤	غزوة بني المصطلق

٦ فهرس الحيوانات

رقم الفقرة	الحيوان
٣٧٥	كباش إسماعيل
٣٧٥	ناقة صالح
١٧٣	هدهد سليمان

٧ فهرس الأماكن

رقم الفقرة	المكان
٥٠٢	أحد
٤٨٤	أظفار
٥٩٤	بئر برهوت
٥٩٤	بئر زمزم
٥٤٣، ٤٩٩، ٤٩٨، ٤٩٧، ٣٨	بدر
١٧١	بولاق
٥٩٤	الحامية بالشام
٥٠٣	الحديبية
٥٩٤	حضر موت
٥٠٢	سيخة أحد
١٧١	مصر

٨ فهرس الأشعار

البيت	الفقرة
ما حيلة العبد والأقدار جارية	٣٢١ عليه في كل حال أيها الرائي
ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له	٣٢١ إياك أن تبطل بالماء
إن حفه اللطف لم يمسه من بلل	٣٢١ ولم يبال بتكتيف والقاء
وإن يكن قدر المولى بغرقته	٣٢١ فهو الغريق ولو ألقى بصحراء
ألا قل لمن بات لي حاسدًا	٨٢٤ أتدري على من أسأت الأدب
للمكنات المتقابلات	١٧١ وجودنا والعدم الصفات
أزمنة أمكنة جهات	١٧١ كذا المقادير روى الشقات
أفادتكم النعماء مني ثلاثة	١٣ يدي ولساني والضمير المحجبا
بثلاثة كفر الفلاسفة العدا	١٧٩ إذ أنكروها وهي حقًا مثبتة
علم بجزئي صوت عوالم	١٧٩ حشر لأجساد وكانت ميتة
عدم التتبع رخصة وتركب	٥٢٧ لحقيقة ما إن يقول بها أحد
وكذاك رجحان المقلد يعتقد	٥٢٧ والحاجة تقليد ثم العدد
إن يحسدوني فإني غير لائمهم	٨٢٦ قلبي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
وإني وإن أوعدته أو وعدته	٣٠٣ لخلف إيعادي ومنجز موعدي
والسر في قول موسى إذ يراجعه	٣٨٣ ليحتلي النور فيه حيث يشهده
أمور الدين صدق قصد وفا العهد	٣١ وترك لمنهي كذا صحة العقد
مت مسلمًا ومن الذنوب فلا تخف	٧٥٦ حاشا المهيمن أن يرى تنكيذا
والخبر المثن الحديث الأثر	٣٥٩ ما عن إمام المرسلين يؤثر
إن مبادئ كل فن عشرة	٢٨ الحد والموضوع ثم الثمر
إذا ما رأيت الأمر يخرق عادة	٤٦٣ فمعجزة إن من نبي لنا صدر
وإني لتعروني لذكراك هزة	٢٩ كما انتفض العصفور بلله القطر
عاب الكلام أناس لا خلاق لهم	٨٥ وما عليه إذا عابوه من ضرر
لست غيبة كرر وخذها	٨٠٨ منظمة كأمثال الجواهر
تظلم واستعن واستفت حذر	٨٠٨ وعرف واذكرن فسق الجواهر
وليس كل خلاف جاء معتبرًا	٩٩ إلا خلاف له حظ من النظر
جهلت وما تدري بأنك جاهل	٤٩ ومن لي بأن تدري بأنك لا تدري
أيقنت أن أبا النبي وأمه	٧٢ أحياهما الرب الكريم الباري
ما بال دينك ترضى أن تدنسه	٨٥٩ وثوبك الدهر مغسول من الدنس
ترجو النجاة ولم تسلك طريقها	٨٥٩ إن السفينة لا تجري على اليبس
من ذا الذي ما ساء قط	٢٩٧ ومن له الحسنى فقط
محمد الهادي الذي	٢٩٧ عليه جبريل هبط

- وجائز تقليد غير الأربعة
حبا لله النبي مزيد فضل
شبهت جهلاً صدر أمة أحمد
هل نحن من أهل الهوى أو أنتم
لجماعة سموها هواهم سنة
يا واصفي أنت في التحقيق موصوفي
قد استوى بشر على العراق
إرادة الله مع المتعلق
إنني بليت بأربع ترميتني
إبليس والدنيا ونفسي والهوى
يا رب ساعدني بعفوك إنني
إن صديق الحق من كان معك
وانصر على الصليب
دع الاعتراض من الأمر لك
نعم ما قال سادتنا الأول
إنسانية فتانة
ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وما كانت نبيا قط أنثى
قل لمن يفهم عني ما أقول
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما
ثمانية حكم البقاء يعمها
أيها المغتدي لتطلب علما
قريب محيط ممالك مدبر
محمد إبراهيم موسى كليمه
حتم على كل ذي التكليف معرفة
توق نفسك لا تأمن غوائلها
ليس التصوف لبس الصوف ترقعه
ومن عجيب ما ترى العينان
جمع الهواء مع الهوى في أضلعي
فقصرت بالمدود عن نيل المنى
من قال إنني مؤمن يمنع من
يا سائلي عن رسول الله كيف سها
صفات الذات والأفعال طرا
وواجب تعذيب بعض مرتكب
- في غير إفتاء وفي هذا سعه
على فضل وكان به رءوفا
وذوي البصائر بالحميز الموكفة
ومن الذي منا حمير موكفه
وجماعة حمر لعمرى موكفة
وعارفي لا تغالط أنت معروفى
من غير سيف ودم مهراق
في أزل قضائه فحقيق
بالنبل قد نصبو علي شركا
من أين أرجو بينهن فكأنا
أصبحت لا أرجو لهن سواك
ومن يضر نفسه لينفعك
وعابديه اليوم ألك
ولا الحكم في حركات الفلك
أول الفكر آخر العمل
بلدر الدجى منها خجل
وكل نعيم لا محالة زائل
ولا عبد وشخص ذو فعال
قصر القول فذا منها شرح يطول
جعل الفؤاد على اللسان دليلا
من الخلق والياقون في ضير العدم
كل علم عبد لعلم الكلام
مرب كثير الخير والمول للنعم
فيعسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم
بأنبياء على التفصيل قد علموا
فالنفس أنحث من سبعين شيطانا
ولا بكأوك إن غنى المغنونا
أن سؤال القبر بالسريان
فتكاملت في مهجتي ناران
ودرجت بالمقصود في أكفاني
مقالة إن شاء ربي يا فطن
والسهو في كل قلب غافل لاه
قديمات إلخ
كبيرة إلخ

٩ فهرس الفرق

رقم الفقرة	الفرقة
٣١١، ٣١٠، ٣٠٥، ٣٠٣، ٣٠٢، ٢٥١، ١٣٢، ١٢٥، ١٢٢، ١٢٠، ١١١، ٧٤، ٧٣	الأشاعة
٧٤٩، ٧٢٥، ٤٥٨، ٤٥٣، ٣٥٨، ٣٥٧، ٣١٢	
٣٢٩، ٣٢٨، ٣١٣، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٥٢، ٢٤٧، ٢٢٠، ٢١٠، ١٨٩، ١٨٤، ١٣٢، ٧٤	أهل السنة
٥٧٢، ٥٤٠، ٥٣٦، ٥٢٨، ٤٩٤، ٣٦٦، ٣٦٠، ٣٥١، ٣٤٩، ٣٤٥، ٣٣٦	
٧٥٦، ٧٤٩، ٧٣٨، ٧٣٣، ٧٢٠، ٧١٦، ٦٧٦، ٦١٨، ٦٠١، ٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٦	
٨٥٦، ٨٣٣، ٧٨٣، ٧٨١	
٤٠٢، ٣٩٧، ٣٩٦، ٢٨٥	البراهمة
٤٥	بنو المطلب
٤٥	بنو هاشم
٣٢٤، ٣١٧، ٣١٣	الجبرية
٦٩٣	الجهمية
١٨٩	الحشوية
١٨٩، ٤٥	الحنابلة
٧٠	الحنفية
٤٩٤	الخطابية
٧٥٦، ٧٢١، ٧٠٨، ٦٠٥، ١٢١	الخوارج
٥٦٥	الدهرية
٤٩٤	الرواندية
٧٠٨	الروافض
٥٣٠	الروم
٧٥٠	السوفسطائية
٤٠٢، ٣٩٧، ٣٩٦	السمنية
٨٠٦، ٨٠٠، ٧٦٠، ١٢٧، ١١٧، ٧١، ٤٦، ٤٥	الشافعية
٤٩٤، ٣٩٤	الشيعة
٧٦١، ٥٧٢، ٣٩٠، ٣١٩	الصوفية
٤٩٤	العباسية
٤٦٩	اليعسوبية
٣٥٥، ٣٥٤	القدرية
٢١٥، ١٧١	الكرامية
٤٥٨، ٤٥٣، ٣٥٧، ٣١٢، ٣١١، ٣٠٥، ٣٠٢، ٢٥١، ٢٠٤، ١٢٥، ١٢٠، ١١١، ٧٤	الماتريدية
٧٧٨، ٧٦٠، ٧٢٥	
٤٦٨، ٦٧	مأجوج
٨٦٨، ٨٠٩، ٨٠٦، ٧٦٠، ١١٧، ٤٦، ٤٥	المالكية

١٥٣	المجوس
٧٥٦	المرجئة
٢١٠، ١٩٩، ١٨٩، ١٨٥، ١٧٥، ١٧١، ١٥٣، ١٢١، ١١١، ٩٩، ٨٧، ٧٤، ٧٣، ٦٦، ٢٨، ٣٣٤، ٣٣٣، ٣٢٨، ٣٢٤، ٣١٩، ٣١٣، ٢٩٢، ٢٨٨، ٢٧٤، ٢٦٧، ٢٥٢، ٢٤٧، ٢٢٠، ٣٩٣، ٣٩٢، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧١، ٣٦٦، ٣٦٠، ٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤٧، ٣٤٦، ٣٣٦، ٣٣٥، ٧٠٨، ٦٩٩، ٦٧٦، ٦٤٩، ٦١٨، ٦٠٥، ٥٧٨، ٥٧٢، ٥٣٧، ٤٥٤، ٣٩٨، ٣٩٧، ٣٩٧، ٧٨٣، ٧٨١، ٧٦١، ٧٦٠، ٧٥٩، ٧٤٩، ٧٣٦، ٧٢٢، ٧١٤	المعتزلة
٣٣٥	معتزلة البصرة
٣٣٥، ١٧٥، ١٧١	معتزلة بغداد
٤٧٣	النصارى
٤٦٨، ٦٧	يأجوج
٥٩٧، ٤٧٤، ٤٧٣	اليهود

١٠ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
مقدمة التحقيق	٥	متى شرع الجهاد	٤٤
سند المحقق في قراءة كتاب الجوهرة	٨	أحكام « فاء » التعقيب	٤٤
ترجمة الإمام الباجوري	٩	سيوف النبي وأسمائها	٤٥
جوهرة التوحيد	١٥	تعريف الحق والباطل	٤٦
مقدمة الشارح	٢١	معرفة الله تعالى أول الواجبات	٤٦
حكم التسمية	٢٢	الفرق بين أحمد ومحمد	٤٧
أنواع الابتداء	٢٣	معنى اسمه أحمد ومحمد	٤٨
أنواع البسملة	٢٤	بيان معنى العاقب	٤٨
اشتقاق الاسم	٦	معنى لفظ الرب	٤٩
تعريف لفظ الجلالة	٧	حكم الصلاة على غير الأنبياء	٥٠
تعيين الاسم الأعظم	٢٥	تعريف الآل	٥١
تعريف : الرحمن الرحيم	٢٥	تعريف الصحابي	٥١
تعريف الحمد والثناء	٢٦	دخول الأنبياء والملائكة في الصحابة	٥١
أقسام الحمد	٢٦	تعريف الحزب	٥٢
أركان الحمد	٢٧	تعريف معنى « وبعد » وأحكامها	٥٣
تعريف « لام » الحمد وأنواعها	٢٨	أول من قال « أما بعد »	٥٣
تعريف الصلة	٢٩	تعريف العلم	٥٤
معنى سلام الله	٢٩	تعريف الجهل وأقسامه	٥٤
تفسير صلاة الله والملائكة	٣٠	العقيدة وحكمها	٥٥
انتفاع الأنبياء بالصلاة عليهم	٣١	أسباب وضع علم أصول الدين	٥٦
كتابة الصلاة والسلام في صدور الكتب	٣٢	الفرق بين التطويل والمساواة والاختصار	٥٧
تعريف النبي والرسول	٣٣	هل أسماء الكتب من قبيل علم الجنس	٥٩
عدد الأنبياء والرسول	٣٥	عدد أبيات الجوهرة: كاملة ومشطورة	٦١
تعريف الثقلين وإرساله ﷺ إليهما	٣٦	حكم تسمية الكتب المصنفة بما يضاهي	
تعريف التوحيد	٣٨	القرآن والوحي	٦٢
مبادئ علم التوحيد	٣٩	تعريف الرجاء	٦٣
تعريف الدين	٤١	معنى القبول	٦٣

٩٨	تعريف الصلاة والصيام والزكاة ومتى فرضوا	٦٤	بيان معنى الطمع والثواب
١٠٠	زيادة الإيمان ونقصانه	٦٥	درجات الإخلاص
١٠٤	مباحث في التوحيد	٦٦	تعريف التكليف وأنواعه
١٠٤	معنى واجب الوجود	٦٦	الحكم الشرعي وأقسامه
١٠٥	تعريف صفة الوجوب ودليها	٦٨	حكم أهل الفترة
١٠٧	تعريف صفة القدم ودليها	٦٨	آباء النبي ﷺ وأمهاته حكم نجاتهم
١٠٨	تعريف صفة البقاء ودليها	٧٠	المعرفة وجوبها بالشرع
١١٠	بيان مخالفة الله تعالى للحوادث	٧٠	العقل عند المعتزلة
١١٢	بيان قيامه بنفسه تعالى	٧٠	الحسن والقيح عند المعتزلة وأهل السنة ...
١١٣	بيان وحدانيته سبحانه تعالى	٧٢	أقسام صفات الله تعالى
	رد قول المعتزلة « إن العبد يخلق أفعال	٧٣	تعريف الواجب وأقسامه
١١٤	نفسه الاختيارية »	٧٤	تعريف الجائز وأقسامه والمستحيل وأقسامه
	تنزيه الله تعالى عن الضد والشبيه والشريك	٧٦	التقليد في التوحيد
١١٧	والولد والصدق	٨٥	تعريف العالم
١١٨	سورة الإخلاص وسبب نزولها		توجيه قول الغزالي : « ليس في الإمكان
	تعريف صفات المعاني - معنى القدرة	٨٧	أبدع مما كان »
١٢٠	وتعلقاتها	٨٨	دليل حدوث العالم
١٢٢	تعريف الإرادة. الممكنات والمتقابلات ...	٨٨	بيان المطالب السبعة
١٢٦	تعريف العلم وتعلقه ودليها	٩٠	أقسام الإيمان
١٢٩	تعريف الحياة ودليها	٩١	حكم معرفة عدد الأنبياء
	معنى كلام الله تعالى ، وتعلقه ، وهل	٩١	ما يجب معرفته من الملائكة
١٢٩	يقال للقرآن حادث	٩٢	حكم إيمان أولاد المسلمين
١٣١	تعريف صفة السمع والبصر ودليهما ...	٩٤	شروط الإيمان
١٣٥	هل من صفاته تعالى الإدراك والتكوين ...	٩٤	هل العمل شرط الإيمان أم شرط منه
١٤١	حكم صفات الذات	٩٦	خلق الإيمان
١٤٢	أقسام الصفات باعتبار التعلق	٩٦	معنى الإسلام
١٤٣	القدرة تتعلق بجميع الممكنات	٩٦	وجه التلازم بين الإسلام والإيمان
١٤٤	أقسام تعلقات صفة الإرادة	٩٧	حكم تارك الصلاة
١٤٤	أقسام تعلقات صفة العلم	٩٧	تعريف الحج ومتى فرض
١٤٨	السمع والبصر وبيان تعلقهما	٩٨	حكم قولهم لمن يحج « يا حاج فلان »

الحياة لا تعليق لها ١٥٠	الأمانة ودليل وجوبها في حق الرسل ٢٠١
أسماء الله تعالى وصفاته القديمة ١٥٢	الصدق ودليل وجوبه في حق الرسل ٢٠١
التفاضل بين أسماء الله تعالى ١٥٢	القطانة ودليل وجوبها في حق الرسل ٢٠٢
بيان قدم صفات الذات ١٥٣	التبليغ ودليل وجوبه في حق الرسل ٢٠٣
أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية ١٥٤	ما يستحيل في حق الرسل ٢٠٤
مذهب الخلف والسلف وتاريخهما ١٥٦	ما يجوز في حق الرسل ٢٠٥
الصفات الموهمة للتشبيه وبيان تأويلها ١٥٧	الاحتلام والإغماء في حق الرسل ٢٠٦
القرآن كلام الله تعالى ١٦٠	السهو والنسيان في حقهم ٢٠٦
امتحان كثير من أهل السنة بخلق القرآن ١٦٠	معنى الشهادتين يجمع كل العقائد ٢٠٨
تعريف الضدين ١٦٣	بيان استلزام معنى كلمتي الشهادة لأقسام الحكم العقلي ٢٠٩
ما يستحيل في حقه تعالى ١٦٣	حكم اكتساب النبوة ٢١١
حكم الجهة له سبحانه وتعالى ١٦٥	الولاية وأنواعها ٢١١
الجائز في حقه تعالى ١٦٦	أفضلية النبي ﷺ ٢١٤
المفاضلة بين الغني الشاكر والفقير الصابر ١٦٦	تعريف الملائكة ٢١٧
خلق أفعال العباد ١٦٨	المفاضلة بين الملائكة والبشر ٢١٨
معنى التوفيق ١٦٩	تعريف المعجزة وأنواعها ٢٢٠
السعادة والشقاوة مقدران في الأزل ١٧٣	الفرق بين المعجزة والأمور الحارقة للعادة ٢٢١
الخلاف في قول القائل « أنا مؤمن » ١٧٤	عموم بعثته ﷺ ٢٢٣
اختلاف المذاهب في كسب العبد ١٧٥	حكم من نفى بعثته ﷺ ٢٢٤
الرد على الجبرية والمعتزلة ١٧٨	نسخ الشريعة الإسلامية لما قبلها من الشرائع ٢٢٦
الخلاف في إثبات الجن على الطاعة ١٧٩	النسخ في الشريعة الإسلامية ٢٢٦
جواز إثابة العاصي وتعذيب المطيع عقلاً ١٨٠	المعجزة وحكم منكرها ٢٢٩
رد القول بوجوب الصلاح على الله تعالى ١٨٢	بعض معجزات سيدنا محمد ﷺ ٢٢٩
حكمة إنزال الشدائد بغير المكلف ١٨٤	الإسراء والمعراج ٢٣٣
الحسن والقيح ١٨٥	أفضل القرون قرن النبي ﷺ وأصحابه ٢٣٥
القضاء والقدر ١٨٧	فضل الخلفاء الراشدين ٢٣٧
رؤية الله ﷻ ١٩١	العشرة المبشرون بالجنة ٢٣٨
رؤيته ﷻ في المنام ١٩٦	فضل أهل بدر ٢٤٠
حكم إرسال الرسل ١٩٨	فضل أهل أحد ٢٤٢
ما يجب في حق الرسل ٢٠٠	

٢٩٠	أخذ العباد للصحف	٢٤٣	فضل أهل بيعة الرضوان
٢٩٢	الإيمان بالميزان	٢٤٥	تأويل الخلاف الذي وقع بين الصحابة ..
٢٩٤	الإيمان بالصراط	٢٤٧	فضل الأئمة
	الإيمان بالعرش والكرسي والقلم والكتابون	٢٥٠	وجوب تقليد الأئمة
٢٩٦	واللوح	٢٥٢	إثبات الكرامة للأولياء
٢٩٨	الإيمان بالجنة والنار	٢٥٤	الدعاء تعريفه ونفعه وآدابه
٢٩٨	طبقات النار ودرجات الجنة	٢٥٦	الكلام على الملائكة الحفظة والكتب
٣٠٠	خلود المؤمنين في الجنة والكفار في النار	٢٦٠	الحث على محاسبة النفس
٣٠٢	الإيمان بالحوض	٢٦١	الإيمان بالموت
٣٠٥	شفاعة النبي ﷺ	٢٦٢	الكلام على الروح
٣٠٧	شفاعة غير النبي ﷺ	٢٦٣	بيان معنى الأجل
٣٠٩	حكم مرتكب الكبيرة	٢٦٤	أجل المقتول
٣١٠	حياة الشهداء		الاختلاف في فناء الروح لدى النفخ
٣١٢	الرزق وأنواعه	٢٦٥	في الصور
٣١٣	بيان معنى الحلال	٢٦٦	بقاء الروح وعجب الذنب
٣١٤	التفاضل بين الاكتساب والتوكل	٢٦٨	عدم الخوض في حقيقة الروح
٣١٧	هل وجود الشيء عين حقيقته	٢٧٠	مقر الأرواح
٣١٨	تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر	٢٧٢	العقل وأنواعه ومحلّه
٣١٨	علامات الكبيرة	٢٧٤	سؤال القبر وعذابه
٣١٩	وجوب التوبة من الكبائر والصغائر	٢٧٦	الإيمان بعذاب القبر ونعيمه
٣٢٢	الكليات الخمس	٢٧٨	الإيمان بالحشر وأنواعه
٣٢٤	المعلوم من الدين بالضرورة	٢٨١	إعادة الأجسام للحساب
٣٢٥	الإمامة العظمى	٢٨٢	الخلاف في إعادة الزمن
٣٢٧	وجوب طاعة الإمام	٢٨٢	الإيمان بالحساب
٣٢٨	وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٨٤	السيئة والحسنة
٣٢٩	شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	٢٨٤	التضعيف من خصائص الأمة المحمدية ..
٣٣٠	بيان معنى النسيئة والنهي عنها	٢٨٥	مكفرات الذنوب
٣٣١	بيان معنى الغيبة والنهي عنها	٢٨٨	الإيمان باليوم الآخر
٣٣٣	الأحوال التي يجوز فيها الغيبة	٢٨٩	علامات الساعة الكبرى
٣٢٤	اجتناب الخصال الذميمة	٢٨٩	ما يخفف هول يوم القيامة

٣٣٦	ذم العجب والكبر	٣٥٣	الفهارس
٣٣٧	بيان معنى الحسد وعلاجه	٣٥٥	فهرس الآيات القرآنية
	المراء مذموم وممدوح والفرق بينه وبين	٣٦٥	فهرس الأحاديث والآثار والأقوال
٣٣٨	الجدل	٣٧٩	فهرس الأعلام
٣٤٠	التصوف ثمرة علوم الشريعة	٣٩٣	فهرس الكتب
٣٤٤	السنة والبدعة	٣٩٤	فهرس الغزوات
٣٤٥	بيان معنى الإخلاص والتحذير من الرياء	٣٩٤	فهرس الحيوانات
٣٤٨	أحوال النفس	٣٩٤	فهرس الأماكن
٣٥١	ما بين الصلاتين على النبي ﷺ لا يرد	٣٩٥	فهرس الأشعار
٣٥٢	خاتمة الكتاب	٣٩٧	فهرس الفرق
		٣٩٩	فهرس الموضوعات

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مؤسسة فكرية إسلامية متخصصة أنشئت وسجلت في القاهرة بجمهورية مصر العربية لتعمل على :

- إبراز القواعد والمبادئ التي تضمنتها الشريعة الإسلامية وتيسيرها على الباحثين .
- إجراء الدراسات المقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والنظم الوضعية .
- صياغة العقود الشرعية صياغة جديدة يتوفر فيها البعد عن الربا والغرر الفاحش ، وتكوين العقود المتفقة والمتوائمة مع حاجات العصر ومتطلباته وسرعة وضخامة تعاملاته .
- الإسهام في تطوير بحوث الاستثمار المصرفي .
- الاهتمام بنشر وطباعة الكتب التراثية المهمة بتحقيقها ودراساتها بالتعاون مع دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة .
- إعداد الأدوات والأعمال البحثية لتدعم جهود علماء الشريعة والاقتصاد ، والقانون ، وكافة العلوم الإسلامية الأخرى وإعداد الأدلة والكشافات والبلوجرافيات والفهارس والملخصات ، وتوفير قاعدة بيانات حديثة ومتجددة في كافة المجالات التي تخدم أهداف الشريعة والاقتصاد والبنوك الإسلامية .
- ويستعين المركز لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها :

- ١ - عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة .
- ٢ - التعاون مع المراكز البحثية المتخصصة في جميع أنحاء العالم .
- ٣ - الاهتمام بإحداث تواصل بين المهتمين بالعلوم الاجتماعية والإنسانية ودارسي العلوم الشرعية باعتبارهم المهتمين بإيقاع النص على الوجود وإحداث الصلة المطلوبة بينهما .
- ٤ - تقديم المشورة العلمية للراغبين من دارسي الماجستير والدكتوراة .
- ٥ - يوفر المركز مكتبة علمية موزعة على كافة العلوم والمعارف الإنسانية ، وكذلك دوريات عربية ، ورسالة ماجستير ودكتوراة ، وهي متاحة للباحثين والدارسين من شتى بقاع المعمورة بدون رسوم أو اشتراكات طوال اليوم ، والمكتبة يتوفر بها عدد من المصنفات النادرة .
- ٦ - يتمتع المركز بعلاقات جيدة مع عدد كبير من العلماء المهتمين بالتأصيل

الإسلامي للعلوم في العالم .

والمركز يأمل - بعون الله تعالى - أن تكون له فروع في جميع أنحاء العالم ،
وليمارس من خلالها أنشطته المختلفة ، كما يأمل أن يكون هناك أوجه تعاون مع المراكز
البحثية المتخصصة في جميع دول العالم .

مَرْكَزُ الدِّرَاسَاتِ الفَقْهِيَّةِ وَالاِقْتِصَادِيَّةِ

مدير المركز

د. أحمد جابر بدران
دراسات في الشريعة الإسلامية

المشرف على المركز

أ.د. علي جمعة محمد
أستاذ أصول الفقه - جامعة الأزهر

رقم الإيداع

2001/10807

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-342-014-0



(من أجل تواصل بناء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « حاشية الإمام البيجوري على جوهرة التوحيد » ورغبة منا في تواصل بناء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهم بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائماً بملاحظاتك ؛ لكي ندفع سوياً مسيرتنا إلى الأمام ويعود النفع على القارئ والدار .

* فهياً مارس دورك في توجيه دقة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-

الاسم كاملاً : الوظيفة :
المؤهل الدراسي : السن :
الدولة : المدينة : حي : شارع :
ص.ب : تليفون : فاكس :

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : المدينة : العنوان :

- ما رأيك في عملنا في الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ ممتاز (لطفًا وضح لم)

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لم)

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟

☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع (لطفًا وضح لم)

عزيزي انطلاقاً من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فتحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوان ودون ما يجول في خاطرك :-

.....
.....
.....
.....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة لتراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصل بناء بين الناشر والقارئ)

